محمد بن تركي التركي

2 1

كتاب فتوح الشام

ب ٥٠

الحمد لله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم ابو عبد الله محمد

ابن عمر الواقدي رحمة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي رحمة الله عليه قال حدثنا ابو بكر بن
ابن الحسين ابن سفيان النحوي قال حدثنا نوفل ابن محمد ابن عميم ومحمد ابن عبد الله بن دوم العامري و
عثمان محمد الصفري وخليل بن يحيى بن عبد الله الزرقي ومعاذ بن عبد الله الانصاري وجماعة من الثقاة
عن فتوح الشام قالوا جميعا ومن قال منهم رضي الله عنهم اجمعين انه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابو بكر رضي الله عنه قتل في خلافته مسيلمة بن قيس الكذاب الذي ادعى النبوه باليمامه وقتل الاسود العـ
طليحه بن خويلد الى الشام وادعى النبوه في بني اسد فلما فتح اليمامه ودانت العرب لابي بكر الصديق
عول على ان يبعث جيوشه الى الشام ويصرف همته الى قتال الروم فجمع الصحابة اصحاب النبي صلى الله عليه
وقام فيهم خطيبا فحمد الله واثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا ايها الناس رحمكم الله تعالى
قد فضلكم بالاسلام وخصكم بمحمد عليه الصلاة والسلام وزادكم ايمانا ويقينا ونصركم نصرا مبينا وقد
قال في كتابه العزيز اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا واعلموا ان رسول الله صلى الله
كان قد عول ان يصرف همته الى الشام فقبضه الله اليه واني عازم على ان اوجه ابطالا جلدا باهليهم واموالهم
الله صلى الله عليه وسلم انباني بذلك قبل موته قال زويت لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي
ما زوي لي منها فما قولكم في هذا رحمكم الله فقالوا يا خليفة الله ورسوله امرنا بامرك حيث شئت
سبحانه وتعالى فرض طاعتك علينا فقال تعالى يا ايها الذين اطيعوا الله والرسول واولي الامر منكم
ابو بكر بقولهم وهم الخطبة والوعظ ونزل عن المنبر وجعل يكتب الكتاب ويرسلهم مع من يثق به الى ملوك اليمن
وامراء الامراء وكانت الكتب كلها نسخة واحدة وهي بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عتيق ابن ابي قحافة الى
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فاني احمد الله واصلي على نبيه اما بعد فقد عولت على ان اوجه جيوشي
الى الشام ليأخذوها من ايدي المشركين فمن اراد منكم الجهاد في سبيل الله فليبادر بالطاعة لله ورسوله
فكان غير قليل حتى اقبلت قبائل العرب من اليمن واقبلت قبائل مذحج وامامهم قيس بن هبيرة وهم يقولون
ذوي الشيمات على قب ... فقد هيئنا للملك كي نزيل الروم بالقضب الحداد قال فحياهم ابو بكر الصديق رضي
حضرا وتقدم كتيبه وموكبه واقبلت من ورائها قبائل طي يتقدمها حابس بن سعد الطائي فحياهم وصافحهم
ابو بكر رضي الله عنه ان لا يزال قدامه وصافحه وسلم عليه وشكر له ولطي ثم اقبلت من بعدهم الازد في جموع
جندب بن عمرو الدوسي وفيهم ابو هريرة رضي الله عنه فلما نظر ابو بكر الصديق رضي الله عنه الى ابي هريرة وقد

2

متقلدا كنانته تبسم وقال يا ابا هريرة ما الذي اقدمك وانت رجل قليل الخبرة بالحرب فقال ابو هريرة يا صديق
رغبة في الثواب من الله عز وجل وايضا ان اكل من فواكه الشام وحصنه ان شاء الله فرد ابو بكر رضي الله عنه
من قوله تبسم وجاءت من بعدهم بنو عبس يقدمهم اميرهم ميسرة بن مسروق العبسي واقبلت من بعدهم كنانة يقدمهم
قثم بن اشيم الكناني وتتابعت قبائل اليمن فلما نظر ابو بكر رضي الله عنه الى جمعهم بذلك وشكر الله تعالى ونزل القوم
حول المدينة كل قبيلة معينة عن صاحبها وتزايد القوم واضر بهم المقام من قلة الزاد وعلف الخيل ووجدبه
الارض فاجتمع اكابر القوم ومشايخهم وتشاوروا فيما بينهم وقالوا انطلقوا بنا الى ابي بكر رضي الله عنه نسا
فسلموا عليه وجلسوا بين يديه ونظر بعضهم الى بعض لينظروا من يخاطبهم فكان اول من بدا بالكلام قيس بن
هبيرة بن مكشوح المرادي رضي الله عنه تعالى وقال يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرتنا بامرك
فاسرعنا طاعة لله ولك رغبة في الجهاد وقد تكامل جيشنا وفرغنا من اهبتنا والمقام اضر بنا الان ببلدك
ليس ببلد خف ولا حافر ولا عيش لعسكر نازل فان يكن قد بدا لك فيما كنت عزمت عليه فامرنا بالرجوع الى
واقبل كل يخاطبه بذلك ونحوه فلما فرغوا من كلامهم قال ابو بكر رضي الله عنه يا اهل اليمن ومن حضر من غيرهم
اما والله ما اريد بكم الاضرار وانما اردت تكامل جمعكم قالوا فانه لم يبق من ورائنا احد فاعزم عليه بركة الله وعونه
قال الواقدي رضي الله عنه لقد بلغني ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قام من ساعته يمشي على قدميه وحوله
من جماعة المؤمنين منهم عمر وعثمان وعلي وسعيد بن زيد رضي الله عنه وامثالهم من الامر والخروج وخرج الى
ظاهر المدينة ووقع النداء في الناس وكبروا باجمعهم وخرجوا باجمعهم فاجابتهم الجبال بدوي اصواتهم
وكبر لهم وعلا ابو بكر رضي الله عنه ربوة حتى اشرف على الناس ونظر اليهم وهم ملؤ الارض فتهلل وجهه [illegible]
وقال اللهم انزل عليهم الصبر وايدهم بالنصر ولا تسلمهم الى عدوهم وكان اول من عقد له ابو بكر الصديق رضي الله
وعقد راية يزيد بن ابي سفيان وامره على الف فارس وعقد بعده لرجل من بني عامر بن لؤي يقال له ربيعة
بن عامر رضي الله عنه وكان فارسا مشهورا في الحجاز فعقد له راية وقدمه على الف فارس ثم اقبل ابو بكر رضي الله
على يزيد بن ابي سفيان رضي الله عنه وقال له هذا ربيعة بن عامر من ذوي العلا والمآثر والشرف والمفاخر
وقد علمت صولته وقد ضممته اليك وامرتك عليه فاجعله في مقدمتك وشاوره في امرك فقال يزيد حبا
وكرامة واسرعت الالفين الى لبس السلاح واجتمعوا وركب يزيد بن ابي سفيان وربيعة بن عامر واقبل بهما
وابو بكر رضي الله عنه يمشي مع القوم فقال يزيد يا خليفة رسول الله انا نستحي ان نركب وانت تمشي فاما ان تركب
واما ان ننزل فقال ابو بكر ما انا براكب ولا انت بنازل واني احتسب خطاي هذه عند الله وسار الى ان وصل
ووقف وتقدم اليه يزيد بن ابي سفيان وقال يا خليفة رسول الله اوصنا فقال ابو بكر يا يزيد اذا سرت
لا تعنف على اصحابك في السير ولا تغضب قومك وشاورهم في الامر واستعمل العدل وباعد عنهم الظلم
والجور فانه ما افلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم واذا لقيتم العدو فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ

دبره الا متحرفا للقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله واذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا وليدا
ولا شيخا كبيرا ولا امراة ولا طفل ولا تعرقبوا نخلا ولا تحرقوا زرعا ولا تقطعوا شجرا ولا
تعقروا بهيمة الا بهيمة الماكول ولا تغدروا اذا عاهدتم ولا تنقضوا اذا صالحتم وستمرون على اقوام
في الصوامع رهبانا يزعمون انهم ترهبوا لله عز وجل فما تذهبوا اليه وارفضوهم لانفسهم لا تقتلوهم ولا تخربوا
صوامعهم وستجدون قوما اخرين حزب الشيطان عبده الصلبان قد حلقوا اوساط رؤوسهم حتى كانها
فاحيص القطا فاعلوهم بسيوفكم على اوساط رؤوسهم حتى يرجعوا الى الاسلام او يؤدوا الجزية عن يد وهم
صاغرون وقد استودعكم الله تعالى ثم صافحه وعانقه وصافح ربيعة وقال له يا ابن عامر اظهر شجاعتك
وراعتك على بني الاصفر كفكم الله عز وجل ما اهمكم وغفر لنا ولكم قال الواقدي رحمة الله تعالى فلما سار
ابعد يزيد بمن معه عن المدينة عنف في السير الشديد فقال ربيعة ما هذا السير وقد امرك ابو بكر ان ترفق في سيرك
فقال يزيد يا ابن عامر ان ابا بكر سيعقد العقود ويؤمر امراء الجيوش ويرجهم في اثرنا فاردت ان اسبق الناس الى الشام
فعسى ان نفتح فتحا قبل ان يلحق الناس فنحج بذلك ثلاث خصال رضا الله ورضا خليفته وغنيمة نغنمها فقال
ربيعة بن عامر سر اذا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال فاخذ القوم في السير فاخذوا على وادي القرى
الاقرع ليخرجوا الى تبوك على الجابية الى دمشق قال الواقدي واتصل الخبر بالملك هرقل من قوم من العرب المتنصرة
كانوا في المدينة فلما صح عند الملك ذلك جمع بطارقته وحجابه وقال لهم يا بني الاصفر اعلموا ان دولتكم على
الانصرام وبايكم على الانهزام ولقد كنتم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ويقيمون حدود الله كما امركم الله
عز وجل لاجرم انكم ما قصدكم ملك من ملوك الدنيا فنازعكم على الشام والا قهرتموه وغلبتموه ولقد قصدكم
كسرى بن هرمز بجنود فارس فانكسر وقصدتكم الترك فولوا منهزمين وكذلك الجرامقة والان قد بدلتم فغيرتم
وظلمتم وجرتم فقد بعث عليكم قوم لم يكن في الامم اضعف منهم عندنا ولم يكن انفسنا نخشا انهم ينازعون علينا
وقد رماهم كلب الجوع والعطش والقحط الى بلادنا وقد بعثهم صاحب نبيهم الينا ليأخذوا ملكنا ويخرجونا
من بلدنا ثم حدثهم بما سمع من جواسيسه فقالوا ايها الملك ابعثنا اليهم لنصدهم عن مرادهم ونقصد مدينة
نبيهم ونهدم كعبتهم ولا ندع منهم احد قال الواقدي رحمة الله فلما راى نشاطهم وبين احتباطهم
جرد منهم ثمانية الاف فارس من احسن فرسانهم وامر عليهم اربعة من بطارقتهم وهم البطليق واخيه جرجيس
وصاحب شرطته لوقا بن سمعان والرابع صليبا صاحب غزة وعسقلان وكان هؤلا الاربعة لعنهم الله تضرب
بهم الامثال في الشجاعة ثم انهم تدرعوا وظهروا زينتهم وعدتهم وصلبوا عليهم الانجيل وصلوا عليهم صلوة

النفر

النصر وقالوا اللهم انصر من كان على الحق وبخروهم ببخور الكنائس ورشوا عليهم من ماء المعموديه وودعوهم للثلث
وقلسوا وساروا وانزلوا العرب المتنصرة امامهم ليبدوهم قال الواقدي حدثنا رفاعه بن معمر عن جده قال
اول من كان وصل الى تبوك يزيد بن ابي سفيان وربيعه بن عامر رضي الله عنهما ومن معهما من المسلمين قبل وصول
الروم بثلثة ايام فلما كان في اليوم الرابع وقدهم الصحابه بالرحيل الى الشام اذا اقبل جيش العدو فلما راي المسلمين
كثرة القوم اخذوا على انفسهم وكمن يزيد من اصحابه الف وتظاهر للقوم في الف فارس وكان المقدم على الكمين
ربيعه بن عامر ووثب يزيد في اصحاب الالف ووعظهم وذكرهم وقال لهم اعلموا ان الله عز وجل قد وعدكم بالنصر
وعليكم بالذي نكبه في مواطن كثيره وقال الله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله
مع الصابرين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف وانتم اول جند دخل الشام وتوجه
لقتال بني الاصفر وكانكم بجنود المسلمين قد لحقت بكم فكونوا هذا ظن المسلمين بكم واياكم ان تطمعوا العدو فيكم
وانصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم قال الواقدي رحمة الله فبينما يزيد يعظ اصحابه واذا طلايع الروم قد اقبلت
والجيوش قد اشرقت فلما راو قلة القوم طمعوا فيهم وظنوا ان الجيش وراهم احد فنادى بعضهم على بعض بالروميه وقالوا
دونكم ومن يريد بلادكم وهتك حريمكم وقتل ملوككم واستنصروا بالصليب ينصركم ثم حملوا على خيولهم والتقتهم اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم بهمم عاليه وقلوب غير وانيه ودام بينهم القتال وتكاثرت الروم عليهم وظنوا في قبضتهم اذ خرج عليهم الكمين
مع ربيعه وقد اعلنوا اصحابه بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير والنذير وحملوا على خيولهم العربيه واعلنوا بتوحيد
رب البريه فلما نظر الروم من قد خرج عليهم انكسرت هممهم والقى الله تعالى الرعب في قلوبهم فتقهقروا الى ورائهم ونظر
ربيعه بن عامر الى البطريق وهو يزجر قومه ويحرضهم على القتال فعلم انه طاغية الروم فحمل عليه بقلب قوي وجنان جري
وطعنه طعنة صادقة فوقعت الطعنه في خاصرته طلعت من الناحية الاخرى فعجل الله بروحه الى النار فلما نظر الروم الى ذلك ولوا الادبار
وركنوا الى الفرار ونزل النصر على اصحاب محمد المختار صلى الله عليه وسلم قال الواقدي لقد حدثني جرجيس وهزمهم الله وكان جملة من
قتل منهم في ذلك اليوم الف فارس وقتل من المسلمين مائة وعشرين رجلا اكرمهم الله تعالى بالشهادة اكثرهم من السكاسك فلما
انهزموا قال لهم جرجيس لعنه الله يا ويحكم باي وجه ترجع الى الملك وما لقينا الا طليعة القوم وقد فتكوا فينا وقتلوا كبارنا
وملوا الارض من قتلانا وما كنت بالذي ارجع حتى اخذ بثار اخي والحق به قال فلما سمع القوم منه رجع بعضهم على بعض بالملامه
وعادوا الى القتال وضربوا مضاربهم وخيامهم واظهروا زينتهم وعولوا على القتال والحرب والنزول فلما استقر قرارهم
وضعهم بعثوا رجلا من العرب المتنصرة اسمه قداح بن التنوخي لعنه الله الى المسلمين وقالوا له امضي الى بني عمك وقل لهم يبعثوا
رجلا من كبارهم حتى ننظر ما الذي يريدون منا فركب القداح جواده وقرب جيش المسلمين فلما راوه استقبله رجال من الاوس فقالوا
له ما الذي تريد فقال ان بطارقة الملك يريدون رجلا منكم ليخاطبوه فيما تعودوا عليه صلح الجمعان فاخبر يزيد بن ابي سفيان
رضي الله عنه بما قال المتنصر فقال ربيعه رضي الله عنه انا اسير اليهم فقال له يزيد يا ربيعه اني اخاف عليك من القوم لانك قتلت
كبيرهم بالامس فقال ربيعه قل لن يصيبنا الا ما كتب الله علينا ولكن انا اوصيك يا يزيد ان تكون همتك عندي ثم ركب جواده وسلم عليهم
حتى اتى جيش الروم وقرب من سرادق ملكهم وهو راكب فقال له القداح عظم جيش الملك وانزل عن جوادك فقال له ربيعه ما انا
بنازل الا على باب السرادق والا رجعت من حيث جئت لانكم انتم بعثتم الينا نحن لم نبعث اليكم قال الواقدي رحمه الله تعالى فاعلم القداح الروم
بما قال ربيعه فقال بعضهم لبعض لقد صدق العربي بما قال في قوله دعوه ينزل حيث شاء فنزل ربيعه على باب السرادق وجثا على ركبتيه
ومسك عنان فرسه بيده فقال له جرجيس يا اخا العرب لم يكن امتنا ضعف منكم عندنا وما كنا نحسد انفسنا انكم تقاتلونا فما الذي تريد
منا فقال ربيعه رضي الله عنه يريد منكم ان تدخلوا في ديننا وتقولوا بقولنا فان ابيتم فادوا الجزية والا فالسيف بيننا وبينكم

فقال جرجيس فما منعكم ان تقصدوا الفرس وتدعو الصداقة بيننا وبينكم فقال ربيعه بدانا بكم لانكم اقرب الينا منهم لقول الله
تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فقال جرجيس انكم كتاب انزل عليكم فقال ربيعه رضي الله عنه نعم كما انزل الانجيل على عيسى بن مريم
فقال جرجيس هل لك ان نعقد الصلح بيننا وبينكم ونعطي لكل رجل منكم دينارا ووسقا ونعطي الامير منكم مائة دينار وعشرة اوسق
من طعام ولخليفتكم الف دينار ومائة وسق طعام ونكتب بيننا وبينكم كتاب الصلح ولا تغزونا ولا نغزوكم فقال ربيعه لا سبيل
الى ذلك وما بيننا وبينكم الا احدى ثلاثة اشياء فقال جرجيس اما ما ذكرت من دخولنا في دينكم فلا سبيل الى ذلك
هكذا على اخرنا الا انا لا نزي بدلا لديننا واما ان نودي الجزيه فالقتل اهون من ذلك فما انتم باشد منا ولا اشهى منا الى
القتال والحرب والنزال لانا ابنا البطارقه وانا اهل اعمال الحرب وارباب النصر ثم قال لعنه الله على بالقس صقلبيه حتى يناظر
هذا البدوي قال الواقدي فكان الملك هو قد تسلمهم فتى محبط ولا عن شرعهم ثم كان اسمه صقلبيه فاتى الحاجب
فلما استقر به الجلوس قال له يا ابانا استخبر هذا الرجل عن دينهم وشرعهم فقال القس يا اخا العرب انا نجد في كتابنا ان الله يبعث
نبيا عربيا هاشميا قرشيا وعلامته ان الله يسري به الى السماء اكان ذلك فقال ربيعه نعم وقد اسرى به وقال الله تعالى سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فقال القس انا نجد في كتابنا انه كتب عليه وعلى امته صيام شهر رمضان
قال نعم وانا نخبر في علمنا وكتبنا ان الرجل من امته اذا عمل حسنة كتبت له عشر حسنات الى سبعمائه واذا عمل سيئة كتبت عليه سيئة واحدة
قال ربيعه نعم قد ذكر الله في كتابه العزيز من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قال القس انا نجد
بالصلاة عليه فقال ربيعه نعم قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما قال الواقدي فتعجب القس من ذلك وقال للبطارقه والحتى مع هولاء القوم فقال بعض الحجاب لجرجيس ان هذا الس
هو قاتل الخبيث البياطلته بالامس فلما سمع ذلك دورت عيناه وهم ان يثب اليه ففهم ربيعه ذلك فغشاه [illegible] كانه اسد
من البرق من خفته وضرب بيده الى قايمة سيفه وحمل جرجيس بضربته فبداه فقتله وعجل الله بروحه الى النار ثم وثب الى جواده
وركبه وتسارعت البطارقه اليه فحملوا عليهم فنظر يزيد بن ابي سفيان فقال لاصحابه ان عدو الله غدر باصحابنا فدونكم واياهم
فحمل المسلمون على الروم واختلط الجيشان وضرب الروم لقتال العرب فبيناهم في القتال مع الروم اذ اشرفت جيوش المسلمين
مع شرحبيل بن حسنه كاتب النبي صلى الله عليه وسلم فلما نظر المسلمون الى اخوانهم حملوا عليهم واذا ادبهم وتحكمت اسياف
في الروم قال الواقدي رحمة الله وقد بلغني ان الثمانيه الاف لم يخرج منهم الا القليل لان العرب التقطوهم بسوابق الخيل
من تبوك ثم ان المسلمين احتوو على اموالهم وسلبهم ثم سلموا على شرحبيل وعلى من معه من المسلمين ثم تولوا جميع يزيد وشرحبيل المال
وانتشار الناس في ذلك فقالوا ابعث بجميع ما اخذناه من المال وغيره من الروم الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه حتى يرى
المسلمين فلا يلوم الروم واموالهم فيبادروا الى الجهاد فاستصوبوا رايهم وبعث الكل الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه لاكن العدة
فان المسلمين تقووا بها وتقدم يزيد وشرحبيل وربيعه رضي الله عنهم المال شداد بن اوس وخمسين فارسا ثم انهم اقاموا
في تبوك حتى لحقت بهم المسلمون قال الواقدي ووصل شداد بالمال الى المدينة فلما عاين المسلمون الى اموال الروم
فلا يعيهم رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير فسمع ابو بكر الصديق رضي الله صيحة المسلمين فقال ما الخبر فعلموه بقدوم شداد بن
وسعه قد ذا بغ الروم فبينما هو يسئل اذ اقبل شداد بن اوس ومن معه مترجلين على باب المسجد ثم دخلوا الى المسجد وصلوا ركعتين وسلموا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبلوا على ابي بكر واعلموه بقضية الروم فسجد شكرا لله واستدعى بدواه وكتب كتابا الى اهل مكه يستنهضهم
وكان كتابه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عتيق ابي قحافه الى اهل مكه سلام عليكم فاني احمد الله واصلي على نبيه فاني
من قبلي من المسلمين لقتال عدوهم وفتح الشام وقد كتبت اليكم لتسرعوا الى امركم ان الله يقول انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم
وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وهذه الاية نزلت فيكم وانتم احق بها واولى من صدق بنزولها وقام [illegible] من ينصر الله

ومن بخل فنفسه على ذلك استعين الله عنه والله غني حميد فسارعوا الى جنة عالية قطوفها دانية اعدها الله للمهاجرين والانصار ومن
اتبع سبيلهم وحسبنا الله ونعم الوكيل وختم الكتاب بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعه الى حذيفة فاخذه عبد الله وسار به
حتى وصل الى مكة وصرخ في اهلها فاجتمعوا اليه فدفع لهم كتاب ابي بكر فقرا على جميع اهل مكة فلما سمعوا كتاب ابي بكر رضي الله عنه
قال سهيل ابن عمرو والحارث ابن هشام وعكرمة ابن ابي جهل وقالوا اجبنا داعي الله وصدقنا النبي صلى الله عليه وسلم واما الحارث ابن
هشام قال والله لا نتخلف عن نصرة دين الله واما عكرمة ابن ابي جهل فانه قال الى متى نبطي بانفسنا عن سبقنا في المواطن وقد فاز من فاز
بالسبق فان كنا قد تاخرنا عن السباق فلعلنا نكتب في اللحاق ثم خرج سهيل ابن عامر في اربعين من بني عامر وخرج عكرمة ابن ابي جهل
في اربعة عشر رجلا من قومه من بني مخزوم وخرج الحارث ابن هشام معهم وتلاحق القوم بهم من اهل مكة وكان جميع من سار من مكة
خمس ماية رجل وكتب الصديق رضي الله عنه كتابا الى هوازن الطايف فخرجوا في اربعماية رجل قال الواقدي رحمه الله
حدثني عبد الله ابن سعيد الجمحي عن ابيه عامر الهوازني قال كنا بالطايف اذ قدم علينا كتاب ابي بكر الصديق رضي الله عنه فقرئ علينا فاجابنا
اربعماية رجل من هوازن وثقيف فسرنا حتى لحقنا وفد مكة وكان جملتنا تسعماية فارس نامنا الامين يقول انه يلقى جيشا وحده وسرنا حتى
اتينا المدينة النبوية فنزلنا بالبقيع واخبر ابو بكر بقدومنا فبعث الينا رسوله يقول انتقلوا الى موضع اخوانكم يعني شرحبيل ويزيد ومن معهم
وكان منزلتهم بالجرف فنحو الينا واقمنا هنالك عشرين ليلة والوافد يقدم الينا قال شداد ابن اوس ثم خرج الينا ابو بكر رضي الله عنه في جميع
المهاجرين والانصار وهو يمشي بين القبايل ثم قام فيهم خطيبا فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله وصلى على نبيه ثم قال ايها الناس ان الله
على المومنين الجهاد فريضة من فرايض الله والثواب عند الله عظيم فلتحسن نياتكم لتعظم حسناتكم وسارعوا عباد الله الى فريضة ربكم
وسنة نبيكم فانما هي احدى الحسنيين اما الشهادة فتلحقون بسلفكم ومن مات قتل فاجره على الله قال الواقدي رحمه الله وصف لنا
ابو بكر فقال كان رجلا اسمر نحيفا طوالا خفيف اللحية رضي الله عنه قال الواقدي وقدمت حضرموت في اربعماية رجل وكتب ابو بكر كتابا
الى الوحيد ابن مسلمة والى بني كلاب يدعوهم الى غزو الروم فقام فيهم الضحاك ابن قيس ابن عوف ابن بكر الكلابي فقال يا معشر بني كلاب اتقوا
الله وانفروا الى خليفة رسول الله ونصر هذا النبي الذي بعث الله به محمدا فقال رجل من بني كلاب كان شيخا كبيرا قد دخل الشام مرارا يا ضحاك
انك تدعونا الى غزو قوم لهم عز وقوة وعدد وعدة وخيول معدة وانا العرب قوم نلقاهم مع قلة عندهم جوعهم وضعفهم فقال
الضحاك ابن قيس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصر بعدد وسلاح ولكن نصر باظهار دين الله الذي بعثه وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بدرا في ثلثماية وثلاثة عشر رجلا فلقي قريشا في عددها وعددها وخيلها وسلاحها ولم يزل رايته منقلبة حتى نصر صلى الله عليه وسلم وقاتل بني حنيفة
ابو بكر وقد رايتم قيامه على الارض وكيف قهرهم بالسيف وقد كنتم في ذلك عنده وعند المسلمين غير محمودين فلم تنصروا المسلمين كما نصرهم غيركم
فناشدتكم الله يا بني كلاب ان لا تجعلوا انفسكم عيبة في العرب فانه ليس في العرب احد مثلكم من الابل والخيل والعدد والسلاح فاتقوا الله واجيبوا خليفته
قال الواقدي رحمه الله فلما سمعوا بنو كلاب كلام ضحاكهم انفتحت بصايرهم وشحو الخروج [illegible] الى فناء المدينة
فهنالك لبسوا السلاح وركبوا الخيل ودخلوا المدينة فلقوا الصديق وقد خرج ليوجه الناس الى الشام فلما راهم سر بقدومهم وامرهم ان يلحقوا
بعسكر الشام وعقد لهم راية وسلمها الى الضحاك ابن قيس وكان قد قدم بخيل وابل الى ابي بكر رضي الله عنه ليستعين بها على غزو الروم قال ونظر
ابو بكر الى خيلهم كلها شقر ففرح فرحا شديدا وقال سمعت رسول الله يقول خيل اليمن محملة طلقة قال ثم فرقت قبايل الصارخة من
العرب وخرج ابناء المهاجرين والانصار وتكامل الناس بالجرف وقد عزم ابو بكر رضي الله عنه ان يقدم على جيوش الشام ابا عبيدة عامر ابن الجراح
واراد ان يقدم على جيوشه امير فعزم ان يعقد الراية لسعيد ابن خالد العدوي وكان غلاما منجبا وذلك ان سعيد ابن خالد اتى الى
ابي بكر رضي الله عنه فقال يا خليفة رسول الله انك ان تعقد لابي خالد راية ويكون قايدا من قواد جيوشك فتكلم فيه المتكلمون فعزلته حين
في بيعتك وقد حبس نفسه في سبيل الله وانا حبست نفسي في سبيل الله ولم ازل مجيبا لدعوتك وبيعتك فهل لك ان تقدمني على
جيش فوالله لا زلت الى الله واياه ولا عاجزا عن الحرب قال وكان سعيد ابن خالد غلاما نجيبا في الحرب انجب من ابيه وافرس فعقد له ابو بكر الصديق ر

رايه تدفعها اليه وامره على المقبين من العرب قال الواقدي رحمه الله حدثني واقد بن ابي ياسر عن يزيد بن رومان قال لما سمع ابو حفص
عمر رضي الله عنه كلام سعيد بن خالد وانه احرص على انه يكون ميا كره له ذلك واقبل على ابو بكر رضي الله عنه وقال يا خليفة رسول الله
عقدت هذه الرايه لسعيد بن خالد على من هو خير منه ولقد سمعته يقول عند ما عقد لخالد على رغم الاعادي والله انك لتعلم انه
ما اراد بالقول غيري والله ما تكلمت في ابيه ولا غاديته فثقل ذلك على ابي بكر وكره ان يعزله وكره مخالفة عمر رضي الله عنه لمحبته له
ونصحه ومنزلته من رسول الله ووثب قائما ودخل على عايشة رضي الله عنها واخبرها بخبر عمر رضي الله عنه وما كان من كلامه فقالت
لها عايشة رضي الله عنها قد علمت ان عمر ينظر للمدينة ويريد بقوله النصيحة لرب العالمين وما في قلب عمر بغض لاحد من المسلمين فقبل قول عايشة
ثم دعا ابو بكر يا ابا اروى الدوسي وقال له امضي الى سعيد بن خالد وقل له ان ابا بكر يقول لك ردد الينا قال عبد الله بن عمر بن خالد كنت
في ذلك الجيش وقد صلى بنا سعيد بن خالد بالجرف واقبل ابو اروى الدوسي فقال له ان ابا بكر يقول لك ردد علينا الراية فامر دها
وقال والله لا قاتلن تحت راية ابي بكر حيث كانت وسيدهن كانة فاني قد حبست نفسي في سبيل الله قال الواقدي رحمه الله لقد بلغني
ان ابا بكر جال فكر فيمن يحمله طليعة لجيش ابي عبيده فتقدم اليه سهيل بن عمرو وعكرمة بن ابي جهل والحارث بن هشام وهم شاكرون
في السلاح يرومون ان يعقد لهم الصديق واقبل الحارث بن هشام على عمر وقال ابي حفص انك كنت في شدتك علينا قبل الاسلام
سيفا مصلطا واما اليوم فقد هدنا الله لدينه وما نزيك الا قاطعا رحمنا وان الله عز وجل امر بصلوة القرابه فقال عمر رضي الله عنه
انا لا نقدم الا اهل السابقة لسبقتهم فقال سهيل بن عمرو واذا كنتم لا تقدمون الا اهل السابقه لسبقتهم فوالله لنقضي كل نفقة انفقناها
على حرب رسول الله لننفقن موضعها نفقتين في سبيل الله ولنقفن مكانه كل وقفة وقفناها على رسول الله وقفتين على اعداء الله وقال
عكرمة يا معاشر المسلمين اشهدكم الله اني قد جعلت نفسي حبيسا في سبيل الله انا ومن معي من بني عمي ومالي ولا نرجع عن القتال ابدا فقال ابو بكر
اللهم بلغهم افضل ما يوملون ثم ان الصديق دعا بعمرو بن العاص بن وائل السهمي فسلم اليه الرايه وقال له قد وليتك على هذا الجيش يعني اهل
مكه وثقيف وطايف وهوازن وبني كلاب وحضرموت وانصرف الى فلسطين وكاتب ابا عبيده وانجده ان ارادك ولا تقطع امرا الا
بمشورته امض بارك الله فيك وفيهم فاقبل عمرو بن العاص على ابن عمر الخطاب وقال يا ابا حفص انت تعلم شدتي على الاعدا وصبري
على الحرب فلو كلمت الخليفه يجعلني اميرا على ابي عبيده وقد رايت منزلتي عند رسول الله واني ارجو ان يفتح الله على يدي البلاد ويهلك الاعادي
فقال عمر ما كنت كذبتك وما كنت بالذي اكلمه في ذلك وما يسرني ان يكون على ابي عبيده اميرا وابو عبيده امين هذه الامة فقال عمرو
وما ينقص من فضل ابي عبيده اذا كنت الامير عليه فقال عمر ويحك يا عمرو وانك ما طلبت بقولك الا الرياسة في الدنيا والشرف فاتق الله
ولا تطلب بقولك هذا الا شرف الاخرة ووجه الله تعالى فقال عمرو وان الامر كما ذكرت ثم امر الناس بالمسير تحت رايته فساروا
وتقدمت اهل مكه واتبعها كلاب وطي والاصيل هوازن وثقيف وتخلف المهاجرون والانصار ليسيروا مع ابي عبيده بن الجراح
وقدم عمرو بن العاص على مقدمته سعيد بن خالد قال ابو الدرداء كنت مع عمرو في حبشه وسمعت ابا بكر وهو يوصيه اتق الله
في سرك وعلانيتك واستحييه في خلواتك فانه يرى عملك وقد رايت تقدمتي لك على من هو اقدم منك سابقه واعظم حرمه
فكن من عمال الاخرة واردد بعملك وجه الله وكن والدا لمن معك وارفق بهم في سيرهم وتعاهدهم بنفسك فان فيهم اهل ضعف وانت
تسير سيرا بعيدا والله ناصر دينه وليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فاذا سرت بجيشك هذا فلا تسلك في الطريق الذي
سلكه يزيد وربيعه وشرحبيل سلكوا فيه واسلك طريق ايله حتى تنتهي الى ارض فلسطين ان شاء الله وابعث عيونك ياتوك باخبار ابي
عبيده فان كان ظافرا بعدوه فكن انت لقتال من في فلسطين وان كان يريد نصرتك فانفذ اليه جيشا في اثر جيش وقد سهل بن عمرو
وعكرمة بن ابي جهل والحارث بن هشام وسعيد بن خالد واياك ان تكون وانيا فيما ندبتك اليه واياك والوهن وان تقول نائي
ابو بكر ابن ابي قحافة في نحر العدو ولا توهم لي بهم وقد رايت يا عمرو في مواطن كثيرة تلاقي من جموع المشركين ونحن في قلة عدد ناتم ثابت
بنصحين وما نصرنا الله عليهم واعلم يا عمرو ان معك من المهاجرين والانصار ومن اهل بدر فاكرمهم واعرف لهم حقهم ولا تتطاول عليهم

بسلطانك ولا يدخلك نخوة السلطان فتقول انما ولاني ابو بكر لاني خير امتك واياك وخدايع النفس وكن كاحدهم وشاورهم فيما تريد من امرك
ثم الصلاة اذا اذن لها اذا دخل وقتها ولا تصلي صلاة الا باذان الله تسمع به اهل عسكرك ثم برز لمن يرغب في الصلاة معك فذلك افضل
ومن صلى معك صلاة تمت صلاته وكن انت المتولي لاكرام الرسل واحذر من عدوك وامر اصحابك بالحرص ونوايب وتمكن بعد ذلك منك لطفا عليهم
متعهدا عليهم واطل الجلوس بالليل في اصحابك واذا عاقبت فلا تعجل في العقوبة ولا تهملهم فيتجروا عليك ولا تضرب سوطا وانت تجد السبيل
الى تركه فانك لا تامن من رجل يلحق بالعدو فيكون عليك عونا ولا تكشف اسرار الناس بعد اسنتهم وكن مجدا في امرك واصدق اللقا اذا لاقيت
وقدم الوصية في القول وعاقب عليه واذا وعظت اصحابك فاوجز واصلح نفسك تصلح لك رعيتك وانما الوالي يتقرب الى الله بفعله وبعمله في [illegible] عمله
واني قد وليتك على من مررت به من العرب واترك كل قبيلة على جهتها ومنزلها وكن لهم كالوالد الرفيق وتعاهد عسكرك في مسيرك وقدم بين
يديك طلايعك يكونوا امامك وخلف خلفا على الناس من ترضاه واذا لقيت عدوك فاصبر ولا تتاخر فيكون ذلك منك جبنا والزم اصحابك
قراة القران وامنعهم من ذكر الجاهلية وما كان في القران اذ يقول الله تعالى وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة
وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين قال ابو الدرداء وكان ابو بكر رضي الله عنه يوصي عمرو وابو عبيدة حاضر ثم قال سيروا على بركة الله وعونه وبعد
بتقوى الله عزوا في سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله فان الله ناصر دينه وناصر من نصره فسار المسلمون في تسعة الف فمن ذكرنا مع عمرو بن العاص
يريدون ارض فلسطين فلما انهد سوم عقد العقود والالوية والرايات لابي عبيدة بن الجراح وامره على جميع عساكر المسلمين وامره ان يقصد بمن
معه ارض الجابية قال يا امير الامة قد سمعت ما اوصيت به عمرو وودع المسلمين فلما عاد ابو بكر وودع ابي عبيدة المسلمين عاد لخالد بن الوليد المخزومي
وعقد له راية النبي صلى الله عليه وسلم العقاب وكانت راية سودا وامره على لخم وجذام وضم اليه جيش الزحف وهم سبعمائة فارس من اهل الامر
الوقايع وخاض الملاحم بين يدي رسول الله وقال يا ابا سليمان قد امرتك على هذا الجيش فاقصد بهم ارض الايلة فارس وارجو ان الله يفتح
على يديك ان شاء الله تعالى ثم ودعه وسار خالد ومن معه بطلب العراق قال الراوي حدثني روح بن عامر عن سعد بن عاصم عن عبد الرحمن بن
عن الواقصي مولى ربيعة بن قيس اليشكري قال كنت في الجيش الذي وجههم ابو بكر الصديق مع عمرو بن العاص الى ايلة وارض فلسطين وكان صاحب
سعيد بن خالد بن سعيد ورايته وقد هز الراية وهو يقول اليوم يعصبه من خير قوم الى الطاعنين من اهل الشام عباد الصليب وشرحبيل قائمهم جلده احمر
ونطعن بالمقومة العوالي ولا نختشي البوارق في الزحام وما املي سوى جنات ربي لعلي ان افوز يوم المقام قال حدثني مازن بن عمرو وقال حدثني مالك
جندب عن ثقات ممن روى فتوح الشام ان الذي انشد هذه الابيات بعينها كان شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله انشدها يوم وجهه ابو بكر
في اثر يزيد بن ابي سفيان وربيعة بن عامر قال الواقدي لما بعث الصديق رضي الله عنه جيوش المسلمين مع من ذكرهم الى الشام والعراق ورجع الى المدينة وهو يدعو
لهم بالنصر اخذه القلق على المسلمين حتى عرف ذلك في وجهه فقال له عثمان ما هذا الغم الذي نزل بك قال ابو بكر اغتم على جيوش الموحدين
الله ينصرهم على عدوهم ولا يلحق اني مخافة تسبيهم عم قال له عثمان والله ما خرج جيش سيرت به مثل هذه الجيوش التي قد سارت الى اهل البعد
وغيه قال عثمان انا ما هذا فلا تؤذي وكن احسن الظن بالله وقال وبات الصديق رضي الله عنه فراى في منامه كان عمرو وابن العاص في جرح ظ
هو وصحابه ثم قصد عمرو فحمل بفوسه فيها امتنعه اصحابه فاذاهم في ارض واسعة سهلة خضرة نضرة فنزلوا وارا خيلهم فانتبه
ابو بكر فرحا مسرورا بما راى فلما صلى بالمسلمين واستشهدهم بما راى فقال عثمان رضي الله عنه نهارا دل على فتح الا انه يوشك ان يلقى عمرو من قبل
المشركين مشقة شديدة ثم يخلص منها قال الواقدي وكانت الساقطة تنزل بالمدينة في الجاهلية والاسلام يقدمون بالبر والشعير و
والخرنوب والتين الى المدينة وابو بكر يستنفر العرب وينفذ الجيوش ويمعو [illegible] ابي بكر رضي الله عنه لعمرو وابن العاص عليه بايلة وفلسطين فنادوا الى الخبر
بالملك هرقل وسمع بذلك جميع ارباب دولته وحجابه واساقفته واعلمهم بالحديث الذي حمل اليه وقال يا بني الاصفر هذا الذي كنت حدثتكم به
قديما واي صحاب هذا النبي لا بد ان يملكوا ما تحت سريري هذا وقد قرب الوقت وان اصحابي قد قتلوا على نبوك وان يملكوا ما تحت سريري
هذا وقد قرب الوقت وان اصحابي قد قتلوا على نبوك وان خليفة محمد قد بعث جيوشه فقاتلكم وقد قرب الوقت وان اصحابي قد قتلوا
الي نحوكم فخذوا على انفسكم وقاتلوا عن دينكم وعن حريمكم واهلكم وما لكم فان لها وعنتم ملكت العرب بلادكم واموالكم فبكا القوم على من قتل من
صحابهم فقال لهم الملوك دعوا البكا فانه لا يصلح الا للنسا واجمعوا باجنادكم فقال وزيره يا ايها الملك قد اشتهينا ان تدعو النابغض

من قدم لنا بهذا الخبر عليك فامره هرقل بعض حجابه بان ياتي برجل من عرب المتنصرة ممن قدم علينا بالخبر فاتي برجل من لخم فقال الملك
كم عهدك من يثرب قال منذ خمسة عشر ليلة قال فمن المقدم عليهم قال المتنصر رجل يقال له ابو بكر وقد وجه جيوشه الى بلدك ولقد رايت
قوما محاجين مشمرين فقال هل رايت ابا بكر قال نعم وانه ابتاع مني شملة بادبعة دراهم والقاها على كتفه ونظرت اليه كاحدهم يمشي في ثوبين
يطوف بالاسواق ويدور على الابواب ياخذ الحق من القوي على الضعيف والقوي والضعيف عنده سواء قال هرقل كيف صفته قال هو رجل
ادم اللون ضعيف العارضين بادي العظم حسن لشبه فضحك هرقل وقال هو صاحب محمد الذي نجده انه يقوم من بعده بهذا الامر نجد
ان يقعد هذا الرجل رجل اخو احور طوال كالاسد الوثاب يكون على يده الدمومه والجلد فشهق المتنصر من قول هرقل وقال ان هذا الرجل
الذي وصفته رايته معه يمشي لا يفارقه فقال هرقل قد صح الامر وقد عوت الروم الى الرشد والفلاح فابت ان تطيعني وان الروم
سوف تخرج من سوريه ثم عقد صليبا من الذهب وسلمه الى قايد جيوشه وهو روبيس وقال له قد وليتك على جيوشي فسيروا وامنع الهم
من فلسطين فانها بلد مبارك كثيرة الخصب وهي عز ناو نجاحنا قال الواقدي ولقد بلغني ان عمرو بن العاصي سار الى ايله حتى ورد ارض
فلسطين هو ومن معه فقدموا وقد عجبت كلهم فد فعوا في بلد طيب ونبت وزرع فرعت خيولهم فيه فذهب عجفها فلما نزل
بفلسطين جمع المهاجرين والانصار اليه وشاورهم في امره فبينما هم في المشورة اذا اقبل اليه عامر بن عدي وكان من خيار المسلمين
وكان كثيرا ما يغشى عشيرة له بارض الروم وكان قد عرف بلادهم ودارس ارضهم وكان قد اقبل من عند عشيرته فلما اشرف على المسلمين
دار دابه واوقفوه بين يدي عمرو فنظر اليه عمرو وقد ارتد وجهه فقال له ماوراك يا عامر فقال ورايت عساكر المتنصرة وجنودها مثل
الشوك والشجر على جياد الخيل قال عمرو يا ذا الرجل لقد ملات في قلوب المسلمين رعبا وانا مستعين بالله عليهم ففي كم حزرت القوم انها الا مر
علقت على شرف جبل من الجبال العالي وتحققت الخيل فرايت من الصلبان والرايات والرماح والاعلام ما قد ملا وادي الاحمر وهو اعظم واد
رياض فلسطين وهم دهلهم مايه الف وهذا ما عندي من الخبر وقد اعذر من انذر فلما سمع عمرو ذلك قال استعنا بالله عليهم ولا
قوة الا بالله العلي العظيم ثم اقبل على من حضره من كبراء المسلمين وقال ايها الناس اني واياكم في هذا الامر بالسوى فاستعينوا بالله على
اعداء الله وقاتلوا عن دينكم وشرعكم فمن قتل منا كانت له الشهاده ومن عاش منا عاش سعيد فماذا انتم قايلون قال فتكلم كل رجل بما حضر عنده
من الراي فقالت طايفة منهم وهم اهل البادية حتى نكون في بطن البيد فانهم لا قدرة لهم على الدهنا ولا يقدرون على فراق القرى والحصون
فاذا جاءهم الخبر انا توسطنا البرية تفرق جمعهم فحينئذ نعطف عليهم وهم على حين غفلة من عزمهم ان شا الله قال سهيل بن عمرو ان
هذه مشورة رجل هاجر قال المهاجرون والانصار لقد كنا مع رسول الله نهزم الجمع الكثير بالجمع القليل اليسير وقد وعدكم الله النصر وامركم
بالصبر ما وعد الله الصابرين الا الخير وقد قال عز وجل قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ونحن في بحر العدو وقد سار
يزيد قبالكم قال عبد الله ابن عمر رضي الله عنه اما انا والله لا ارجع عن قتال من كفر بالله ولا ارددت سيفي عنهم فمن شا فلينهض
ومن شاء فليرجع ومن نكص على عقبه فان الله من ورائه بالمرصاد قال فلما سمع كلام المسلمين من اهل مكة وكلام عبد الله ابن عمر فرح
احسنت يا ابن الفاروق وكانك والله عرفت ما في نفسي ونقطت عن غامض سري ولقد رايت انا قدمك في رجال من المسلمين من ترون
طلايعا وتعرفوا خبر هذا الجيش المقبل وتنظر هل نجد الى حربهم من سبيل قال عبد الله ابن عمر افعل يا ابا زيد فاني لا احب ان ابذل نفسي
في طاعة الله عز وجل فعقد له راية وضم اليه فارس من الصحابة وغيرها وفيهم رجال من بني كلاب واهل الطايف من ثقيف وامره
بالسير فسار عبد الله بن عمر وجعل يجد في السير بقيه يومه الى الصبح واذا بغبرة قد لاحت لهم فقال عبد الله بن عمر لاصحابه
غبرة عسكر واظنها طليعة الروم ثم وقف ووقفا اما مه اصحابه هذه غبرة عسكر واظنها طليعة الروم ثم وقف ووقفا امامه اصحابه فقال

قوم

قوم من البادية لو كنا نرى ما هذه الغبرة فقال لا تفرق بعضكم بعضا حتى نرى ما هي فوقف الناس واذا بالغبرة قد قربت من المسلمين
وانقشعت عن عشرة الف فارس من الروم وقد بعث بهم يوقنس مع بطريق من اصحابه قال الواقدي ولم يذكر لنا اسم طليعة
بحيث ليكشف اخبار المسلمين فلما نظرهم عبد الله ابن عمر قال لاصحابه لا تمهلوهم ولا تدعوهم فان الله ينصركم عليهم واعلموا ان
الجنة تحت ظلال السيوف فاعلن القوم بذكر الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فلما سمعوا بها اجابتهم
الشجر والدواب وحملوا فكان اول من حمل عكرمة ابن ابي جهل واتبعه سهيل ابن عمرو وحمل الضحاك ابن سفيان وصاح
برجاله واتبعه المهاجرون والانصار التقى الجمعان وعمل السيف في الفريقين قال عبد الله ابن عمر فبينما انا في الوقعة
اذ نظرت الى فارس من القوم عظيم فهذا عميد الجيش وصاحب الطالع وهو قد فرغ من الحرب وقد صحى منها فقال ابت
عمرو وهو كالجبل من عظم خلقته فحملت عليه ومددت قناتي اليه فنفر فرسي من الرمح فقربت من الطعنة فتوهم اني اريد بها
الانهزام فحقق على حملته قال عبد الله فرميت قناتي واعتمدت على سيفي وضربت قناته فبريتها وبقيت في يده كانها
العصا ثم عطفت عليه بضربة هائلة فوالله لقد خيل لي اني ضربت بسيفي حجرا وسمعت طنين السيف حتى خشيت على
سيفي ان يكون قد انفعل فاذا هو على حالة فنظرت الى عدو الله واذا هو مذبوح من شدة الضربة والسيف لم يعمل فيه شي
فثنيته بضربة اخرى على عاتقه فاذا هو صريعا ثم انعطفت عليه واخذت لامته فلما راى المشركون صاحبهم مجندلا
داخلهم الهلع والجزع وصدقهم المسلمون الضرب والقتال فقد در ابن سفيان والحارث ابن هشام لقد ابليا بلاء حسنا فكانا
الاقل كذا حتى منح الله المسلمين اكتاف المشركين وانقلبوا على اعقابهم هاربين وقد قتل المسلمون منهم قتلى وقد اسروا اسرى
واجتمع المسلمون بعضهم الى بعض وجمعوا الاسلاب والخيل وقال بعضهم لبعض ما فعل عبد الله ابن عمر معه فقال قايل قتل وقال
اخر اسر وقال اخرون ما كان الله ليصنع بعبد الله الا خيرا لحسن زهده وعبادته وقال اخر من القوم ان كان احسنا يا ابن عمر
ما نسوي هذا الفتح شيء من بأسه قال عبد الله وانا مع ذلك سمع كلامهم خلف رايته قال فاعلنت التكبير والتهليل والصلوة
على البشير النذير وهززت الراية بيدي فلما راى المسلمون الراية انعطفوا الي وقالوا ابن كنت يها الامير فقلت اني تشاغلت
بقتال صاحبهم فقالوا افلح وجهك هذا والله فتح رزقنا الله اياه ببركتك فقال عبد الله ووجوهكم قال وجازوا الاموال
والخيل والاسلاب وستمائة اسير وقتل من المسلمين تسع نفر منهم سراقة ابن عدي ونوفل ابن عامر وسعيد ابن قيس وسالم مولى
حامد ابن يزيد اليربوعي وعبد الله ابن خويلد وجابر ابن راشد ابن عمرو وانعطفوا الى عمرو ابن العاص وحدثوه بما كان ففرح وشكر
الله على نعمه ونصره واستدعا بالاسارى واستنطق من كان يعرف العربية فلم يكن فيهم الا ثلاثة نفر من انباط الشام فسالهم
عن خبرهم وخبر صاحبهم فقالوا يا معشر المسلمين ان هذا روبيس قد اقبل في مائة الف وقد امره الملك ان لا يدع احدا من العرب
يصل الى ايله وانه قد بعث بهذا البطريق الطليعة وقد قتل وكانكم به وقد اقبل واباد كم عن اخركم لانه ليس في اصحاب الملك
بطريق يعرف قتال العرب مثله فقال عمرو ويوشك ان الله يقتله كما قتل صاحبكم ثم عرض عليهم الاسلام فاسلم منهم
احد فقال عمرو للمسلمين ما تكم بصاحبهم لاخذنا داره وهولاء تركهم علينا بلاء ثم امر بضرب اعناقهم وصاح بالمسلمين استعدوا
فاني اظن ان القوم سايرون فان اتوا علينا فانهم في شدة وقوة فستلقانهم وقفا في القتال وان لم ياتوا الينا قصدناهم
قوتهم فان سرنا اليهم نرجوا من الله الظفر بهم كما ظفرنا بهم اول مرة وما وعدنا الله بهم الا خيرا قال ابو الدرداء وتبنا
في مكاننا فلما اصبح الصبح رحلنا فما ابعدنا غير بعيد حتى اشرقت علينا تسع صلبان تحت كل صليب عشرة الف فارس فلما
اشرفوا الجيش على الجيش اقبل عمرو كالنحل يرتب اصحابه جعل في الميمنة الضحاك ابن سفيان وفي الميسرة سعيد ابن خالد
واقام على الساقة ابا الدرداء وثبت عمرو في القلب ومعه اهل مكة من المهاجرين والانصار وامر الناس بقراءة القران وقال
لهم اعلموا ان الله عز وجل يريد ان يبلو اخباركم فاصبروا على بلاء الله وارغبوا في ثواب الله وجنته ثم جعل يصفهم ويعبيهم
نفيا الحرب ونظر روبيس بطريق القوم الى عسكر المسلمين وقد صفهم عمرو ولا يخرج عنان عن عنان ولا ركاب عن ركاب كانهم
بنيان مرصوص وهم يقرون القران والنور يلمع من نواحي خلفهم فشم منهم رايحة النصر وتبين من نفسه العجز فعلم ان كل

كذلك فوقف ينظر ما يكون من المسلمين فانكسرت حميته قال ابو الدرداء وكان اول من بدر من جيشنا سعيد ابن
خالد ابن سعيد وهو ابن اخي عمرو من امه فلما برز نادى برفيع من صوته ابرزوا يا اهل الشك والشرك ثم حمل على
الميمنة الحقها الى الميسرة وقتل رجاله وجندل ابطال ثم حمل فيهم فتشوش قلب ... وزعزع جيوشهم فاجتمعوا عليه فقتلوه
فالحزن المسلمون على قتله حزنا شديدا وكان اكثرهم حزنا عليه عمرو وقال مضى سعيد فوا سعيداه لقد شرى نفسه
من الله ثم قال يا فتيان من يحمل معي هذه الحملة حتى ننظر ما يكون من امرنا وانظر حال سعيد فاسرع بالاجابة الضحاك
ابن سفين وذو الكلاع الحميري وعكرمه ابن ابي جهل والحارث ابن هشام ومعاذ ابن جبل ابو الدرداء وعبد الله
ابن عمرو والاصيد ابن سلمه ونوفل ابن دارم ابن عمرو من بني الحارث وسيف ابن عباد الحضرمي من بني النجار وسالم ابن
رويم من حضرموت والاصهبا ابن شداد الهوازني واوس ابن الصامت احد بني مدركة ابن عبد الله ورجال من المهاجرين
من اهل بدر وعمرو ابن جندب وحملت مع القوم وكنا سبعين رجلا حتى دنونا من القوم وحملنا عليهم قال وهم لا يفكرون
في حملتنا لانهم جبال حديد فلما دنينا الى ... ثم صاح بعضنا على بعض بجوادوا بها ولحا القلق فما هلك
الاذلك فبجسنا دوابهم بالاسنة فاستكسوا وعندنا تفرق بعضهم من بعض وحملوا علينا وحملنا عليهم وحمل المسلمون
فكانهم كالشامه في البعير وكان شعار الناس يوم فلسطين لا اله الا الله محمد رسول الله يا رب محمد انصر امة
محمد قال ابو الدرداء لقد اشتغلنا في الحرب عن مناشدتنا بالاشعار فلقد كان احدنا يضرب فلا يبدي من
اخاه وعدوه من كثرة القتام وظهر المشركون على المسلمين قال وثبت المسلمون في قتالهم وفوضوا امرهم وما احد
المسلمين يضرب الا وظهر ناطق بالدعاء يقول اللهم انصرنا على من يتخذ معك شريكا قال عبد الله فلم يزل الحرب
الى وقت الزوال وهبت الارياح والناس في القتال فنظرت الى السماء وانا ادعو بدعاء علمني اياه رسول الله اذ
كان السماء نفر منها فرجه وخرج منه خيول شهب تحمل رايات خضر اسنتها تلمع بريقا ومنادي النصر ينادي
ابشروا يا امة محمد صلى الله عليه وسلم اذ نظرت كان السماء نفر منها فرجه وخرج منه خيول فقد اتاكم نصر
قال ابن عمرو رضيت الامة بذا نبيها ورب الكعبه فما كان غير بعيد لا رايات الروم هذا في وقعة فلسطين ووادي
بالقرب من حصن الجولان ووادي الحمر قريب من حصن فقتلنا عشرة الف فارس او اكثر فلم نزل في اثارهم
وابن عياش فنظرت الى عمرو والرايه في يده وقد ادمى القناه على عاتقه وهو يهزها بيده وهو يقول
الناس الي يرد الله ظالة ذنظرت الى العرب وقد عطفت راجعة كرجعة ام على اولادها فاستقبلهم وهو
بابي وجوه الذي نعتت في رضى الله ما كان لكم كفايه فلما رجع المسلمون لم يكن لهم همة الا افتقاد بعضهم بعضا
ففقد من المسلمين مائة وثلاثون رجلا منهم سفيان ابن عياد الحضرمي ونوفل ابن دارم ابن عمرو وسالم ابن رويم والحضرمي
ابن شداد والفير من اليمن وبوادي المدينة قال واغتم عمرو بفقدهم ثم راجع نفسه وقال يرد الله بهم
وانت يا عمرو تاباذ لك ثم نذر الناس الى الصلوات كما امره ابو بكر فصلى ما فاته من الصلوة باذان وا...
قال ابن عمر اقسم ان كان صلى خلفه الا اليسير بل صلى الناس في رحالهم من تعبهم ولم يجدوا من القيام الا ...
وبات الناس فلما اصبح اذن عمرو وصلى بالناس وامر الناس بجمع الغنايم وان يخرجوا اخوانهم من الروم فجعلوا يلتقطون

واخرجوا

خرجوا مائة وثلاثون رجلا وطلبوا سعيد في القتلى فلم يعرفوه حتى قام عمر فوجده وقد رضته الخيل بسنابكها
حتى رضى عظمه وهشم وجهه فلما نظر اليه ما نزل به بكى وقال رحمك الله يا سعيد فلقد نصحت لدين الله ولرسوله
ونصيحة ثم جعله في جملة المسلمين وصلى عليه وجماعة المسلمين ثم امر بدفنهم وذلك قبل ان يجمع شيا من الغنايم
ثم جمعها اليه وكتب الى ابي عبيده عامر ابن الجراح كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو ابن العاص
الى امين الامة اما بعد فانا نحمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه وانى قد وصلت الى ارض فلسطين فلقينا
عسكر الروم مع بطريق يقال له روبيس في مائة الف فمن الله علينا بالنصر وقتل من الروم احد عشر الفا وفتح الله
فلسطين علي بعد ان قتل من المسلمين مائة وثلاثون رجلا اكرمهم الله بالشهادة وانا مقيم بارض فلسطين
حتى ان يصحبنا الى ما سرت اليك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ودفع الكتاب الى ابن عامر الدوسي وامره بالمسير
الى ابي عبيده فاسرع ابي عامر بالكتاب فوجد ابي عبيده ونازلا باول الشام وما يقدم على الدخول عليه بغير اذن
من امره كما امره الصديق فلما قرب منه قال ما وراك يا ابي عامر قال الخير هذا كتاب من عمرو ابن العاص اليك يخبر
بما فتح الله على يديه ثم سلم اليه الكتاب فلما قراه خر لله ساجدا بظفر المسلمين ثم قال والله قتل من المسلمين
رجالا اخيارا فيهم سعيد ابن عامر الدوسي وكان ابن سعيد طالب فلما سمع ان ولده قتل جمع نفسه وصرخ صرخة
عظيمة وقال واولداه وجعل يبكي حتى بكى المسلمين ثم اسرع الى قدمه لتركبه وعزم على المسير الى ارض فلسطين
ليصل الى قبر ولده فقال له ابو عبيده الى اين يا خالد وانك لركن من اركان المسلمين كيف تسير وتدعهم
قال انما انظر الى قبر ابني وارجوا ان الحق به قال فسكت عنه وكتب الى عمرو جواب كتابه بسم الله
الرحمن الرحيم اما انت ماموم فان كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه امرك ان تكون معنا
فالحق بنا وان كان امرك بالثبات فاثبت في موضعك والسلام عليك وعلى من معك
ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه الى خالد ابن سعيد وسار مع ابن عامر الدوسي
حتى اتى الى عمرو ابن العاص فدفع خالد ابن سعيد اليه الكتاب وهو يبكي
فوثب اليه عمرو وصافحه ورفع منزلته وعزاه في ولده وعزاه المسلمون فقال
خالد ايها الناس اروني سعيد سيفه ورمحه من الكفار قالوا نعم لقد قاتل
قتالا ما قصر وجاهد عن الدين ونصره فقال لهم خالد اروني قبره فاروه قبره فقام
على القبر فقال يا ولدي رزقني الله الصبر عليك والحقني بك انا لله وانا اليه راجعون

خلد

لان تركني الله لاخذن بثارك يا بني عبد الله احتسبك ثم قال نعم والخ

ادبيان اسري سريه في طلب القوم لعلي اخذ منهم فرصة او غنيمة او رجالا

اقتلهم فاكون قد اخذت ثاري قال له عمرو ان الحرب اما منك يا ابن ام فاد القيت

الروم فلا تبغي عليهم قال خالد والله لاسرت اليهم ولو لم يكن لي مساعد ثم اخذ

خالد اهبة المسير وعزم ان يسير وحده فركب معه ثلاث مائة فارس من قبائل حمير

واو سبتاد نواعيره في المسير فساروا يومهم ذلك اجمع ارادوا النزول في بعض الاودية

ليعلقوا على دوابهم ثم يسيرون ليلتهم اذ نظر خالد الى اشباح على جبل هناك عالي

منيع فقال خالد لاصحابه اني ارى اشباحا على ذروة هذا الجبل واظن انهم

عيون للمشركين ماخافا ان ينذرون علينا فقال بعض اصحابه كيف لنا بالوصول

اليهم عن سبيلك وهم على ذروة هذا الجبل قال خالد بن سعيد كونوا في اماكنكم ثم نزل

عن فرسه وتقلد بسيفه ونكب جحفته والتحف بازاره وقال ان القوم ما نظروا الينا

ولا ذروا بنا ولو كانوا نظروا الينا ما ثبتوا في مواضعهم فمن كان منكم يبذل بنفسه فليصنع كما

اصنع فابتدر اليه عشرة رجال فصنعوا كما صنع وتلقوا في الجبل حتى اشرفوا على القوم وهم

في اماكنهم فعند ذلك صاح باصحابه خذوهم بارك الله فيكم فاسرع المسلمين اليهم فقتلوا

منهم فقتلوا منهم اثنين واسروا منهم اربعة فاستنطقهم خالد بن سعيد واذا هم من انباط الشام

فسالهم عن حالهم فقالوا انا مع اهل دير القبقيم والجامعة وكفر العزيزة وقد عظمت علينا المصايب

بدخول العرب الى بلادنا وقد فزعنا منهم فزعا شديدا وقد هرب اكثرنا الحصون والقلاع

وقد اعتصمنا بهذا الجبل لان ما في الرستاق احصن منه فعلونا عليه نتشرف الاخبار حتى

اخذتمونا قال خالد فاين بلغكم جيش الروم قالوا ايا جنادين وقد عزم الملك ان يدخل

الى

8

الى فلسطين ليبعث ببيت المقدس وقد اجتمع الجيش ومن انهزم منهم باجنادين وهذا بطريق
من بطارقته قد اقبل الينا باخذ الميره والعلوفه وقد جمعوا ان تلحقهم خيل العرب وهذا
الذي نعلم من خبر قومنا ولا نشك انهم دخلوا في يومهم هذا فلما سمع خالد ابن سعيد
كلامهم قال غنيمة ورب الكعبة ثم قال اللهم انصرنا عليهم ثم سال العرب اي طريق
ياخذ القوم قالوا هذا الطريق الذي انت عليه اوسع الطرق كلها واما الميره فانها
مجموعة مدخول التل العظيم وهو التل المعروف بتل بني سيف فلما سمع خالد ابن سعيد ذلك
قال فما تقولون في ديننا قالوا ما نعرف الا دين الصليب ونحن انباط وكريعون
ذيحين وما لكم في قتلنا فايدة قال فهم خالد بقتلهم فقال له رجل من اصحابه
دعهم يدلونا حيث نزل القوم فاجابه الى ذلك وسيرهم امامه الى ان توسط الطريق
ثم بعث الى اصحابه الذين في الوادي فجاوا وجعلوا ان يجدون في السير والانباط امامهم
يدلون بهم الى التل العظيم فراوا الروم وهم يجالون دوابهم وحول التل ثمانمائه فارس من
القوم فلما نظر خالد ابن سعيد قال لاصحابه اعلموا ان الله عز وجل قد وعدكم بالنصر على
عدوكم وفرض عليكم الجهاد وهذا جيش العدو بازائكم فارغبوا في ثواب الله واستمعوا
ما قال في كتابه العزيز ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان
مرصوص وها انا احمل فاحملوا ولا يخرج احد عن اصحابه ثم ان خالد ابن سعيد
حمل وكبر وحمل اصحابه الحميرون قال حذافة ابن سعيد فلما رات خيل الروم استقبلتنا
وانهزم من كان مع الدواب من الفلاحين والغلمان وصيرت الخيل لقتالنا ساعة من نهار
وقال جعل ذو الكلاع الحميري يحرض قومه واصحابه ويقول يا ال حمير ابواب الجنه قد فتحت
والجنة لكم قد تزخرفت وبالحور قد اشرقت واذا صاحب الكتيبه قد لقيه خالد ابن سعيد
فعرفه بلامته وحسن ركوبه وهو يحرض قومه وكان من البرغه ولم يطم ما اسمه
فاستقبله خالد ابن سعيد وزعق في وجهه زعقة ارعبه بها وقال ما انا ذا

وانادت سعيد وطعن طاغية القوم فانجدل تحافه برج حديد وما بقي احد من اصحابه الا نجد
لا فارسا من الروم قال حذافه ابن سعيد فقتلنا من القوم ثلثمايه وعشرين فارسا وولوا
الغير منهزمين وتركوا الاثقال والبغال والشهادي والميره فاحتولنا على الكل باذن الله
عز وجل ونصرهم فوافي خالد ابن سعيد وتلك الغنايم بو عدة فخلي سبيلهم عاد خالد
ابن سعيد الغنام الى عمر ابن العاص ففرح بسلامته والمسلمين وغنيمته وكتب كتابا اخر الى ابي بكر
الصديق رضي الله عنه يذكر ما نال لهم من الروم وبعث الكتاب مع عامر الدوسي فاخذه عامر
وقدم به على الصديق رضي الله عنه فلما قراه على المسلمين فرحوا وضجوا بالتهليل والتكبير ثم
استخبر ابو بكر عن ابي عبيدة فقال ابي عامر الدوسي انه قد اشرق اول الشام ولم يجسر على الدخول
لانه سمع ان جنود الملك قد اجتمعت في اجنادين في امم لا تحصى وقد جزع على المسلمين ان يتوسطا بهم
عدوهم فلما سمع ابو بكر رضي الله عنه ذلك علم ان ابا عبيدة ليس العربيكه لا يصلح لقتال الروم
وعول ان يكتب كتابا الى خالد ابن الوليد المخزومي فيوليه على جيوش المسلمين وقتال الروم فاستشار
المسلمين في ذلك فقالوا الله الراي ما ترى فكتب الى خالد بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عتيق ابن ابي قحافه
الى خالد ابن وليد المخزومي سلام عليكم فاني احمد الله الذي لا اله الا الله واصلي على نبيه محمد واني قد وليتك على
جيوش المسلمين وقتال الروم فسار الى مرضات الله وقتال اعدا الله وكن ممن يجاهد في الله حق جهاده ثم كتب يا ايها
الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقد جعلتك الامير على ابي عبيده ومن معه والسلام وبعث الكتاب
مع نجم ابن مفرج الكناني فركب مطيته وتوجه الى العراق فوافا خالدا وقد اشرف على فتح القادسيه فناوله الكتاب فلما قراه
وعلم معناه قال السمع لله ولخليفة رسول الله ثم ارتحل عن القادسيه ليلا واخذ طريقه على عين التمر وكتب كتابا
الى ابي عبيدة يعرفه بعزلته ويخبره بمسيره الى الشام وقد ولاني ابو بكر على جيوش المسلمين فلا تبرح من مكانك
حتى اقدم اليك والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين وبعث الكتاب مع عامر ابن الطفيل وهو احد ابطال المسلمين
فاخذه عامر وتوجه به يطلب الشام واما خالد فانه لما وصل الى ارض سماوه قال ايها الناس ان هذه الارض لا تدخل
الا بالروايا الكثيره لانها قليلة الما ونحن في جيش فكيف يكون الامر فقال ابن عميره الطائي ايها الامير

ان اشير عليك بما تصنع فقال يا رافع افعل ارشدك الله ووفقك فاخذ رافع ثلاثين جملا
وعطشها تسعة ايام ثم اوردها الما فلما رويت حزم افواهها ثم ركبوا وجنبوا الخيل
وساروا وكانوا كلما نزلوا منزلا نحروا عشرة من الابل ثم شقوا بطونها واخذوا ما
يجدون من الما فيجعلوه في احواض من اديم فاذا برد سقوه للخيل واكلوا اللحوم
حتي تمت الجمال ونفد الما وقطعوا مرحلتين دون ما واشرف خالد علي الهلاك
هو ومن معه فقال خالد لرافع ابن عميرة الطاي يا رافع قد اشرفنا علي الهلاك فهل تعرف
لنا ما ننزل عليه قال الواقدي وكان رافع قد رمدت عيناه فقال ايها الامير اذا
اشرفتم علي قرا قروسوي فاعلموا ارافعا بذلك فجدوا في السير وقد انقطع اكثرهم
حتي اشرفوا علي قرا قروسوي فاعلموا الرافع بذلك فرفع طرف عمامته من علي عينيه
وسار علي راحلته يضرب يمينا وشمالا والناس حوله الي ان قصد شجرة هنالك من الاراك
فلما راها كبر وكبر المسلمون ثم قال احفروا ها هنا فحفرت العرب واذا بالما قد طلع عليهم
كالبحر فنزل الناس عليه وشكروا الله تعالى واثنوا علي رافع خيرا ثم وردوا الما وسقوا
ابلهم وخيلهم ثم جدوا في طلب من انقطع من المسلمين ومعهم القرب فسقوهم فرجعت
قوتهم اليهم ثم لحقوا الجيش واستراحوا ثم جدوا في سيرهم الي ان بقي بينهم وبين اركه
مرحلة واحده فبينما هم كذلك اذ اشرفوا علي حلة عامره واغنام وابل قد سدت
المستوي من الارض فاسرع المسلمون الي الرعاه ليستخبروهم عن القوم فاذا هم بالراعين
يشربون الخمر والي جانبهم رجل من العرب مشدود بالقد فتبينوه فاذا هو عامر
ابن الطفيل فاسرع القوم الي خالد وحدثوه بما راوه فاقبل خالد علي جواد مسرعا حتي
وقف عليه فلما راه تبسم وقال يا ابن الطفيل كيف كان سبب اسرك قال ايها الامير
انني اشرفت علي هولاء القوم يعني اهل هذه الحلة وقد اصابني الحر والعطش
فملت الي هذا الراعين ليسقوني من اللبن فوجدتهم يشربون الخمر فقلت لهم
يا اعداء الله اتشربونها وهي محرمة فقالوا يا مولاي انها ليست بخمر وانما هي ما
فانزل كي تراها وتنشق ارايحه قال عامر فلما سمعت كلامه لخت المطية وجثوت
علي ركبتي لاستنشق ما في الجفنة واذا انا بهذا العبد عاجلني بعصاة كانت
الي جانبه وعلا بها علي راسي فشجني شجة موضحة فانقلبت علي جنبي فاسرع
العبد الي وشدني كتافي فلما افقت قال اظنك من اصحاب محمد ولست ادعك من يدي حتي
يقدم سيدي من عند الملك فقلت ومن سيدك من العرب قال هو القداح ابن وابله ولي عنده
اياما كلما شرب احضرني ويلقي لي فضلة كاسه فلما سمع خالد كلامه اشتد به الغضب ومال
علي العبد وضربه بالسيف علي هامته فاجدله صريعا ونهب المسلمون الابل والاغنام
وقلعوا الحلة بما فيها واطلقوا عامر فقال له خالد واين رسالتي قال له في طية عمامتي
لم يعلم بها هذا العبد فقال خالد انطلق بها الي ابي عبيدة قال فركب عامر وسار يطلب الشام

قال الواقدي وارتحل خالد ومن معه ونزل علي اركه وهي علي راس المفازه لمن يخرج من العراق
وكانت الروم تمسك بها القوافل وكان عليها بطريق من قبل الملك فغار عليها خالد واخذ
ما كان عليها وحولها وتحصن اهلها في الحصن وكان يسكن فيها حكيم من حكام الروم
فلما راي جيش المسلمين انخطف لونه وقال وحق ديني قرب العرب فقالوا اهل اركه كيف
ذلك قال عندي ملحمه فيها ذكر هولاء العرب فانه اول راية تشرف من العراق هي الراية
المنصوره واميرهم عريض اللحية طويل ضخم بعيد المناكب واسع المكحل في وجهه اثر جدري
وهو اسمر فهو صاحبهم في الشام وعلي يديه الفتح قال الواقدي فنظر القوم واذا بالراية
سودا وخالد كما وصف حكيمهم فاجمعوا علي بطريقهم المتولي عليهم وقالوا انت تعلم ان الحكيم لا
ينطق الا بالحكمة ولا يقول الا الحق وقد قال كذا وكذا والذي وصف قد رايناه عيانا والراي
عندنا ان نعقد بيننا وبين العرب الصلح ونامن علي انفسنا وحريمنا فلما سمع بطريقهم
قال اضربوا الصيحة غدا لندبر امرا وكان عاقلا عارفا بالامور فقال ان خالفت القوم اخاف
ان يسلموني الي العرب برقبتي وقد تحقق عنده ان روبيس سار الي شرذمة من هولاء العرب
بفلسطين فهزموه وقد وقع رعب العرب بقلوب الروم ولم يفلحوا بعدها ابدا ولم يزل
يراود نفسه الي ان اصبح فدعا قومه وقال علي ما عولتم قالوا علي صلح العرب ونقيم بارضنا
فقال البطريق انا واحد منكم قال الواقدي بلغني ان خالدا صالح اهل اركه علي الف
دينار من الذهب واربعة الاف من الفضة وكتب لهم كتاب الصلح وكذلك فعل اهل السخنة
فبلغ لاهل تدمر وكان الوالي عليهم اسمه كوكر فجمع رعيته اليه وقال بلغني عن العرب
انهم فتحوا اركه والسخنه والدير والرجبه والناموس وابكه صلحا وان قومنا يحدثون
بعدلهم ومايضرنا ان يصلحهم ففرح قومه بذلك فلما نزل خالد عليهم خرجوا اليه فتلقاهم
فقبلها منهم وصالحهم علي ثلاثمائة اوقيه من الذهب وثلثمائة من الفضة وكتب لهم
كتاب الصلح ثم اشتري منهم زاد وعلوفة ثم ارتحل الي حوران قال الواقدي ولما دخل عامر
ابن الطفيل بكتاب خالد الي عبيده فلما راه تبسم وقال السمع والطاعه لله ولخليفة رسول
الله علم جزله وولاية خالد وكان ابو عبيدة قد وجه شرحبيل ابن حسنة كاتب
رسول الله صلي الله عليه وسلم الي بصري في اربعة الف فارس فسار حتي نزل علي فنائها
وكان علي بصري بطريق عظيم القدر عند الملك وعند الروم وكان اسمه روماس
قد قرا الكتب السالفه والاخبار الماضية وكان عظيم الخلقة تجتمع اليه الروم
من اقصا بلادهم ينظرون الي عظم خلقته ويسمعون من الفاظ حكمته وكانت بصري
اهله بالخلق عامره بالناس فكان فيها اثني عشر الف وكانت العرب اليها يقصدون
ببضاعتهم وتجاراتهم من اقصي الحجاز واليمن واذا كان في ايام الموسم ينصبون لبطريقهم
كرسي من حديد ليجلس عليه ويجتمع الناس اليه لعظم خلقته ويستفيدون من علمه
فبينما هم قد اجتمعوا اذ جاء النفير ووقعت الصيحة بقدوم شرحبيل ابن حسنة بعسكره

فبادر

فبادر البطريق الي جواده فركبه وصاح في قومه فاجابوه فقال لا تحدثوا حدثا حتي نري
القوم و نسمع كلامهم وما عندهم ثم سار حتي قرب من شرجبيل ابن حسنه وجيشه
ثم خرج بلامته وقرب من المسلمين ونادي يا معشر العرب انا روماس اني اريد
صاحبكم فخرج شرجبيل ابن حسنه رضي الله عنه فلما قرب منه قال له البطريق
من انتم قال شرجبيل ابن حسنه نحن من اصحاب محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم
النبي المبعوث في التوراة والانجيل قال روماس ما فعل قال شرجبيل قبضه الله
اليه واختار له ما لديه قال البطريق فمن ولي الامر بعده قال شرجبيل ولي الامر
بعده عبد الله عتيق ابن ابي قحافه ابو بكر الصديق ابن تيم ابن كعب ابن مره قال
روماس وحق ديني لقد اعلم انكم علي الحق ولا بد لكم ان تملكوا الشام والعراق
ونحن نشفق عليكم وانتم في نفر يسير ونحن في جمع كثير ولكن ارجعوا
الي بلادكم فانا لا نتعرض لكم ولتعلم يا اخا العرب ان ابا بكر هو صاحبي وصديقي ولو كان
حاضرا لما قاتلني ولا قاتلته قال شرجبيل لو كان احد بني عمه او ولده ما عفي
عنه الان يكون من اهل ملته وليس له من الامر شي لانه مكلف وقد امره الله
الحق في القران ان يجاهدكم ولا نبرح عنكم الا باحدا ثلاث خصال اما ان تدخلوا
في ديننا او تؤدوا الجزية او القتال فقال روماس وحق ما اعتقد من ديني لو كان
الامر الي ما قاتلتكم لاني اعلم انكم علي الحق وهولا طواغية الروم مجتمعة
...اريد ان ارجع اليهم ولعظهم وانظر ما عندهم فقال شرجبيل ابن حسنه مجل
...مدوجه لكم من الذي ذكرت لكم اما القتال او الجزية او الاسلام قال
...ادر روماس الي قومه وجمعهم حوله وقال يا اهل دين النصرانية وبني المعمودية
...الزمان الذي كنتم تجدون في كتبكم من خروج العرب الي بلادكم ونهب
...الكم وقتل بطارقتكم وملوككم قد قرب وهذا اوقته وزمانه ولستم باعظم
م... عبيد وجيش من البطريق روبيس لما سار الي شرذمة من هولاء العرب بارض
...لين فقتل وقتل اكثر من كان معه وانهزم الباقون وقد بلغني ان رجلا
منهم خرج من ارض السماوه وصوب العراق اسمه خالد ابن الوليد وقد فتح
اركه والسخنه وتدمر وحوران وهو عن قريب يصل اليكم والصواب ان تؤدوا الجزية
لهاؤلا العرب وتنصرفون عنا فلما سمع قومه ذلك شتموه وهموا بقتله فقال
روماس يا قوم انما اردت ان انظر كيف حميتكم لدينكم والان دونكم والقوم وها
انا عونا لكم قال الواقدي فرجفت الروم في عددها وعددها وتظاهروا
بالدروع والبيض وقادوا الجنايب وتهيوا للحمله فلما راي ذلك شرجبيل وعظ
اصحابه وقال اعلموا رحمكم الله ان المصطفي صلي الله عليه وسلم قال الجنة تحت ظلال
السيوف واحب ما الي الله تعالي قطرة دم في سبيل الله او دمعة جرت من خشية الله

فجاهدوا العدو وارموا السهام ولتكن مجتمعه فان لم تجيبوا ثم قرا يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ثم حمل وحمل المسلمون علي جيش بصري
قال كاحد ابن رويم العبسي وكنت في جيش شرحبيل حين قاتلنا اهل جري ولقد طمعوا
فينا العدو وحملوا علينا اثني عشر الف من الروم ونحن فيهم كالشامة البيضا في جلد
البعير الاسود قال وصبرنا لهم صبر من يريد الموت والدار الاخره ولم يزل القتال بيننا
وبينهم الي ان توسطت الشمس في قبة الفلك وقد طمع العدو فينا ولقد رايت شرحبيل
وقد رفع يديه الي السما وهو يقول يا حي يا قيوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام
اللهم انك قد وعدتنا علي لسان نبيك صلي الله عليه وسلم بفتح الشام وفارس اللهم انصر من
يوحدك علي من كفر بك قوالله فما استتم شرحبيل كلامه ودعاه حتي جانا النصر وذلك
ان القوم ودارو بنا وحدثتهم انفسهم بالوصول الينا اذ راينا غبرة قد اشرفت علينا
من صوب حوران كانها قطع الليل فلما قربت منا راينا تحتها سوابق الخيل ولاحت لنا
الاعلام والرايات وقد سبق الينا فارسان من القوم واحدهما يزعق يا شرحبيل ابشر
بنصر الله تعالي انا الفارس الصنديد انا خالد ابن الوليد وقال الاخر انا عبد الرحمن ابن ابي
بكر الصديق قال واشرفت لخم وجذام وجات مواكب خيل الزحف واشرفت راية العقاب
يحملها رافع ابن عميرة الطائي رضي الله عنه **قال الواقدي** رحمه الله حدثني
ابن عدي عن ورقه ابن حسان العامري عن ميسره ابن مسروق العبسي قال و
خمدت اصوات الروم عند زعقة خالد يا شرحبيل اما علمت واقبلوا المسلم
بعضهم علي بعض واقبل شرحبيل الي خالد وسلم عليه فقال خالد يا شرحبيل ام
ان هذه موسم الشام والتجار والعراق وفيها عساكر الروم وبطارقتهم لقد غر
وبمن معك قال شرحبيل ذلك بامر ابي عبيده فقال خالد اما ابي عبيده رجل حسن
النية وليس عنده غايله الحرب ولا علم بمواقعها ثم امر الناس بالراية فنزل
الناس بعضهم بعضا من ازوادهم فلما كان يوم الغد زحفت جيوش الروم اليهم
خالد ان القوم قد زحفوا الينا لهم بنفسنا وتعب خيلنا اركبوا علي بركة ا
فركبت المسلمون واخذوا اهبتهم للحرب وجعل في الميمنة رافع ابن عمير
وجعل في الميسره ضرار ابن الازور ابن طارق وكان غلاما فاتكا في الحرب ق
ذكرت شجاعته وعرفت براعته في المواطن وجعل علي الرجاله عبد الرحمن ابن حميد
الجمحي ثم قسم جيش الزحف وجعل علي شطره المسيب ابن نجيه الفزاري وعلي
شطرة الاخر مذعور ابن غنم الاشعري وامرهم ان يرموا الخيل علي الخيل اذا حمل
بنفسه قال الواقدي رحمه الله وبقي خالد يعظ الناس ويوصيهم وعبد
الرحمن ابن ابي بكر رضي الله عنه قال وان الناس لعلي مثل ذلك وقد عزموا علي الحمله
واذا نحن بصفوف الروم قد انشقت وخرج منها فارس عظيم الهيكل كثير الزينه

يلمع ما عليه من الذهب والحرير والياقوت فلما توسط الجمعين قال بلسان عربي كانه بدوي يا
معشر العرب لا يبرز لي الا اميركم فانا صاحب بصري قال فخرج اليه خالد رضي الله عنه وقرب
منه فقال له البطريق انت امير الجيش قال كذلك يزعمون اني اميرهم ما دمت علي طاعة
الله عز وجل فان عصيته فلا امرة لي عليهم فقال روماس اني رجل من عقلاء الروم وملوكهم
وان الحق لا يخفا علي صاحب بصيره واعلم اني قد قرات الكتب السالفه والاخبار الماضيه
فوجدت ان الله يبعث نبيا هاشميا اسمه محمد قال خالد هو نبينا قال انزل عليكم كتاب
قال نعم واسمه القران قال روماس احرم عليكم الخمر قال نعم من شربه منا حددناه ومن
زنا جلدناه وان كان محصنا رجمناه قال افرضت عليكم الصلاة قال نعم خمس صلوات
في اليوم والليله قال تحجون قال نعم من استطاع اليه سبيلا قال افرض عليكم الجهاد قال
ولولا ذلك ما جيناكم نبغي قتالكم قال روماس والله لقد اعلم انكم علي الحق واني
احبكم ولقد حذرت قومي منكم فابوا واني خايفا منهم قال خالد اشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا رسول الله حتي يكون لك ما لنا وعليك ما علينا
قال روماس اني انا اسلمت خفت ان يعجلوا بقتلي ويسبوا حريمي ولكن انا استر
الي قومي واحدثهم وارغبهم ولعل الله ان يهديهم فقال له خالد ان رجعت الي قومك
دون قتال بيني وبينك خفت عليك منهم ولكن احمل عليك واحمل علي حتي لا يتهموك
وبعد ذلك اطلب قومك قال فحمل بعضهما علي بعض واروا المعشرين ابوابا من
الحرب حتي انهزم روماس فقال خالد شد علي حتي اولي الدبر واني خايف
عليكم من بطريق بعثه الملك معونة لي اسمه الدرنجان ثم قال خالد ينصرنا الله
عليه ثم شد علي روماس بحملة حتي انهزم بين يديه الي قومه وقصر خالد
عن طلبه فلما وصل روماس الي اصحابه قالوا له ما الذي رايت قال يا قوم ان العرب
اجلاد وما فيكم لقتالهم ولا بد ان يملكوا الشام وما تحت سرير الملك فاتقوا
الله وادخلوا تحت طاعتهم وكونوا كاهل اركه وتدمر واني ناصح لكم فلما سمعوا
كلامه زجروه وارادوا قتله لولا خوفهم من الملك وقالوا له ادخل المدينة والزم
قصرك ودعنا لقتال العرب قال فانصرف عنهم روماس وكان ذلك من بغيته ومراده
وقال لعل الله ان ينصر خالد فاسير باهلي حيث سار ثم ان اهل بصري ولو علي انفسهم
الدرنجان وقالوا له اذا فرغنا من المسلمين سرنا معك الي الملك ونساله ان يعزل عنا
روماس ويوليك علينا فانك اعظم جلدا واكمل عقلا فقال الدرنجان فما الذي
تريدون قالوا له تحمل وتطلب امير القوم فانك ان كفيته امره فقد انهزم القوم قال
فخرج الدرنجان بلامته وزينته وطلب خالد فقال عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق رضي
الله عنه لخالد انت الامير وقوامنا بك وانا لهذا العدو فقال خالد دونك ثم خرج
عبد الرحمن رضي الله عنه وحمل علي الدرنجان واطبق بعضهما علي بعض وتطاولت العين

الفريقين اليها فما لبث الدرنجان مع عبد الرحمن الا ساعة او اقل وفر احتى من فرسه
بالتقصير فولى منهزما وكان جواده اسبق من جواد عبد الرحمن فقلت من يده الى
قومه فقالوا ايها السيد ما الذي ردك عن قتال عدوك قال اخذتني شوصة فلم
اقدر على الثبات فوليت ولكن احملوا انتم قال فالقى الله الرعب في قلوبهم والجزع
فلم يجسر احد على الخروج وعلم خالد ما عند القوم من الفزع فحمل وحمل عبد الرحمن
ابن ابي بكر واتبعهما رافع ابن عميرة الطاي والمسيب ابن نجيه الفزاري وعبد الرحمن
ابن حميد الجمحي وضرار ابن الازور وقيس ابن هبيره وشرحبيل ابن حسنه وساير
المسلمين ولما نظر اهل بصرى الى المسلمين وحملتهم لم يكن لهم بد من قتالهم
فاستقبلوهم وفشى القتل في الروم وضربت الاجراس على سور بصرى والنواقيس
وضج الرهبان والاقسه بكلمة الكفر وقال شرحبيل اللهم ان هولاء الارجاس
يبتهلون اليك بكلمة الكفر ويدعون معك الها اخر لا اله الا انت ونحن نبتهل
اليك بلا اله الا انت وبحق نبيك عليك الا نصرت هذا الدين واهله على اعدائك المشركين
قال وامن الناس على دعائه ثم حملوا حملة واحدة فخيل لاهل بصرى ان السور قد
انهدم فلم تكن للروم ثبات مع العرب فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وبقيت تلك
الارض مملوه من القتلى وقتل بعضهم بعضا على الابواب فلما حصلوا داخل المدينة
شدوا الابواب وتحصنوا بالسور وجعلوا مراكزهم على الابدان والابراج ورفعوا
البيارق والصلبان وحصنوا انفسهم وعولوا ان يكتبوا كتابا الى الملك حتى يمدهم
بالخيل والرجال قال عبد الله ابن رافع فلما تحصن القوم منا وعلوا على سورهم وارجعنا
عنهم فافتقدنا اصحابنا فوجدنا قد قتل منا مايتان وثلاثون رجلا اكثرهم
من بجيله وهمدان وقتل من اعياننا بها ابن بدا ابن حرمله وكان حليفا لثقيف
وعامر ابن رفلعه ومازن ابن عوف وسهل ابن ناشط وجابر ابن مداره والربيع
ابن حامد ابن عياد ابن بشر ختم الله لهم بالشهادة قال وغنم المسلمون الغنايم
والاموال والشهاري وصلى خالد على الشهدا ثم امر بدفنهم بدمائهم فلما كان
من الليل ربعه تولا الحرس عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما ويعمر ابن
راشد والاشتر النخعي ومائة من جيش الزحف فبينما هم يدورون حول الجيش
اذ حركت الخيل اذانها وحمحمت فاستيقظ المسلمون ونظروا الى رجل من الروم
عليه مسوح الشعر فاسرع اليه عبد الرحمن ابن ابي بكر وهم به فقال له امسك عليك
فانا صاحب بصرى فاخذه واتا به الى خالد واوقفه بين يديه فلما راه خالد عرفه
فقال له ايها الامير ان قومي طردوني وقالوا الزم قصرك والا قتلناك فلزمت قصري
فانه ملاصق السور فلما جن الليل امرت اولادي وغلماني فحفروا السور حتى فتحوا
فيه بابا وقد جيت اليك لتبعث معي من تثق اليه من اصحابك حتى يتسلموا المدينة

ان شاء الله تعالي قال فلما سمع خالد كلام روماس سجد لله شكرا وامر عبد الرحمن ان ياخذ
مائة ممن يثق بهم ويسيرون مع روماس وامّره عليهم قال ضرار ابن الازور وكنت
ممن دخل المدينة فلما صرنا في قصر روماس فتح لنا خزائنه وقال ادخلوا في زي
القوم قال فلبسنا زيهم في الحرب ثم قسمنا علي اربعة اركان المدينة من كل جانب
خمسة وعشرين رجلا وقال لنا عبد الرحمن ابن ابي بكر اذا سمعتم تكبيري فكبروا
قال فلما صرنا حيث امرنا اخذنا علي انفسنا بحملتنا علي القوم قال
الواقدي رحمه الله ولقد بلغني من اثق به من الرواه ان عبد الرحمن ابن ابي بكر لما
فرق اصحابه علي جوانب مدينة بصري فلبس وتدرع وكذلك فعل روماس
واشتمل شمله حميريه واعطي لعبد الرحمن برنسا فالقاه علي لباسه وامسك
سيفه تحت البرنس وصعد كلاهما يريدان البرج الذي عليه الدرنجان واصحابهم
وقد صاروا في الجانب الذي فيه عبد الرحمن وروماس وشرحبيل ابن حسنه وضرار
ابن الازور والمسيب ابن نجبة الفزاري ورافع ابن عميرة الطاي ومثل هولاء
السادة رضي الله عنهم قال فلما قرب عبد الرحمن وروماس من البرج نظر اليهما
اصحاب الدرنجان فتشخصوا نحوهم فقال لهم الدرنجان بنفسه من انتما
فقال انا روماس البطريق فقال لا اهلا بك ولا مرحبا ما جاء بك من هذا الذي
معك قال روماس رحمه الله الذي معي صديق لك ومشتاق الي لقائك قال ويلك
من هو قال هذا عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وهو ابن اخي وهو ابن
صاحب رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد اقبل يريد ان يبعث بروحك الي الهاويه
قال فلما سمع الدرنجان ذلك من قول روماس همّ ان يثب فما تطاوعه نفسه
فعاجله عبد الرحمن بسيفه وهزه في وجهه وضربه علي حبل عاتقه فانجدل
صريعا قال وكبر عبد الرحمن عند قتله الدرنجان واجابه روماس وسمع الصحابه
التكبير من جوانب بصري واجابتهم الاحجار والجبال والاوعار واغصان
الشجر وصنوف الاطيار والصالحين من العباد وقالوا الهنا ما اطيب سماع
ذكرو من لنا ان نقوم بحقيقة شكرك ولقد اسمعتنا كلمة التوحيد وارينتنا
وجوه اهل التحميد والتمجيد قال فلما كبروا المسلمون من جوانب بصري ووضعوا
السيف في الروم واجابهم خالد ومن معه من ظاهر المدينة وزحف نحوهم واذا بغلمان
روماس واولاده قد فتحوا لهم باب بصري فدخل ومن معه فلما نظر اهل
بصري الي مدينتهم قد فتحت قهرا بالسيف ضجوا باجمعهم وضجت النسا
والاطفال والبنات بقول لفون لفون فقال خالد ما الذي يقولون قال روماس
يطلبون منك الامان فقال خالد ارفعوا السيف عنهم واقام خالد الي ان اصبح
الصباح فاجتمع اليه اهلها وقالوا الوصلحتنا كم ما كان شي من ذلك فقال

خالد حكم الله لا يرد فقالوا انسنالك بالذي ابديت علينا ونهرده من ذلك علينا وفتح
لك مدينتنا فاستحيا خالد ان يقول روماس فوثب روماس قايما وقال انا يا اعدا
الله واعداء رسوله فعلت ذلك ابتغاء مرضات الله وجهادا فيكم فقالوا او لست
منا فقال اللهم لا تجعلني منهم انا كافر بالصليب ومن عبده رضيت بالله ربا وبالاسلام
دينا وبالكعبة قبلة وبمحمد رسولا وبالقران اماما وبالمسلمين اخوانا قال فغضبوا
من كلامه واظهروا له شرا وعلم بذلك روماس فقال لخالد اني لا اريد المقام عندهم
فاني معك حيث تسير فاذا فتح الله على ايديكم وصارت الشام لكم ردوني اليها
لان الوطن مالوف والمرء به مشغوف قال الواقدي رحمه الله حدثني معمر
ابن سالم عن جده ابي جحيه ابن مفرج قال كان روماس معنا في المواطن كلها
يجاهد اجهادا حسنا حتى فتح الشام وكان ابو عبيدة يخبر لعمر ابن الخطاب رضي
الله عنه في ايامه فولاه عليها فلم يلبث الا يسيرا حتى مات رحمه الله وترك عقبا
يذكر به عند الاسلام قال وامر خالد رجالا ان يعينوه على اخراج ماله ورحله
من المدينة ففعلوا ذلك واذا بزوجته تخاصمه وتطلب فراقه فقال لها المسلمون
ما الذي تريدين قالت امير الجيش يحكم بيننا فجاوا بها الى خالد فاستغاثت به
فقال رجل من القوم ممن يحفظ بلسان العرب انها تستعين بك على روماس
فقال لها الترجمان وكيف ذلك قالت نعم لاني كنت البارحة نايمة اذ رايت في منامي
شخصا ما رايت احسن من طلعته كانما البدر طلع من بين عينيه وكانه يقول
لي ان المدينة تفتح على يدين هولاء القوم والشام كله والعراق فقلت من انت
فقال انا محمد ثم دعاني الى الاسلام فاسلمت ثم علمني سورتين من القران فالحدث
الترجمان بما سمع منها لخالد فتعجب من ذلك فقال للترجمان قل لها تقرا فقرات الحمد
لله رب العالمين وقل هو الله احد ثم جددت الاسلام على يد خالد وقالت قل لبعلي
اما يسلم واما يرجع عن هذا الدين والا يتركني قال فضحك خالد من قولها وقال
سبحان من وفقهما ثم قال للترجمان قل لها انه قد اسلم قبلها ففرحت ثم صالح
اهل بصرى على ما ارادوا ولم ينفر قلوبهم واراد ان يكون له فيها وزيرا
يلجا اليه ثم ولى عليهم من اتفق رايه عليه وقعة الثنية وشحورا
ثم كتب كتابا الى ابي عبيده يبشره بالفتح ويقول له قد ارتحلت الى دمشق فالحقني
ثم كتب كتابا اخر الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه يخبره برحيله عن العراق
بعد ان اشرف على فتح القادسيه وقد سرت كما امرتني الى الشام وقد فتح
الله على يدي اركه وتدمر وحوران وبصرى ويوم كتبت لك هذا الكتاب ارتحلت
الى دمشق والله اسئله النصر والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين
ورحمة الله وبركاته ثم بعث الكتابين كلاهما وارتحل الى دمشق واشرف على

موضع يقال له الثنيه فنزل هنالك وركز بها راية العقاب فسميت ثنية العقاب ثم
انحدر منها الي الغوطه ونزل بالدير وهو معروف الي يومنا هذا بدير خالد وكان
اهل السواد قد التجوا الي دمشق وقد اجتمع فيها امم لا تحصي من الرجاله واما الخيل
فكانوا اثنا عشر الفا وقد زينوا اسوارهم بالطوارق والاعلام والبيارق والصلبان واقام
خالد علي الدير ينتظر قدوم ابي عبيده ومن معه من المسلمين قال وان الاخبار اتصلت
بالملك هرقل وما فتح خالد وكيف توجه الي دمشق فجمع البطارقه اليه وقال يا بني الاصفر
قد قلت لكم وحذرتكم فابيتم وها هؤلاء العرب قد ملكوا حوران وبصري وتدمر
واركه وقد توجهوا الي الربوه وهي دمشق فان فتحوها فوا كرباه ووغماه لانها جنة
الشام وقد نفذت الي اهلها الجيوش والعساكر وهم اضعاف من العرب ثم قال
ايكم يتوجه الي قتالهم ويكفيني امرهم فان هو هزمهم اعطيته ما فتحوه جزية
وخراجا فقال بطريق من بطارقته يقال له كلوص ابن حنه وكان من ابطال الشام
وشجعانهم وقد بان شجاعته في عساكر الفرس لما قصدتهم ايها الملك انا اكفيك
امرهم واردهم علي اعقابهم فسلم اليه الملك صليبا من الذهب وضم اليه خمسة
الف فارس لابسه وقال له قدم صليبك امامك فهو ينصرك قال فاخذه كلوص ابن
حنه وسار من يومه من انطاكيه الي ان ورد حمص فوجدها مزينه بالسلاح والعدد
ولما بلغ اهلها قدومه خرجوا الي لقائه وقدموا الاقسه والرهبان امامهم والمباخر
والعود والند والانجيل علي صدورهم ودعوا له بالنصر واقام عليها يوما وليلة
ثم ارتحل الي المدينة حبوسيه ففعل به اهلها كما فعل به اهل حمص ثم ارتحل الي
بعلبك فخرج اليه اهلها ونساؤها لاطمات الخدود ناشرات الشعور فقال ما وراءكم
فقالوا له ان العرب قد فتحوا اركه وتدمر وحوران وبصري وقد بلغنا انهم يطلبوا
دمشق فقال كلوص وقد بلغني انهم في الجابيه فكيف قدروا ان يتوسطوا القري
والحصون فقالوا ايها السيد اولئك لم يبرحوا من مواضعهم وانما هذا رجل قدم
من العراق قد فتح الله علي يديه اركه وتدمر وحوران وبصري قال وما اسمه قالوا
خالد ابن الوليد قال في كم يكون قالوا في الف وخمسمائه فارس فقال وحق ديني لا
جعلن راسه علي سنان قنطاريتي ثم رحل ولم ينزل الا بدمشق وكان صاحب
وواليها من قبل هرقل بطريق كبير الشان عند الروم اسمه عزرابيل وكان في ثلاثين
الفا خيل ورجل فلما دخل كلوص اجتمع اليه كبار الروم من اهل دمشق والبطارقه
وعزرابيل واصحابه وقروا منشور الملك قال لهم كلوص علي ان اقاتل عدوكم واصده
عن بلدكم واني به اليكم ولكن تخرجون عزرابيل من عندكم حتي اكون وحدي لهذا الامر
فقالوا ايها الصاحب وكيف ينبغي لنا ان نتعدا ونخرج صاحبنا من بلدنا وهذا العدو
قاصد الينا ولو كان منكم عشر ملوك رددناهم وتقوينا بهم علي العرب فقال عزرابيل

اما انا فلا اخرج من البلد وانا صاحبها ولكن اذا قدمت العرب خرجنا اليهم وكل واحد منا يخرج
بجيشه يقاتل يوما فمن هزم العرب كانت المدينة له فقال شيوخ القوم لقد انصف عزازيل
وتراضوا علي ذلك وانفصل القوم وقد ثبتت عداوة عزازيل في قلب كلوص وعداوة كلوص
في قلب عزازيل قال الواقدي رحمه الله ولقد بلغني ان القوم كانوا يخرجون في كل
علي باب الجابيه بفرسخ ينتظرون قدوم ابي عبيده حتي جاءهم خالد منكسر الثنيه كما
ذكرناه قال الواقدي حدثنا ابو معمر ابن طليحة قال حدثني ابو ياسر ابن محمد
قال اخبرني رفاعة ابن مسلم عن جده وافقه ابن مسلم العدوي قال كنت في خيل خالد
لما نزل علي الدير المسمي بدير خالد بالغوطه واذا الجيش دمشق قد زحف الينا وشد
وسطه بعمامته وتوشح بطرفها ثم صرخ في المسلمين وقال ايها الناس رحمكم الله هذا يوم
له ما بعده وهذا العدو قد زحف بخيله ورجله فدونكم واياه وانصروا الله ينصركم
واصبروا فان النصر مقرون مع الصبر وكونوا ممن باع نفسه من الله فان الله سبحانه
قد اشتري نفوس المؤمنين المجاهدين فقال في كتابه العزيز ان الله اشتري من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله الايه فكانكم باخوانكم
المسلمين وقد قدموا عليكم مع ابي عبيده قال فاسرع المسلمين الي خيولهم فركبوا
واستقبلوا جيش العدو قال فوقفت الروم عن قتالهم وزينوا جيشهم ازاء
جيش المسلمين فعندها رتب خالد اصحابه جعل في الميمنة رافع ابن عميره الطاي
وفي الميسره المسيب ابن نجيه الفزاري وفي الجناح الايمن شرحبيل بن حسنه وفي
الجناح الايسر عبد الرحمن ابن حميد الجمحي وعلي الساقة سالم ابن نوفل اليشكري
واقام خالد في القلب مع عبد الرحمن ابن ابي بكر وضرار ابن الازور وابن طارق فلما رتب
اصحابه وعباهم تعبية الحرب قال لضرار ابن الازور اتبع سبيل ابيك وقومك في
الجهاد وانصر دين الله فالله ينصرك ارعب القوم بحملتك وزعزع جيوشهم
بشجاعتك قال فخرج ضرار ابن الازور وعليه ثوب سيلاني وشح وعلي راسه عمامه
رثه ومن تحته مهره عجفا الا انها تسابق الريح فحمل علي جيش الروم بشدة
عزمه ولم يلوعهم حتي صدم جيوشهم وبلبل مصافهم وحمل فيهم فقتل في حملته
تلك اربعة فوارس ثم اثني حملته علي الرجاله فقتل منهم سته ولولا سهامهم وحجارتهم
عليه ما رجع عن قتالهم فلما عاد شكر له خالد والمسلمون ثم ان خالد قال لعبد الرحمن
ابن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما ارعب اعداء الله بحملتك بارك الله فيك فحمل عبد
الرحمن ابن ابي بكر وفعل كفعل ضرار ابن الازور فقتل وجندل ثم عاد وحمل من بعده
ابن الوليد رضي الله عنه ولعب برمحه واظهر فروسيته حتي تعجب الروم من شجاعته
وخفته فلما نظر اليه كلوص علم انه امير الجيش وقايده وقد علم ان خالد نفسه
بالحمله لاجل زينته وصليبه الذي علي راسه فتاخر البطريق الي ورائه من مخافته

في

فلما نظر خالد الي تقهقرة البطريق وتزعزعه حمل برده فوعقت عليه البطارقه ورموه
بسهامهم فلم يلتفت اليهم ولا عبا بهم وجواده كالبرق بين صفوفهم فلم يرجع عن
حملته حتي قتل عشره من القوم وانثني راجعا وا رواهم ابوابا من الحرب اكثر
من الاوله ثم طلب البراز فلم يجبه احد منهم قال يبرز منكم فارسان لقتالي فلم
يجيبوه فقال اربعة لفارس لي ان قال العشرة لفارس فلم يبرز اليه احد فسكتوا فقال
يا ويلكم هذا انا واحد من العرب وكلنا في الحرب سوا قال الراوي فمنهم من فهم ومنهم من لم
يفهم فمن فهم بلغ مالا يفهم فعند ذلك قبل عزرائيل على كلوص ابن حنه وقال الين
الملك قد قدمك علي جيوشه وبعثك الي قتال هولاء العرب فدونك وحامي عن
بلدك ورعيتك فقال كلوص انت احق مني بذلك لانك اقدم مني وقد زعمت انك
لا تخرج منها الا بامر الملك هرقل فما بالك ان لا تقاتل العرب فنقاتل لعرك قال
عزرائيل قد جري الشرط ان تقاتل انت وعسكرك يوما واقاتل انا وعسكري يوما
فقاتل انت اليوم حتي اقاتل غدا فقال كلوص انت اقدم مني في البلده فنسلك
ان تتقدم انت اليوم وانا غدا فاختصما فارتفع الكلام بينهما فقال لهما الفريقان
تقارعا فمن وقفت عليه القرعة يخرج اليوم قال كلوص لابد تحمل بجمعنا فهو
اهيب لنا واوفق فقال عزرائيل ما لي فيما ذكرت من حاجه قال وخاف كلوص ابن حنه
ان يبلغ الملك الخبر فيطرده قال فنقترع فمن وقعت عليه يخرج قال فاقترعا فخرجت القرعة
علي كلوص ابن حنه فقال عزرائيل اخرج وبين شجاعتك كما فعل امير القوم ونخرج انا
غدا وينظر الجمعان من منا افرس واشجع قال الراوي فعند ذلك تدرع كلوص وتاهب
وركب وقال لاصحابه اريد منكم ان تكونوا عندي فان رايتموا الي تقصيري فاحملوا
وخلصوني فقال اصحابه ان هذا الكلام جزع لن يفلح قال يا قوم ان الرجل بدوي
ولغته غير لغتي وانا اريد خطابه والحذر ذرع منيع وقد اردت رجلا يبلغ عني
وعنه فخرج اليه رجل نصراني اسمه جرجيس وكان من اهل الفصاحه والنجده فقال
انا اترجم عنك ثم سار معه فقال له كلوص ان هذا الرجل من اشجع العرب فان
رايتني قد تبلدت عن قتاله فاعني عليه حتي اجعلك صاحبي واتخذك وزيري
ومشيري ولكن هذا مكتوم عندك وها انا اماطل لبروز اليوم وارجع عسي يخرج
اليه عزرائيل فيقتله ونستريح من صورته فقال جرجيس ما انا بصاحب حرب وانما
انا اعينك بكلامي فيما قدرت واخادعه بما استطعت فان ابا فانظر لنفسك قال
كلوص ويحك ويطيب قلبك ان تسلمني الي عدوي قال جرجيس ولا يطيب قلبي ان
اقتل في رضاك وما ينفعني نيلك ومؤثرك ان انا مت فسكت عنه وسار حتي قربا من
خالد ونظر المسلمون اليهم فهمّ ان يخرج رافع ابن عميره الطايي فزعق عليه خالد
مكانك لا تبرح فاني اهل للنصره قال الواقدي رحمه الله فلما دنيا من خالد قال كلوص

لصاحبه جرجير اسله منانت وما الذي تريد وحدره من سطوتنا وخبره بكثرتنا وملكنا
وانظر ما عنده فدنا جرجير من خالد وساله وقال له يا عربي اني اضرب لك مثلا وذلك ان
مثلكم ومثلنا كمثل رجل كان له قطيع من الغنم فسلمه الي راع يرعاه وكان الراعي فشل قليل
الجراه علي الوحش فاقبل اليها سبع فجعل يفترس كل ليلة منها راسا الي ان نقصت الغنم
والسبع قد ضري عليها ولا يجد له ما نعا عنها فلما نظر صاحب الغنم الي ما حل بغنمه
علم انه لم يوتي الامن الراعي وقتله فانتدب له غلاما جز لا جريا فسلم اليه الغنم
فكان لا يهدي من الجولان حول الغنم طول ليلته فبينما الغلام كذلك اذ اقبل السبع
كعادته الجاريه واخترق الغنم فصوب الغلام اليه وهجم عليه وضربه فقتله فلم
يقرب الغنم وحشا ولا سبعا وكذلك انتم تهاونا بكم لانه لم يكن امة اضعف منكم جياع
مساكين عراة حفاة تقودتم اكل الذره والتميز والزيت ومص النوى فلما خرجتم
الي بلادنا واكلتم من طعامنا كلبتم علينا فوصلتم الي ما وصلتم وفعلتم ما فعلتم
وقد بعث اليكم الملك رجلا لا ينقاس بالرجال ولا يكترث بالابطال وهو هذا الذي
المجانبي فاحذروا منه ان ينزل بكم ما نزل الغلام الجري بالاسد وانه سالني ان
اخرج اليك والطف بك في الكلام رحمة بك وشفقة عليكم فاخبرني ما الذي تريدون
منا وغاية ما تطلبون فقد توسطتم بحرا من جازه غرق في تياره ومن شرب منه
شرق فان كنت اميرهم فخاطب عنهم وعنك قبل ان يهجم عليك هذا الليث
فيفترسك بمخالبه فلما سمع خالد كلام جرجير وما اتا به من فصاحته
قال يا عبد الله انك ضربت الامثال اما والله ما نحسبكم عندنا في الحرب الاكقابض
الطير بشبكته وهو يقصها يمينا وشمالا ولا يجزع من كثرتهما ولا يمل من
واما ما ذكرت لنا من بلادنا خبز الذره وقحطنا فهو كما ذكرت الا ان الله قد
ابدل لنا ما هو خير منه وانه ابدل لنا خبز الذره والشعير بالحنطة والفواكه
والسمن والعسل وهذه ارض قد رضيها لنا ربنا ووعدنا بها علي لسان
نبيه واما قولك ما الذي تريدون منا فاريد اما الاسلام او الجزيه او القتال
حتي يحكم الله بحكمه واما قولك ان هذا الرجل الذميم وهو عندكم عظيم
مكين فهو عندنا اقل من كل قليل وان يكن ركن من اركان الكفار فانا ركن الاسلام
وانا صاحب تدمر وحوران واركه وبصري انا خالد ابن الوليد فلما سمع جرجير
كلامه تاخر الي ورائه وقد تغير لونه فقال كلوص ويلك رايتك في بداية
الامر تقدر كلامك فما لي اراك قد جزعت وتاخرت فقال جرجير وحق
ديني لقد ظننت انه من ادني العرب ولم اظن انه كبشهم النطاح هذا صاحب
القوم الذي قد ملا الارض شرا فتقدم اليه واظهر شجاعتك فلما سمع البطريق
بذكر خالد انتقض في سرجه وارتعد كالسعفه في يوم ريح عاصف وقال اساله

ذ

15

ان يقطع الحرب بيننا وبينه صبيحة غد فقال ما ظننه يقبل ذلك وسوف اسئله
ثم ان جرجيس تقدم الي خالد وقال يا سيد قومه ان صاحبي يقول لك انه يرجع
الي قومه ويشاورهم فيما ذكرت فقال خالد ويلك اتخدعني بكلامك وانا جرثومة
الخداع وان السلامة منكم بعيده ثم اقبل نحوه نحو جرجيس فلما نظر الي
الروح انعقد لسانه وولي هاربا فلما نظر خالد الي هروبه حرك عليه كالموص
وحمل عليه حما يلي عسكر الروم ليمنعه من الهرب فلما نظره البطريق الي فعل خالد
لزمه حربه فحمل عليه تطاعنا تطاعنا احر من الجمر فاحترز البطريق من
حملات خالد فلما نظر خالد الي احترازه اقرن عنانه بعنانه ويطل عليه طعنته وبدل
قناته من اليمين الي الشمال وضرب بيده علي مخانق ذرعه وجذبه اليه وقال
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم نشله بيده فاقتلعه من سرجه فلما
نظر المسلمون الي ذلك كبروا تكبيرة واحدة عظيمة اذهلوا بها المشركين
وارعبوا افئدتهم وتسابق اليه الابطال والاقيال فلما دنوا منه اذجا
بالبطريق اليهم وقال استوثقوا من كتافه ففعلوا ذلك وهو يتكلم وهم
لا يفهمون فاتي المسلمون بروماس صاحب بصري وقالوا اما الذي يقول
فلما فهم كلامه قال انه يقول يا قوم لم تكتفوني وانا قد اجبت الي ما قال
صاحبكم الستم تطلبون الجزية والمال عن راسي وانا الضامن لكم ما سالتم
ودافع اليكم ما طلبتم فاعلموا خالد بقوله فقال استوثقوا منه فاني اظنه
راس القوم ثم ان خالدا نزل عن فرسه وركب شهربا كان قد اهداه له
صاحب تدمر ونهيا للحمله علي الروم فقال له ضرار بن الازور ايها
الامير انك قد تعبت في قتال البطريق فدعني احمل عنك حتي تستريح قال
يا ضرار انما الراحة في الدار الاخرة ومن تعب اليوم استراح غدا ثم قال الله
الخليفة عليك ثم عود بالحمله فصاح البطريق بحق دينك ان لا رجعت
حتي نخاطبك فصاح الناس بخالد ان هذا يزعق بك ويحلفك فرجع
خالد وقال لروماس ما الذي يريد فتكلم معه ساعة ثم قال لخالد انه
يقول لك اني صاحب للملك وقد بعثني اليكم مع خمسة الف فارس فتخاصمت
مع عزرابيل والي دمشق وجري لي معه كذا وكذا وقد آسرني فبحق دينك ان
هو خرج اليك فلا تبقي عليه وان لم يخرج اليك فاستنظره حتي يخرج واقتله
فهو راس القوم فان انت قتلته فقد ملكت القوم وانك فاعل ذلك فقال
خالد بروماس قل له لا انني لا ابقي علي من يشرك بالله ويتخذ معه ولدا ثم حمل
خالد وقال لك الحمد مولانا علي كل نعمة ... وشكرا لما اوليت يا سابغ النعم
منتت علينا بعد كفر وظلمة ... وكشفت عنا ما نلاقي من التهم

وايدتنا بالنصر والعز والهدي   وشرفتنا بالطهر من خيرة الامم
فتمم رب العرش ما قد تريده وتجل   لاهل الشرك يوما من النقم

قال ولما قرب من صفوف المشركين طلب البراز قال **الواقدي** رحمه الله ولقد بلغني
انه لما راي جرجس من خوف خالد ان عاد الي قومه وهو يرتعد فقالوا له ما وراك فقال
يا قوم ورايي الموت الذي لا يقابل والليث الذي لا ينازل وهو امير القوم وقد الاعلي نفسه
انه يطلبنا حيث كنا وسلكنا ولا يقصروا عن قتلنا ولا خلصت نفسي منه الا
بعد جهد جهيد فصالحوا الرجل قبل ان يحمل فينا باصحابه فقالوا ويلك ما
يكفيك انك انهزمت حتي ترعب قلوبنا وهموا بقتله ثم التفتوا الي عزرابيل
حين اسر خالد البطريق كلوص وقالوا له اعلم ان صاحب الملك قد اسر وما
فصر وقد جرا بينكما من الشرط ان يخرج هو يوما وانت يوما فاخرج الي هذا البدوي
فاقتله قال يا قوم اعلموا ان هذا الرجل يعني خالد ان قتل فواحد من العرب يقيم
مقامه وان انا قتلت بقيتم كالغنم بلا راعي لها فدعونا نحمل بجمعنا فقالوا لا
نفعل ذلك لان في حملتنا تقتل الرجال وترمل النسوان فسباهم في المحاورة اقبل
اصحاب كلوص وهم الخمسة الف فارس الذين وجههم الملك معه وصاحوا علي
عزرابيل وقالوا له ما انت عند الملك باعز من صاحبنا وقد كان بينك وبينه
شرط وقد عمل بالشرط واسر فاحمل انت ايضا والا انا شبناك القتال قال يا
ويلكم وكانني قد جزعت من الخروج الي هذا البدوي من اول مره وانما تقاعست
عنه حتي بان يخرج صاحبكم وقلة حيلته في الحرب والساعة اخرج وينظر الفريقان
اينا افرس واثبت واشجع قال فترجل ولبس لامة حربه وركب جنيبا جوادا يصلح
للجولان وخرج الي قتال خالد فلما قرب وقف وقال يا اخا العرب ادن مني حتي اسالك
وكان الملعون يتحدث بلسان العرب فلما سمع خالد غضب وقال يا عدو الله ادن
انت علي ام راسك وهم ان يحمل عليه فقال يا اخا العرب علي رسلك حتي اسالك
فعلم ان الخوف قد حلله فامسك حتي قرب منه وقال يا اخا العرب ما حملك علي ان
تحمل من دون قومك فلو قتلت بقي اصحابك كالغنم من بعدك فقال يا عدو
الله قد وليت ما فعل رجلان من اصحابي باصحابك وهم يعدون الموت مغنما والحياة
مغرما ثم قال خالد من انت فقال له اما سمعت باسمي انا فارس الشام انا قتل
الروم انا قاتل الفرس وسيدهم انا الفاتك بجيوش الترك والجرامقة فقال خالد
وما اسمك فقال انا الذي سميت باسم ملك الموت انا عزرائيل قال فضحك خالد
وقال يا عدو الله ما اخوفني ان الذي سميت باسمه هو مشتاق اليك ليوديك
الي الهاوية فقال البطريق ويحك دينك ما فعلت باسيرك كلوص فقال خالد
ها هو موثوق بالقد قال وما الذي منعك من قتله فانه داهية الروم قال خالد

منفني

منعني منذ للدحتي اقتلكما جميعا فقال عزرايل هل لك ان تاخذ الف مثقال وعشرة
اثواب من الديباج وخمس رؤس من الخيل وتقتله وتاتيني براسه فقال خالد هذه
ذنبة ذلك فما الذنب تعطيني انت في دينك فغضب عدو الله وقال ما الذي تريد منا
قال الجزية عن راسك صاغرا ذليلا قال عزرايل يا اخا العرب كم تردد تاتي اكرامكم زدتم
في اهانتنا وسطتم السنتكم المتعجرفة علينا خذ الان لنفسك فاني قاتلك فلما
سمع خالد ذلك من كلام عزرايل حمل عليه كانه شعلة نار واستقبله البطريق وقد
اخذ حذره منه وتجاولا طويلا وكان عزرايل يذكر بالشام لاجل شجاعته
وبراعته فلما نظر خالد الى ما اظهر عدو الله من الشجاعة والبراعة اعجب منه فقال عزرايل
يا خالد وحق ديني لو اردت الوصول اليك لوصلت وقدرت عليه ولكني ابقيت عليك
لاني اريد الصلح ابقاء عليك وعلى قومك ولكن استاسر لي حتى تعلم الناس انك اسيري
وبعد ذلك خليك على شرط انك تسير عنا وتسلم الينا ما اخذت من البلاد فلما سمع
خالد قول عزرايل قال يا عدو الله ادركك الطمع فينا وهذه العصابة التي فتحت
بها تدمر واركه وحوران وبصرى وهم ممن باعوا انفسهم من الله بجنته واختار واد ار
البقا والاخرة على الاولى وستعلم اينا يهلك صاحبه ويذل جانبه ثم ان خالد
اظهر شجاعته وشدته وايقظ خاطره واوراه ابوابا من الحرب لم يرها قال فندم
عزرايل على ما كلم به خالد وقال يا اخا العرب ما تحمل المداعبة قال خالد مداعبني
الضرب ورضا الرب فخذ لنفسك ثم داخله ولوح اليه بسيفه وقنعه به قال فنبي
السيف ولم يقطع شيئا واندهل عدو الله من صولات خالد فولى هاربا واقبل خالد
اليه طالبا قال عامر ابن الطفيل وكنت من اهل القلب وانا انظر الى ما جرى من امر
خالد وعدو الله فلما ولى عدو الله واتبعه خالد كان جواد البطريق اسبق من
جواد خالد وقصر جواد خالد عن اللحاق به فلما نظر عزرايل الى خلف خالد عنه
ادركه الطمع وقال ان البدوي قد خاف مني ومالي الا افوز باسره واقف
حتى يلحقني فلعل المسيح يعينني على اخذه فلما وقع ذلك في قلبه وقف حتى لحق
به وقد تكلل فرسه بالعرق وحنته الكلال فلما قاربه صاح به المشرك يا اعرابي لا تظن
انني انهزمت منك لخوف فانما اردت ان ابعدك عن اصحابك وانفرد باسرك قال خالد
الله اعلم بذلك فقال يا اخا العرب ارحم نفسك ولا يحملك اللجاج على اتلاف مهجتك وا
ستسلم الي فان اردت الموت فانا اسوقه اليك انا قابض الارواح انا عزرايل ملك
الموت فقال خالد يا عدو الله ادركك الطمع في حين قصر بي جوادي عن طلبك
وانا قاتلك فارسا وراجلا ما لم تزل هاربا ثم ترجل عن جواده وهز سيفه وخطا
اليه كالاسد البازل فلما نظر اليه عزرايل قد ترجل ازداد طمعه وحام من حوله حومة
القشعم وداخله يريد ان يعلوه بسيفه فراغ خالد عنه وصرخ به وعلا فواع

جواد البطريق فقطعها بعظم ضربته فسقط عدو الله الى الارض ثم ولى هاربا يطلب جيشه
واتبعه خالد وقال يا عدو الله ان الذي سميت باسمه قد غضب عليك وها هو قد اقبل لقبض
روحك اين تذهب ثم مال عليه بشدته واختطفه من الارض ونظر الروم الى صاحبهم في يد خالد فهموا
ان يحملوا لخلاصه فاذا قد طلعت جيوش المسلمين وكتايب الموحدين مع امين الامه ابي عبيدة
ابن الجراح وكان رسول خالد قد سار اليه من بصرى فوجده في الطريق مقبلا فورد معه الى دمشق
وخالد في تلك الساعة قد اسر عزرايل فلما نظر جيش دمشق الى جيوش المسلمين قد اقبلت
داخلهم الرعب فتوقفوا عن الحملة قال حدثني هشام ابن عوف عن قيس ابن سعيد عن
عامر ابن عجيره **قال الواقدي** رحمه الله وعجيره لبني نا عبد الله ابن عبد الدار عن
هلال ابن مغيث قالوا انه لما اتا جيش ابي عبيده سال عن خالد فاخبر انه اسر البطريقين
فدنا اليه وهم ان يترجل له فاقسم عليه خالد ان لا يفعل وكان ابي عبيدة يحبه
الله صلى الله عليه وسلم فاقبل بعضهما على بعض قال ابو عبيدة لخالد والله يا بني لقد فرحت
بكتاب ابي بكر حين قدم الي وامرك علي وما اخذت في قلبي عليك لاني اعرف مواقفك
عند العرب من قريش فقال خالد والله لا فعلت امرا الا بمشورتك ولا اخالف لك امرا وقولا
والله لولا امر الامام طاعة ما كنت افعل ذلك لانك اقدم مني قدمه في الاسلام وانت خاصة
رسول الله صلى الله عليه ثم انهما تصافحا وقدم لخالد جواده فركبه وسار مع ابي عبيده
يحدثه بما كان مع البطريقين وكيف نصره الله عليهما الى ان اتيا الى الدير فنزلا هنالك واقبل
المسلمون يسلم بعضهم على بعض فلما كان من الغد ركب الناس وترتبت المواكب وزحف اهل
دمشق الى القتال وقد امر عليهم توماس صهر الملك بطريقا يثق به فلما اقبلوا قال خالد لابي عبيده
ان القوم قد تخاذلوا وقد وقع رعب الاسلام في قلوبهم وايضا انهم او تهنوا الاسر
البطريقين فاحمل على القوم فقال ابو عبيده احمل وانا اتبع فحمل المسلمون على الروم حملة
واحدة وكبروا باجمعهم فان تحت الغوطه وما حولها من تكبيرهم ووقع القتل في الروم
وجاهدوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جهادا ادهلت منه الكفار وارضوا به الجبار
قال عامر ابن الطفيل ولقد كان الواحد منا يلقا ومعه من الروم عشرة فما لبثوا ساعه حتى
ولوا الادبار واقبلنا نقتلهم من الدير الى باب شرقي فلما نظر اهل المدينه الى انهزام جيشهم
اغلقوا الابواب في وجه من بقي منهم قال قيس ابن هبيرة منهم من قتلنا ومنهم من اسرنا
ثم رجعنا عنهم فقال خالد لابي عبيدة اني ارى من الراي ان انزل على باب شرقي وانت على
باب الجابيه فقال ابو عبيده هو الراي **قال الواقدي** رحمه الله حدثني عمر ابن الحارث
قال حدثني سهل ابن عبد الله ابن رافع التميمي عن اوس ابن الخطاب ان الذي قدم مع ابي عبيده
من الحجاز واليمن وحضرموت وساحل عمان والطايف وما حول مكة سبعة وثلاثون الفا وكان
مع عمرو ابن العاص تسعة الف فارس بارض فلسطين والذي قدم به خالد من العراق الف
وخمسمايه من لخم وجذام وكانت الجملة سبعة واربعين الفا وخمسمائة غير ما جهز عمر في

وقت

ولا نبه وسنذكرهم ان شاء الله في موضعهم قال فنزل خالد على باب الشرقي بنصف المسلمين
ونزل ابي عبيده علي باب الجابيه بالنصف الثاني ونظر ذلك اهل دمشق فدخل الرعب في قلوبهم
ثم ان خالد احضر البطريقين بين يديه وهما كلوص وعزرائيل وعرض عليهما الاسلام فابيا
فامر ضرار بضرب رقابهما ففعل ذلك قال الواقدي رحمه الله ولقد بلغني ممن اوثق
به ان ضرار قتل عزرائيل ورافع ابن عميره قتل كلوص ولما نظر اهل دمشق الى فعل خالد بالبطريقين
كتبوا كتابا الى الملك هرقل يخبروه بما جرى عليهم وعلى عزرائيل وكلوص وقد نزلت العرب
تحاصرنا على باب الشرقي وباب الجابيه وقد نزلوا بنسائهم واولادهم وقد قطعوا الارض
البلقا الى السواد ووصفوا له ما ملكوا من البلاد فان ركنا والا اسلمنا اليهم والسلام
ثم سلموا الكتاب الى رجل منهم فاعطوه اوفى اجره ودلوه من السور في حبال وذلك بالليل
قال الواقدي رحمه الله ولقد بلغني ان الرجل وصل الملك هرقل وهو بانطاكيه فاستاذن
عليه فامر له بالدخول فلما دخل الرجل سلم اليه الكتاب فلما قراه الملك رماه من يده
وبكا ثم جمع البطارقة اليه وقال يا بني الاصفر لقد حذرتكم من هولاء العرب وخبرتكم ان
يملكون ما تحت سريري هذا فاتخذتم كلامي هزوا واردتم قتلي وهولاء العرب خرجوا
من الدنيا الجدب والقحط واكل الذره والشعير والتمر واتوا الى بلاد مخصبه كثيرة الا
شجار والثمار والفواكه واستحسنوا ما راوا من بلادنا وخصبها وليس يخرجهم
عنا الا العزم القوي وشدة الحرب ولولا انه عار علي لتركت الشام ورحلت الى
القسطنطينيه او اخرج اليهم فاقاتلهم عن اهل بيتي وذريتي فقالوا ايها الملك وما
بلغ من شان العرب ان تخرج اليهم بنفسك وقعودك اهيب قال هرقل فمن نبعث اليهم
قالوا ايها الملك عليك بوردان صاحب فانه ليس منا في القوه ومعرفة الحرب وملاقاة
الرجال مثله ولقد بين امامك في عسكر الفرس ما قصدونا فامر الملك بوردان ان يجي
به فقال له الملك يا وردان تهيا لمسيرك للقاء العرب فقال وردان يا ملك الروم لولا
انك تغضب علي لما توجهت الى قتالهم لانك تركتني اخر امرائك وبطارقتك فقال
له الملك انما اخرتك لانك سيفي وشدتي فاخرج من وقتك ولا تتاخر فقد امرتك على
اثني عشر الف فارس فاذا وصلت الى بعلبك فنفذ الي من باجنادين من الروم ان يتفرقوا
على ارض البلقا وجبال السواد فيكونوا هنالك ولا يتركوا احدا من العرب يلحق باصحابهم
يعني اصحاب عمرو ابن العاص فقال وردان السمع والطاعه ايها الملك سوف يبلغك
الخبر واني لا اعود اليك الا باسر خالد ومن معه واهزمهم وبعد ذلك ادخل ارض
الحجاز ولا ارجع الا بهدم مكه والمدينة فلما سمع الملك قوله قال وحق الانجيل لان انت
وفيت بقولك لاقطعنك ما فتحوا من البلاد جزية وخراجا واكتب لك كتاب العهد
انك الملك بعدي ثم سوره وتوجه ومنطقه واعطاه صليبا من الذهب في جوانبه اربع
يواقيت لا قيمة لهم وقال اذا لاقيت العرب فقدمه امامك فهو ينصرك قال الواقدي

رحمه الله فلما تمم وردان الصليب قام من وقته وساعته ودخل كنيسة القسيسين والغمس في
ماء المعمودية وبخروه ببخور الكنايس وصلوا عليه وخرج من وقته وضرب خيامه علي باب فارس
واخذت الروم علي انفسها للرحيل فلما تكاملت جيوشهم ركب الملك لوداعهم وارباب دولته الي الجسر
الحديد فهنالك ودعه الملك وسار وردان علي طريق المرات الجان وردماه فنزل هنالك ونفد
من وقته وساعته كتابا ورسولا الي من باجنادين من الجيوش يامرهم ان ينفروا علي ساير
الطرقات ليجتمعوا مع عمرو ابن العاص وعسكره ان يصل الي خالد فلما نفد الرسول بالكتاب
جمع اليه روسا البطارقة وقال لهم اني اريد ان اسير علي حين غفلة علي طريق دارس كبس
علي جيش العرب علي حين غفلة فلا ينجو منهم احدا قال فاستصوبوا رايه فلما كان من
الليل رحل علي طريق سلميه ووادي الحيات قال حدثني رفاعة قال ابن مغهان المازني قال
قال حدثني سليمان ابن خويلد اليشكري قال اخبرني شداد ابن اوس قال لما قدم خالد
ابن الوليد البطريق من امر الناس ان يزحفوا الي دمشق قال فزحفنا واما منا رجال من العرب
وسوابقهم بايديهم الجحف يتوقون بها الحجاره والسهام فلما نظر اهل دمشق الينا
ونحن قد زحفنا اليهم رمونا بالحجارة بمناجيقهم وسهامهم قال وعرب اليمن ترميهم
بنبالهم ووقع الضجيج وارتفع العجيج وضيقنا عليهم في الحصار وايقن القوم بالدمار
قال شداد ابن اوس فاقمنا علي حصارهم عشرين ليلة فلما كان بعد هذه المدة جانا
نادي ابن مره يخبرنا بجمع الروم في اجنادين ووصف لنا عظم جيشهم وكثرة عددهم
قال فركب خالد نحو باب الجابية الي ابي عبيده ابن الجراح واستشاره وقال يا امين الامة
اني قد رايت رايا انا نرحل الي اجنادين بجمعنا ونلقي من هنالك من الروم فاذا نصرنا الله
عليهم عدنا الي قتال هولاء القوم قال ابو عبيده ليس هذا راي قال خالد وماذاك
قال لانا قد اذقناهم شرا وقد ضيقنا عليهم في الحصار ورعبنا قد حصل في قلوب القوم
فان نحن رحلنا عنهم يقووا ويحصلوا الاطعمة والزاد ويعولون علي ان ينزلوا في
منازلنا ولسنا براحلين فقال خالد والله لا عصيت لك امرا ثم ركب وبعث الي امرائه
الذين علي الابواب ان يشتدوا القتال علي اهل دمشق ثم زحف خالد من باب شرقي بنفسه
وحرض الناس علي القتال وجعل يقول بعد الصلاة علي الرسول

فمن مبلغ عنا عتيقا باننا لاقي ... بجيش الروم مع من نسبها
ابا الله الا ان ندمر جمعهم واروي ... سناني من دماء عثونها
فكم من جديل سوف يبقي مجندلا ... وذات قرين سوف تبكي قرينها

قال فهشوا الناس للحرب وتقدموا للكفاح والضرب ولم يزالوا كذا الي تمام احد وعشرين
ليله وتضعضع حال اهل دمشق ونقصت احوالهم وطال عليهم الامر ولم يروا جيشا
من قبل الملك هرقل فعزموا علي الصلح فبعثوا جاثليقا الي خالد ان يعطوه الف وقية
من الفضة وخمسمائة من الذهب ومائة ثوب ديباج ويرحل عنهم فامتنع خالد

من

مذ ذلك قال لست ابرح الا بالجزية او تسلموا او القتال فعاد الجاثليق الى قومه فاخبرهم
بذلك فاشتد الامر عليهم قال عروة ابن اسيد وكان اهل دمشق يميلون الى ابي عبيدة
اكثر من ميلهم الى خالد لان خالد كان صاحب سيف وقتل وكان ابو عبيدة شيخا عفيفا
يعدهم الصلح وخالد يعدهم القتل فبينما خالد قد امر اصحابه والناس بتشديد القتال
اذ نظر الى اهل دمشق وهم يصفقون ويرقصون ويطعطعون فنظر خالد ما الخبر واذا
باهل السور يشيرون الى الجبل وبيت لهيا فنظر فاذا بغبرة قد لاحت فاظلم لها الارض
والجو فعلم خالد ان طاغيتهم قد امدهم بالجيوش فصاح في المسلمين وامرهم بالركوب
فبادروا كالسلاهيب الى خيولهم فركبوها واشهروا اسلحتهم واجتمع كل قبيلة الى
صاحبها واقبلت الطلائع الى خالد اخبروه انهم راوا نحو الشه عسكر جرارا ولا
شك انه عسكر الروم فقال خالد لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم ترك الناس
على باب شرقي واقبل يخطف على جواده حتى اتى على باب الجابية واجتمع مع ابي عبيدة
واخبره بالامر وقال يا امين الامة ما الذي ترا من الراي ان اسير بجمعنا الى لقائهم
ونتعاون عليهم فقال ابو عبيدة ليس هذا راي قال ولم قال لئلا يخرج اهل المدينة
فيملكون مواضعنا ويتزايد الخطب علينا قال خالد فما الراي قال ابو عبيدة
تندب لهذا الامر رجلا جريا شجاعا عارفا بالحروب فان يكن فيهم مطمع يلقاهم
والا فيرجع الينا ويرسل لا حتى نمده بقوم بعد قوم ولا نبرح من مواضعنا فلما سمع
خالد ذلك من كلام ابي عبيدة قال يا امين الامة اني اعرف رجلا لا تاخذه في الله لومة
لائم خبير بلقاء الرجال وملاقات الابطال لا يرهب الموت ولا يخاف الفوت قد مات
ابوه وعمه في الجهاد فقال ابو عبيدة من هو يا ابا سليمان قال ضرار ابن الازور ابن طارق
قال ابو عبيدة والله لقد وصفت رجلا نازلا معروف السيرة فافعل فرجع خالد
الى بابه ودعا بضرار ابن الازور فجاء اليه وسلم عليه وقال يا ابن الازور اني اريد اقدمك
على خمسة الف فارس قد باعوا انفسهم من الله بجنته واختاروا دار البقاء على
دار الفنا وتسير الى لقا هؤلاء القوم الذي وردوا علينا فان رايت فيهم مطمعا
فقاتلهم وان رايت ان لا قدرة لك عليهم فارجع الينا قال ضرار وا فرحاه والله
يا ابن الوليد ما دخلت على قلبي مسرة اكبر من هذه لو تركتني اسير اليهم وحدي
فقال خالد لعمري انك جلد ولكن ما امرك الله ان تطرح يدك الى التهلكة ولكن سير
فيمن معك قال فاخذ ضرار على نفسه واسرع فقال خالد ارفق بنفسك حتى يجتمع
اليك الجيش فقال والله لا وقفت فمن علم الله فيه خيرا ادركني ثم اسرع ضرار الى ان وصل
بيت لهيا وهو موضع كان آزر يصنع فيه الاصنام فوقف هناك حتى لحق به اصحابه
فلما تكاملوا نظر ضرار واذا بجيش الروم ينحدر من الثنية كالجراد المنتشر
وهم متكفنون في الدروع والبلاس وقد اشرقت الشمس على لامتهم وبيضهم وطوارقهم

فلما نظر اليهم اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم قالوا لضرار ابن الازور والله ان هذا الجيش عظيم
والصواب ان نرجع فقال ضرار والله لا زلت اضرب في سبيل الله واتبع سبيل من اناب الي الله ولا
يراني الله منهزما اولي الدبر ابدا الا ان الله عز وجل يقول ولا تولوهم الادبار فان انا وليت
فقد عصيته قال وتكلم رافع ابن عميرة الطاي وقال يا قوم وما الخيفة من هولاء
العلوج انما نصركم الله في مواطن كثيرة والنصر مقرون بالصبر ولم تزل طايفتنا تلقي
الجمع الكثير بالجمع اليسير فاتبعوا سنن الاولين واضرعوا الي رب العالمين وقولوا
كما قال طالوت يوم لقايه لجالوت ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا علي
القوم الكافرين قال واهتز القوم لكلام رافع وقالوا والله لا يرانا الله منهزمين ولنقاتلن
اعداء الله الكافرين فلما سمع ضرار كلامهم وانهم قد اثروا الاخرة علي الدنيا كمن بهم
عند بيت لهيا واخفا اثره وهو امام المسلمين عاري الجسد بسراويله علي فرس
له عري بغير سرج وبيده قناة تامة الطول وهو يوم القوم قال الواقدي
رحمه الله هكذا حدثني تميم ابن اوس عن جده عمرو ابن دارم عن ابيه سلامة ابن
خويلد قال كنت يوم بيت لهيا ممن صحب ضرار ابن الازور وهو بهذه الصفة رغبة
منه في الشهادة فلما قاربه الروم كان اول من برز وكبر واجابه المسلمون بتكبيرة عظيمة
رعبت منها قلوب المشركين فاجوهم بالحملة قال ونظرت الروم الي ضرار ابن الازور
وهو في اول القوم وهو علي حالته التي وصفناها فهالهم امره وكان وردان
في المقدمة والاعلام والصلبان مشتبكة علي راسه والمدبجة محدقة به فما طلب
غيرهم لانه علم انه صاحبهم فهنالك صيح وكلعاي القلب فطعن فارسا وكان
حمل علما فاصاب نحره فجدله عن فرسه وسقط العلم عن يده ثم عطف علي اخر
في الميمنة فطعنه فارداه وحمل يريد القلب وعاين وردان والصليب علي راس
يحمله فارس علي برذون اشهب والجوهر يلمع من اربعة جوانبه فعارضه ضرار
وطعن حامله طعنة عظيمة فخرق السنان خاصرته الي ان خالط امعاه وسقط
الصليب منكسا الي الارض فلما نظر وردان الي الصليب قد انتكس وهاويا ايقن بالهلاك
وهم ان يترجل لاخذه او يميل في ركابه فلم يجد الي ذلك سبيلا مما قد احدق
به وترجل عليه قوم من المسلمين لياخذوه وقد اشغل القوم ضرار ومن معه
ونظر ضرار الي من ترجل لاخذ الصليب وقال فيما هو فيه من كثرة الحرب معاشر المسلمين
ان الصليب لي دونكم وانا صاحبه فلا تطمعوا فيه فاني اليه راجع اذا فرغت من كلب
الروم ومن معه قال وسمع ذلك وردان وكان يعرف بالعربية فعطف من القلب
يريد الهرب فقالت البطارقة الي اين يا ابن بك ايها السيد قال افر من هذا الشيطان
هذا رايتم ادني من منظره ام اهول من خطره قال ونظر اليه ضرار وقد عطف راجعا
فعلم انه قد عزم علي الهرب فصاح بقومه ثم حمل في اثره ومد رمحه وهز جواده

ونظارخ

ونضارحت به الروم معطفت عليه الكتايب وتسابقت اليه المواكب هو مع ذلك يقول

الموت حقا اين الي منه المفر   وجنة الفردوس خير من سفر

ثم اخرق القوم وحمل عليهم وحمل الناس في اثره واخترق عسكر الروم ولحقوا به
من كل مكان ونظروا الي ضرار ابن الازور وقد قصده وردان صاحب حمص عند ما علم
انه خرق القوم ومد اليه رمحه وقد احدقت به بطارقة الروم وضرار يمانع عن
نفسه يمينا وشمالا لا يطعن احدا الا ارداه ولا يقرب منه فارس الا جندله الي ان
قتل من القوم خلقا كثيرا وصاح بقومه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم
بنيان مرصوص قال وانكبت عليه جيوش الروم وصرخت فيهم من كل جانب واشتعل الحرب بينهم
ووصل حمران ابن وردان الي ضرار ابن الازور ورماه بسهم فاصاب بعضده الايسر فاوهنه وحمل
ضرار بالالم فحمل علي حمران بحمية وصمم عليه برمحه فاصاب بالطعنة فواده فقتله
ووصل السنان الي قفاة ظهره ثم جذب الرمح اليه فلم يخرج واذا به قد اشتبك في عظم
ظهره وخرج الرمح بغير سنان فلما نظرت الروم الي الرمح قد خلا من صاحبهم بلا سنان
طمعوا فيه وصمموا عليه وبادروا اليه فاخذوه اسيرا ونظر اصحاب رسول الله صلي
الله عليه وسلم الي ضرار اسيرا فعظم الامر عليهم وقاتلوا قتالا شديدا ليخلصوه فلم
يجدوا اليه من سبيل فارادوا الهرب فقال رافع ابن عميرة الطاي يا اهل الجفايض
وحماة الدين الي اين بكم اما علمتم ان من ولي ظهره لعدوه فقد باء بغضب من ربه لفعله
وان الجنة لها ابواب لا تفتح الا للمجاهدين الصبر يا اهل الدين كروا علي عبدة الصلبان
وها انا معكم وفي اوايلكم فان كان صاحبكم قد اسر او قتل فان الله حي لا يموت وهو
يراكم بعينه قال فرجعوا الي قوله وحملوا معه وقتلوا رجالا وجندلوا ابطالا ووصل
الخبر الي خالد ان ضرار ابن الازور اسير بيد الروم وانه قد قتل من المسلمين والمشركين خلق
عظيم فعظم ذلك علي خالد وقال في كم يكون العدو قالوا في اثني عشر الف لابس فقال
والله ما ظننت العدو الا في نفر يسير ولقد غررت بقومي ثم سال عن مقدمهم
قيل وردان صاحب حمص وقد قتل ضرار ولده فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم ثم ارسل الي ابي عبيدة يستشيره فبعث اليه ابو عبيدة رضي الله عنه اترك علي
باب الشرقي من تثق به وسر انت اليهم فانك تطحنهم طحن الحصيد وتتركهم
صرعي في الصعيد قال فلما وصل الكتاب الي خالد قال والله ما انا ممن يبخل بنفسه في سبيل
الله ثم اوقف مكانه ميسرة ابن مسروق العبسي في الف فارس وقال احذر ان يوتي
المسلمين من قبلك اذي ولا تزل عن مكانك واستعن بالله وتوكل عليه قال ميسرة حبا
وكرامة ثم ثبت مكانه وعطف خالد بالناس وقال اطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة
واذا اشرفتم علي العدو فاحملوا حملة واحدة فلعلنا نخلص ضرار ان كانوا ابقوا عليه
وبالله لين كانوا عجلوا عليه بقتله لاناخذن بثاره ان شاء الله تعالي وارجوا من الله

انه لا يجمعنا فيه ثم امام الناس وهو يقول بعد الصلاة علي الرسول

اليوم يوم فارق من صدق — لا يجزع اذا الموت طرق
لاروين الرمح من دم الحدق — لاهتكن البيض هتكا والدرق
عسا انال غدا من سبق

وقعه بيت لهيا

قال خالد يترنم بهذه الابيات اذ نظر الي فارس علي فرس كميت طويل الركاب قصير العنان بيده رمح طويل لا يتبين منه الا مخايل الحذق والفروسيه تلوح من شمايله والشجاعة تتبين من معاطفه وهو قد اطلق لجواده عنانه والفارس ثابت في سرجه كانما صب فيه وعليه ثياب سوده وقد ظاهر بها من فوق لامته وقد حزم وسطه بعمامة خضرا ووشحها علي صدره الي ورائه وقد سبق امام الناس كانه نار فلما نظره خالد قال ليت شعري من الفارس قاتل الله انه فارس شجاع ثم انه اتبعه خالد بالناس وكان الفارس اسبق خلق الله الي المشركين قال الواقدي رحمه الله وكان رافع ابن عميرة في قتال المشركين وقد صبر لهم من معه اذ نظر الي خالد وقد لحق في كتايب الموحدين قال ونظروا الي الفارس الذي وصفناه فحمل في عسكر الروم كانه النار فزعزع كتايبهم وحطم مواكبهم ثم غاب في وسط القوم فما كانت الاجولة الجايل حتي خرج وسنانه مضمخ بدماء الروم وقد قتل رجالا وجندل ابطالا وهو متلهف بلظى الاحراق والقلق وقد عرض نفسه للمهالك ثم اخترق القلب غير مكترث بهم وعطف علي كراديس الخيل وغاب عن الناس وكثر قلقهم عليه فاما رافع ابن عميرة الطاي ومن معه فلم يظن الا انه خالد وقالوا لا تكون هذه الحملات الا له وانه علي مثل ذلك في فكروا اذا قد اشرف عليهم خالد في كبكبة من الخيل فصاح رافع ايها الامير من الفارس المقدم امامك لقد بذل نفسه ومهجته في سبيل الله وفتك باعداء الله فقال خالد والله انني اشد منكم انكارا له وقد اعجبني ما ظهر لي من شمايله قال رافع ايها الامير انه منغمس في عسكر الروم يطعن يمينا وشمالا قال خالد يا معشر المسلمين احملوا رحمكم الله واسعدوا الحامي عن دين الله قال فاقرنوا القوم الاعنة وقوموا الاسنة واصطفوا بعضهم لبعض وخالد امامهم فتاهبوا للحملة اذ نظر الناس الي الفارس قد خرج من القلب كانه شعلة نار والخيل تتبعه في اثره كلما تلاحق به قوم من الروم لوي اليهم راجعا فيجندل منهم رجالا فعند ذلك حمل خالد ومن معه فاستنقذوه من المشركين ووصل الفارس الي جيش الموحدين فتاملوه كانه شقة ارجوان قد تخضب بالدماء فصاح به خالد لله انت من رجل بذل نفسه في سبيل الله واظهر حنقه علي اعداء الله اكشف لنا عن لامتك قال فمال عنه الفارس ولم يخاطبه وانغمس في الناس فتصايحت به العرب من كل جانب وقالوا ايها الرجل الكريم اميرك يخاطبك وانت تعرض عنه فامض اليه واكشف عن اسمك وحسبك تزداد اعظاما فلم يرد عليهم جوابا فلما بعد عن خالد امر سار اليه بنفسه وقال ويحك

قد اشغلت قلوب القوم و قلبي بفعلك فمن انت قال فلما الح عليه بالكلام خاطبه الفارس
من تحت اللثام بلسان التانيث و قال انني لم اعرض عنك نهاونا بك ولاكن حيا منك
واعنا فاعن مسالتك باني من ذوات الخدور وبنت من عليهن الكلل وانما حملني علي
ذلك انني حزينة الكبد فقال من انت فقالت انا خوله بنت الازور ابن طارق ولما سو
هو اخي ضرار واني كنت في بنات العرب ونسا مذحج اذ اتاني الداعي بانه اسير في
كتب و فعلت بهم ما فعلت قال فبكا خالد رحمة لها ثم قال نحن يا جمعنا نحمل
حملة واحدة ونرجوا ان نصل بها الي اخيكي ونفكه من اسره قالت وانا في اولكم قال عامر
ابن الطفيل وكنت عن يمين خالد حين حمل وحملت خوله امامه وحمل المسلمون قال
وعظم علي الروم ما نزل بهم من خوله بنت الازور وقالوا ان كانوا القوم كلهم
مثل هذا الفارس فليس لنا بهم طاقه ولما حمل خالد ومن معه واذا الروم قد اضطرب
جيشهم ونظر وردان اليهم فقال اثبتوا للقوم فاذا راوا ثباتكم ولوا وخرج اهل
هذه البلدة يعني دمشق فيعينوكم علي قتالهم و لا يفلت منهم احد قال فثبت الروم
لقتال العرب وحمل خالد بالناس حملة منكره واخترق القوم وفرقهم وشمالا وقصد
خالد الي موضع صاحبهم وردان عند اشتباك الاعلام و تكاثف الصلبان واذا حوله
المدججه والهرقليه واصحاب الحديد والزرد النضيد وهم يحدقون به فحمل خالد
حملة منكرة رام الوصول الي طاغيتهم فلم يري له وصولا و نفترق المسلمون علي
قتال الروم كل قرن مشتغل بقتال قرنه وقاتل رافع ابن عميرة الطاي قتالا شديدا
واما خوله اخت ضرار فانها اخترقت القوم وجعلت تجول يمينا و شمالا لا تطلب
الا اخيها وهي تنادي برفيع صوتها ابن ضرار لا اراه يومي ولا يراه معشري وقومي
نقابه سوهايا واحدي ويا اخي يا ابن امي كدرت عيشي وازلت نومي قال فبكا الناس لقولها
ولم تنزل كذلك ولم تري له اثر ولم يزل الناس كذلك الي وقت الظهر وافترق القوم بعضهم
من بعض وقد اظهر الله المسلمين عليهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمه ورجعت كل فرقة
الي مكانها وقد انكمد افئدة الروم مما ظهر لهم من المسلمين وهموا بالهرب وما يمسكهم
الا الفزع من صاحبهم وردان قال فراجع القوم الي مواقفهم واماكنهم اقبلت خوله بنت
الازور الي المسلمين فجعلت تسال رجلا رجلا عن اخيها فلم تري في المسلمين من اخبرها
انه راه ولا اراه قتيلا ولا اسيرا فلما وقع بها الاياس منه بكت بكا شديدا وقالت يا ابن
امي ليت شعري في اي البيدي طرحوك ام بدما بك حضبوك يا ليت شعري يا لسنان
طعنوك ام بالحسام ذبحوك فيا ليت اختك لك الفدا فيا ليت تفديك من ايدي
العدي انري اراك بعدها ابدا تركت والله يا ابن ام في قلب اختك جمره لا يخفي لهيبها
ولا يطفا لحقت بابيك المجتبي امام المصطفي عليك مني السلام الي يوم اللقا فبكا خالد
من قولها وبكا الناس لبكا بها قال وهم خالد ان يعاد الحمله اذ نظر الي كردوس

من الخيل قد خرج من ميمنة القوم وقد اطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة كانهم العقاب
فتاهب الناس لحربهم وتقدم خالد ومن معه وحوله الابطال من المسلمين فلما قاربوا
القوم رموا الرماح والقنطاريات والسيوف وترجلوا ونادوا القوم لقوي يعنون
يعنون الامان قال خالد اقبلوا امانهم واتوني بهم فاتوا بهم للمسلمين اليه فقال خالد من
انتم قالوا نحن جند هذا الرجل وردان ومقامنا بحمص وقد تحقق عندنا اننا لا نطيقكم
ولا نستطيع حربكم فاعطينا الامان لنا ولاهلنا وبلدنا واجعلنا ممن صالحته من ساير
المدن حتى نودي لك من المال ما شئت في كل سنة فكل من عند بيتنا يرضى بقولنا وينتهي
الى راينا قال خالد اذا وصلنا الى بلدكم فيكون الصلح ان كان لكم فيه ارب واما هاهنا
فلست بمصالحكم ولكن كونوا معنا حتى يقضي الله ما هو قاض ثم امر خالد باعتقالهم
ثم اقبل عليهم وقال هل عندكم علم بصاحبنا الذي قتل ابن صاحبكم قالوا لعله العاري
الجسد الذي قتل من قتل وفجع قلب صاحبنا بولده قال خالد عنه سالت قالوا انه قد
بعثه وردان عند ما ملكه على بغل ووكل به مايه فارس ونفذه الى حمص ليحمله للملك
هرقل ليتحفه به لما ظهر له من افعاله قال ففرح خالد بقولهم قال فدعا برافع ابن
عميرة الطاي وقال يا رافع ما اعلم ان احدا اخبر بالمسالك منك وانت الذي قطعت
المفازة بنا من ارض السماوه وعقاب الحله الى ان عطشت الابل ثم روينها الما وحرمت
افواهها واعجازها فكنا نذبح كل يوم منها خمسة ناكل لحومها ونسقي الخيل ما في بطونها
الى ان خرجنا الى اركه وما وطيها جيش قبلنا وانت اوحد اهل بلدك في الحيل والتدبير فخذ
معك من احببت واتبع اثر القوم فعسى ان تلحق بهم فتخلص صاحبنا من ايديهم فلئن فعلت
ذلك فهي والله الفرحة الكبرى قال رافع حبا وكرامه ثم انتخب مائة فارس وعزم على المسير
واتت البشاره الى خوله بمسير رافع ومائة فارس في طلب اخيها فتهللت فرحا واسرعت
في لبس سلاحها ولامتها وركبت واتت الى خالد وقد هم القوم بالمسير فقالت ايها الامير
سالتك بالطاهر المطهر محمد خير البشر الا سرحتني مع من سرحت فعسى ان اكون مشاهدة لهم
فقال خالد لرافع انت تعلم شجاعتها ولكن خذها معك قال رافع السمع والطاعه ثم
ارتحل رافع بمن معه وسارت تتبع اثار القوم ولا تختلط بهم وسار القوم بين الخبب
والتقريب الى ان قربوا من سلمية فنظر رافع وادي البيس لم يجد فيها اثر فقال لاصحابه ابشروا
فان القوم لم يصلوا بعد لكنهم في وادي الحيات فبينما هم مكمنون واذا بغبره قد لاحت لهم
فقال لاصحابه ايقظوا خواطركم فايقظ القوم هممهم وبقوا في انتظار العدو واذا بهم
قد انوا وهم يحدقون بضرار ابن الازور وضرار يقول
بعد الصلاة على محمد الرسول

الا مبلغا قومي وخولة انني ... اسير رهين موثق اليد بالقدى
حولي علوج الشام من كل كافر ... وما منهم الا محصن الجسم بالسردى
فيا قلب مت غما وحزنا وحسرة ... ويا دمع عيني جودي بفيض على خدي

قال فاجابته خوله من مكمنها لقد اجاب الله دعاك وتضرعك ونجواك ها انا اختك خوله

امه واخذنا صاحبهم وسوف نفتدي بهم من اسر من حريمنا ولابد لنا من دمشق في طلبهم
ثم امر خالد لابي عبيدة رضي الله عنه ان يسير مع الناس على مهل حتى ينظر ما يكون من امر
الحريم ثم سار في الفي فارس جريده وبعث العسكر كله مع ابي عبيدة مخافة ان يلحقهم وردان
بجيوشه فسار القوم وتوجه خالد بمن معه في طلب النساء سورات وقد قدم امامه رافع
ابن عميرة الطائي وميسره ابن مسروق العبسي وضرار ابن الازور وسار القوم وجد واني مسيرهم
وضرار يقول يارب فرج ما ترى من كربتي ولا تمتني عاجلا بحسرتي حتى ارى بناظري
احبتي ذاك مناي ثم ذاك بغيتي سيروا الى العدو يا صحبتي عسى انال بغيتي ومنيتي
انلم اقتل فاحلقوا لحيتي قال فضحك خالد من قوله وساروا خببا وتقريبا وجريا
الى ان قربوا من نهر استرباف وهي الكسورا وغبرة طالعة في خلالها البوارق والسيوف
تلمع فقال خالد هذا عجب فقال قيس ابن ميسره اظن انهم من بقي من رجاله بدمشق
قد جاء وقال خالد اطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة لننظر ما الخبر فقوموا الاسنة و
ساروا قال حدثني سعيد ابن عمرو قال اخبرني سنان ابن حازم اليربوعي قال سمعت
قال سمعت حبيب ابن مصعب يقول لما اقتطعت الروم ما ذكرنا من نساء العرب
سار بهم بطرس اخو بولص الى ان نزل بهم حيث ذكرنا وقال لهم بطرس انا لا نبرح من
هاهنا حتى نرى ما يكون من امر اخي ثم عرض امامه النساء ثم نظر الى النساء فلم يرى
في جملتهن احسن من خوله بنت الازور اخت ضرار فقال بطرس هذه لي ولها لا ابغا رضى فينا
معارض فقال اصحابه هي لك وانت لها قال الراوي واقتطع القوم الجوار كل يسبق الى
واحده فيقول هذه لي ثم ضموا الغنايم و وقفوا ينظرون ما يكون من امر بولص واصحابه
وكان في الحماير نساء من حمير من نسل العمالقة والتبابعه وكن قد تعودن ركوب
الخيل وخوضان الليل والهجوم على قبايل العرب قال فاجتمعن النسوه بعضهن
الى بعض وقالت لهن خوله بنت الازور يا بنات حمير وبقية تبع اترضون ان يطاكن
علوج الروم وتكن عبيد الاهل الشرك والكفر فاين شجاعتكن واين براعتكن
التي يتحدث بها عنكن في احيا العرب ومجالس الحضر وما اراكن الا بمعزله عن ذلك
واني ارى القتل اهون عليكن من هذا المصاب وما ينزل بكن من خدمة الروم فقالت
عفيره ابنت عفار الحميرية يا بنت الازور وايم الله اننا لكما ذكرت في الشجاعة والبراعة
وكما وصفت ولنا المشاهد العظام والمواقف الجسام وقد اعتدنا ركوب الخيل وهجوم
الليل غير ان القوس يحسن فعله بالرمي والرمح يحسن فعله بالطعن والسيف
يحسن فعله بالضرب ولولا هذه الادوات ما تحمل السلاح شيا فما حيلة من لا يملك سيفا
ولا رمحا وانما غافصنا العدو ونحن على غير اهبه وها نحن كالغنم او كالابل اذا شردت
فقالت خوله يا بنات التبابعة والعمالقة فاين انتم من اعمدة الخيام واوتاد الطنب ونحمل على
هولاء الاعلاج ولعل الله ان ينصرنا عليهم واما ان يقتلونا ونستريح ولا نعير نساء العرب

فقالت عفيره بنت عفار والله مادعوني الي شي احب الينا مما ذكرت قالت ثم تناولت
كل واحده عمود خيمه وصحن صيحة واحدة وبرزن الي الروم وخوله ابنت الازور
علي مقدمتهن وهي قد احتزمت والقت علي عاتقها عامود خيمة ومن وراها عفيره
بنت عفار وام ابان بنت عتبه وسلمي ابنت زارع ومثل هولاء ومزروعه ابنة عملوق
الحميره وابنة النعمان ابن المقرن ومثل هولاء فقالت لهن خوله لا ينفك بعضكن
من بعض وكن كالحلقة الدايره ولا تتفرقن فتهلكن ويقع بكم التشتت وحطمن
الرماح وكسرن السيوف واهلكن الجماجم قال وحملت خوله فاول ما ضربت رجلا
من القوم فرمت هامته بالعامود فانجدل صريعا فالتفتت الروم تنظر ما الخبر
فاذا النسوه قد اقبلن والعمد بايديهن فصاح بهن بطرس يا ويلكن ما هذا فقالت
عفيره بنت عفار الحميريه هذا انفه لانفسنا عن معيرة العرب لنا ولنضربنكم اليوم
بهذه الاعمده حتي نحتسف ادمغتكم ونصرم اعماركم قال فضحك بطرس من قولهن
ثم صاح بقومه يا ويلكم تفرقوا علي النسوان ولا تبذلوا فيهن السيف وخذوهن
اسري ومن وقع منكم بصاحبتي يعني خوله فلا ينالها بمكروه قال وافترق القوم
عليهم واحدقوا بهن من كل جانب وتراموا الوصول اليهن فلم يجدوا الي ذلك
من سبيل وجعلن النسوه لا يدنو احد من الروم اليهن الا ضربن قوايم فرسه
فيعطبوه واذا انتكس عن جواده بادروه بالاعمده فيقتلوه قال الواقدي
رحمه الله ولقد بلغني ان النسوه قتلن ثلاثين فارسا من الروم فلما نظر بطرس الي ذلك
غضب غضبا شديدا وترجل عن جواده وترجل اصحابه لترجله وزحفوا نحوهن
بالقنطاريات والسيوف والنسوه تحمي بعضهن بعضا ويقلن متن كراما ولا
تمتن لياما قال واظهر بطرس باسه وتلهفه ونظر الي خوله بنت الازور وهي
وهي تنعار كالاسد وهي تقول بعد الصلاة علي محمد الرسول
نحن بنات تبع وحمير وضربنا فيكم ليس ينكر لاننا في الحرب نار تسعر اليوم تلقون العذاب الاكبر
قال فلما سمع بطرس ذلك من قولها ونظر حسنها وجمالها واعتدال قامتها قرب منها
وصار بازايها وقال يا عربيه اقصري عن فعالك فانا مكرم لك ومضمر لك ما يسرك الا
ترضين ان اكون مولاك وانا الذي تعظمني النصرانيه كلها ولي ضياع ورساتيق
واموال وماشيه ولي المنزلة العظيمة من الملك هرقل وجميع ما انا فيه مردود اليك
فلا تقتلي نفسك بيدك فقالت يا ابن الكوافر واللئام والفواجر والله لين ظفرت
بك لاضربن مخك بهذا العامود والله ما ارضي ان ترعي لي الابل والاغنام فكيف ان
تكون لي كفوا قال فحرد وحرض اصحابه علي القتال وقال ما تريدون عارا اكثر من هذا
في جميع الشام وعند شعراء العرب ان النسوه غلبوكم فاتقوا غضب المسيح والملك هرقل
قال الواقدي رحمه الله فاهتزوا للقول وحملوا حملة عظيمة وصبروا لهم النسوه والهم

ثم كبرت وحملت وكبر رافع واصحابه وحملوا فالحمد لله ابن سالم وكنا اذا كبرنا نفصل
خيلنا الهاما من الله عز وجل وقصد كل فارس منا لفارس من الروم فما كان اكثر من
ساعه او اقل حتى قتل كل خصم منا خصمه وخلص الله ضرار ابن الازور واخذنا خيل القوم
وسلاحهم قال رافع بن قادم التنوخي ولقد كنا في قتال المائه وحوله قد خلصت اخاها
وسلمت عليه فرحت بها وركب جوادا وجده غايرا واحد فناه وجدها وهي مطروحه
وحمل وهو يقول بعد الصلاة على الرسول يا رب حمدا اذ اجبت دعوتي فرجت عني وازلت كربتي
اعطيتني لما مولفك منيتي جمعتني يا رب مع احبتي فاليوم اشفي من عدوي مهجتي
قال الواقدي رحمه الله فبينما هم يجمعون السلب ويقبضون الخيل والشهاري
واذا بالروم قد اقبلت منهزمه واولهم لا يلتفت على اخرهم فعلم رافع ان الروم قد
انهزموا فاقبل يلتقطهم بمن معه قال وكان خالد لما بعث رافع في طلب ضرار ليخلصه
مع المائة فارس صدم وردان صدمة من يطلب الشهادة ويبتغي السعادة وصدم المسلمون
الروم فما لبثوا ان ولوا الادبار وكان اولهم وردان واتبعهم المسلمون واخذوا اسلابهم
واموالهم ولم يزالوا في طلب الروم الى وادي الحيات واجتمع المسلمون برافع ابن عميره
الطائي وضرار وسلم عليهم وهنوهم بالسلامة واثنى خالد على رافع خيرا ثم عادوا الى
دمشق وفرح المسلمون بالنصر وبشروا ابا عبيدة بالفتح وايقن اهل دمشق بالقصر والقلبه
قال واتصل الخبر بالملك هرقل ان وردان قد انهزم وقتل ولده فايقن بزوال ملكه فكتب
الى وردان اما بعد فانه بلغني ان العرب الجياع الاكباد والعراة الاجساد قد هزموك
وقتلوا ولدك فلا رحمه المسيح ولا يرحمك ولولا اعلم انك فارس الحرب وتجيد الضرب
وان النصر ليس اليك لحل عليك فتخطى والان قد مضى ما مضى وقد بعثت الى اجنادين
تسعين الفا وقد امرتك عليهم فسر نحوهم وانجد اهل دمشق وفقد بعض اصحابك
ليشغلوا من في فلسطين من العرب وليحل بينهم وبين اصحابهم وانصر دينك و
صاحبك والسلام ونفذ الكتاب مع خيل البريد قال فلما ورد عليه وقرا الكتاب تسلى
عنه بعض ما كان يجده واخذ في اهبة المسير الى اجنادين فلما كان بعد ثلاث من ورود
كتاب الملك على وردان ارتحل وردان بمن معه الى اجنادين فوجد من هناك من الروم
قد اظهروا العدد والزينه والقنطاريات والبيارق وخرجوا الى لقائه وسلموا
عليه وخدموا بين يديه وعزوه في ولده فلما استقر قراره في سرادقه قرا عليهم
كتاب الملك فاجابوه بالسمع والطاعة واخذوا على انفسهم قال حدثني رفاعه ابن
قيس قال اخبرني نزبا دابن عبد الله الثقفي حدثني ابو زيد ابن ورقا ابن عامر الزبيدي
عن ابيه زوج بني طريف قال كنت مع خالد ابن الوليد على باب الشرقي حين رجعنا من
منهزمة وردان واذا قد ورد علينا عباد ابن سعيد الحضرمي وكان قد بعثه شرحبيل
ابن حسنه كاتب رسول الله صلى الله عليه من بصرى يعلم خالد بمسير الروم اليه من اجنادين

في تسعين الفا فخذ اهبتك للقايهم فلما سمع خالد ذلك ركب الي ابي عبيدة وقال يا امين
الامة هذا عباد ابن سعيد الحضرمي قد بعث به شرحبيل ابن حسنه يخبرني ان طاغية
قد ولا وردان علي من تجمع باجنادين من الروم وهم تسعون الفا فما الذي ترا من
الراي يا صاحب رسول الله قال ابو عبيدة لعلم يا ابا سليمان ان كان اصحاب رسول الله صلي
الله عليه وسلم نازلون عنا مثل شرحبيل ابن حسنه بارض بصري ومعاذ ابن جبل بحوران ويزيد
ابن ابي سفيان بارض البلقا والنعمان ابن المغيره بارض تدمر واركه وعمرو ابن العاص
بارض فلسطين والصواب ان نكتب اليهم يسيرون الينا ثم نقصد القوم ومن الله
نطلب النصر فكتب خالد الي عمرو ابن العاص رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان
اخوانك المسلمين قد عولوا بالمسير الي اجنادين فان هنالك من الروم تسعين الفا يريدون
ان يطفوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون واذا وصل اليك
كتابي هذا فاقدم الينا بمن معك من المسلمين الي اجنادين فانك تجدنا هنالك ان شاء
الله تعالي والسلام عليك وعلي من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وكتب نسخة الكتاب
الي جميع الامرا الذي ذكرناهم ثم نفذهم اليهم وامر الناس بالرحيل فعقدت القباب علي
ظهور الجمال وساقوا الاموال فقال خالد لابي عبيده رضي الله عنه قد رايت رايا ان اكون
علي الساقه مع الغنايم والنسوان والولدان وكن انت علي المقدمه في خاصة اصحاب
رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال ابو عبيدة بل اكون انا علي الساقه وكن انت في المقدمه
مع الجيش فان وصل اليك جيش الروم مع وردان يجدوك علي اهبة فتمنعهم من الوصول
الي الحرم والاولاد والغنايم فلا يصلون الينا الا وانا قد دورت جيده وجعلت من
دونها الجمال والرجال والا كنت انا ومن معي غنيمة لهم اذا كنت في المقدمة فقال
خالد لست اخالفك فيما ذكرت ثم قال خالد ايها الناس انكم سايرون الي عسكر كبير
وجمع غفير فايقضوا هممكم واتسوا اجالكم واعملوا لما لعد الله لكم فان الله قد
وعدكم النصر ثم قرا كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
ثم اخذ خالد الجيش وسار في المقدمة وبقي مع ابو عبيده الف رجل من المسلمين قال
ونظر الي ذلك اهل دمشق فطمعوا عليهم وصاحوا واقبلوا يسبوهم يظنون انهم
يتبعون العرب وانهم هاربون من بلادهم لاجل ما بلغهم من جيوشهم انهم باجنادين
وقال عقلاهم ان كانوا في جادة بعلبك فانهم يريدون فتحها وفتح حمص وان كانوا
علي جادة مرج راهط وتخوم فالقوم لا شك هاربين الي الحجاز ويتركون ما اخذوا من
البلاد قال الواقدي رحمه الله وكان بدمشق يومئذ بطريق يقال له بولص وكان
مداني وكان عظيما عند النصرانيه وكان اذا اقدم علي الملك هرقل رسل وعجز عن جوابهم يرسل
الي بولص هذا فياتي اليه فيفرجها عنه وكان ارمي الخلق بالسهام وذلك انه كان بدارنا
شجره عظيمه وانه رماها بسهمه وغاص السهم في الشجرة من قوة ساعده فكتب عليها

بطرمدته من كان يدعي الشجاعة فيلزم سهمه الي هذا السهم وكان شاع ذكره بذلك ولم
يكن قاتل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ دخلوا الشام وان اهل دمشق لما
راوو رحيل المسلمين اجتمعوا اليه فقال ما الذي جا بكم فاعلموه برحيل القوم
ثم قالوا له فان كنت تريد فخر الابد والجاه الكبير عند الملك وعند كل من بالشام فدونك
فاخرج بنا نختطف من تخلف منهم ان رايت لنا طمعا فيهم قاتلناهم فقال بولص انما كان
سبب تخلفي عن نصرة دينكم لانكم قليلون الهمه في قتال العدو وكم قد تخلفت بنفسي
عنكم والان فلا حاجة لي في قتال العرب فقالوا وحق الانجيل لان سرت معنا ما لنا
لنشته معك وما منا من ينهزم وقد حكمناك فيمن ينهزم ان تضرب عنقه ولا تناقشه
في ذلك فلما استوثق منهم دخل الي منزله ولبس لامته فقالت له زوجته الي اين يك قال
اخرج الي لقاء العرب فقد ولوني اهل دمشق عليهم فقال لا تفعل والزم قصرك ولا تطلب
ما ليس لك به حاجة فاني رايتني في النوم كانك قابض قوسك ترمي طيورا وقد سقط منها
الي الارض ثم عادت صاعده بعد سقوطها فاني كذلك متعجب مما رايت واذا قبلت نحوكم
سحابه من الجوارح وانقضت من الهوي عليك وعلي من معك فجعلت تضرب ها منكم
ووجوهكم ثم ولتم منها هاربين ورايتها لا تضرب احد الا صرعته ثم انتبهت فارغه
مرعوبه باكيه عليك فقال لها رايتني ممن صرع قالت بلا وقد نقرك جارح عظيم
فصرعك قال فلطم وجهها وقال لا بشرت بخير لقد دخل رعب العرب في قلبك حتى
صرت تحلمين بهم في نومك لا خوف عليكي ساجعل امير العرب لك خادما واصحابه
رعاة الغنم والخنازير فقالت زوجته افعل ما شيت فقد نصحتك فلم يصغ
الي كلامها وخرج من منزله متاهبا وركب من كان معه بدمشق من الروم وركب معه اخوه
بطرس وعرضتم واذا هم ستة الف فارس وعشرة الف راجل من اهل النجده وسار القوم
وكان خالد قد ابعد في المقدمه عن السواد والعيال وان ابا عبيدة سابر على مشي الاغنام
والاباعر اذ نظر رجل من اصحابه بالغبرة فاعلم ابا عبيدة فقال اظنها غبره لاعدائنا
فقال ابو عبيده ان هم الا اهل دمشق قد طمعوا فينا ثم وقف حتى تلاحق الظعن
والاغنام هذا والغبرة تنموا والاصوات تعلوا فقال معاشر المسلمين خذوا على انفسكم
فان العدو واصل اليكم فما استتم كلامه حتى بدرت الخيل كانها قطع الليل وبولص
على المقدمه فلما نظر الي ابي عبيدة قصده ومعه الستة الف فارس وقصد اخوه بطرس
والعشرة الف راجل الي الحرم فا قطعوا منها قطعه فلما احتوي عليها فرجع بها بطرس
نحو دمشق فلما وصل الي نهر استريا وهي الكسوه جلس بطرس هناك ينظر ما يكون
من امر اخيه واما ابو عبيده رضي الله عنه لما نظر الي من دهمه من الروم قال والله لقد كان
الروم الراي مع خالد اذ قال دعني في الساقه فلم ادعه واذا قد اشرف عليه بولص وقصده
والاعلام والصلبان على راسه والنسا يولولون والصبيان يزعقون والف من المسلمين

قد استقبلوهم بالقتال الشديد وقصد عدو الله بولص الي ابي عبيدة واشتبك بينهما
الحرب ووقع القتال بين الصحابة وبين الروم وارتفعت الغبرة عليهم واقبلوا في الكر
والفر علي ارض شحورا قال وبلي ابو عبيدة بقتال بولص وصبر له صبرا كريما قال
سهيل ابن صباح وكان تحتي جواد اغر محجل من خيل اليمن من نسل الوجيه ولاحق
فاطلقت له العنان فخرج من تحتي كالبرق فما كان غير بعيد حتي لحقت بخالد رضي
الله عنه والمسلمين فاقلت صارخا بهم فعطف الي خالد وقال ما وراك يا ابن الصباح
فقلت ايها الامير الحق ابا عبيدة والحريم فان بطريق دمشق لحق بهم وقد اقتطعوا
قطعة من النسوان والولدان وقد بلي ابو عبيدة بما لا طاقة له به فلما سمع ذلك
خالد من كلام سهيل ابن صباح قال انا لله وانا اليه راجعون لقد قلت لابي عبيدة دعني
اكون علي ساقة فما تركني ليقضي الله امرا كان مفعولا ثم امر رافع ابن عميرة الطاي
علي الف من الخيل وقال له الحق الضعن فلما بعد امر عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق
رضي الله عنهما علي الفين وقال ادرك العدو ثم اردفه بضرار ابن الازور في الف واتبعه
واتبعه قيس ابن هبيرة في الف واتبعهم خالد في بقية الجيش فبينما ابو عبيدة في القتال
مع بولص اذ تلاحقت به جيوش المسلمين وحملوا علي اعداء الله الكافرين وداروا بهم
من كل مكان ونكست الصلبان وانقلبت الروم بالبوار واقبل ضرار ابن الازور كانه
شعلة نار وقصد بولص فلما راه عدو الله تبلد خاطره ووقعت الرعدة عليه
وقال لابي عبيدة يا عربي بحق دينك الا قلت لهذا الشيطان ان يبعد عني وكان عدو
الله بولص قد راي ضرار من سور دمشق وما صنع في عسكر كلوص وعزرايل وما سمع ايضا
من فعاله في بيت لهيا فلما راه مقبلا عرفه فقال لابي عبيدة بحق دينك مر هذا الشيطان
لا يقربني فقال ضرار وقد سمعه انا الشيطان ان قصرت عن طلبك ثم فاجاه بطعنه
فلما راي بولص ان طعنته واصله رمي بنفسه الي الارض من جواده وطلب الهروب
نحو اصحابه فتبعه ضرار في طلبه وقال اين تهرب والشيطان في طلبك ثم لحقه وهم
ان يعلوه بسيفه فقال بولص يا بدوي ابق علي ففي بقائي بقا نسوانكم فلما سمع ضرار
قوله امسك عنه واخذه اسيرا هذا والمسلمون قد حملوا علي اعداء الله وقتلوهم
قتلا ذريعا قال الواقدي رحمه الله حدثني اسلم ابن مالك اليربوعي قال حدثني
مروان ابن قبيصة العامري قال اخبرني ماجد العبسي قال حدثني ابي رفاعة
ابن قيس قال كنت يوم وقعت شحورا مع المسلمين وكنت في خيل عبد الرحمن ابن ابي بكر
الصديق رضي الله عنهما وقد درنا بالروم من كل مكان وبذلنا السيف في القوم وكانوا ستة
الاف في كل مقنب الف فارس قال رفاعة ابن قيس فوالله لقد اعلمنا يوم فتوح دمشق
انه ما رجع من القوم فوق المايه فارس احد قال ولما علم ضرار ان اخته مع النسا الماسورات
فعظم الامر عليه فاقبل الي خالد واعلمه بذلك فقال له خالد لا تجزع فانا قد اسرنا من القوم

ام

لعلي مثل ذلك اذ اشرف عليهم خالد ونظر الى الغبار وبريق السيوف فقال لاصحابه ايكم ياتينا
بخبر هولاء فقال رافع ابن عميرة الطائي انا لها ايها الامير ثم اطلق لجواده العنان حتى
اشرف على النسوه وهن يقاتلن فالوى راجعا واخبره بما راى فقال خالد ما العجب من ذلك
انهن من التبابعه ومنهم تبع الامير وتبع ابن ابي كرب وذي رعين وذو الكلال المعظم وربيع
ابن حسان ابن تبع الذي ذكر في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر قبل ظهوره وخروجه
وشهد له بالنبوه قبل اوانه وهو الذي قال شهدت على احمد انه رسول من الله بارى النسم
له امة سميت في الزبور بامة احمد خير الامم فلو مد عمري الى عصره لكنت وزيرا له وابن
عم واعلم يا رافع ان هذه النسوه فلهن الحروب والمواقف المشهوره ولئن كن فعلن
ما ذكرت فلتفخرن على ساير العرب الى سالف الابد ولن يزول عنهن العار قال
فتهللت وجوه الناس فرحا ووثب ضرار ورمى اطماره واقلع رمحه من مركزه واطلق
عنانه يريد المبادره الى نصرة النسوة عند ما سمع كلام رافع ابن عميره فقال خالد
مهلا يا ضرار لا تعجل فانه من تانى في امره بلغ ما يطلبه من سروره وما سد عجول
ولا افلح مطول فقال له ضرار ايها الامير لا صبر لي عن نصرة بنت ابي وامي قال خالد ما
كنت اقرب الى الفرج من وقتك هذا ان شاء الله تعالى ثم ان خالد ارتب اصحابه واقوم روس
الخيل ونشر الاعلام وتقدم الى القلب وقال معاشر الناس اذا وصلتم الى القوم تتفرقوا
عليهم ثم احدقوا بهم فعسى الله يخلص حريمنا ويرحم صبياننا فقالوا واجبا وكرامه
ثم تقدم خالد فبينما الروم في القتال مع النسوة اذا اشرفت عليهم الكتايب والمواكب
والاعلام والرايات فصاحت خوله يا بنات التبابعه فرجا كم الفرج فقرب العلي
قد سر منكم المهج قال ونظر بطرس الى الكتايب للموحدين قد اشرفت عليهم والرماح مشتبكه
كاجام القصب والسيوف تلمع كانها البرق فخفق فواده وارتعدت فرايصه واقبل
القوم ينظر بعضهم بعضا فصاح بطرس يا معاشر النسوه انه قد دخل لكم في قلبي
رحمه واشفاق لان لنا اخوات وبنات وامهات وقد وهبتكن للصليب واذا قدم
رجالكم فاخبروهم بذلك ثم عطف يريد الهرب اذ نظر الى فارسين قد خرجا من قلب
العسكر احدهما متكفن في لامته والاخر عاري الجسد من الاطهار سحب اللون
كانه السن البالي وهو على فرس له عاري بغير سرج وبيده رمح وقد اطلقا عنا
نيهما كانهما اسدان وكانا خالدا وضرارا فلما رات خوله لاخيها ضرار قالت الى اين
يا ابن امي الي فاقبل وان كان في اسغنا وكفاية عن نصرتك ومعونتك فصاح بها البطريق
انطلقي الى اخيك فقد وهبتك له وان كنت لا احب فراقك وولى يطلب الهرب فقالت
له خوله وهي تهزا به ليس هذا من شيم العرب تظهر لها التقرب والحيا وتظهر لك التباعد
والجفا ثم حطت اليه فقال لها ويحك غيبي حتى رويتك فقد زال عني ما كنت اجد من حنينك
فقالت له خوله لا بد لي منك على كل حال ثم اسرعت اليه وقد قصده ايضا ضرار وخالد ولكنا..

فصاح بطرس حين نظر الي ضرار وقد قصده يا عربي خذ اختك مباركة لك وهي هدية مني اليك فقال
له ضرار قد قبلت هديتك وشكرتها واني لاجزلك مكافاتها علي ذلك الاحسان بحمل هذه هدية
مني اليك ثم حمل ضرار وهو يقرا واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ثم
همّ بالطعنة اليه فوصلت اليه جولة فضربت قوايم جواده فكبا به الجواد وهمّ عدو الله
ليسقط الي الارض فادركه ضرار قبل سقوطه الي الارض فطعنه في خاصرته اطلع السنان من
الجانب الاخر وانتكس صريعا فصاح به خالد لله انت هذه طعنة لا يخيب طاعنها ثم حمل
في اعراض القوم وحمل خالد والفي فارس فما كانت الا جولة الجايل حتي قتل من القوم ثلاثة
الف راجل قال حامد ابن عون الربعي ولقد عددت لضرار ابن الازور انه قتل من القوم
ثلاثين رجلا وقتلت اخته رجالا بعمودها وراينا عفيرة ابنة عفار الحميرية وقد
قاتلت قتالا عظيما لم ارى مثلها من امراة وانهزم بقية الروم ولم يزل المسلمون في اثارهم
الي ان وصلوا دمشق فلم يخرج اليهم من اهلها احد بل زاد فزعهم واشتد هلعهم ورجع
المسلمين فجمعوا الغنايم والخيل والسلاح والاموال قال خالد ايها الناس اطلبوا نحو
ابي عبيدة لئلا يكون وردان وجيوشه قد لحق به فسار القوم وقد حمل ضرار راس
بطرس علي سنان رمحه ولم يزل القوم حتي لحقوا ابا عبيدة في مرج الصفر وقد تخلف
عن المسير حتي راوا المسلمون فكبروا باجمعهم واجابهم خالد ومن معه ولما اجتمع
الناس سلم بعضهم علي بعض وراوا الماسورات ففرحوا واخبرهم من حضر الوقعة ما
فعل النسوة فاستبشروا بنصر الله وعلموا ان الشام لهم ثم دعا خالد بولص وقال يا ويلك
اسلم والا فعلت بك ما فعلت باخيك قال وما صنعت باخي قال قتلته وهذا راسه
عندنا فجا به ضرار وطرحه بين يديه فلما راي بولص راس اخيه بكا وقال لا بقا لي
بعده فالحقوني به فقام اليه المسيب بن نجبة الفزاري فامره خالد فضرب عنقه
ثم رحل القوم قال حدثني سعيد ابن ملك الحضرمي قال اخبرني قال اخبرني سنان
ابن مرة المازني قال حدثني يونس ابن عبد الاعلي قال لما بعث خالد الكتب الي شرحبيل
ابن حسنة والي معاذ ابن جبل والي يزيد ابن ابي سفيان والي عمرو ابن العاص وقرا كل واحد
منهم كتابه سارعوا باجمعهم الي اجنادين لمعونة اخوانهم وجاءوا ايعدهم وعديدهم
قال سفينة مولي رسول الله صلي الله عليه وسلم كنت في خيل معاذ ابن جبل واشرفنا باجمعنا
علي اجنادين وكاننا كنا علي ميعاد وذلك في مستهل جمادي الاول سنة اثني عشر من
الهجرة وتبادر المسلمون يسلم بعضهم علي بعض قال وراينا جيوش الروم في عدد الحصا
فلما اشرفنا عليهم اظهروا لنا زينتهم وعددهم وتصففوا وكانت الصفوف تسعين
صف في كل صف الف قال الضحاك ابن عروة والله لقد دخلت العراق ورايت جنود كسري
وجنود الجرامقة فما رايت اعظم من جنود الروم ولا اكثر من عددهم وسلاحهم قال
فنزلوا بازائنا فلما كان من الغد بادرت القوم نحونا قال الضحاك ابن عروة فلما

ربناهم قد ركبوا اخذنا على انفسنا وناهبنا وان خالدا ركب وجعل يتخلل صفوفنا ويقول
اعلموا انكم لستم ترون جيشا للروم مثل هذا فان هزمهم الله على ايديكم فما تقوم
قايمة بعدها ابدا فصدقوا في الجهاد وعليكم بنصرة دينكم واياكم تولون الادبار فيعقبكم
ذلك دخول النار واقرقوا المناكب وهزوا القواضب ولا تحملوا حتى امركم بالحملة
وايقظوا هممكم قال الواقدي رحمه الله ولقد بلغني ممن اثق به ان وردان لما
راى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اجتمعوا وعولوا على حربه جمع البطارقة
والملوك اليه وقال يا بني الاصفر ان الملك هرقل معوله عليكم فان انكسرتم فانه
لا يقوم لكم بعدها قايمة ابدا ويملكوا بلادكم وتقتل رجالكم وتسبى حريمكم
فعليكم بالصبر ولتكن حملتكم واحدة ولا تفرقوا واعلموا ان ثلاثة منكم لرجل
منهم فاستعينوا بالصليب فهو ينصركم قال الواقدي وان خالد
التفت الى المسلمين وقال ايها الناس ايكم من يخرج لنا القوم ويبرز لهم قال ضرار
ابن الازور انا ايها الامير فقال خالد انت لها والله ولكن يا ضرار اذا اشرفت على
القوم اياك ان تغرر بنفسك فتحمل على القوم فما امرك الله بذلك وقد قال
عز من قايل ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال فاطلق ضرار عنانه الى ان اشرف على
جيش الروم فراى زينتهم واهبتهم وخيامهم وشعاع البيض والطوارق والرايات
كاجنحة الطيور قال وكان وردان يجد في نحو جيش المسلمين وبطارقته اذ نظر
الى ضرار فقال لبطارقته ارى فارسا قد اقبل ولا شك الا انه طليعة القوم
ايكم ياتيني به فابتدر من القوم ثلاثين فارسا وطلبوا ضرار فلما نظر اليهم
ضرار ولى بين يدي القوم حتى يتبعوه وظنوا انه قد انهزم وانما اراد بذلك
ان يبعدهم عن اصحابهم فلما ابعدوا انحرف راس الجواد اليهم وصوب السنان
نحوهم فاول من طعن فارسا من القوم فارداه وانثنى باخر وصال فيهم صولة
صولة الاسد وصرخ فيهم ودخل رعبه في قلوبهم فانهزموا واتبعهم وهو يصرع
فارسا في اثر فارس الى ان صرع من القوم تسعة عشر رجلا فلما قرب من جيش الروم ولى
راجعا الى خالد واعلمه بما كان فقال الم اقل لك لا تغرر بنفسك ولا تحمل عليهم فقال
ان القوم يطلبوني فخفت ان الله يراني منهزما فجاهدت بالاخلاص لا جرم ان الله
نصرني عليهم ووالله لولا خفت من لا يمتثل لما رجعت الا بحملتي على الجمع واعلم ايها
الامير ان القوم غنيمة لنا قال فرتب خالد عسكره ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين
جعل في الميمنة معاذ ابن جبل وفي الميسرة سعيد ابن عامر ابن خثيم وفي الجناح الايمن
النعمان ابن المقرن وفي الجناح الايسر شرحبيل ابن حسنة وفي الساقة يزيد ابن ابي سفيان
في اربعة الف فارس حول الحريم والبنات والاولاد ثم التفت الى النسا وهن عفيرة
بنت عفار الحميرية وام ابان ابنة عتبة ابن ربيعة وكانت عروسا قد تزوج بها في ذلك اليوم

ابان ابن سعيد ابن العاص والخضاب في يدها والعطر في راسها وخولة ابنة الازور اخت
ضرار ومزوعة ابنة عملوق وسلمي ابنة زارع ابن عروبه ولبنى ابنه سولد وسلمي ابنة النعمان
ونظايرهن من النسوان ممن عرفن بالشجاعة والاقدام فقال لهن خالد يا بنات العمالقة
من بقية التبابعة وسادات الاكاسرة قد فعلتن فعلا ارضيتن الله والمسلمين وقد
بقي لكن بذلك الذكر الجميل وهذه ابواب الجنة قد فتحت لكم والنار قد فتحت لعدو
ونعلمن اني واثق بكن فان حملت طايفة من الروم عليكن فقاتلن عن انفسكن
وان رايتن احدا من المسلمين قد ولى هاربا فدونكم واياه بالعمد واثرن اليه
بولده وقلن له الي اين تولي عن اهلك وولدك وحريمك فانكن تحرضن بذلك
المسلمين فقالت عفيرة ابنة عفار رحمة الله عليها ايها الامير وايم والله ما يفرحنا
الا ان قدمتنا امامك لنضرب وجوه الروم ولنقاتلن الي ان يبقى لنا عين وقالت
خوله ايها الامير والله ما نبالي من دهمنا كاين من كان قال فجزاهن خيرا ثم عاد
خالد الي الصفوف فجعل يدور بينهم بفرسه ويحرض الناس علي القتال وهو ينادي
برفيع صوته معاشر الناس انصروا الله ينصركم وقاتلوا في الله من كفر واحتسبوا
انفسكم في سبيل الله واصبروا علي قتال اعداء الله وقاتلوا عن حريمكم واولادكم
ودينكم فليس لكم ملجا تلجون اليه ولا مكمن تكمنون فيه فاقرنوا المناكب وقدموا
المضارب ولا تحملوا حتى امركم بالحملة ولتكن السهام اذا اخرجت من اكباد القسي
كانها تخرج من كبد قوس واحد فانه اذا تلاحقت السهام رشقا كالجراد لا يخل ان يكون
فيها سهم صايب واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون واعلموا
انكم لم تلقوا عدوا امثال هذه الفئة حماتهم وابطالهم وملوكهم قال فهش المسلمون
واوتروا القسي وقوموا السهام فاقبل خالد فوقف في القلب مع عمرو ابن العاص وعبد
الرحمن ابن ابي بكر وقيس ابن هبيرة ورافع ابن عميرة والمسيب ابن نجبه الفزاري وذو الكلاع
الحميري وربيعة ابن عامر ونظرايهم ثم رجعوا بسكينة ووقار فلما نظر وردان
الي جيش المسلمين قد زحف زحف ايضا بعسكره وكانوا ملء الارض في الطول والعرض
لكثرتهم فتلاقت الفئتان وتراجع الجمعان وقد اظهر اعداء الله في عسكرهم الصلبان
والاعلام ورفعوا اصواتهم بالهمير والكفر فلما تقارب القوم بعضهم من بعض خرج
من صفوف الروم شيخ كبير متشح بلامة سودا وعلوج امامه فلما قرب من المسلمين
نادي بلسان عربي ايكم المقدم فليخاطبني ويخرج الي قال فخرج اليه خالد فقال له
الشيخ انت امير القوم قال خالد كذا يزعمون ما دمت علي طاعة الله وسنة نبيه فان
انا غيرت او بدلت فلا طاعة لي عليهم ولا امره فقال الشيخ بهذا نصرتم علينا قال
اعلم انك توسطت بلادا ما حضر ملك من الملوك يتعرض لها ولا يدخلها وان الفرس
دخلوها فرجعوا خايبين وان الجراجمة اتونا ورموا انفسهم علينا وما بلغوا ما ارادوا

والآن

والان نصرتم علينا ولبس النصره تدوم وصاحبي ورد ان قد اشفق عليكم
وقد بعثني اليكم وقال يعطي لكل واحد منكم ثوبا وعمامه ودينار ولك انت مائة
دينار وعشرة اثواب وصاحبكم يعني ابي بكر الف دينار ومائة ثوب وارجعوا عنا
فانا على عدد الذر ولا تظن ان هذا لاي مثل ما لاقيت من جموعنا فان الملك ما
نفذ في هذا الجيش الا عظماء البطارقه والاسافقه فقال خالد اما والله ما نرجع عنكم
الا باحدي ثلاث اما ان تدخلوا في ديننا او تودوا الجزية او القتال واما ما ذكرت
انكم في عدد الذر فان الله قد وعدنا النصر على لسان نبينا وانزله في كتابنا واما ما
ذكرت ان صاحبكم يعطي لكل رجل منا ثوبا وعمامة ودينارا ففي قليل نري ثيابكم علينا
ونعمكم عندنا وبلادكم ملكناها فقال له الراهب فاني راجع الى صاحبي اردله الخبر
بجوابك ثم الوى راجعا واخبر وردان بما كان من جواب خالد فقال وردان ايظن
انا من لقيته بالاجنادين ولا قد لحقهم الطمع اذا تقاصرنا عن قتالهم وتلك
الاراجيه والاذربيجانيه والهرقليه وكبار البطارقه وما بيننا وبينهم الا جولة الجايل
وقد تركناهم صرعي ثم رايت اصحابه وزحف وقد قدم امامه الرجاله صف امام الخيل
وبايديهم القسي والمزاريق فصاح معاذ ابن جبل معاشر الناس ان الجنة قد زخرفت
والنار قد اغلقت والملائكة قد اشرفت والحور قد تزينت وابشروا بالحياة السرمديه
ثم قرا ان الله اشتري من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله
الايه بارك الله فيكم للحمله فقال خالد مهلا يا معاذ حتى اوصي الناس ثم رتب
صفوفهم وقال الزموا المناكب واعلموا ان هولاء اضعافكم وطاردوهم
الى اوقات العصر فانها كانت ساعة يرزق نبيكم النصر على اعدائه واياكم تولون
الادبار فان الله يراكم ازحفوا على بركة الله قال فلما تقارب الجمعان رمت الارمن
نشابها رمية واحدة فقتلوا رجالا وجرحوا اناسا وخالد قد منع الناس من الحمله
فقال ضرار ابن الازور ما لنا والوقوف والله قد تجلا والله ما يظن اعداء الله
الا اننا قد فشلنا وجزعنا فامرنا بالحمله او يبرز منا بطلا حتى يبارز
ويطاول الى وقت الحمله فتحمل بحملتك قال فانت لها يا ضرار فقال والله
ما شي اشهي الى قلبي من ذلك فخرج ضرار ابن الازور وقد تدرع بدرع كان
لبطريق اخي بولص والقى الزرد على وجهه فركب جواده وعليه يومئذ خفاف
من جلود الفيله وكان ذلك الخفاف ايضا لبطريق من البطارقه كان ضرار
قد اخفى نفسه عن الروم بلباسه ثم اطلق عنانه وحمل في صفوف الروم
فرشقوه بالسهام ورموه بالحجاره فلم يصل اليه منهم اذي وهو يخترق صفوفهم
ويجندل ابطالهم فما كان الا جوله الا قتل عشرين فارسا وراجلا قال حسان
ابن عوف التجيبي وكنت ممن يعد قتلا ضرار فكلما وقع فارسا او راجلا احسبه

فكان جملة من قتل في حملته ثلاثين رجلا قال عمرو ابن سالم هكذا احدث نوفل ابن
زياد عن رفاعة ابن اسلم عن جده طريف ابن طارق اليربوعي قال فاقبلت الفرسان
تتحايد عن قتاله مما ظهر لهم منه ثم رمي بالبيضة عن راسه والزرد عن وجهه
وقال يا بني الاصفر انا ضرار ابن الازور صاحبكم بالامس وغريمكم اليوم انا قاتل
حمران ابن وردان انا البلاء المسلط علي من يشرك بالرحمن انا مفتشكم في كل مكان
فلما سمعت الروم كلامه وعرفوه تقهقروا الي ورايهم قال فطمع فيهم وحمل
في اثرهم فعند ذلك انطبقت عليه الاراجيه والهرقليه والمدبحه فتقهقر
الي ورائه فقال وردان من هذا البدوي فقالوا ايها الملك هذا الذي يظهر
مرة عاري الجسد وبلا درع ومرة بالنبل فلما سمع وردان بذكر ضرار ابن الازور
تنفس الصعدا فقال والله هذا قاتل ولدي ومقلل عددي ولقد اشتهيت من
ياخذ ثاري منه وله مني ما يريد فبدر اليه بطريق من الاراجيه قال الراوي اظنه
صاحب طبريه قال هلال ابن مره وكنت في الميسره وكان عن يساري روماس صاحب
بصري رحمه الله فسمعته يقول هذا مقطع الارحام بيدر ما اسمه فقال ايها الصاحب
انا اخذ بثارك منه ثم اطلق عنانه وحمل علي ضرار فما جال اكثر من ثلاث جولات
حتي طعنه ضرار طعنه صادقه خرق بها درع اللعين فاجدله صريعا فقال وردان
نعم ما اتاني به لو رايت ذلك عيانا ما صدقت بصري كيف تطبق الانس قتال الجن
وما ارى لهذا الذميم غيري ثم ترجل عن شهريه ولبس لامته والقي الدرع علي
بدنه وكان من اللؤلؤ وزرق علي راسه التاج يطلب بذلك الرهبه علي ضرار
ثم ركب جوادا من نسل خيل العرب وهم ان يخرج فتقدم اليه بطريق من البطارقه
اسمه اصطفان وهو صاحب عمان فباس ركاب وردان وقال له ايها الصاحب
ان انا اخذ بثارك من هذا الذميم وقتلته او اسرته اتزوجني بابنتك فقال له
وردان هي لك وبين يديك وانا اشهد علي من حضر من ملوك الشام بذلك قال
فلما سمع بذلك اصطفان خرج مصمما كانه شعلة نار وحمل علي ضرار وقال
دونك يا ويلك قد جاءك ما لا قدرة لك به وبدعا فه فلم يدر ضرار ما يقول
بلسان رومي غير انه اخذ حذره منه وحمل عليه وقد اخرج اصطفان صليبا
من الذهب وجعله في عنقه في سلسلة من الفضة وجعل يقبله فعلم ضرار
انه يستنصر عليه بصليبه فقال ضرار ان كنت تستعين علي بصليبك فانا
استعين عليك بالقريب المجيب الذي هو ممن دعاه قريب ثم حمل عليه وادربا
كلاهما ابواب الحرب حتى ضج الناس من قتالهما فصاح خالد يا ابن الازور ما هذا
التبلد والتغافل والجبنة قد فتحت لك والنار قد اضرمت لعدوك اياك والفشل
فانك بعين الرب عز وجل قال فا يقظ ضرار خاطره وانتفض في سرجه وحمل علي خصمه

قال

قال ونصايحة الروم بصاحبها تشجعه وكلاهما في الحرب عظيم حتى حميت الشمس
وجللهما العرق وتعب الجوادان فاشار البطريق الى ضرار ان ننزل حتى نتقاتل رجاله
فهم ضرار ان ينزل شفقة منه على جواده واذا بصفوف الروم قد خرج منها فارس
يقود جنيبا وكان غلام البطريق فلما نظر اليه ضرار صاح بالجواد وسمعه الناس يقول
تجلد معي ساعة والا شكوتك عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمحم جواده وشمر
انجحه جريه واستقبل ضرار غلام البطريق فطعنه فقتله ثم اخذ الجنيب وركبه واطلق
جواده فلحق بجيش المسلمين ثم عاد ضرار نحو البطريق فلما راه قد قتل غلامه
وركب جنيبه ايقن عدو الله بالهلاك وعلم انه ان [illegible] قتله لا محاله وان وقف
اهلكه فلما نظر ضرار الى عدو الله وتبلده فكانه علم ما عنده فاجمع على الحملة عليه
وانه لفي ذلك اذ نظر الى كردوس قد خرج من عسكر الروم وذلك ان وردان لما نظر
الى صاحبه وقد اشرف على الموت علم انه ان لم يدركه هلك فقال للقوم يا قوم
ان هذا الشيطان قد اكل من كبدي قطعة وان لم اقتله اليوم قتلت نفسي ولا بد لي
من الخروج اليه ودع الملك يعيرونني بخروجي الى هذا الضعيف قال فما زالت به البطارقة
والقياصرة والهرقلية حتى حلف لهم بالصليب لا بد لي من الخروج اليه فخرج في عشرة
وهم مدرعون وفي ارجلهم خفاف من حديد وسواعد من الحديد وبايديهم اعمدة
الحديد ووردان تكفن في الحديد وعلى راسه التاج فخرج القوم ووردان يقدمهم
كانه شعلة نار ونظر الى ذلك اصطفان المبارز لضرار فقوي قلبه بعد ان ايقن
بالهلاك ونشط للحرب بعد الارتباك فصاح بضرار ابن الازور دونك والحرب فلم يلتفت
ضرار الى من خرج اليه الا انه تاهب لهم فهو كذلك اذ نظر خالد الى الروم وخروجهم
ونظر التاج وهو يلمع على راس صاحبهم فقال ان التاج لا يكون الا على راس الملوك
ولا شك انه صاحب القوم واراه قد خرج الى صاحبنا فما الذي يقعدنا عن نصرته
ثم قال خالد لاصحابه ليخرج منكم عشرة حتى نساوي القوم ثم خرج خالد وعشرة
من خيار اصحابه فاطلقوا الاعنة اليهم وقوموا الاسنة ووصلت الروم الى ضرار
فصبر لهم وناوشهم الى ان وصل اليه خالد واصحابه وصاح بضرار ابشر فقد اسعدك
الجبار فلا تجزع من الكفار فقال ضرار ما اقرب النصر من الله قال وحمل خالد ومن
معه والتقت الرجال بالرجال وانفرد كل واحد بصاحبه وطلب خالد صاحبهم وفارسهم
وردان ولم يزل ضرار عن خصمه والدرنجان قد كل ساعده وارتعدت فرائصه
وعادت فرحته ترحه عند ما نظر الى خالد ومن معه قد اقبلوا الى نصرة ضرار
وجعل ينظر الهروب ولبس لفرسه لفضه فعلم ضرار منه ذلك فهجم عليه بسنانه
فلما ايقن بالموت القى نفسه من الجواد وطلب عدوه حتى لحقه فعند ذلك رمى
ضرار الرمح من يده وتصارعا على وجه الارض وتواخذا بالمناكب وتعاركا وكان

عدو الله كالصخرة الجلمود وقد رماه ضرار رمية منكرة على وجهه فصاح عدو
الله وجعل يستجير بوردان وقال بالرومية ايها السيد انقذني مما انا فيه فقد
هلكت فصاح وردان يا ويلك وانا من ينقذني من يد هولاء السباع الجياع و
خالد صونه وهبيره وهما ينحاوران فطمع فيه وحمل عليه حملة منكرة و
بمهله ضرار دون ان يرك على ظهره وهو يتراوغ تحته ويضج كعجيج البعير
وكل واحد من القوم مشتغل عن صاحبه فعند ذلك اشهر ضرار سيفه وما
من نحر عدو الله فاخرج السيف من جانب حلقه الاخر فعندها زعق عدو
الله زعقة منكره حتى ... العسكران وتصارخت الروم وكبر اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملت الروم باجمعها فلما نظر ضرار ذلك الا
وقد دهمه جيش العدو فقال مالي وللوقوف حتى تدوسنا الخيل بحوافرها
فاحتز راس عدو الله وقام صدره وهو مضمخ بالدم ثم كبر وكبر المسلمون
وحملوا من اماكنهم وحملت الروم كما ذكرنا من قبل ميمنتهم على سعاد
ابن جبل وحملت ميسرتهم على سعيد بن عامر بن خنيم ورمت الارمن
بنبالها حتى ستروا عين الشمس من كثرة السهام ونادى سعيد ابن زيد بن
عمير معاشر الناس اذكروا الوقفة بين يدي الجبار واياكم ان تركنوا الى الفرار
وتولوهم الادبار فتستوجبوا النار صبرا صبرا يا حماة الدين ويا قرا القران
فزاد الناس في قوله نشاطا وجراة واقداما وتلاحم الناس من الفريقين الى و
العصر فافترقوا وقد قتل من الفيئتين خلقا كثيرا ولكن من المشركين اكثر
واعظم وكان من قتل اول وقعة باجنادين من المسلمين سلمة ابن هشام المخز
ونعيم ابن هدي بن صخر العدوي وهشام بن عامر السهمي ووهبان بن سفيان
وعبد الله بن عمر الدوسي ودرير بن عوف المزني وراعب بن كعب الخزرجي و
ابن مقدام الزهري وودالياز بن خزرجه التميمي وحزام بن سالم العنـ
وسعد ابن عاصم ابن ابي ليلى الكلابي وحازم ابن بشر الكلبي واميه بن
بن يسار احد بني عبد الله بن عبد الدار وجميل بن رافع السلمي ومرهف بن
اليربوعي ومحله بن حنظله الثقفي وعدي بن يسار السذبي ومالك بن السعا
الطايفي وسالم بن طليحه الغفاري ومثل هولاء السادة رحمهم الله تعالى
قال الواقدي رحمه الله والباقي لم نقف على اسمائهم فالجملة اثنان وثلاثون
رجلا واما الروم فقتل منهم زهاء عن ثلاثة الاف رجل منهم عشرة من ملوكهم
وهم روماس وابن ميان صاحب ارض عمان وما يليها ومرقش بن صليب
الصمين وديرايوب وفري ودمدرين والي صاحب الجرلان الى الكهف والرقيم
ولاوون بن جنه صاحب جبل السواد وعامله وبدرعون بن روميس صاحب

عزه

غزه وعسقلان وحنا بن عبد المسيح صاحب جلجوليه وبلادها وهرماس بن جيرون
صاحب يافه والرمله ومربوس صاحب ارض البلقا وكروك صاحب نابلس وصاحب
ارض العواصم قال ثم افترق القوم ورجع وردان الى مكانه وقد امتلا رعبا
مما ظهر له من المسلمين وشده صبرهم وقتالهم فجمع البطارقه وقال يا اهل هذا
الدين ما تقولون في هولاء القوم فاني اراهم غالبين غير مغلوبين وقد رايت اسيافكم
كلت واسيافهم قاطع وخيلكم منبهره وخيلهم صابره وسواعد القوم صلبة وسواعدكم
بليده وان القوم اطوع منكم لربهم واصدق لهجة وما خذلتم الا بالظلم والجور
والغدر وما ارى لكم عليهم دولة الا ان تغسلوا ما في قلوبكم من العصيان وتتوبوا
الى ربكم من كثرة الاثام فان فعلتم ذلك رجوت لكم النصر على عدوكم وان ابيتم ذلك
فادنوا بالهلاك فان الله قد عاقبكم باشد عقوبه تكون اذ سلط عليكم اقواما كنا لا
نعدهم ولا نفكر فيهم ولا يخطر والعلي افئدتنا لان اكثرهم عراه وعبيد جياع مساكين
اخرجهم الينا قحط الحجاز وشدة الضرر والبلا فالان لما اكلوا من خيرات بلدكم
وفواكه بلدكم وارضكم واكلوا بدل خبز الشعير والذره عاصفا من خبز الحنطة واكلوا
مكان الخل والزيت العسل والسمن والزبد الطري والتين والعنب والتفاح والطرف
واعظم من ذلك سبي نساكم وامهاتكم وداراريكم واولادكم فكيف صبرتم على هتك الحرم
والبلاء العظيم فلم يبق من الروم الا من انتحب وبكا وصفق بيده على يد واغتاظوا
غيظا شديدا وقالوا نقتل عن اخرنا ولا يصل القوم الى ذلك منا وانا نرى ان نضاربهم
بالسيوف ونطاعنهم بالرماح ونفنيهم بالنبل والنشاب ولا يصلوا القوم الى ما ذكرت
منا فلما سمع وردان ذلك منهم فرح فرحا شديدا وعدل عن القوم وصاح بالبطارقه
فشاورهم في ذلك وقال قد سمعتم ما قال جيش الملك فقال له رجل من القوم يا وردان
لا تنتق بكلام الناس واعلم انك قد بليت بقوم لا يقام بامرهم وقد عاينت واحدا
منهم يحمل على عسكرك باسره ولا يبالي بكثرتنا ولا يرجع حتى يقتل منا وقد وطن
القوم على ما قال لهم نبيهم انه من قتل منا صار الى النار ومن قتل منهم صار الى الجنه
والقتل والحياه عند القوم سوى وقد قتل منا خلق كثير ومن القوم شي يسير وما
ارى لك من القوم مطمع الا ان تصل الى صاحبهم فتبيده فان قتلته انهزم القوم
عن اواخرهم وانك لن تصل الى اميرهم الا بحيلة تو قعهم بها فقال وردان واي حيله
تنفذ في القوم والحيل والخداع لهم فقال له البطريق ما ارى لك من الراي الا ان
تدعوا بالرجل لمناظرتك ومشايلتك فاذا خلوت به بادر اليه واعتنقه وصح
بقومك وليكن منكم رجالا مكمنين فقال وردان ما اجد الى صاحبهم من سبيل لانه
صعب القياد والوصول اليه بعد ولا انا ممن يتحارش به ولا يخاطبه فقال له البطريق
انا اقول لك شيا ان صنعته وصلت الى امير القوم من حيث لا يصل اليك وذلك انك تعمد

الي عشره من فتاك عسكرك فتكمنهم في كمين بناحيه من العسكر قبل خروجك اليه فاذا دعوت
به تسير اجميعا الي ان تصلا الي الكمين فتجلسا عنده وتشاغله بالحديث حتي يطمين
اليك ثم اهجم عليه واصرخ بقومك حتي يبادروا اليك من الكمين فيقطعوه اربا اربا
وتكفا مونته وتفرق اصحابه ولا يجتمع منهم اثنان فلما سمع وردان ذلك من كلامه
تهلل وجهه فرحا وقال ان كان هذا نعم و فقت فيما ذكرت غير ان هذا الامر يعمل بليل
ولا ياتينا الصباح الا وقد فرغنا مما نريد ثم ان وردان دعا برجل من نصارى الشام
وكان مسكنه حمص اسمه داوود فقال له اني لاعلم انك فصيح اللسان جري الجنان خطيب
مفلح بحجتك واني اريد منك ان تخرج الي هولاء العرب فتسالهم ان يقطعوا الحرب
بيننا وبينهم يوما وقل لهم يخرجوا الينا اميرهم باكر حتي اخرج اليه بنفسي لعلنا
نصطلح وندفع له من المال ما يريد قال داوود ويحك وتخالف الملك فيما امرك
من الحرب ونصطلح انت والعرب فينسب اليك الفزع والخوف وما كنت بالذي اخاطب
العرب في ذلك فيبلغ الملك اني كنت الواسطه فيقتلني قال له وردان يا ويلك انا
اجمعنا رانا على الحيله عسى اصل الي صاحبهم فاقتله ويتفرق عنا هولاء القوم
ونبيدهم بالسيف ثم حدثه بما قد عزم عليه من المكيده بخالد فقال له داوود
يا وردان ان المكيده والغادر والباغي مخذول بكل فعل فالقي الجمع بالجمع واترك
ما عزمت عليه فغضب وردان من قوله وقال انما استشرتك في هذا الامر وانما
امرتك ان تمضي برسالتي فافعل ما امرتك ودع عنك اللجاج فقال حبا وكرامه
ثم قد انكر ما سمعه من صاحبه وقال ان وردان قد عزم على ان يلحق بولده ثم
اقبل حتي وقف قريبا من عسكر المسلمين ونادي برفيع صوته يا معاشر العرب
حسبكم من القتل وسفك الدما فان الله تعالى مسايلكم عن اهراقها وسفكها
وقد اجمعنا على امر نرجوا فيه الصلح فليخرج الي صاحبكم حتي اخاطبه بما ارسلت
اليه او يخرج غيره ممن يبلغه ما اقول فما استتم كلامه حتي خرج اليه خالد كانه
شعلة نار وهو متكفن في لامته وبيده الرمح وقد جعله بين اذني الحصان فلما
نظر اليه الشيخ داوود النصراني قال يا عربي على رسلك ما خرجت اليك من
رجال الحرب ولا ممن يطلب المناصله والضرب وانما انا رسول اليك واني اريد ان ابلغ
الرساله واسمع ما تقول فابعد عني رمحك حتي اخاطبك فرد رمحه وعارضه
في قربوس سرجه وقرب من الشيخ داوود وقال له افعل وبلغ ما ارسلت به واستعمل
الصدق تحظ به فمن صدق نجا ومن كذب هوي قال صدقت يا عربي ان اميرنا وصاحب
وردان كاره لسفك الدما لا يريد حربكم وقد نظر الي ما قتل بينكم فاحزنه ذلك
وقد راي ان يحقن دماء الناس بمال يدفعه اليكم وليكن شرط تكتب بيننا وبينكم
كتابا تشهد فيه على نفسك ويشهد كبرا قومك انك لا تعارض له ولا لاحد من

اصحابه

اصحابه ولا تتقدم في بلده ولا تتعرض الى حصن من حصونه فان فعلت ذلك وتوقعولك
ورضي بفعالك وهو يسالك ان تقطع الحرب بقية يومك هذا فاذا اصبحت خرجت منفردا
من قومك ولا يكون معكما احد وتنظر ما تتفقان عليه وتشير اليه وبسمع بعضكما
لبعض عسى الله ان يحقن بينكما دماهم فلما سمع خالد بذلك فكر طويلا ثم قال ان كان
ما اضمره وارسلك به يريد حيله ومكيده فنحن والله جرثومة الخداع ومعدن المكر
وما مثلنا من يوتى بحيلة ولا يستخدع فان كان ذلك من ضميره واعتقاده فما
هو الا لقرب احله وانقطاع امله وهلاك جمعكم واستيصال شافتكم وان كان
ذلك حقا من قوله فلست اصالحه الا على الجزيه عن جماعتكم ورؤسكم واولادكم
واما المال فلست ارغب فيه الا على ما ذكرت لكم على طول الزمان فاخذه منكم في راس
كل عام قال داوود وقد عظم كلام خالد عليه ما يكون الامر ادك واذا توافقتما
كان الانفصال بينكما وها انا راجع اليه فاذكر له ما ذكرت ثم الوى راجعا وقد امتلا قلبه
رعبا من خالد وفزع مما سمع منه ثم قال في نفسه صدق والله العربي وانا والله اعلم ان
وردان اول مقتول ونحن من بعده وما لي الا ان اصدق العربي واخذ لي ولاهلي امانا ثم
التفت الى خالد وقال يا اخا العرب اني قد نسيت شيا اوجده الى صاحبي قال وما هو
قال خذ على نفسك وكن مستيقظ فان وردان قد اضمر لك كيدا ثم حدثه بالقصه
واريد الامان لي ولاهلي قال خالد لك الامان ولاهلك ولمالك ولولدك ان انت
لم تخبر القوم ولم تغدر فقال داوود لو اردت ان اغدر لما حدثتك فقال خالد وابن مكمن
القوم قال عند الكثيب عن يمين عسكرهم ثم خلاه ورجع ولم يعلم صاحبه بجواب خالد
ففرح وقال الان ارجوا من الصليب ان يظفرني به ثم دعا بعشرة من الابطال وقال
تمضوا رجاله واكمنوا وان خالدا رجع فالتقاه ابو عبيدة رضي الله عنهما فوجده ضاحكا
فقال يا ابا سليمان اضحك الله سنك ابش الخبر فحدثه بما قال له العلج فقال ابا عبيدة
وما عزمت قال عزمت ان اخرج الى القوم وحدي فقال يا ابا سليمان لعمري انك كفوا
ولكن ما امرك الله بالتهلكه والله قد قال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن
رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقد اعد لك عشره وهو حادي عشر وما امن
عليك من اللعين ولكن انذب له رجالا وكمن كما كمن لك بهم قريبا من القوم ان كان الناصح
قد اعلمك بمكانهم قال نعم قال ابو عبيدة فامر اصحابك ان يكونوا قريبا منهم فاذا اصبح
اللعين بقومه اصرخ انت بقومك تكفنا ما نحذره ان شاء الله ونكون نحن على خيلنا متاهبين
فان فرغت من عدو الله حملنا عليهم بجمعنا ورجونا من الله النصر فقال خالد لست اخالفك ثم
ان خالد دعا بعشرة منهم رافع ابن عميره الطائي والمسيب ابن نجبة الفزاري ومعاد ابن جبل
وضرار ابن الازور وسعيد ابن زيد ابن عمرو ابن نفيل العدوي وابان ابن سعيد ابن عامر
ابن جويح وقيس ابن مبيره وزفر ابن سعيد البياضي وعدي ابن حاتم فلما اجتمعوا اليه

اخبرهم بما قد عزم عليه الروم من حيلتهم وخديعتهم وقال اخرجوا باجمعكم حتى تاتوا في المهبطة
الذي عن يمين الكثيب فاكمنوا هناك واذا اصرخت بكم فبادروا وانفردوا للقوم واتركوني
وعدو الله فانني له كفو ان شاء الله فقال ضرار ابن الازور ايها الامير يكثر الشر ويعظم
ونخشى ان يمانع القوم من صاحبهم ويعطف هذا الجمع عليك فلا نا من عليك ان يصلوا
بشرهم اليك ولقد كنت ارى رايا انا نسير من وقتنا الى مكمن القوم فان وجدناهم فرغنا
منهم قبل الصباح ونكمن نحن في مواضعهم فاذا خلوت انت وقرنك خرجنا اليه بغير
مقاتل ولا مضادد فضحك خالد من قوله وقال افعل ما ذكرت ان وجدت له سبيلا وخذ
هولاء العشرة الذين ندبتهم لك وانت الصاحب والامير عليهم ارجو ان يبلغك الله
ما طلبت منهم فان وصلت اليهم فهي الفرحة الكاملة فقال ضرار ابن الازور ارجو الوصول
اليهم ان شاء الله تعالى ثم خرج القوم بالليل وخرجوا رجاله بايديهم السيوف وسلموا
على الناس وسالوهم الدعاء فكان خروجهم وقد مضى من الليل الثلث على مقدمتهم يقول

والجن تفزع مني في الظلام اذا اخضت الدياجي ولم الوي على الجزع
يا ويح من وضع الارصاد يخدعنا ونحن جرثومة الامكار والخدع
لا ارضين لهي في جهادهم ليس الجسور على الاهوال بالجزع

ثم سار باصحابه حتى وصل الكثيب فاوقف اصحابه وقال على رسلكم حتى اجس لكم
الخبر القوم ثم نزع اثوابه واخذ سيفه وسار مع لحف الكثيب سيرا خفيا الى ان وصل
الى القوم فلما اشرف عليهم من بعيد سمع غطيطهم في نومهم لما نالهم من التعب والنصب
وهم امنون ان يقصدهم عدو او يعرض لهم عارض قال فهم ضرار ابن الازور ان يدنو للقوم
ان يقتلهم فخشي ان يوقض بعضهم بعضا باضطرابهم عند قتلهم فرجع الى اصحابه
وقال لهم ابشروا فقد اتاكم ما تريدون وزال عنكم ما تحذرون فجردوا السيوف وسيروا
الى القوم فاقتلوهم حيث شيتم وكل واحد منكم الواحد منهم وليكن ضربا تكم واحده
واخفوا اصواتكم ما استطعتم قالوا حبا وكرامه ثم خفف القوم من لامتهم وجردوا اسيافهم
وتقدم امامهم ضرار وساروا في اثره الى ان وصلوا الى القوم والفى كل واحد منهم سلاحه عند
راسه فتفرق القوم عليهم وانفرد كل واحد بواحد فلما تمكنوا منهم رفعوا السيوف ووضعوه
على الوجوه والرقاب والاصلاب فلم يستيقظ القوم الا وضربات السيوف تاخذهم
حتى قطعوهم اربا اربا وافنوهم عن اخرهم ثم اخذوا اسلابهم وسلاحهم وما كان معهم
وقال ضرار ابشروا فهذا اول الفتح ان شاء الله ونرجوا من الله تمام الوعد وانجاز الامر
فالحمد لله الذي ايدهم بنصرهم على اعدائهم واقاموا طول ليلتهم يبتهلون ويصلون
شكرا لله ويسالونه النصر ولم يزالوا كذلك حتى ان يرفضيا الفجر فهنالك اجتمع القوم
ونزعوا اطمارهم وافرغوا عليهم ثياب الروم وتعصبوا بالمشاد واستروا الخافه
ان يانيهم رسول من وردان فيعرف عليهم ما صنعوه وغيبوا القتلى في مهبط الربوه

وحفوا

قال الواقدي وحثوا عليهم التراب وجلسوا تحت السلاح يرتقبون الفجر
رحمه الله ولما طلع الفجر وصلى خالد بالناس ورتب اصحابه كهيئة الحرب واشتهر
بحربة حمرا وتعمم بعمامة صفرا وكذلك تصففت الروم واشتهرت سلاحها
ورفعوا الاعلام والصلبان فبينما القوم كذلك اذ خرج فارس من القوم من القلب
وقال يا معاشر العرب اغدرتم اين ما كان بيننا وبينكم بالامس فخرج خالد وقال
ما من شيمائلنا الغدر فقال الفارس ان وردان يريد منك ان تخرج حتى تنظر
ما اتفقنا عليه فقال خالد ارجع اعلمه فقل له ها انا خارج اليه غير هلع ولا جزع
ثم رجع البطريق واعلم صاحبه بجواب خالد فعندها خرج عدو الله متكفن في
لامته وقد تظاهر بقلايد الجوهر وعصابته وتاجه فلما راه خالد قال هذه غنيمة
للمسلمين ان شا الله تعالى ثم قال لابي عبيده اظن ان ضرارا واصحابه قد وصلوا
الى العدو اينا فاذا رايتني قد حملت فاحمل بمن معك ثم سلم على المسلمين وخرج وهو يقول بعد الصلاه

عليك ربي في الامور اتكل   فاغفر الهي ان دنا مني الاجل
ووفقني يارب على خير العمل   واغفر الهي ما عملت من زلل
ما لي سواك في الامور ما اسل   واقمع بسيفي الشرك حتى يضمحل

حدثني رفاعه ابن قيس عن حوران ابن هبيره عن ماجد ابن العاص عن جده ماقد
ابن علقمه الرعيني قال كنت في القلب في اصحاب عياض ابن غنم الاشعري فسمعت
خالد ينشد هذه الابيات يعنيها فلما نظر عدو الله الى خالد وزينه اعجبه ما راي
وظن الا انه سيصل اليه ولم يزل خالد الى ان قرب منه واذا بعدو الله وردان قرب
من الكتيب فلما قرب منه خالد ترجل عن بغلته وترجل خالد عن جواده وجلسا
كلاهما وقد جعل عدو الله سيفه بين يديه حذرا من خالد ان يهجم عليه وجلس
خالد ايضا بازائه وقال قل ما تشا واستعمل الصدق والزم طريق الحق واعلم
انك تجالس امام رجل لا يكترث بالخداع ولا يلوي الى الحيل الواقعة به لانه حرنو
ودعا منها فقل ما تريد ان تقول قال وردان يا خالد اذكر لي ما الذي تريد وقارب
الامر بيني وبينك واحقن دما الناس واعلم انك مسايل مطالب عما فعلت وقتلت
من عبيد الله فان طلبت شيا من دنيانا فلن نبخل عليك بها صدقة منا عليكم لانه
ليس عندنا امه هي اضعف منكم وقد علمنا انكم في بلد قحط تموتوا فيها ضرا وهزلا
فقل ما بذلك واقنع منا بالقليل فلما سمع ذلك خالد من قوله قال يا كلب النصرانيه
ان الله عز وجل قد اغنانا عن صدقاتكم وجعل اموالكم حلالا لنا نتقاسمها بيننا
واحل لنا نساكم واموالكم واولادكم الا ان تقولوا لا اله الا الله وان محمد رسول الله فان
ابيتم عن ذلك فالجزيه عن يد وانتم صاغرون فان ابيتم فالسيف حكما بيننا وبينكم
حتى يموت منا ومنكم والله ينصر من يشا منا ومنكم وما لكم عندنا الا ما تسمعه فان

منها

ابيت والا الحرب ووالله ان الحرب والقتال اشهى الينا من الصلح واما قولك انه لم
يكن امة اضعف منا عندكم فانتم عندنا بمنزلة الكلاب وان الواحد منا
يستضعف الفا وما خطاب من يطلب صلحا فان كان ذلك لطمع ترجوا ان تصل
اليا بانفرادي عن اصحابي فذاك منك بعيد وان ابيت الا القتال فها انا وانت في
عزلة عن قومي وقومك فدونك ما تريد فاني كفولك ان شا الله قال الراوي
فلما سمع وردان مقالة خالد وثب من مكانه منتظرا ان يجرد سيفا ثقة منه باصحابه
انهم يجدونه من الكمين فوصل بوثبته اليه وغافصه وقبض عليه وثار اليه
خالد وشابكه وضرب بيده على عضديه واشتبكا وثنى بعضهما من بعض
وصاح عدو الله بقومه عندما وثق من خالد وقال لهم بادروا الي فقد امكن
الصليب من امير العرب فما استتم كلامه حتى سمع القوم صوته فابتدروا
اليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الكثيب كانهم العقبان وقد
رموا الاطمار والدروع التي كانت عليهم وخرجوا مبادرين وجردوا السيوف وكان
اول من بدر ضرار ابن الازور وهو عاري بسراويله قابضا على سيفه وهو يهدر
هدير الليث والقوم من ورائه متبعين له فالتفت عدو الله ونظر القوم وهم
يتسابقون اليهما وهو لا يشك الا انهم قومه حتى اذ وصلوا اليه نظر فيما وايلهم
ضرار ابن الازور وهو يثب وثبة الذيب مسرعا اليه وهو يهز السيف فلما نظر
وردان الى ذلك ارتعدت فرايصه واهتز ساعده وقال يا خالد سالتك بمعبودك
الا قتلتني ولا يقتلني هذا الشيطان فاني ابيا شم بطلعته فقال خالد هو قاتلك
لا محالة فبينما هما في المحاوره اذ جاءهما ضرار ابن الازور يهز سيفه وصرخ به يا عدو
الله ابن خديعتكم من خديعة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لوح اليه
بسيفه فصاح به خالد ويحك يا ضرار اياك ان تصل بسيفك اليه واصبر حتى
امرك بقتاله ودخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يهزوا اسيافهم
وكل يبادر الى قتاله فقال خالد على رسلكم وامتهلوا ان امركم بقتله ونظر
وردان الى ما دهمه فداخله الجزع وارتعدت فرايصه وسقط الى الارض وهو
يشير باصبعه الامان الامان فقال خالد يا عدو الله ما نعطي الامان الا لاهل الامان
وانت رجل اظهرت لنا السلم والمصلحه وقد اضمرت لنا الخديعة والمكر والله خير
الماكرين فلما سمع ضرار ذلك من قول خالد لم يمهله دون ان ضربه على حبل عاتقه
واختطف التاج من على راسه وقال من سبق الى شي كان اولى به قال وادركته
سيوف المجاهدين فقطعوه اربا اربا وتبادروا الى سلبه فاخذوه ثم ان خالد
اقبل على اصحابه وقال لهم يا قوم اني ما امن عليكم من القوم ان يميلوا اليكم لانهم
مستشرفون الى اصحابهم فاحتزوا راس عدو الله والبسوا الاطمار التي كانت على

الروم وتوجهوا الي لقايهم فاذا اقتربتم منهم فاحملوا وكبروا فتحمل المسلمين عند
تكبيركم قال فعمد كل واحد الي من قتله فافرغ عليه عدته ولامته ثم توجهوا للقا
الروم وقد استخفوا تحت سلاحهم وخالد وضرار في اوايل الناس وراس وردان
علي طرف ذبابة سيف خالد فلما انكشفوا لاهل العسكرين مالوا الي ناحية الروم
ونظر الكفار الي راس صاحبهم علي طرف السيف لم يشكوا الا انه راس خالد وان   او لعله
اصحابهم قد عطعطوا وصفقوا واظهروا الصلبان وكثر ضجيجهم وعجيجهم
ونظر المسلمون الي ذلك فخافوا وزلزلت بهم الفزع وخافوا ان اصحابهم اصيبوا بهم فهم
بين داع وخايف وباك وضارع فلما قرب خالد بين الصفوف اخذ الراس ولوح
ونادا يا اعداء الله هذا راس صاحبكم وانا خالد ابن الوليد صاحب رسول الله صلي
الله عليه وسلم ثم رمي الراس اليهم وحمل عليهم وحمل ضرار في اثره وكبر وحمل المسلمون
المسلمون وكبروا ونادي ابو عبيده احملوا يا اهل الحفاظ يا حماة الدين ثم حمل وحملوا
الناس بحملته فلما راي القوم الي راس صاحبهم وتيقنوا ان قومهم قتلوا فولوا الادبار
واخذهم السيف من كل مكان وقتلوا تحت كل حجر ومدر ولم يزل السيف يعمل فيهم
من الضحي الاول الي اوقات صلاة العصر وافترقوا كالشتات قال عامر ابن الطفيل
الدوسي وكنت في خيل ابي هريرة رضي الله عنه ومعه خيل من دمشق تتبع المنهزمين في
طريق وعر اذا اشرفت علينا غبره فظننا انها خيل الروم يحمي من الملك هرقل فاخذنا
علي انفسنا وكذلك من اتبعنا من المنهزمين واذا بالغبره قد قربت منا واذا هم عسكر
قد انجدنا به ابي بكر الصديق رضي الله عنه فما لقوا احدا من الروم الا قتلوهم ونهبوا
ما كان معهم قال حدثني عبد الله ابن ارقم السلمي قال اخبرني سرير ابن عالم الثقفي
قال حدثني يونس ابن عبد الله ابن علي قراة عليه في المسجد الحرام قال ان العسكر
الذي قدم علي المسلمين باجنادين يوم هزيمة المشركين كان عمرو ابن العاص ابن وايل
السهمي ولم يكن حضر الوقعة لا هو ولا من معه من المسلمين وكان قدومه يوم هزيمة
الروم قال الواقدي رحمه الله وكان جيش الروم باجنادين تسعين الفا
ويزيدون ولا ينقصون وقتل بعضهم بعضا تحت الغبره وافترق من بقي منهم فقتل
ذلك اليوم خمسين الفا والباقي منهم من مضي الي قيسارية ومنهم من طلب دمشق وغنم
المسلمون غنيمة لم يغنموا مثلها في ايامهم التي مضت واخذوا من الصلبان الذهب والفضه
والسلاسل من الذهب ما لا يحد ولا يعد فجمع ذلك كله مع التاج الذي غنموه من وردان
الي وقت القسم وقال خالد لست اقسم عليكم شيا الا بعد فتح دمشق ان شا الله تعالي قال
الواقدي رحمه الله وكانت الوقعه باجنادين يوم السبت لليلتين بقيا من جمادي
الاول سنة ثلاث عشر من الهجرة وذلك قبل وفاة ابي بكر الصديق رضي الله عنه ثلاثة وعشرين
ليله ثم ان خالد كتب الي ابي بكر الصديق رضي الله عنه كتابا بالفتح يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم

من خالد ابن الوليد الي خليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله
الا هو واصلي علي نبيه ثم ازيد حمدا او شكرا علي سلامة المسلمين ودمار الكفار الكافرين
المشركين واخماد جمرتهم وانصداع بيضتهم وانا لقينا جموعهم باجنادين مع وردان
صاحب حمص وقد نشروا كتبهم ورفعوا صلبانهم وتقاسموا بدينهم لا يفرقون ولا
ينهزمون فخرجنا اليهم واثقين بالله متوكلين علي الله فعلم ربنا اضمارنا في افئدتنا
وسرايرنا فرزقنا الصبر وايدنا النصر وكبت اعدائنا القهر فقتلناهم في كل فج وشعب
وواد وجملة من احصينا من الروم من قتل خمسين الفا وقتل من المسلمين في اول يوم
وثانيه اربعمائة وخمسة وسبعين رجلا ختم الله لهم بالشهادة منهم عشرون رجلا من
الانصار وهم مسلمة ابن عمرو وعوف ابن مازن وشاكر ابن مزروح واقد ابن حسان ومره
ابن عجلان والمقنع ابن نجبه وصفوان ابن خزرجه واوس ابن حوسة ونعم ابن الفاطون
وعبد الله بن بشر والسلوك ابن قدم وحامد ابن وسفيان ابن ربيعه والاكوع ابن مره
وسيف ابن جابر والصامت ابن حميد وميسره ابن ماجد وطليل ابن مزند والعقاب ابن اكال الدم
وقتل من مكه ثلاثة رجال وهم يحيي ابن عامر المخزومي ونعيم ابن صفوان وهاشم ابن حرملة
من بني عبد الدار وقتل من حمير عشرون رجلا وهم رفاعه ابن مرهف وعنان ابن مالك
وسعيد ابن رافع وماجد ابن الاسلع والفاط ابن يعرب والخلجان ابن عوف ويزيد
ابن عبد الله وساف ابن نافع وعباد ابن اوس وكلكل ابن رفاعه ومافظ ابن اسيل
واثنى ابن دارم والكامل ابن حرم ومزبد ابن طالب واحاطه ابن يربوع وعلاق
ابن سنان وذو المزافع ابن وابل ومومل ابن ذي حازم ومسمار ابن عوف وجندل ابن
ربيعه وقتل من سليم ستة وهم سليم ابن المنذر ونعمان ابن مره وفياض ابن حامد
ودفاف ابن نعيم وياسر ابن مقدام وسليم ابن منصور والباقي من اخلاط الناس

ذكر فتوح دمشق

ويوم كتبت لك هذا الكتاب وهو يوم الخميس للثلثين مضيا من جمادي الاخر ونحن راجعين
الي دمشق فادع لنا بالنصر والسلام عليك وعلي جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوي الكتاب
وختمه وسلمه الي عبد الرحمن ابن حميد الجمحي وامره بالمسير الي المدينة من وقته فارتحل عبد
الرحمن من ساعته وارتحل خالد من بعده الي دمشق قال الواقدي رحمه الله
ولقد بلغنا ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخرج كل يوم الي ظاهر المدينة يتنسم الاخبار
فبينما هو كذلك اذ قدم عبد الرحمن ابن حميد فلما اشرف عليهم تسابقت اليه الصحابة
وقالوا له من اين قال من الشام ابشر الصديق بذلك وان الله قد نصر المسلمين
فسجد والله شكرا فاقبل عبد الرحمن وقال يا خليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم ارفع
راسك فقد اقر الله عينيك بالمسلمين فرفع ابو بكر رضي الله عنه راسه فسلم اليه الكتاب
وكان بخط ابي عبيدة رضي الله عنه فقرا ابي بكر الكتاب سرا فلما فهم ما فيه قراه علي الناس

جهرا وشاع الخبر في المدينة فاذا الناس يهرعون الى باب المسجد فقراه ابو بكر رضي الله عنه
ثم قال وثنا مع المسلمون من اهل مكة والحجاز واليمن بما فتح الله على ايد المسلمين
وما ملكوا من الاموال فتبايعوا للخروج رغبة في الثواب والمال وسكنى الشام واقبل
الى المدينة من اهل مكة اكابرهم وعظماهم بالخيل والحديد والباس الشديد على اولهم
ابو سفيان صخر ابن حرب والغيداق ابن هاشم ونظراوهم فاقبلوا يستاذنون ابو بكر
رضي الله عنه في الخروج الى الشام فكره عمر خروجهم الى الشام وقال لابي بكر رضي الله عنه
ان هولاء القوم لتاتي قلوبهم طرا ابدا وحقا يرا فالحمد لله الذي كانت كلمة الله
هي العليا وكلمتهم السفلى وهم على كفر واردوا ان يطفوا نور الله بافواههم ويابى الله الا
ان يتم نوره ونحن اذ ذاك نقول ليس مع الله الها اخر وهو يقولون ان مع الله الهة
اخرى فلما ان اعز الله ديننا ونصر شريعتنا اسلموا خوف السيف وان سمعوا ان جند الله قد
نصروا على الروم اتونا ليبعث بهم الى الاعدا ليقاسموا السابقين المهاجرين والانصار
والصواب ان لا تنفذهم فقال ابو بكر رضي الله عنه اني لا اخالف لك قولا ولا اعصي لك امرا
قال وبلغ ذلك اهل مكة ما تكلم به عمر رضي الله عنه فاقبلوا باجمعهم الى ابي بكر رضي الله عنه
الى المسجد فوجد وا حوله جماعة من المسلمين وهم يتذاكرون بما فتح الله على المسلمين
وما اظهرهم على المشركين وعلي رضي الله عنه عن يمينه وعمر رضي الله عنه عن يساره
والناس حوله فاقبلت قريش الى ابي بكر رضي الله عنه فسلموا عليه وجلسوا بين يديه
وتطاولوا من يكون اولهم كلاما فكان اول من تكلم ابو سفيان صخر ابن حرب واقبل على
عمر وقال يا عمر قد كنت لنا مبغضا في الجاهلية وقاتلتنا وكنت تجد علينا ونجد عليك
فلما هدانا الله الى الاسلام هدر لك ما كان في قلوبنا لان الايمان يهدر الشرك والبغضة
والكياد وانت تعد اليوم تشنانا وتبغضنا السنا اخوانكم في الاسلام وبني ابيكم
في النسب فما هذه العداوة منك يا ابن الخطاب قديما وجديدا اما ان لك ان تغسل ما
بقلبك لنا من الحقد والتنافض وانا نعلم انكم افضل منا واسبق في الايمان والجهاد ونحن
بذلك متعارفون وله غير منكرون فسكت عمر واستحيا وجلله العرق ثم قال وايم الله
ما اردت بقول الا انفصال الشر وخصن الربا لان حمية الجاهلية في روسكم وكنتم تريدون
النطاول على من سبقكم في الاسلام فقال ابو سفيان انا اشهدكم واشهد خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم اني قد حبست نفسي في سبيل الله وكذلك تكلم سادات مكة فقال ابو بكر
اللهم بلغهم افضل ما يؤملون واجزيهم باحسن ما يعملون وارزقهم النصر على عدوهم
ولا تمكنهم من نواصيهم قال فما مضا من الايام الا قليلا حتى وقدم كثير من اليمن
عليهم عمرو ابن معدي كرب الزبيدي مع النسوان والصبيان يريدون الشام فما استقروا
في المدينة حتى اقبل مالك الاشتر النخعي فنزل عند علي عليه السلام ملتجيا الى علي رضي الله
عنه وقد شهد معه الوقايع والمعامع وعزم على الخروج مع الناس والشام بالمدينة جيش

عظيم زها عن تسعة الف فارس ومعهم قوم منجرهم فلما التم امرهم كتب ابو بكر الصديق
رضي الله عنه كتابا الى خالد يقول له بسم الله الرحمن الرحيم من ابي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى خالد ابن الوليد ومن معه من المسلمين اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه وامرك
بتقوى الله في السر والجهر والرفق بالمسلمين والحمل لضعيفهم والتجاوز عن مسيئهم والمشاوره
لهم وقد فرحت بما افاء الله عليكم بالنصر وهزيمة الكفار فاجعل السير ابك الى ان تطا ارضهم
وانزل على حصنة الشام الى ان ياذن الله بفتحها على يديك فاذا تم ذلك فسر الى حمص والمعرات
واطلب انطاكيه والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وقد تقدم لك
ابطال اليمن وليوث النخع واقيال مكه ويكفاك عمرو ابن معدي كرب الزبيدي ومالك ابن
الحارث الاشتر النخعي وان نزلت على المدينة العظما ذات الجبل المعطل انطاكيه
فان الملك هناك فان صالحك فصالحه وان حاربك فحاربه ولا تدخل الدروب واوان تكاتبني
بذلك مع اني اظن ان الاجل قد قرب كثم كتب كل نفس ذائقة الموت والسلام ثم طوى الكتاب
وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلمه الى عبد الرحمن ابن حميد الجمحي وقال انت كنت
الرسول بالبشاره وانت تزد الجواب فاخذه عبد الرحمن وسار على مطيته على طريق
البريه يطوي المنازل والمناهل الى ان وصل الى دمشق قال حدثني عمرو ابن جميد الناجي
عن صفوان ابن بشر العدوي عن نافع ابن عمير الجرهمي قال لما بعث خالد الكتاب الى
ابي بكر الصديق رضي الله عنه ارتحل يريد دمشق وكان اهلها قد سمعوا بقتل ابطالهم وانهزام
جيوش الملك فخافوا واضطربوا وانجفل اهل القرايا والرستاق وتحصنوا بها واعدوا الة
الحصار ورفعوا السيوف والطوارف والرماح والمنجنيقات والعرادات باعلى الصور
ونشروا الاعلام والرايات فلما اخذوا على انفسهم اشرف عليهم خالد رضي الله عنه والجيش
وقد زاد فيه عمرو ابن العاص في تسعة الف وجيش يزيد ابن ابي سفيان في الفين وجيش شرحبيل
ابن حسنه وعمرو ابن ربيعة في الفين وانبسط السواد من ورائهم مع معاذ ابن جبل
في الفين وراى اهل دمشق عسكرا جرارا فايقنوا بالهلاك واقبل خالد ابن الوليد
رضي الله عنه فنزل على ديره المعروف به وبينه وبين المدينة اقل من ميل فلما نزل
هناك دعا بالامرا فاحضرهم وقال لابي عبيدة رضي الله عنه انت تعلم ما ظهر لنا من
عداوة هولاء القوم عند انصرافنا من عندهم وخروجهم في اثرنا فامض بمن معك من اصحابك
فانزل بهم مما يلي باب الجابيه ولا تزل من مكانك ولا تفسح للقوم بالامان فيخدعوك
او تؤتى من مكرهم وكن متباعدا من الباب وابعث لهم فوجا بعد فوج واجعل قتال الناس
دولا ولا يضيق صدرك من كثرة المقام فان الصبر يعقبه الظفر ولا تزل عن مكانك
واحذر ان تؤتى من قبلك فقال ابو عبيده عامر ابن الجراح رضي الله عنه حبا وكرامه ثم خرج
بربع الجيش حتى نزل على باب الجابيه ونصب له بيتا من الشعر بالبعد قال حدثني سليمان
ابن عوف عن سالم ابن عبد الله ابن ابي محمد عبد الله ابن نجاح الانصاري قال قلت لجدي رفاعه

ابن عاصم وكان ممن قاتل بدمشق وكان في خيل ابي عبيدة رضي الله عنه فقلت يا جداه ما
منع ابي عبيدة رضي الله عنه ان ينصب له قبة من بعض قباب الروم مما اخذوه من اجنادين
ومن بصرى ومن وقعة حوران وسخورا وقد كان عندهم منه الوفا فقال يا بني منعهم
من ذلك التواضع وان لا ينافسوا في زينة الدنيا وملكها فكي يرى الروم انهم لا يقاتلون
طلبا للملك وانما يقاتلون رجا ثواب الله عز وجل وطلب الاخرة ولقد كنا ننزل على بلا
دهم فنصيب من خيامهم وسرادقاتهم والعدد ونوقف امامها المشهاري والسلاح
والدروع والقنطاريات والطوارق والرايات ولا يقربها احد منا وربما اصاب اكثرنا
المطر فلا ياوي اليها لانها لم يذكروا فيها اسم الله سبحانه الا بالشرك وكنا نزحف عراه
من السلاح وبعضنا قد صنع له نوى التمر وضم بعضه الى بعض بخيوط ملفقة وكنا
نلبسها دروعا قال الواقدي رحمه الله فلما نزل ابو عبيدة رضي الله عنه على باب
الجابية امر اصحابه بالزحف والقتال ثم ان خالد امر يزيد ابن ابي سفيان وقال يا يزيد
خذ اصحابك وانطلق الى باب الصغير واحفظ قومك والجهة التي قد بعثتك اليه
وان خرج اليك احد من المدينة ولم يكن لك به طاقة فنفذ الي حتى انجدك ان شاء
الله ثم دعا خالد ابا شرحبيل ابن حسنه كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وانت
امضي بقومك الى باب توما واحذر من صاحب الباب توما ان يخرج اليك وقد ذكر لي انه
داهية الحرب وانه دعي للاماره فابى منها تكبرا وان الملك صهره فلا يجبه وما رغب
فيه الا لما علم من شجاعته لا جرم انه زوجه ابنته فقال شرحبيل ما منا من يولي من
خيله ان شاء الله ثم وجه قومه وهم الفان ودعا من بعده بعمرو ابن العاص ابن وايل
السهمي وقال يا عمرو اذهب بجنودك الى باب الفراديس والزم تلك الناحية فقد
بلغني ان هناك ابطال الرجال قال عمرو السمع والطاعة ثم سار ودعا من بعده بقيس
ابن هبيرة جردا من الجيش وقال الزم باب كيسان بمن معك فتوجه نحوه قيس ابن
هبيرة قال الواقدي رحمه الله فاما باب مرقس فانه كان مغلقا لم يكن
عليه قتال فلذلك سمته العرب باب السلامه ثم نزل خالد على باب الشرقي ودعا
بضرار ابن الازور وضم اليه الفين فارس وقال له كن في الرواح والطلايع وطف حول المدينة
فان دهمك امر او لاحت لك عيون القوم فارسل اليّ لاعمل على حسب ذلك فقال ضرار
انزلني الحرب والقتال واشتغل بالانتظار والتشرف ما ارغب فيما ذكرت قال خالد فقاتل
ما قدرت فقال ضرار ان كان هذا فنعم ثم سار بقومه وهو يقول بعد الصلاة على محمد الرسول

دمشق قد اتاك ضرار يوما … بمن يا تيك بالويل الطويل
ساضرب في العلوج بحد عضب … قطوع بان رغضب صقيل
ساضرم في الجوانب منك نارا … وارمي القوم بالخطب الجليل

ثم سار رحمه الله واتبعه القوم وبقي خالد على باب الشرقي وخل القوم هناك فلما اصبحوا

زحفوا للقتال وعول اهل دمشق ان يقتلوا عن اخرهم ولا يسعوا الحريم والاولاد
وتراموا بالسهام والجنادل والمقالع حتى خرج من الفريقين رجال وقدم عبد الرحمن
ابن حميد من المدينة بكتاب ابي بكر الصديق رضي الله عنه وغدا الى ناحية الدير فوجد
خالد على باب الشرقي وقد قدم للقتال طايفة من اصحابه مع رافع ابن عميرة الطاي
فدفع اليه الكتاب فلما قراه فرح وبشر اصحابه بقدوم الجيش مع ابي سفيان وعمرو
ابن معدي كرب وشاع الخبر عند جميع الناس من المسلمين ولم يزل الناس من يومهم
ذلك الى الليل واختلط الظلام فافترق الناس بقي كل امير على بابه الذي ندب اليه
وبعث خالد كتاب ابي بكر رضي الله عنه الى كل باب فقرى على الناس ففرح المسلمون فرحا
شديدا بمن قدم اليهم نجدة وبات الناس متاهبين للحرب يتحارسون ولا وضرار
يطوف حول المدينة وهو لا يقف في مكان واحد حذرا من المشركين ان يخرجوا على المسلمين
او جيش يكبسهم من نحو هر قل قال الواقدي رحمه الله وكثر التهليل والتكبير من
المسلمين والروم ايضا تزعق بشعارها من السور والاجراس تضرب والزمور
والصوء من المشاعل كانه ضوء النهار قال الواقدي رحمه الله ولقد بلغني
ان اهل دمشق اجتمعوا الى كبرايهم وارباب المدينة وتشاوروا فيما بينهم فقال
بعضهم ما نرى الان نصالح القوم على ما طلبوا فما لنا بهم طاقة فما نحن بأجمع
ممن اجتمع باجنادين من جند الملك من الهرقلية والبطارقة والاراجيه والقماصرة
فقد طحنوهم هولاء طحن الحصيد فقال بعض الروم اطلبوا باصر الملك وهو توما
ونشاوره في هذا الامر لنسمع ما يقول ونساله ان يكشف عنا ما نحن فيه
فاما ان نصالحهم واما ان نخرج اليهم فيحامي عنا قال فمضى القوم الى توما واتوا
بابه وعليه رجال موكلون به بالسلاح فقالوا ما الذي تريدون قالوا نريد صهر
الملك فدخلوا فاستاذن لهم فاذن لهم فدخلوا اليه وقبلوا الارض بين يديه فلم
يستبشر بهم وامرهم بالجلوس فجلسوا واذا هم في هم عظيم مما قد ورد عليهم
ثم اقبل عليهم وقال ما الذي جاء بالاكابر دمشق في هذا الليل قالوا ايها السيد
الملاذ بك والعون مما نزل بنا واحرق بمدينتنا فقد قاحانا ما لا طاقة لنا به
فاما ان نصالح العرب على ما طلبوا منا واما ان تكتب الى الملك فيبعث بما اوقع
عنا فقد اشرفنا على الهلاك فلما سمع ذلك من قولهم تبسم ضاحكا وقال
يا ويلكم اطمعتم عدوكم فيكم فطمع فيكم وحق راس الملك ما ارى القوم اهلا
للقتال ولا موضعا للنضال ولو كانوا نواسي بال الحقت اولهم باخرهم واخذت
ثارنا منهم والان كونوا في مدينتكم مطمئنين فلو فتحت لهم الباب ما جسروا
القوم ان يدخلوا فقالوا ايها السيد ان القوم اكثرها وصفت واجل مما نعت
وان صغيرهم واقلهم ليقاتل الرجل والعشرة والمائة وصاحبهم فداهيه لا يطاق

فان

فان كنت المامور على بلدنا والكافل لاموالنا والحامي عنا بنفسك وقومك فصالح
القوم او اخرج بنا الى قتالهم فقال يا قوم انكما اكثر من القوم وخلفكم مثل هذه المدينة
ولكم من العدد والسلاح والدروع ما ليس للقوم لانهم عراة حفاة فقالوا ايها
السيدان معهم من عددنا واسلحتنا كثيرا مما اخذوا بارض فلسطين من جند جرنتير
ومما اخذوا من بصرى ومنا يوم لقاهم كلوص وعزرابيل ومما اخذوا من قومنا
عند بيتلهيا ومما اخذوا يوم سخورا من بولص واخوه بطرس ومما اخذوا باجنادين
فان عددنا واموالنا قد اخذوها القوم ولكن لا يحسنوا بها لقلة اكتراثهم
بنا وايضا ان نبيهم قال لهم عن ربه انه من قتل منا صار الى النار ومن قتل منهم صار
الى الجنة والحياة السرمديه فلاجل ذلك يلقونا عراة حفاة ليصلوا اليها قال لهم
بيرجام فضحك توما من قولهم وقال لاجل ما وقر في نفوسكم من هذا الكلام
وغيره طمع هولاء الاذلال والعبيد فيكم ولو صدقتموهم الحرب لغلبتموهم
لانكم اضعافهم مرارا فقالوا ايها السيد فاكفنا امورنا هم كيف شيت واعلم
انك ان لم تمنع عنا فتحنا الابواب وصالحناهم على ما طلبوا منا فلما سمع
توما قولهم افكر طويلا وخشي ان يفعل القوم ذلك فقال انا اصبر فعنكم العرب
وا قتل امراهم الاول بالاول الا انكم تريدون ان تساعدوني وتقاتلون امامي
قتالا ارضاه لكم تصلون به الى مرادكم قالوا نحن معك وبين يديك نقاتل او نهلك
عن اخرنا قال لهم فباكروا القوم للقتال فعند ذلك يحل بالعرب الويل قال وانصرف
القوم على ذلك وهم له شاكرون وامره منتظرون واقبلوا ليلتهم على الحرص
الدايم والنيران تضرم في الابرجه وعلى الابدان واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مراكزهم ومواضعهم لهم ضجة بالتهليل والتكبير وخالد عند التربع مع النسا
والحريم والاولاد والنسوان والغنايم التي غنموها من اعدايهم ورافع ابن
عميره على باب الشرقي في عسكر الزحف وغيرهم ولم يزل الناس في الحرس الى ان
برق ضيا الفجر وصلى كل امير بمن معه من قومه وصلى ابو عبيدة رضي الله عنه
على باب الجابيه ثم امر اصحابه بالزحف وقال لا تملوا من القتال ولا يفتر بكم
الكلال فمن تعب اليوم وجد الراحة غدا وهي الراحة الكبرى واحذروا من
السهام فانها تخطي وتصيب واركبوا الخيل فان اعدا الله يتعالون عليكم وهم
امكن منكم للرومي بالسهم فليشد بعضكم بعضا واصبروا وصابروا قال وزحف
الناس باجمعهم رجاله واستتروا بالدرق وزحف يزيد ابن ابي سفيان من باب الصغير
وقيس ابن هبيرة من باب كيسان ورافع ابن عميره من باب الشرقي وشرحبيل ابن حسنه
من باب توما وعمرو ابن العاص من باب الفراديس قال حدثني ياسر ابن سلمه قال اخبرني
عبد الرحمن ابن جابر الاسدي عن جده رفاعه ابن قيس قال سالت ابي قيس وكان ممن

حصر فتوح الشام فقلت له اكنتم تقاتلون حيا له او رجاله يوم حصاركم لها فقال
ماكان احد منا فارسا الا زها الف فارس مع ضرار ابن الازور ويطوف بها حول
المدينة فلما اتا بابا من الابواب وقف عنده وحرضهم على القتال ويقول صبرا
صبرا لاعداء الله تحصلوا اعزا في جوار الله تعا ولو ان اعداء الله ظهر ولنا
من خلف صورهم لعلمنا ان الله قد قرب علينا ما يعد معنا انه القادر على ان
يرسل عليهم عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم وانا اومل لكم الفتح والنصر ان
شاء الله قال فتداعا الناس للقتال وتراما الرماه بالنبل واقبلت الجنادل من
اعلا الحصن وعملت العرادات والمنجنيقات والمسلمون صابرون على ما نزل
بهم من المشركين واقبل توما المضاهر للملك من بابه الذي يدعى باسمه وكان عندهم
عابدا زاهدا ناسكا مع ماكان فيه من الشجاعة والبراعة ولم يكن في بلد
الشرك اعبد منه ولا ازهد في دينهم وكان معظما عند القوم تخرج ولك اليوم
من قصره والصليب الاعظم على راسه فاركزه على بابه اعلى البرج واوقف
البطارقه حوله وعظماء النصرانيه والانجيل يحمله ذو المعرفة منهم ونصبوه
بالقرب من الصليب ورفعوا القوم اصواتهم واشتد جمهرهم وتقدم رجل
ووضع يده على الاسطر من الانجيل وقال اللهم ان كنا على الحق فانصرنا ولا
تسلمنا واخذل الظالم فانك به عالم اللهم انا نتقرب اليك بالصليب ومن صلب
عليه واظهر الايات الربانية والافعال اللاهوتيه فهو القديم الذي لم يزل منك
ابدا واليك عاد فبحمله منك انصرنا على هؤلاء الظالمين فانصر من كان
على الصراط المستقيم قال وامن الناس على دعائه قال رفاعه ابن قيس هكري
حدثني شرحبيل ابن حسنه كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي فسر
له هذا الكلام روماس صاحب بصرى رحمه الله وكان في جيش شرحبيل ابن حسنه
على باب توما كلما قالت الروم شيا بلغتها اعلمنا به بالعربية قال واستعاذ
المسلمون بالله من كفرهم وكذبهم على المسيح وزحف شرحبيل ومن معه وقصد
الباب بحملته وقد عظم عليه قول توما اللعين وقال يا عدو الله لقد كذبت
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب احياه منا نشا ثم رفعه منا نشا
ثم ناوشه القتال فقاتل الملعون ذلك اليوم قتالا شديدا وهشم الناس بالحجارة
ورمى بالنشاب رميا متداركا فجرح وكان ممن جرح ابان ابن سعيد ابن العاص اصابته
نشابة فنزعها وعصبها بعمامته وكانت النشابة مسمومه فحين ثبتت السهم
في يده فتاخر وحملوه اخوانه الى ان اتوا به العسكر وارادوا حل العمامة ليداووا
جراحه فقال لا تحلوا العمامة عن جراحي فانكم ان حللتموها تبعتها نفسي ام
والله لقد رزقني الله ماكنت امله واهواه قال فلم يسمعوا قوله ونزعوا العمامه

عن

عنه فما نزعوها حتى شخص ببصره الى السما، وقال مشيرا باصبعه اشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون فما استتمها حتى مات وسمعت زوجته ام ابان ابنة عتبه
ابن ربيعه وكان قد تزوجها باجنادين وكانت قريبة العهد بالعرس لم يكن الخضاب
نصل من يديها ولا العطر من راسها وكانت من المترجلات البارزات من اهل بيت الشجاعة
فلما سمعت بموته اتت تتعثر في اذيالها اليه ان وقفت عليه فلما نظرته في مصرعه
صبرت واحتسبت ولم يسمع منها غير قولها هنيت بما اعطيت ومضيت لجوار ربك
والذي جمع بيننا ثم فرق لاجهدن الى ان الحق بك فاني لمشتوقة اليك لم ارو منك
ولم ترو مني ولكن يا ابا ابان الان بنفسي بعيشي حرام علي ان لا يلامسني بعدك
احد فقد حبست نفسي في سبيل الله عسى الحق بك وارجوا ان يكون ذلك عاجلا
قال ولم يرى الناس احسن صبرا منها ثم حفر له ودفن مكانه فقبره معروف وصلى
عليه خالد فلما غيب في الثرى لم تبك ام ابان ولم تزنه عند قبره دون ان اتت الى
سلاحه فافرغته عليها وتنكرت وتلثمت وتناولت سيفه وحجفته ولحقت الجيش
من غير ان يعلم خالد بذلك وقالت على اي باب قتل بعلي قيل على باب توما فقتله
توما صهر الملك فسارت الى اصحاب شرحبيل ابن حسنه فاختلطت بهم وقاتلت مع
الناس قتالا شديدا لم يرى الناس مثله وكانت ارمى خلق الله بالنبل قال شرحبيل
رايت يوم دمشق رجلا على باب توما يحمل الصليب وهو امام توما وهو يشير الينا
وينادي اللهم انصر هذا ومن لاذ به اللهم لا تخذله ولا تخذل من يعبده واكفنا مونة
السحرة الكفرة اللهم اظهر لهم نصرته واعلى درجته قال شرحبيل وانا دانيا انظر اليه
اذ رمته ام ابان بنبله لم تخط يده برميتها واذا بالصليب قد سقط من يده وهوى
الينا وكاني انظر لمعان جواهره فما فينا الا من بادر اليه لياخذه وقد استترنا
بالدرق ومطرت علينا الجنادل وتكاسر بعضنا على بعض نسابق اليه ونظر عدو
الله توما الى ذلك من انتكاس الصليب وانهوايه الى المسلمين فنخر وكفر وعظم عليه
وقال يبلغ الملك عني ان الصليب الاعظم اخذ مني وملكته العرب لا كان ذلك ابدا
ثم حزم وسطه واخذ سيفه وطارقته وقال من شا منكم فليتبعني ومن شا فليقعد
ولا بد لي اليوم مما اشفي صدري من هولا، ثم انحدر مسرعا وامر بفتح الباب
ففتح له وكان اول مبادرا فلما نظر القوم الى ذلك لم يكن فيهم الا من انحدر في اثره لما
يعلمون من حرصه وعزمه وجودة مراسه وشدة اختلاسه فمنهم قوم بالقسي
والنشاب ومنهم قوم بالسيوف والطوارق وخرجوا كالجراد المنتشر قال والمسلمون
يتجادبون الصليب فلما خرج الروم ووقع صايحهم حذر الناس بعضهم بعضا
فلما نظروا اليهم قد جاهم سلموا الصليب الى شرحبيل ابن حسنه وانفردوا الاعدايهم ومالوا

عليهم وحملوا في اعراضهم مهاجمين لهم واحذ[هم] والنشاب والحجاره من كل مكان من اعلا
الباب فصاح شرحبيل معاشر الناس تقهقروا الى ورائكم لئلا تنالوا النشاب والجنادل
من اعداء الله العالين عليكم قال فتقهقروا الى ورائهم الى ان امنوا من شر عدوهم
واتبعهم عدو الله توما ينظر يمينا وشمالا وحوله ابطال قومه وهو يهدر كالبعير
الهايج فلما نظر شرحبيل الى ذلك من تكاثر المشركين صرخ بقومه يحرضهم على القتال
وهو يقول معاشر الناس كونوا ناسين لاجالكم طالبين لجنة ربكم وارضوا اخالقكم
بفعلكم فانه لا يرضى منكم بالفرار ولا ان تولوا الادبار احملوا عليهم وقربوا اليهم
بارك الله فيكم قال فحمل الناس حملة منكره والتحم القوم واختلط بعضهم ببعض
وعملت السيوف وترامو بالنشاب وتكافحوا بالحجف وتراسلوا بالجنادل
وتسامع اهل دمشق ان توما خرج اليهم وان الصليب الاعظم قد وقع اليهم من كف
صاحبهم فحملوا يهرعون ويخرجون الى ان تزايد امرهم وتكاثر جمعهم وجعل عدو الله
توما ينظر يمينا وشمالا ويحرض القوم يطلب ينظر الى الصليب اذ حانت منه التفاته
فنظر اليه مع شرحبيل ابن حسنه فلما نظر اليه لم يلو دون ان حمل عليه مصمما اليه
وقصده وهجم عليه فصاح به ارم الصليب لا ام لك فقد لحقك طوارقه ونوايبه
قال ونظر شرحبيل الى حملته وهجمته عليه فالقى الصليب عن يده ونضد ر
بحجفته وامتشق سيفه ولاقه وصادمه وحمل عدو الله حملة منكرة حتى نظر
الى الصليب ملقى وصرخ على اصحابه صرخة هايله فادركوه واخذوه ونظرت
ام ابان ابنة عتبة ابن ربيعة الى حملة عدو الله على شرحبيل من هذا المذل
بنفسه وباسه قالوا هذا توما صهر الملك هرقل وهو قاتل بعلك ابان ابن سعيد
ابن العاص فلما سمعت ذلك منهم حملت حملة منكره الى ان قاربته بحملتها
ثم الجمت نبلة بكبد قوسها واومت بالنبلة اليه فتبادرت اليها العلوج
وتصارخوا عليها ليرعبوها فلم تلو واليهم دون ان حققت بنبلتها
على حاجبهم ونادت بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ثم اطلقت النبلة
وعدو الله قد وصل الى شرحبيل وكاد ان يغلب على الصليب اذ جاته النبلة
فاصابته في عينه اليمنى فانتكشت النبلة فيها فتقهقر الى ورائه صارخا
وهمت ان ترميه باخرى فتبادر اليها الرجال وستروا عدو الله بالطوارق والدرق على الاسود
وتبادر قومها يحلمون عنها فلما امنت من شر الاعداء اخذت ترمي وهي تقول بعد الصلاة

ام ابان فاطلبي ثارك صولي عليهم صولة للمدارك
قد ضج جمع الروم من نبالك اقسمت لا احلت عن المعارك

وكنت ما عشت لكم تدارك ثم انها رمت علجا فاصابت صدره فسقط الى
الارض هاويا ورمت اخرى فاصابت نحره فانتكس لجنبه صريعا وكان عدو الله

اول

اول من تقهقر الي ورائه هاربا من حرارة النبله فصرخ صراخ البعير الي ان دخل
الباب ونظر شرحبيل الي ذلك فصاح باصحابه ويلكم ما يوقفكم وقد تخلص كلب
الروم احملوا علي الكلاب بعسي الله ان تداركوا عدو الله تحمل المسلمون حملة منكرة
وحمل شرحبيل وحمل جميع الناس وضربوا في اعراض الروم الي ان وصلوا الي الباب
حموهم قوم منهم من اعلي الباب بالنشاب والحجارة ورموهم بالجنادل فتراجع المسلمون
الي مواضعهم وقد قتلوا من القوم ثلثمائة رجل واخذوا اسلاحهم وصلبهم
ودخل عدو الله توما الي المدينة والنبالة في عينه لم تخرج منها فلما حصل القوم
في المدينه اغلقوا الباب واحدق به كبرا القوم من النصرانيه والاساقفه والارجيه
والعظما منهم واخذوا في قلع النبالة من عينه فلم تنقلع لهم ولم تزل من
مكانها وجذبوها فلم تخرج وهو يصيح بالصراخ فلما طال علي القوم ذلك
ولم يجدوا حيله في اخراجها فنشروها وبقي الزج في عينه ولم يزل من مكانه
فعصبوها وسالوه للسير الي منزله فابي وجلس داخل الباب الي ان سكن ما به
وخف عنه الالم قليلا وقالوا امضي الي منزلك بقية يومك فقد نكبنا في يومنا
هذا بنكبتين نكبة الصليب الاعظم ونكبة بك مما وصل اليك من هولاء اللئام
وقد علمنا ان القوم لا يقوم لهم قائمة ولا يصطلي بنارهم وانما سالناك ان
تصالح القوم بما طلبوا منا لما رايناه منهم واخبرنا من فعالهم ولانزالهم
غير الذي ذكرنا لك من الصلح وينصرف القوم عنا فغضب من قولهم وتزايد الغضب
به وقال يا ويلكم يوخذ الصليب الاعظم واصاب بعيني وتقتل حاشيتي واعقل
عن هولاء العبيد ويبلغ الملك عني ذلك فيشهرني بالعجز والوهن عند الملك
ولا بد لي من طلبهم علي كل حال اطلب صليبي واخذ في عيني الف عين منهم
ليعلم الملك اني قد اخذت بثاري منهم وسا اوقع بالقوم حيلة اصل بها
الي اموالهم واملك صاحبهم وابيد جمعهم واخذ اموالهم وما جمعوه وغنموه
منا وابعث بالكل الي الملك ثم اني لا ارضي لهم بذلك حتي احشد الجيوش واحمل
الاثقال والزاد والماء واسير الي صاحبهم ابي بكر الذي هو بالحجاز فابيد اثارهم
واخرب ديارهم واهدم مساجدهم واجعل مدينتهم مسكنا للضباع
والهوام والوحش ثم ان الملعون علي علي الباب وهو معصب العين مشدودة
له يحرض الناس لكي يزيل من قلوبهم الرعب واقبل يقول لهم لا تجزعوا مما ظهر
لكم من يومكم ولا بد للصليب ان يرميهم ببوائقه وانا الضامن لكم ذلك قال
فثبت القوم لقوله وقاتلوا قتالا شديدا وصبر المسلمون وبعث شرحبيل ابن
حسنه رضي الله عنه الي خالد يخبره بما صنع القوم وقال للرسول اخبره عن
عدو الله صاحب الملك قد ظهر لنا منه ما لم يكن في الحساب ولكن ابعث لنا رجالا

لان الحرب عندنا اكثر من كل باب فلما وصل الرسول لخالد فرح وحمد الله كثيرا وقال كيف
اخذتم صليب القوم قال رسول شرحبيل كان يحمل صليب الينا فخرج توما لنا ياخذه
منا ووقع القتال الشديد فرمته ام ابان فقلعت عين توما فقال خالد ان توما
عند القوم معظم وهو الذي يمنعهم من الصلح ونرجوا من الله ان يكفنا شره
ويصرف عنا اشره ثم قال للرسول عد اليه وقل له كن حافظا ما امرتك به فكل
فرقة مشتغلة عنك وانا بالقرب منك وهذا اصاحبنا ضرار ابن الازور يطوف
حول المدينة وكل وقت يكون عندك ولن تؤتي من قبلهم ان شاء الله قال فرجع
الرسول اليه فاخبره بذلك فصبر وقاتل بقية يومه وصير الناس في مراكزهم واتصل
بامراء المسلمين ما نزل بشرحبيل ابن حسنه من توما صهر الملك وما غنم من صليبه فسروا
بذلك سرورا شديدا واقام الناس بقية يومهم ذلك في الحرب الى ان جاوزا اوقات
الظهر وقارب اوقات العصر فقطعوا القتال ورجعت كل فرقة الى موضعها ومكانها
الى ان ادركهم المسا فتحارس القوم واضرمت النيران وقراة القرا واذن المؤذنون وصلى
الناس العشا كل امير بقومه **قال الواقدي** رحمه الله فلما جن الليل
بعث توما الى اكابر دمشق وابطالهم واحضرهم اليه واقبل عليهم وقال يا اهل هذا الدين
انه قد طاف بكم قوم لا خلاف لهم ولا دين ولا عهد ولا ذمام ولو صالحتموهم واعطوكم
الامان ما وفوا لكم بذلك ولا صالحوكم وهذه نساهم واولادهم وصبيانهم قد
اتوكم بهم يسكنوهم بلدكم ان شئتم او ابيتم فكيف صبرتم على هتك الحريم
وسبي النسا والخروج من اوطانكم نساكم عبيدا لهم يستعبدونهم وما وقع
الصليب بهم الا بغضبه عليكم لما اضمرتم من هدم الدين ومصالحة المسلمين
واذلالكم للصليب وانا قد خرجت اليوم ولولا ما اصيبت به عيني لما عدت او
او فرغ لك من القوم وقد اليت بعزة الملك الرحيم لا كان لي بد امن المطالبة بثاري
وانا اقلع الف عين من العرب ابعث بها الى الملك ثم لا بد لي ان اطالبهم بالصليب
او اصل اليه فاخذه وان توانيت وغفلت لا امن تغير الملك لي فلما سمعوا مقالته
قالوا ايها السيد ان القوم كثير وما هو الا ان نفصح عنه من خيانة القوم حتى
يعطف القوم عليك من ساير الاماكن ويزحف اليك اميرهم الاكبر في الخيل من
باب الشرقي ويسير الاخر من باب الجابيه ويعظم الامر ويأتيك ما لا طاقة لك
به وبعد هذا فنحن بين يديك رضينا ما رضيته لنفسك فان امرتنا بالخروج
اليهم خرجنا وان امرتنا بالقتال على صورنا قاتلنا فقال توما ساد بر لكم تدبير
ممن خاض الحروب وعرفها وضاف بها درعا ثم امر باجتماع الناس من خاصتهم
وعامتهم فاجتمعوا اليه الا اقلهم على الابواب خوفا من المسلمين فلما تكاملوا
اجتمعوا قال اني عزمت ان نهجم على القوم في هذه الليلة واكبسهم في اماكنهم فان

الير

الليل مهوب وانتم اخبر بالبلده من غيركم فلا يبقي الليله منكم احد الا ويتاهب
ويخرج من بابه وتكبسوا القوم واخرج انا بمن معي من بابي وارجوا ان لا اعود الا
بفرحتي ووصولي الي مسرتي فاذا انا فرغت من القوم عطفت عليهم فابيد الاول
بالاول الي ان اصل الي امير القوم فاخذه اسيرا واحمله الي الملك ليا مر فيه بامره فمن
خرج منكم الي جهة من الجهات فلا يرجع ولا يبرح من مكانه او وصل اليه قالوا حبا
وكرامه فعند ذلك عمد الي القوم ففرقهم فرقا فابعث بفرقة الي باب الجابيه
وفرقه الي باب الشرق وقال لهم لا تخزعوا فان امير القوم الاعظم خالد ابن
الوليد متباعد عنكم وليس هناك الا الاراذل والموالي فاطحنوهم طحن الحصيد
وكلوهم اكلا ثم سار وادعا بفرقة اخري الي باب الفراديس الي عمرو ابن العاص
وبعث بفرقة اخري الي باب كيسان الي سعيد ابن زيد ابن عمرو ابن نفيل فسارت
كل فرقة الي الجهة التي بعث بها اليها وابندر توما الي بابه ومعه سادات ابطال
القوم ولم يترك بطلا يعرف منه الشجاعه الا تربه معه ممن عرفه واخبره ثم اقبل
علي القوم قبل تفرقهم وقال لهم سا وقف علي بابي رجلا ومعه نا قوس يضرب به
بغير جرس فاذا سمعتم صوته فهي العلامه بيني وبينكم فافتحوا الابواب واخرجوا
مسرعين الي عاديكم فهاجموهم ولا شك انكم تجدون قوما نياما وقوما قياما
فداخلوهم قبل ان يصلوا الي اسلحتهم فاضربوهم ضربا واقتلوهم قتلا كيف شئتم
وانا شئتم فلئن فعلتم ذلك وصدقتم القوم بذلك في هذه الليلة طمعتم فيهم وانكسروا
كسرة لا يجبرون بعدها ابدا وتفرح القوم بذلك وخرجوا الي حيث امرهم وقصدنا
كل فرقة الي بابا من الابواب واقاموا ينتظرون الصوت ان يقع بهم فيثبا درون
الي المسلمين قال ودعا توما برجل من النصاري فقال له احمل النا قوس واعلوا علي
الباب واذا رايتنا قد فتحنا الباب فاخفق الناقوس خفقة ليسمعها قومنا
الموكلون بالابواب فيثبادرون الي اعاديهم فقال حبا وكرامه ثم مضي واسرع
الي ما ندب اليه واتي بنا قوس كبير وعلا علي الباب وسار توما بقطعة من جيشه عليهم
الدروع والبيض بايديهم العمد والسيوف وهو في اوايلهم بيده صفيحة هنديه
ودرقة جرمقنيه وقد لبس سواعد حديد والقي علي راسه بيضه كسرويه كان
هرقل قد اهداها اليه من خزانة سلاحه وكانت خرقته بالذهب مطليه بالفضة
لا يعمل فيها السيوف القواطع فاقبل علي مقدمتهم الي ان وصل الي الباب ثم وقف الي ان تكامل
من حوله من الناس فلما نظر اليهم فجد قيين به قال يا قوم اذا فتح لكم الباب فاسرعوا الي
عدوكم وجدوا في سعيكم الي ان تصلوا الي القوم فاذا وصلتم فاحملوا واهجموا ومكنوا السيوف
ومن صاح بكم الامان فلا تبقوا عليه الا ان يكون امير القوم ومن ابصر منكم الصليب فليحره
فان بعد ذلك عليه فليصرخ بي حتي اسير اليه فقالوا حبا وكرامه ثم امر رجلا من اصحابه

ان يسير الي الذي بيده الناقوس يامره بضربه ثم امر الباب ففتح ووصل الرجال الي
صاحب الناقوس وامره بخفقه خفقة لم يكن غيرها حتى فتحوا القوم
الابواب فتبادروا عند ذلك وخرج اللعين نوما وسمع المسلمون الصوت فتبادروا
من اماكنهم مسرعين الي اصحاب النبي عليه السلام وهم في غفلة مما دبره القوم عليهم
الا انهم في يقظة وحذر فلما سمعوا الصوت ايقظوا بعضهم بعضا ونضا بجوا ووقع
الصوت وتواثبت الرجال من مضاجعهم ومراقدهم كالاسود الزايرة فلم يصل اليهم عدوهم
الا وهم علي حذر وتوجهوا اليهم الا انهم علي غير ترتيب فقاتل القوم في ظلام الليل
وعمل السيف وسمع خالد ذلك فقام ذاهل العقل جزعا مما سمع من ضجيج الاصوات والرنات
فصاح واغوثاه واسلاماه والحمداه اكيد قومي ورب الكعبه اللهم انظر اليهم بعينك
التي لا تنام وانصرهم ولا تسلمهم الي شر خلقك ثم دعا خالد رضي الله عنه بغلحان
ابن زياد الطايي وهو اخو عدي ابن حاتم وقال كن خليفتي في قومي والحريم ولا صبر لما سمعته
واحذر ان تولي من قبلك ثم ترك معه العسكر وسار خالد من عسكره في زها عن اربعمائة
فارس وهو بغير درع وليس عليه الا ثوب من كرابيس الشام مكشوف الراس بلا بيضه
ولحملته السرعة الي المسلمين عن لبس السلاح واطلق جواده واطلق القوم الاعنه من
ورائه وهو في اوائلهم ودمعته تسيل علي خده جزعا منه علي المسلمين وسمعه الناس وهو يقول بعد الصلاة علي الاسود
قد فاض دمعي واعتراني حرقي   وضاق صدري وبراني سخني
يارب سلم من نزول المحني   واحرس الاسلام يا ذا المنني
ثم جد في السير والاربعمائة من ورائه وقد هزوا السيوف الي ان وصلوا الي باب الشرقي
واذا بالفرقة التي هناك قد هاجمت صاحبه رافع ابن عميرة الطايي واذا القوم قد
تواثبوا اليهم وهم في القتال والسيف يعمل ضربا والصيحات من ساير الابواب واصوات
المسلمين عاليه بالتكبير والقوم من اعلا الاسوار قد ابرقوا وارعدوا ونضا بجوا
عندما استيقظ المسلمون لهم فحمل عليهم خالد ونادي برفيع صوته ابشروا يا معاشر
المسلمين اتاكم النصر من رب العالمين انا الفارس الصنديد انا خالد ابن الوليد ثم حمل في اوساط
الناس وحمل علي الروم بمن معه فقتل رجالا وجندل ابطالا وهو مع ذلك مشتغل
القلب بابي عبيدة وساير المسلمين الذي اوقفهم علي الابواب وهو يسمع اصواتهم وزعقاتهم
وصراخ القوم والنصارى واليهود مرتفع قال سنان ابن عوف قلت لابن عمي قيس
ابن هبيره كانت اليهود تقاتلكم قال نعم كانوا يقاتلونا من اعلا الحصن ويرمونا
بالسهام والحجارة قال وخشي خالد علي شرحبيل ابن حسنه مما اتصل به من عدو الله
توما لانه ملازم لذلك الباب فخاف علي شرحبيل من شجاعته **قال الواقدي**
رحمه الله ولقي شرحبيل ابن حسنه من عدو الله امرا عظيما لم يلق احد امثاله وذلك انه
هجم عليه توما في تلك العصابه التي معه وكان اول من خرج من القوم فاول من وصل

الي المسلمين كان نوما لعبد الله فصبر لهم صبر الكرام وثبتوا علي القتال وقاتل عدو الله قتالا
شديدا وجعل يخرف يمينا وشمالا وهو ينادي اين اميركم الذميم الذي رماني فاصابني
انا ركن الملك الرحيم انا ناصر الصليب هلموه الي حتي ارجع عنكم فلما سمع صوته شرحبيل
كاتب رسول الله صلي الله عليه وسلم فقصد جهته وقد خرج رجالا من المسلمين فقال ها انا
صاحبك وغريمك انا صاحب القوم انا مبيد جمعكم واخذ صليبكم انا كاتب رسول الله صلي
الله عليه وسلم فعطف عليه توما عطفة الاسد علي فريسته وقال اياك اطلب ولك
اردت ثم انفرد له وصادمه ولم يزل بالنا من طول الايام منذ باكضراطهما في
تلك الليلة وراي شرحبيل منه شيا هاله فلم يزالا كذلك الي ان مضي من الليل شطره
وكل قرن مع قرنه وكانت ام ابان ابنة عتبة مع شرحبيل لم تزل عنه وكانت في تلك
الليلة احسن الناس صبرا وارمت نبالها فكانت لا تقع نبلة من نبالها الا في رجل من
المشركين الي ان قتلت رجالا والروم يظنون انها رجل ولم تزل كذلك الي ان نفذ النبل ولم
يبق معها غير نبلة واحدة تشير بها يمينا وشمالا والقوم يتحايدونها من خوف النبلة
اذ قاحمها رجل من القوم فرمت النبلة اليه فوقعت في نحره فلما احس بالموت هاجم بها
وصرخ بالقوم اعني الروم فمالوا الي سعونته فاهجموا ام ابان فاخذوها اسيرة
ومات عدو الله الذي رمته واما شرحبيل فلقد لقي من عدو الله ما لا يلقي احد
الا انه صابر وانه ضرب لعدو الله ضربه هايله فالتقاها بدرقته فانكسر سيف
شرحبيل وطمع عدو الله فيه فحمل عليه وظن انه اسير واذا بفارسين قد اشرفا
ومن ورايهما كتيبة من الفرسان فهجموا علي الروم واذا بام ابان قد قبضت علي رجلين
من الروم بكلتي يديها وهي تزعق فلحقها الفارسان وكان احدهما عبد الرحمن
ابن ابي بكر الصديق والاخر ابان ابن عثمان فقتلا الرجلين وخلصا ام ابان وشرحبيل
ورجع عدو الله الي المدينة قال معمر ابن عامر ابن سهل قال حدثني جابر ابن الاصهب
قال حدثني تميم ابن عدي وكان ممن شهد الفتوح قال كنت في خيل ابي عبيدة ابن الجراح
ولم يكن في الامرا من قاتل اكثر من اصحابه رضي الله عنهم وذلك ان ابا عبيدة يصلي
في خيمته مما يلي باب الجابية وهو منتباعد منهم اذ سمع الصوت قد وقع وقد تنادي
المسلمون القوم فلما نظر الي ذلك اوجز في صلاته وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم ثم لبس سلاحه وتبعته قومه معه فتدرعوا بالسلاح ودني من القوم فنظر
اليهم في المعمعة والحرب فقد لعنهم يمينه ويسره الي ان جاوزهم ثم عطف بهم نحو
الباب فوصل اليه والقوم في القتال وكبر وكبر المسلمون من ورائه فلما سمع المشركون
التهليل والتكبير ظنوا ان المسلمين قد دهموهم من ورايهم في عسكر وجمع كثير فعطفوا
راجعين وعلي مقدمهم امير الباب وكان اسمه جرجي ابن قالا وجرجس ابن كالا والله
اعلم واتبعهم المسلمون وبذلوا فيهم السيف حتي اذا قاربوا الباب حمل ابو عبيدة وصحبه وتلقوا

القوم واخذوا عليهم المجاز والجنادل والسهام تتساقط عليهم من اعلا الباب وهم
لا يلوون عنهم فلما هاجموهم خشي القوم ان يصيبوا اصحابهم بسهامهم او بحجارتهم
فمسكوا ايديهم وراي ابو عبيدة ان ذلك بالموافقة فبذل السيف فيهم قال
الواقدي رحمه الله ولقد بلغنا انهم ما سلم من الروم في تلك الموافقة لا صغير
ولا كبير ولقد قتلوا عن اخرهم وقتل جرجي ابن قالا وان خالدا قاتل قتالا شديدا
ما راوا مثله فبينما هو كذلك اذا اشرف عليه ضرار ابن الازور وقال ابشر ايها
الامير فما جنتك حتي احصيت اني قتلت في ليلتي مائة وخمسين رجلا وقتل
منهم ما لا يعد ولا يحد وقد كفيتك مونة من خرج من باب الصغير الي يزيد ابن
ابي سفيان ثم عطفنا من ساير الابواب فقتلنا وابذلنا قال فسر بذلك خالد
سرورا شديدا ثم سار جميعا حتي اتيا شرحبيل ابن حسنه وشكر له قال
الواقدي رحمه الله وكانت ليلة عظيمه لم يلاقي الناس مثلها وقتلوا تلك
الليله الوفا من الناس قال فاجتمع كبراد مشق الي توما وقالوا ايها السيد انا نصحناك
فلم تقبل ولم ينفع قولنا وقد لحقك ما لحقك وقتل منا اكثر الناس وهذا امر لا يطاق
فصالح اصلح لك فان ابيت والا صالحنا عن انفسنا وتركناك وشانك فقال يا قوم
امهلوني حتي اكتب الي الملك اعلمه ما قد نزل فان اغاثنا وانجدنا والا فالصلح امامكم
قال وكتب من وقته وساعته كتابا يقول فيه الي الملك الرحيم من صهره توما اما بعد
فان العرب يحدقون بنا كاحداق البياض بسواد العين وقد قتلوا اهل اجنادين
وقد رجعوا الينا وقد قتلوا منا مقتله عظيمه واني خرجت اليهم واصبت منهم
الا ان قومك واهل الشام تركوني واسلموني وقد ذهبت عيني وقد عزموا علي الصلح
ودفع الجزيه الي العرب فاما ان تسير بنفسك واما ان تبعث الينا عسكرا تنجدنا
به واما ان تامرني بمصالحتهم وقد تزايد الامر علينا والسلام ثم طوي الكتاب
وختمه بخاتمه وبعث به قبل الصباح فلما اصبح القوم وباكرهم المسلمون بالقتال
وبعث خالد الملك اميران يزحف من مكانه وركب ابو عبيدة رضي الله عنه
ووقع القتال واشتد الامر علي اهل دمشق فبعثوا الي خالد ان امهلنا لننظر في
امورنا فابا خالد الا قتالهم ولم يزل عنهم الي ان ضاق بهم الحصار وهم مع ذلك
ينتظرون جواب الملك واجتمع ارباب البلد بعضهم الي بعض وقالوا يا قوم ما لنا
صبر علي ما نحن فيه من امر هاولاء العرب ان قاتلناهم نصروا علينا وان تركناهم
ولزمنا مدينتنا اضربنا مقامهم فدعوا اللجاجه عنكم واطلبوا من القوم
الامان والصلح علي ما طلبوا منكم فقال لهم شيخ كبير من الروم ممن قرا الكتب
السالفه وتدبرها يا قوم والله اني اعلم لو ان الملك بعدته وعديده ما دفع عنكم
هؤلاء لما قرات في الكتب ان صاحبهم محمد وهو خاتم النبيين وهو سيد المرسلين

وميطلو

وسيظهر دينه على كل دين فدعوا عنكم العلالات والتشاغل بالباطل الان واعطوا القوم
ماطلبوا منكم فهو اوفق لكم فلما سمعوا القوم من مقالته ركنوا اليه لما يعلمون
من حربه وعلمه ومعرفته بالاخبار والملاحم وقالوا له كيف الراي عندك قال لهم
انكم تعلمون هذا الذي على باب الشرقي رجل فظ سفاك الدما فان اردتم تقاربوا الامر
فامضوا الي الذي على باب الجابيه وتكلم رجل ممن يحفظ بالعربيه وقال بصوت
رفيع يا معاشر العرب النا الامان منكم حتي ننزل اليكم وتكلم صاحبكم في تبرم الصلح
بيننا وبينكم قال ابو هريرة الدوسي وكان ابو عبيدة قد نفد رجالا من المسلمين
يكونوا قريبا من الباب مخافة الكبس مثل الليلة التي خلت وكانت النوبة تلك
الليلة لدوس الامير علينا عامر ابن الطفيل رحمه الله فبينما نحن جلوس في مواضعنا
قريبا من الباب اذ سمعنا اصوات القوم ينادون فقال ابو هريرة رضي الله عنه فلما
سمعت قولهم بادرت الي ابي عبيدة وبشرته بذلك وقلت لعل الله ان يريح المسلمين
من التعب قال فاستبشر بقولي وقال امضي وكلم القوم وقل لكم الامان حتي تعودوا
الي بلدكم سالمين فقال القوم من انت من اصحاب محمد حتي نثق بقولك قال انا ابو هريرة
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويلكم والله لو ان عبد النا اعطاكم الامان لاجزناه
لان الله تعالى يقول في كتابه واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا وما عرف من العرب
الا الذمام وهي في الجاهليه فكيف وقد هدانا الله بمحمد عليه السلام قال فنزل القوم
وفتحوا الباب وخرجوا واذا بهم مائة رجل من كبرائهم واقسّتهم وعلمائهم
قال فلما قربوا من عسكر ابي عبيده تبادر اليهم المسلمون وازالوا عنهم الزنانير والصلبان
الي ان اتوا الي خيمة ابي عبيدة رضي الله عنه قال فرحب بهم ووثب لهم قايما واجلسهم
وقال ان محمدا صلى الله عليه وسلم قال لنا اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه قال وتحدثوا في امر
الصلح وقالوا انا نريد منكم ان تتركوا لنا كنايسنا ولا تغصبونا عليها منها كنيسه
يحنا وهي الجامع اليوم وكنيسة مريم وكنيسة حنينا وكنيسة بولص وكنيسه
تومص وكنيسه المقساط وكنيسه سوق التبل وكنيسة اندريا وكنيسة
قريصا وهي عند دار حميد ابن ذر فاجابهم ابو عبيدة الي ذلك والي كل ما اشترطوه
عليه وكتب لهم كتاب الامان والصلح ولم يسم فيه نفسه ولا اثبت شهودا
وذلك انه لم يحب ان يلي امر المسلمين بعد ان عزله ابو بكر الصديق رضي الله عنه قال
فلما كتب لهم ابو عبيدة رضي الله عنه الكتاب ركب وركب معه ابو هريرة رضي الله عنه
ومعاذ ابن جبل وسلمه ابن هشام المخزومي ونعيم ابن عدي وهشام ابن العاص
السهمي وذهبان ابن سفيان وعبد الله ابن عمرو الدوسي وذو الكلاع الحميري وحسان
ابن نعمان الطائي وجرير ابن نوفل الحميري وسالم ابن يزيد اليربوعي وسيف ابن اسلم
الطايفي ومعمر ابن خويلد السكسكي وسنان ابن اوس الانصاري ومخلد ابن عوف

الكندي وربيعه ابن مالك التميمي وحكم ابن عدي النبهاني والمغيره ابن شعبه الثقفي
وبكير ابن عبد الله اليمني واسد ابن سعد وقيس ابن سعد ابن عمر الغنوي ورافع ابن
سهم ويزيد ابن عامر وعبيد ابن اوس ومالك ابن الحارث وعبد الله ابن ظفر وابو
لبابه ابن المنذر وعوف ابن ساعده وعباس ابن قيس وعباد ابن عيينه النبهاني
وسيره ابن عامر وعبد الله ابن قرط الازدي فالجملة خمسة وثلاثون رجلا
صحابيا وستون من اخلاط الناس فلما ركبوا تقدموا نحو الباب فقال ابو عبيدة
لمن صالحهم نريد رهاين حتى ندخل معكم فاتوه برهاين حدثني ابو عتبه
عن صفوان عن عمرو ابن عبد الرحمن ابن جبير عن ابيه قال لم ياخذ ابو عبيدة من
القوم رهاين بل اتكل على الله عز وجل وقال ابن اسحاق لم ياخذ من القوم
وذلك انه تلك الليلة التي صالح القوم فيها راي حين صلى الفريضة ونام راي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له الليله تفتح لكم المدينة ان شا الله تعالى
فقال ابي عبيده وكاني رايت الرسول مستعجلا فقلت يا رسول الله اراك عجلا فقال
جيت لاحضر جنازة ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال واستيقظ ابو عبيده رضي
الله عنه وابو هريرة قد جا يبشره بالصلح فلم ياخذ من القوم رهاين ثقة
بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواقدي رحمه الله ولقد
بلغني ان ابي عبيدة لما دخل باصحابه سارت الاقسه والرهبان نحوهم مسوح الشعر
الاسودة قد رفعوا الاناجيل والمباخر بالعود والند وذلك يوم الاثنين في
الحادي والعشرين من جمادي الاخر سنة ثلاثة عشر من الهجرة قال اهل السيره
في خبرهم ممن رووا فتوح الشام منهم محمد ابن اسحاق الاموي وغيره ممن ذكره
باسناد في اول الجزو واثقة بهم واعتماد عليهم قال ابو عبد الله محمد ابن عمر و
الواقدي حدثني عبد الحميد ابن ابي عمران عن ابن ابي انس عن امية وكان ممن
يعرف اخبار فتوح الشام قال دخل ابو عبيده ابن الجراح دمشق من باب الجابية
وليس عند خالد ابن الوليد خبر من ذلك لانه كان شدد القتال على باب الشرقي
وكان حنقا عليهم لانه رمي ابان ابن سعيد بسهم مسموم وهو اخو عمرو ابن العاص
من امه فصلى عليه خالد ودفن ما بين باب الشرقي وباب توما وكان قس من
اقسة الروم اسمه توشا ابن مرقس يسكن في دار ملاصقة بالسور مما يلي باب
باب الشرقي وكانت عنده ملاحم دانيال وغير ذلك وان الله يفتح البلاد على يد اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وان دينهم يعلو على كل دين فلما كان ليلة الاثنين
وهي ليلة احدي وعشرين من جمادي الاخر نقب من داره وخرج على حين غفلة
من اهله واولاده وقصد خالدا وحدثه انه خرج من داره وخبر موضع خرج
منه والان اريد امانا لي ولاهلي فاعطاه خالد يده على ذلك ونفذ معه مائة رجل

معرين

معه من اكثرهم من حمير وقال اذا حصلتم في المدينة فارفعوا اصواتكم بجمعكم واقصدوا
الباب واكسروا اقفاله وارموا سلاسله حتى ندخل ان شا الله تعالى ففعل القوم
ذلك وامر عليهم كعب ابن ضمره او مسعود ابن عون والله اعلم ايهما كان ومضا
امامهم توما ابن مرقص حتى دخل بهم من حيث خرج فلما حصلوا في داره تدرعوا
واحتزموا ثم خرجوا وقصدوا الباب واعلنوا بالتكبير والقوم في القتال اعلا
الحصن فلما سمعوا التكبير اندهلوا وعلموا ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد حصلوا في المدينة معهم فسقط ما في ايديهم وان كعب ابن ضمره قصد الباب وكسر
وقطع السلاسل ودخل خالد ومن معه ووضع السيف في الروم وهم منجفلون بين
يديه الى ان وصل الى كنيسة مريم وخالد يسبي ويقتل قال الواقدي
رحمه الله والتقا الجيشان عند كنيسة مريم جيش خالد وجيش ابي عبيده فلما التقوا
نظر خالد الى ابي عبيدة واصحابه سايرون والقسوس والرهبان بين ايديهم وما
احد من اصحاب ابي عبيده جرد سيفا فلما نظر الى خالد وما هم فيه وما منهم احد
يقاتل بهت لذلك وجعل ينظر اليهم متعجبا ونظر ابو عبيدة رضي الله عنه الى خالد
فعرف في وجهه الانكار فقال يا ابا سليمان قد فتح الله المدينة على يدي صلحا وكفى الله
المومنين القتال قال الواقدي رحمه الله حدثني عبد الحميد ابن عمران
عن ابن انس عن ابيه قال ما خاطب ابو عبيدة رضي الله عنه خالد رضي الله عنه يوم الفتح الا
بالامارة فقال ايها الامير قد تم الصلح قال خالد فما الصلح لا اصلح الله احوالهم وانا لهم
الصلح وانا فتحتها بالسيف وقد خضبت سيوف المسلمين من دمايهم واخذت الاموال
والاولاد اماء وعبيدا فقال ابو عبيدة رضي الله عنه ايها الامير ما دخلتها انا الا صلحا
قال خالد رضي الله عنه انك لم تزل مغفلا وانت غافل ما دخلتها انا الا بالسيف عنوه
وما بقي لهم حاميه فكيف اصالحهم فقال ابو عبيده اتق الله ايها الامير فقد والله
صالحت القوم ونفذ السهم بما فيه وكتبت الكتاب وهو هذا منشور مع القوم
فقال خالد كيف صالحت بغير امري ولا اعلامي وانا صاحب رايتك والامير عليك
ولا ارفع السيف عنهم وافنيهم عن اخرهم فقال ابو عبيدة والله ما ظننت انك
تخالفني اذا عقدت عقدا او رايت رايا فالله الله في امري فقد والله اعطيت ذمامي
للقوم عن اخرهم واعطيتهم الامان من الله عز وجل وامان الرسول وقد رضي بذلك
كل من معي من المسلمين واما الغدر فمن شيمنا رحمك الله قال الواقدي رحمه الله
وارتفع الصياح بينهما وقد شخص الناس اليهما وخالد مع ذلك لا يرجع عن مراده ونظر
ابو عبيده رضي الله عنه الى اصحاب خالد وهم جيش الزحف والبوادي من العرب وهم
متكلبون على قتل الاعلاج ونهب الاموال وسبي الذراري ولا يردون سيوفهم
على احد فنادى ابي عبيده واثكلاه خفرت والله ذمتي ونقضت عهدي وجعل يحدث

بجواده ويشير الى العرب مره يمينا ومره شمالا وينادي برفيع صوته معاشر المسلمين اقسمت
عليكم برسول الله ان لا تبعتموا وابديكم نحو الطريق الذي جيت منه حتى نري ما نتفق
عليه انا وخالد فلما دعاهم الى ذلك امسكوا عن القتال والنهب واجتمع اليهما فرسان
المسلمين واصحاب الرايات مثل معاذ ابن جبل ويزيد ابن ابي سفيان وسعيد ابن زيد
وعمرو ابن العاص وشرحبيل ابن حسنه وربيعه ابن عامر وقيس ابن ميسره وعبد
الرحمن ابن ابي بكر رضي الله عنهما وعبد الله ابن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما وابان ابن عثمان
ابن عفان رضي الله عنهما وعبد الله ابن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما وابان ابن عثمان
والمسيب ابن نجبه الفزاري وذو الكلاع الحميري ونظراهم واجتمعوا عند الكنيسه التي
التقوا عندها للمشوره والمناظره فقالت طايفة من المسلمين منهم معاذ ابن جبل ويزيد
ابن ابي سفيان الراي ان تمضوا ما امضاه ابو عبيدة وتكفوا عن القتال عن القوم فان مدن
الشام كما هي لم تفتح وهرقل بانطاكيه كما تعلمون وان اتصل باهل المدن انكم صالحتم وغدرتم
لم تفتح لكم مدينه صلحا وثانيه ان تجعلوا هولاء الاعلاج في صلحكم فهو خير من قتالهم
وقال لخالد امسك عليك ما فتحته بالسيف ويمسك ابو عبيدة بجانبه واكتبوا
الى الخليفه واحتكما اليه فيما امربه فعلتما قال خالد قد اجبت الى ذلك وقبلت مشورتكم
فاما اهل دمشق ومن كان فيها فقد امنتهم الا هدين اللعينين توما وهربيس وجيشهما
الذي جا اليهما قال الواقدي رحمه الله فكان هربيس هو الذي مومن على نصف
المدينة ولاه توما حين رجع الامر اليه فقال ابو عبيدة رضي الله عنه ان هدين اول من
دخل في صلحي ولا تخفر ذمتي رحمك الله انزي لو ذممت انت لاحد هكذا كنت احفر ذمتك
انزي توما وهربيس كانا خارج المدينه او في داخلها فان داخلها فان كانا داخل الحصن
فهما في الذمام وان كانا خارج الحصن فلا ذمام لهما فقال خالد الذمام والله لولا ذمامك لقتلتهما
ولكن يخرجان عني من هذه المدينة لعنهما الله حيث شاوا قال ابو عبيدة رضي الله عنهما
وعلى هذا اصالحتهما ومن معهما ونظر توما وهربيس الى خالد وهو يتنازع مع ابي عبيدة رضي
الله عنهما فخافا الهلاك فاقبل توما الى ابي عبيدة ومعه ترجمان يترجم عنه ما يقول فقال
الترجمان لابي عبيدة يقول لك فيما انت وصاحبك من المشاجره ان صاحبك يريد غدرنا
فنحن واهل المدينة في العهد كما وقع على رجل منا من باب الشرقي وقال توما انا لا انطالبكم
بما من قتل فانكم في حل وانا نشهدكم ان تدعوني اخرج انا واصحابي من هذه البلده
واسلك اي طريق اردت فقال انت في ذمامنا فخذ اي طريق شيت فاذا اصرت في دار
حربنا بعضي في ارض ملكها فقد خرجت من الذمة والعهد ومن معك فقال توما وهربيس
نحن في ذمتكم وجواركم ثلاثة ايام اي طريق نسلكها ولا يتبعنا منكم احد فاذا كان بعد
الثلاثة ايام فلا ذمة لنا عندكم ولا عهد في اعناقكم ومن لقينا منكم بعد ثلاثة ايام
وظفر بنا فنحن له عبيد ان شا اسروان شا قتل فقال خالد رضي الله عنه وقد اجبناك الى

ذلك علي ان لا نحملوا من هذه البلد سوي الزاد مما نفتتا تون قال ابي عبيدة رضي الله عنه
لخالد رضي الله عنه يا سبحان الله هذا الكلام داعي لنقض الصلح وطرح العهد والميثاق
ما وقع بيننا وبينهم علي انهم يخرجون برحالهم واموالهم وبذلك بنتم العهد
بيننا وبينهم فقال خالد وقد سمحت لهم بذلك الا السلاح فاني لا اطلق لهم شيا
منه فقال هربيس لا بد لنا من السلاح نمنع به عن انفسنا في طريقنا ان طرقنا
طارق حتى نصل الي ما منا والا فنحن بين ايديكم فاحكموا بما اردتم ثم قال ابو عبيدة
لخالد رضي الله عنهما اطلق لكل واحد منهم قطعة من السلاح لا غير من اخذ رمحا فلا
ياخذ سيفا ومن اخذ سيفا لا يا خذ سكينا قال توما رضينا بذلك ما يريد منا احد
الا قطعة من السلاح ثم قال توما لابي عبيدة اني خايف من هذا الرجل يعني خالد
فليكتب لي بذلك عهدا ويشهد لي عليه شهود فقال ابي عبيدة رضي الله عنه اسكت
ثكلتك امك انا معاشر العرب لا نغدر ولا نكذب وان الامير ابا سليمان قوله قول
وعهده عهد لا يقول الا الحق ولا يالف الا الصدق قال فانطلق توما وهربيس
يجمعان قومهما ويامروهم باخراج رحالهم وكان للملك هرقل خزانه ديباج
في الخزانه زها علي ثلاثمائة حمل ديباج وحلل مرهبه فعزما علي اخراجهما وامر
توما فضرب له خيمة من القز ظاهر دمشق واقبلت الروم تخرج الرحال والاموال
والامتعه والاحمال حتى اخرجوا شيا عظيما ونظر خالد ابن الوليد الي كثرة سوادهم
وعظم رحالهم فقال ما اعظم سوادهم واكثر رحالهم ثم قرا ولولا ان يكون الناس امة
واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون
الاية ثم نظر الي القوم كانهم حمر مستنفرة لا يلتفت واحد منهم الي صاحبه من شدة
عجلتهم فلما نظر خالد الي ذلك رفع يديه الي السما وقال اللهم اجعله لنا وملكنا اياه
واجعل هذه الامتعة فيا للمسلمين انك سميع الدعا ثم اقبل علي اصحابه وجماعة
رجاله وقال لهم اني قد رايت رايا فهل تتبعوني عليه قالوا رايناا لرايك تبع ولا نخالف
لك امرا فقال خالد قوموا علي خيولكم واحسنوا اليها ما استطعتم واتخذوا
سلاحكم فاني اريد اسير بعد ثلاثة ايام في طلب هولا القوم الاعلاج وارجوا من
الله ان يغنمنا هذه الاموال التي اراها وان نفسي تحدثني ان القوم ما تركوا
في دمشق متاعا فاخرا ولا ثوبا حسنا الا وقد اخرجوه معهم قالوا افعل ذلك فما
نخالف لك امرا ثم اخذ في اصلاح شانهم وعد نفسه وعلف خيلهم وهربيس
وتوما قد جمعا لهما الدهاقين وجمعا المال الذي ضمنا لابي عبيدة رضي الله عنه فلما اجتمع
جاوا به الي ابي عبيدة رضي الله عنه ففرح به وقال قد وفيتم ما عليكم فسيروا حيث شيتم
ولكم الامان منا ثلاثة فان وقع بكم احد من المسلمين واخذكم فلا لايمة علينا قال زيد ابن
طريف الكعبي فلما سلموا المال لابي عبيده وارتحلوا سايرين كانهم سواد مظلم وكان قد

خرج مع القوم خلق كثير من اهل دمشق بنسايهم واولادهم كرهوا ان يكونوا جوار
المسلمين قال الواقدي رحمه الله واشتغل خالد عن اتباعهم لخلف وقع بين المسلمين
وبين اهل دمشق في ضجة وشجر ووجد في المدينة منه شي كثير وقال ابو عبيدة
هو للقوم ودخل في صلحهم وكادت الفتنة ان تثور بين اصحاب خالد واصحاب ابي عبيدة
واتفق رايهم ان يكتبوا كتابا الي ابي بكر وليس عندهم خبر انه مات يوم دخولهم دمشق
قال عطيه ابن عامر السكسكي كنت واقفا علي باب دمشق وهو باب الجابيه في اليوم
التي سارت فيه الروم مع توما وهربيس ومعهما ابنة الملك هرقل فنظرت الي ضرار ابن
الازور ينظر الي القوم شزرا ويقضقض اسنانه كالمتحسر علي ما فاتهم فقلت له
يا ابن الازور ينظر مالي اراك كالمتحسر وما عند الله اكثر فقال الله ما بغيتي في غنيمة وانما
انا متحسر علي بقايهم وانفلاتهم منا ولقد ساءني ابو عبيدة مما فعل بالمسلمين
قال عطيه ابن عامر فقلت يا ابن الازور ما اراد امين الامة الا خيرا بالمسلمين
اخقن دماهم واروحهم من تعب القتال فان حرمة رجل مسلم عند الله افضل مما
طلعت عليه الشمس وان الله عز وجل قد اسكن الرحمة في قلوب المومنين وازالها
من قلوب الكافرين وان الله يقول في بعض الكتب المنزله انا الرب لا ارحم من لا يرحم
وقال الله تعالى والصلح خير قال لعمري انك لصادق ولكن اشهد علي الجلا ارحم
من جعل مع الله زوجة وولد قال الواقدي رحمه الله وعزم خالد علي القعود
عن المسير خلفهم فما حرضه علي ذلك الا رجل من دمشق كان معه وكان من فرسان
القوم قال الواقدي رحمه الله تعالى حدثني عمر ابن محمد ابن عيسي ابن ابي عطا عن
عبد الواحد ابن عبد الله البصري عن وايله ابن الاسقع قال كنت مع جيش دمشق
مع خالد ابن الوليد وكان قد جعلني في الخيل الذي مع ضرار ابن الازور من باب الشرقي
الي باب توما الي باب السلامه والي باب الفراديس الي باب الجابيه الي باب الصغير
والي باب كيسان وذلك قبل فتوح دمشق فبينما نحن ذات ليلة نطوف وكانت
ليلة مقمره وقد قربنا من باب كيسان اذ سمعنا صرير الباب فوقفنا واذا
به قد فتح وخرج منه فارس فتركناه حتي قرب منا فاخذناه قبضا بالكف
وقلنا له ان تكلمت ضربنا عنقك فسكت واذا قد خرج فارسان اخر فقاما
علي الباب وجعلوا ينادون الذي اخذناه باسمه فقلنا له كلمهم حتي ياتوا
اليك فرطن لهم بالرومية ان الطير وقع في الشبكه فعلموا انه قد اسر فرجعوا
الي الباب فدخلوا وغلقوا الباب قال فاردنا قتله فقال بعضنا لبعض لا تقتلوه
حتي نمضي به الي الامير ليري فيه رايه فلما نظر اليه خالد قال من انت قال انا
من بطارقة الروم وملوكهم واني تزوجت بجارية من قومي قبل نزولكم علينا
وكنت احبها حبا شديدا فلما طال علينا حصاركم سالت اهلها ان يزفوها

علي

علي فابوا عن ذلك وقالوا ان بنا شغلا عن زفافك وكنت احب ان اري لقاها ولنا
في المدينة ملاعب للعب فيها فوعدتها ان نخرج الي تلك الملاعب فخرجت الي وتحادثنا
فسالتني ان اخرج بها الي باب المدينة ففتحناه وخرجت لنجي خبركم فاخذني
اصحابك وجزعت علي الجارية فناديت اصحابي الطير وقع في الشبكة احدرهم
منكم مخافة عليها ان تاسروها ولو كان تغيرها هان علي ذلك فقال خالد وترهبت
من خوفها عليه قال فاتا الكنيسة فنظر اليها وعليها ثياب الرهبان فقال خالد
ما تقول في الاسلام وان دخلت المدينة زوجتك بها وان ابيت قتلتك فاختار
الاسلام وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
قال وكان يقاتل معنا قتالا شديدا فلما دخلنا المدينة صلحا اقبل يطلب زوجته
فقيل له انها قد لبست ثياب الرهبان فاقبل اليها وهي لا تعرفه فقال لها ما حملك
علي الرهبانية قالت حملني علي ذلك لانني غدرت بزوجي حتي اخذته العرب
فترهبت حزنا عليه فقال لها انا زوجك وقد دخلت في دين العرب وانك في
دمامي فلما سمعت قوله قالت لا وحق المسيح لا كان ذلك ابدا او ما لك الي من
سبيل وخرجت مع البطريقين توما وهربيس فلما نظر الي امتناعها عليه اقبل الي
خالد فشكا ذلك اليه فقال خالد ان ابي عبيدة فتح المدينة صلحا ولا سبيل لك
اليها قال وعلم ان خالد يريد المسير فقال اسير معك لعل ان اقع بها واقام خالد بدمشق
الي اليوم الرابع ولم يسيرو فنزلت بينه واقبل العلج الدمشقي اليه وقال اعزمت ايها
الامير علي المسير وطلب هذين اللعينين واخذ ما معهما فقال بلي قال فما الذي
اقعدك عن ذلك قال بعد القوم بيننا وبينهم اربعة ايام بلياليها وهم يسيرون
سير الخوف وما نجد الي اللحوق بهم سبيل قال يونس ايها الامير ان كان تخلفك لبعد
ما بينك وبينهم فانا اعرف الديار واشربك علي طريق فتلحقهم ان شاء الله تعالي
وانا افعل ذلك لا ملك زوجتي قال فركن خالد الي قوله وقال يا يونس اتعرف الطريق
وتدل بنا قال نعم ولكن البسوا زي لخم وجذام وهم عرب المتنصرة وخذوا الزاد وسيروا
ففعلوا القوم ذلك واخذ خالد رضي الله عنه عسكر الزحف وهم اربعة الف فارس
وامرهم ان يسيروا وان يركبوا السبق جنوبهم ويخففون حمل الزاد ففعلوا ذلك وسار
خالد ويونس وقد وصي ابا عبيدة بالمدينة قال زيد ابن طريف ويونس امامنا وهو يتبع اثارهم

ذكر سرية خالد الي مرج الديباج

ونحن مع ذلك نري اثر الخيل وحوافر البغال وان القوم لا يسقط لهم جملا ولا بغلا الا تركوه
ولا يقف لهم بهيمة الا عقروها ولم يزل كذلك يسير الليل والنهار لا ينزل ولا ينزل الا لوقت
الصلاة حتي انقطع اثار القوم فانكر ذلك من امرهم فقال خالد يا يونس ما شانك قال ايها
الامير سيروا واستعينوا بالله فان القوم ساروا واحذر امنك فعرجوا عن الطريق واخذوا في جبال

وعقاب وكانك وقد لحقنا بهم ان شاء الله تعالى ثم عرج بالمسلمين عن الطريق واخذ بهم
في ادماس وارماس وجبال قال الضحاك ابن حسان الطايي وسار بنا في طريق كثيرة
الاحجار لا يكاد الرجل ان يخلص بنفسه الا كرها فجعلنا نتخلل الحجاره بخيولنا
وانا انظر الي الدم يبدو امن حوافرها وان نعالها تنبذ وامن ارجلها وان الخفاف
الذي في ارجلنا قد تقطعت حتى لم يبق الا ساقاتها قال عباد ابن سعيد الحضرمي
كنت في السريه يوميذ مع خالد ابن الوليد وقد سار بنا فوالله لقد كان لي خفاف
ادم قد نعلتها بنعل يماني مشعور وكنت اذل بجودته واحدث نفسي انه يقيم
عندي سنين فوالله لقد بقي تلك الليلة ساق الخف في ساقي وانا حافي ولقد
لحقني من شدة حروفه الجبال ووعرها حتى رايت العرب تشكوا بعضها الى بعض
ويقولوا يا ليت الذليل اخذنا في الطريق الواضح والمحجة المسلوكه فما نقضت تلك
الليلة حتى قطعنا شدة الطريق فخرجنا الى الجادة نظن انه سيلقي القوم فلما
خرج راي اثارهم وقد سبقونا كانهم قوم هاربين فقال خالد نجوا بانفسهم فقال
الدليل يونس نرجوا من الله سبحانه ان يعوقهم تلحق بهم ان شاء الله تعالى فاسرع
بنا قال فاسرع خالد وقال ايها الناس اسرعوا رحمكم الله فقال المسلمون ايها الامير
ان شدة السير وصعوبة الطريق قد اضر بنا فارح بنا ساعة حتى ناخذ خيلنا
راحه ونعلف قال سيروا على اسم الله فان الله هو المسير وجدوا في طلب عدوكم قال
فساروا والدليل بين ايديهم ولم يزل كذلك والدليل هو المترجم عنا الا ان دخل بلد
من بلاد الروم الا يفضنون انا من عرب المتنصره من غسان ولخم وجذام حتى قطع
بنا الدليل جبله والادقيه واشرف على ساحل البحر وهو يطلب الاثر واذا بالقوم
قد عدلوا عن انطاكيه ولم يدخلوها خيفة من الملك فوقف الدليل عند ذلك حايرا
في امره فعدل الى قريه هناك وسال بعض اهلها ودهاقنتها فاخبروه ان الخبر
اتصل بالملك هرقل ان توما وهربيس قد سلما دمشق فنقم عليهما فلم يدعهما
ان ياتيا اليه وذلك انه يجمع الجيوش ويبعثها الى اليرموك فخاف ان يحدثون
العساكر بشجاعة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتضعف قلوبهم فبعث
اليهما ان يسيران بمن معهما الى القسطنطينيه فانحرفوا عن انطاكيه وسار القوم
يطلبون الدكام فلما علم يونس الدمشقي ان القوم قد عدلوا عن انطاكيه
واخذوا في طلب البحر انكر ذلك وخاف على المسلمين فوقف حايرا في امره وكان ذلك
في غدوة النهار يوم الثلثا من العشر الاول من رجب الفرد قال فصلى خالد بالناس
صلاة الفجر يريد ان يركب اذ نظر الى يونس وقد ورد عليه اثر الانكسار وفي
وجهه كراهيه فقال ما وراك يا يونس فقال ايها الامير انني والله قد غررت بكم
وبلغت الغايه في الطلب ولم ترزقون في هذه السريه ما تطلبون وفاتكم عدو الله

وما معهم من الاموال والديباج قال وكيف علمت ذلك فقال ايها الامير اني قفوت
اثرهم الي هذا المكان رجا انا نلحقهم في سوريه فلما رايتهم قد عرجوا عنها
علمت ان القوم قد نجوا بانفسهم واموالهم وما قد اخبرني دهقان من دهاقنة
القريه ان الملك منعهم من الدخول الي انطاكيه ليلا يرعبون عسكره وامرهم
يطلبوا القسطنطينيه وقد قطع بينكم وبينهم هذا الجبل العظيم وانتم
في بلد هرقل وهو يجمع العساكر يسيرها الي حربكم واني اخاف عليكم ان تركتم
هذا الجبل من ورا ظهوركم وبعد هذا فالامر لك وما امرتني فعلت قال
ضرار ابن الازور فرايت خالدا قد انقع لونه كالخضاب فظننت ان ذلك
هلعا وجزعا وما عهدت منه ذلك فقلت ايها الامير علي ماذا عولت ان
تصنع فاني امرك مرتكبا في امرك فقال يا ضرار ما الفزع من الموت ولا القتل
وانما خفت ان يودي المسلمون من قبلي واني رايت قبل فتح دمشق رويا افزعتني
وانا منتظر لنا ويلها وارجوا ان يجعل الله لنا خيرا وينصرنا علي اعدائنا قالوا
خيرا رايت وخيرا يكون فما الذي رايت قال رايت كان المسلمين في بر وقفر ونحن
سايرون فبينما نحن كذلك واذا نحن بقطيع من حمر الوحش كثيرة عظيمة اجسامها
مهوله خلقة حسنه جلودها وشعورها كانها قد اعترضتنا وهي تكدمنا
بافواهها وترمحنا بحوافرها ونحن مع ذلك نجول عليها بخيولنا ونطعنها
بارماحنا ونضربها باسيافنا وهي لا تنكر فيما نزل بها من الاذي ولا تقلع لما
لحقها من العثرة والبلا فلم تزل علي مثل ذلك حتى اجهدتنا واجهدتها خيولنا
وكاني اقبلت علي اصحابي ففرقتهم عليها من اربع جوانب البر وحملنا عليها
من كل جانب فانجدلت من بين ايدينا الي مضيق تلال واجام واوديه خصبه
واكام فلم نقدر منها الا علي يسير فبينما نحن نطيح ونشوي من اطايب لحومها
واذا هي قد رجعت نطلب التراتبيه فتاملتها وقد خرجت من المضايق والاجام
اذ صحت بالمسلمين اركبوا في طلبها بارك الله فيكم فاستوي المسلمون علي خيولهم
وركبت انا معهم حتى وقعنا فيها وقصدت انا بعير منها عظيم وهو الذي كان
يقدمها فقتلت وحمل المسلمون يقتلون ويصيدون فما انفلت منها الا اليسير
فبينما انا فرحا نصيدها واخذها وانا اريد الرجوع بالمسلمين الي اوصافهم اذ
تقنطرت فرسي بي وطارت العمامه عن راسي فوهنت لذلك وهنا يسيرا
وانا فزع مرعوب فهل فيكم احد يفسر هذه الرويا فاني اقول بان الرويا نحن
فيه فصعب ذلك علي القوم وجعل خالد يرا ود نفسه في الرجوع فقال له
عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما اتدري ما دلت رويالك عليه قال
خالد لا فقال له عبد الرحمن ابن ابي بكر رضي الله عنهما اعلم ان الوحش هم هولاء الذين

نحن في طلبهم فانا نلقاهم تبعا ونصبا واما سقوطك عن فرسك الي الارض فانه تنحط منه من
رفعه ابي حفص واما سقوط العمامة عن راسك فالعمايم تيجان العرب وهي معزه
تاحقك فقال خالد رحمه الله اسئل الله العظيم ان كان ذلك نازلا بي لما رايت فليجعلها
من امر الدنيا ولا يجعلها من امر الاخرة وبالله استعين وعليه اتوكل في جميع الامور قال
خالد يا فرسان المسلمين ان خالد الا يملك الا نفسه وقد جعلها في سبيل الله حبسا فهل لكم
ان تقولوا في طلب هولاء القوم فاما الظفر والغنا واما ان يكون موعدنا الجنة
فقال المسلمون افعل ما تريد فنحن بين يديك الا ناس قلايل قد لحقهم تعب
ونصب فانهم كرهوا ذلك ثم اقبل خالد علي يونس ذليله وقد سماه النجيب فقال
يا يونس تقول ان نلحق القوم فقال اما اللحوق بهم فانك تلحقهم وما تخاف عليكم
الا ان يعلم الروم بكم فيبتدرون عليكم من كل جانب ومكان فقال خالد سر بنا يا يونس
واتكل علي الله عز وجل وحق رسول الله المنضجع بيثرب وحق ابو بكر الصديق لا افتر
خالد عن طلبهم ثم استوى علي جواده وركب المسلمون وسار الذليل امامهم حتى
اشرفوا علي الزهره وقطع بهم جبل اللكام وهو يقفو الاثر وينظر الي اثارهم
واثار دوابهم فلما كان في الليلة التي اردنا ان نصبح بها القوم اتانا مطر كافواه
القرب فكان ذلك من توفيق الله لنا وذلك انه حبس القوم عن المسير قال روح
ابن طريف ولقد رايتنا وانا نسير بعضنا بعضا والمطر ينزل علينا طول ليلتنا
فلما برق ضو الفجر تقشعت السما وطلعت الشمس فقال يونس ايها الامير
قف حتى اجس لك خبر القوم فانهم لا شك بالقرب منا وقد سمعت صيحتهم فقال
خالد رضي الله عنه او سمعت اصواتهم يا يونس قال نعم ايها الامير واريد ان
تاذن لي ان اسير واتيك بخبرهم ان شا الله تعالى قال الواقدي رحمه الله
وكان خالد بصير بالحيل والخداع فالتفت الي رجل اسمه المفرط ابن جعده وقال
يا مفرط سر مع النجيب وكن له مونسا واحرصا ان تاخذا خبر القوم قال المفرط
ابن جعده السمع والطاعه لله ولك ايها الامير ثم انطلقا كلاهما الي ان علينا علي جبل
يقال له الابرش والروم تسميه جبل بارون قال المفرط ابن جعدة فلما صرنا علي
قلته نظرنا وراه مرجا واسعا كثير النبات والخضره ولاح لنا في وسطه جمع القوم
نازلا فيها وقد اخرجوها من احمالها ونشروها في طول المرج وقد نام اكثرهم من شدة
السير والتعب والمطر الذي اصابهم طول ليلتهم قال المفرط ابن جعده فلما رايت
ذلك فرحت فرحا شديدا ونزلت من القلة وسرت سيرا عنيفا كي ابشر خالدا بالغنيمة
قال وتركت صاحبي يونس من وراي وهو مشرف علي القوم قال المفرط فلما راني
خالد وحدي اسرع الي وظن ان صاحبي اكيد قال ما وراك يا ابن جعده قلت الخبر

والغنم

والغنيمة ان شاء الله تعالى وان القوم خلف هذا الجبل وقد اصابهم المطر وقد وجدوا
الراحة لطلوع الشمس وقد نشروا امتعتهم فقال بشرك الله بخير ثم ظهر لي من وجهه
الفرح فبينما هو كذلك اذ اقبل يونس فقال خالد خيرا يا نجيب قال ابشر ايها الامير
فان القوم امنوا على انفسهم اذ تركوا انطاكيه من وراء ظهورهم وظنوا انك لا تتبعهم
الى هذه الغايه ولكن اوصى اصحابك من وقع منهم بزوجتي فليحفظها لي فما اريد
من الغنيمة سواها فقال خالد هي لك ان شاء الله ثم ان خالد رضي الله عنه قسم
اصحابه اربع فرق فامر على الف فارس ضرار ابن الازور وعلى فرقة رافع ابن عميره
الطائي وعلى فرقة عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وبقي هو في الفرقة
الرابعة وقال سيروا على بركة الله تعالى وعونه واياكم ان تخرجوا في دفعة واحدة بل يخرج
كل امير منكم وبينه وبين صاحبه هنيهة ثم افترقوا على القوم ولا تحملوا الا واحمل
فتقدم ضرار ابن الازور وخرج من نحوه هناك والقوم امنون مطمئنون ثم اتبعه
رافع ابن عميره الطائي ثم عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما ثم سار خالد
وراء القوم حتى حصلوا في وسط المرج قال عبيد ابن سعيد التميمي كنت في السريه التي
سار فيها خالد فلما حصلنا في المرج لاح حسن ازهاره ونضارته وانه فاق انهاره
ولوان الديباج قد ازهرت ما بين احمر واصفر يخطف البصر قال عبيد ابن سعيد فوالله
لقد كدنا ان نفتتن بحسن منظره ويلهينا عن طلب لحها دفقال رجل من بني غنيم قبح
الله الدنيا فما اسرع دناها وانقلابها فاياكم ان تركنوا اليها فانها غداره مكاره
قال فبكا خالد من قوله وقال صدق والله التميمي في قوله ثم صاح خالد بالمسلمين
وقال اطلبوا اعداء الله وارغبوا في قتالهم ودمارهم ولا تشتغلوا بالغنائم فانها لكم
ان شاء الله تعالى ولا قوة الا بالله ثم عطف خالد بكتيبته على القوم عطفة الاسد على
فريسته ونظرت الروم الى الخيل وقد خرجت عليهم والرايه فعلموا انها خيول للمسلمين
فنادوا بالويل والثبور وصاح توما برجاله وصاح هربيس ببطارقته فتبادروا الى
اسلحتهم وركبوا الخيل وقال بعضهم لبعض انها خيل قليل ساقها المسيح اليكم وجعلها
غنيمة لكم فتبادروا اليها واتكلوا على نصرة الصليب فبادرت القوم الى ما كان معها
من السلاح ووقفوا دون اموالهم يدفعون عنهم وهم ينظرون الى ان ليس وراء خالد
احد واذا ابضار قد اشرف عليه في الف فارس وطلع رافع ابن عميرة بالكتيبة وطلع
من بعدهم عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وطلب كل فرقة كتيبه فرقة
من القوم كالعقبان الكاسره ونفرقوا من حولهم وطلبوا اخذ ما في ايديهم وقد
رفعوا اصواتهم بقول لا اله الا الله محمد رسول الله قال وانصبت خيل المسلمين على
الروم كانها السيل المنحدر ونادى اللعين هربيس رجاله قاتلوا عن نعمتكم فما لهؤلاء
القوم حيله ولا يخلصون من هذا المكان ابدا قال فانقسمت الروم طائفتين طائفه

مع توما وطائفة مع هربيس فكان اول من طلب لخالد وقتاله توما وقد احدق به خمسة
الف فارس وما بينهم الا المحدق وقد رفع بين عينيه صليبا من الجوهر مقمع بالذهب
فقدم خالد اليه وحمل عليه برجاله واتيما باسمه وقال يا عدو الله اظننتم انكم تقتلون
من ايدينا والله يطوي لنا البلاد ثم قصد توما وهو اعور اعورته ام ابان فحمل عليه
خالد فطعنه في عينه الاخرى ففقع عينه الاخرى وارداه عن جواده وحمل اصحابه
على رجال توما وقد انتكس الصليب فحملوا يقتلونهم قتلا ذريعا فلله در عبد الرحمن
ابن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما فانه ما اشتغل بغير توما وذلك انه لما نظر اليه وقد
انتكس عن جواده فانحدر في طلبه وجلس على صدره واحتز راسه ورفعه على
سنان رمحه ونادى بالمسلمين قد قتل والله توما فاطلبوا هربيس قال ففرح المسلمون
بذلك قال رافع ابن عميرة الطائي كنت في ميمنة خالد وقد خرجت في الكردوس الذي
كان معي في سواد القوم ودرايهم ونظرت الى سبي الروم وقد وقفوا يمانعون عن
انفسهم منعا شديدا ونظرت الى فارس زيته زي الروم وقد انحدر عن جواده وهو
يقاتل علجه من نساء الروم وهي ظهرت عليه مرة وهو يظهر عليها مرة فدنوت
انظر من هو واذا به يونس الدليل وهو يقاتل زوجته وهو يصارعها صراع الاسد
للبوة قال رافع فهممت ان اتقدم اليه فاعينه فقصد الى عشرة من النسوة يرمون
فرسي بالحجارة فخرج حجر كبير من كف امراة حسنا عليها ثياب الديباج فوقعت
الحجر في جبهة جوادي فهشمت راسه وكان جوادا شهدت عليه اليمامة فسقط
الجواد ميتا فوثبت عن ظهره فهربت بين يديها كانها الضبي القناص وعدين النساء
من ورايها فسعيت وراهن فلحقتهن وهممت بقتلهن فرجعت عن ذلك وعطفت
عليهن فادهشتهن ومالي قصد الا الجارية التي قتلت جوادي فدنوت منها
وعلوتها بالسيف صفحا على راسها فشبكت يديها على راسها وجعلت تقول
كلاما بالرومية بقيت معجبا واذا هي تقول الغوث الغوث فرجعت عن قتلها
واقبلت اليها فقبضت عليها واذا عليها ثياب الديباج المثقل وعلى راسها
شبكة من اللولو فاخذتها اسيرة مع النسا اللاتي كن معها واوثقتهن كتافا
ورجعت على اثري فنظرت الى برد ون من براذين الروم بغير راكب فركبته واردت
ان اعدل نحو القتال ثم قلت والله لامضيت او اعرف ما كان من خبر يونس الدمشقي
فجعلت اطلب مكانه فاذا هو جالس وزوجته بين يديه وقد تضمخت بدمايها
وهو يبكي عليها فناديته ما كان منك يا يونس فقال ان هذه زوجتي التي سرقت
في طلبها فما كان لي طلبة غيرها الا اني والله كنت احبها فلما رايتها قلت لها ها انا قد
لحقتك واين تنفلتين من يدي فقالت وحق المسيح لا اجتمعت انا وانت ابدا وقد
تركت دينك ودخلت في دين محمد وقد رهبت نفسي للمسيح وانا ماضية الى القسطنطينية

فالتفت

فاكون بها راهبه ثم تمنعت عني بالقتال فقاتلتها حتى ملكتها اسيره فلما نظرت
الي وقد ملكتها اسيره اخرجت سكينا كانت معها وضربت بها صدرها فسقطت
قتيله فانا ابكي عليها لشدة شغفي بها قال رافع ابن عميرة الطاي فبكيت من
كلامه وقلت ان الله عز وجل قد بدل لك بمن هو اخير منها وعليها ثياب الديباج
وشباك اللولو واساورة الذهب وكان القمر يطلع من وجهها فخذها لك بدلا
من زوجتك فقال اين هي فقلت ها هي معي فلما نظر اليها والى ما عليها من الحلي
والزينه وتبين حسنها وجمالها وراطنها بالروميه وسالها عن امرها فرطنت
اليه وهي تنتحب ساعة ثم التفت الي وقال اتدري من هي فقلت لا فقال هي ابنة للملك
هرقل زوجة توما وما مثلي يصلح لها ولابد من الملك هرقل ما يطلبها برجاله او
يفديها بماله فقلت هي لك وانت لها قال رافع ابن عميره الطاي فاخذها اليه والمسلمون
في القتال الذي ما عليه مزيد وبعضهم يجمعوا ثياب الديباج والامتعة والمال قال
الواقدي رحمه الله سمي المرج مرج الديباج به يعرف الى وقتنا هذا وانما عرف بذلك
لان العرب كانت اذا نظرت على احد ثوب ديباج فاخر يقال من اين لك هذا فيقول من
غنيمة مرج الديباج بذلك عرف قال الواقدي رحمه الله وافتقد المسلمون
اميرهم خالد ابن الوليد رضي الله عنه فلم يجدوه فقلقوا عليه قلقا عظيما قال
الواقدي رحمه الله حدثني عبد الحميد عن ابن خالد قال سمعت انس ابن مالك
بالبصره وهو يذكر حديث خالد وما فتح بالشام حتى ذكر وقعة مرج الديباج قال
ولقد كانت وقعة عظيمه ولقد غرر خالد بنفسه حين دخل في طلب الغنيمة لاوسط
بلاد الروم فقال له رجل من بني مازن وما ذاك يا خادم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان انس اذا قيل له يا خادم رسول الله يفرح بذلك فرحا شديدا فقال
ان خالدا سار بالمسلمين الى مرج الديباج في طلب غنيمة دمشق حين نظر الى اموالهم
فسرى اليهم في اربعة الف فارس فقتل توما واسر بطارقته وغنم غنيمة عظيمة
وافلت هربيس من يده وذلك ان خالد طلبه في الوقعة فلم يره فجعله وكده
وكان فيه لجاجه فبينما خالد يجود في عسكر الروم فيقتل الرجال ويجندل الابطال
اذ نظر الى علج من علوج الروم عظيم الخلقة هايل الجثه احمر اللون له لحية عظيمة
وعليه ثياب الديباج الثقيل ومن فوقها الحديد فظن خالد انه اللعين هربيس
فاطلق خلفه وشد في نحوه قناته طلبا شديدا ليقتله والعلج لما نظر اليه
والى حملته عليه فر بين يديه هاربا وخالد يتبعه والعلج قد استحد لي يده
ووكزه بعقب الرمح وكزه واذا به قد هوى عن دابته الى الارض ضربها على ام راسه
وانقض خالد عليه كالاسد المغضب وهو يقول يا ويلك يا هربيس اظننت انك
تفوتني وكان ذلك العلج يفهم بالعربيه فنادى يا اعرابي لست هربيس فابق علي

ولا تقتلني حتى اعطيك فديتي ما تسر به وكلما تطلبه مني اعطيك فقال خالد يا ويلك
انك ما لك بين يدي خلاص ولا اقبل منك هذا حتى تدلني على هربيس فما بقيتني
غيره وما اريد سواه وقد قتل الله على يدي توما واني اومل ان الحق به هربيس فان
دللتني عليه اطلقت وثاقك بلا فديه ولا مال فقال ذلك العلج ابشر يا فتى العرب
انك وصلت الى ما تريد ولكني اريد ان اخذ عليك عهدا وميثاقا انني اذا اردت المتكل
عليه ان تطلق سراحي قال خالد رضي الله عنه لك ذلك ان شاء الله تعالى ان دللتني
عليه ووقع بيدي فقال العلج يا اخا العرب وهذا من غدركم اعطيتمونا الامان
والذمام وقد اتبعتمونا الى مكان ما ظننا ان يبلغ اليه احد منكم وقد تبعتمونا
واخذتم ما خرجنا به من دمشق لان عيشكم فيه ثم تقول لي الساعه ان وقعت
بهربيس اطلقت لك السبيل وكيف اضمن لك اخذ هربيس وهو رجل زمانه
مقتدر على اقرانه وهذا الكلام داعية الغدر ونقض العهد قال فغضب خالد
من كلامه وقال لا ام لك انسبتنا الى الغدر ونقض العهد وما من شيمنا لانا
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة وشفيع الامة واذا نحن قلنا
وفينا واذا عاهدنا صدقنا واذا نحن ائتمنا ادينا والله ما خرجنا في طلبكم
الا في اليوم الرابع وان الله عز وجل سهل علينا البعيد وطوى لنا كل صعب
شديد وما قلت دلني على هربيس الا وانا اذا وقع في عيني اخذته بنصر الله
وذلك بيني وحق بيعة ابي بكر الصديق لان دللتني عليه لاطلقن سراحك
دون فدية ولا مال فلما سمع العلج كلام خالد قال يا فتى العرب قم عن
صدري حتى ادلك عليه فقام خالد عن صدره ووثب العلج ينظر يمينا
وشمالا ثم قال لخالد اترى هذه الخيل الصاعده في العقبه قال نعم قال
اقصد بكبكبة الخيل فان هربيس على المقدمة والبيارق على راسه عليه
الصليب من الجوهر قال فوكل به خالد رضي الله عنه رجلا من ... او من زبيد
اسمه اسد ابن جابر قال يا اسد توكل به فان كان الذي دلني عليه هربيس فاطلق
له السبيل وان كان قد كذب فاضرب عنقه قال فتوكل به اسد ابن جابر ثم ان
خالد اطلق عنانه وشرع سنانه حتى لحق بالكبكبة كبكبة الخيل وصاح
بهم وقال ويلكم انى لكم مني الخلاص وهذا يوم جز النواصي فلما سمع هربيس
صياحه وكلامه ظن انه من بعض العرب وقد طمع فيهم فوقف ووقفت
البطارقة حوله وهم بالسلاح الشاك والسيوف والعمد وليس فيهم الا اهل
النجدة والبراعه وهجم عليهم خالد بجملته وقال يا ويلكم ظننتم ان الله عز
وجل لا يمكنا منكم ولا يملكنا متاعكم انا الفارس الشديد انا البطل الصنديد
انا خالد ابن الوليد ثم طعن فارسا منهم فارداه وثنى باخر قال الواقدي

رحمه الله فلما سمع هربيس كلام خالد وانه قد اقبل وموه باسمه انتفض على
سرجه وزعق بقومه وقال يا ويحكم هذا الذي اقلب الشام على اصحابه هذا
صاحب اركه وتدمر وهذا صاحب حوران وبصرى هذا صاحب دمشق
واجنادين دونكم واياه فان اخذتموه وملكتموه رجع عزكم كما كان ورجعت
بلادكم اليكم واخذتم بثاركم من قتل منكم دونكم واياه قال فطمع القوم فيه
لانفراده عن اصحابه وكان المسلمون في قتال الروم ونهب اموالهم وكل
مشتغل بنفسه وترجلت البطارقة نحو خالد لان القوم في خلق كثير والعقبة
كثيرة الاشجار والحجارة والوعر واحاط بخالد بما لا قدرة له بدفاعه وعند
ذلك ترجل خالد عن جواده واخذ سيفه وحجفته وصبر لقتالهم قال الواقدي
رحمه الله ولقد حدثني عمر ابن شريك عن سلمه ابن يعمر عن يزيد ابن مومل الربعي عن
مروان ابن حامد عن اوس ابن شداد ابن اوس وكان ممن حضر الوقعه في مرج
الديباج قال ترجل خالد عن جواده وقال لما وقع صحت روياك يا خالد وذلك
ما طلبت وعلم انه قد اخطا وما به ان يقتل واغاثه المسلمون ان يقتلوا تحت
رايته ولقد ذكر العلما ان خالدًا الفي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اثني وثلاثين زحفا كلها يطلب الشهاده فلم يرزقها فلما ترجل عن جواده
اقبل يقاتل القوم بسيفه وحجفته وهم عشرون علجا فتقدم اليه هربيس
قد مكن له ضربه يصل بها الى قمته وخالد مشتغل بالقتال فاتاه من ورائه
وانزل الضربه عليه فوقع السيف على البيضه فقدها وعمامته وهتكها
وانقصف السيف من يد هربيس وخاف خالد ان يلتفت الى ورائهم فتهجم الاعلاج
عليه وخاف ان يفلت هربيس من يده او يهجم عليه فيقتله فجعل خالد يلتفت
يمينا وشمالا ثم صاح صيحة بالتكبير والتهليل كانه متنشر بشي قد ادركه
وذلك منه خديعة وحيلة يريد ان يمكر بالاعلاج فبينما هم كذلك اذ سمع
زعقات العرب وقد اخذت القوم من ورائهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم
وهم يضجون بالتكبير وقائل لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان
محمد عبده ورسوله يا ابا سليمان اتاك الغوث من رب العالمين انا عبد الرحمن
ابن ابي بكر الصديق فلما سمع خالد صوته لم يلتفت الى عبد الرحمن ولا من معه
حتى فرق الاعلاج ذات اليمين وذات الشمال فلما سمع هربيس اصوات المسلمين
وقد هاجمته ولا يريد الهروب فلحقه خالد وضربه ضربه غادره قتيلا
واستطال اصحاب عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما على اصحاب
هربيس وابدلوا السيف فيهم حتى اباد وهم عن اخرهم وكان اكثر الناس
قتلا في الروم ضرار ابن الازور فلما انكشفت الكربه عن خالد ونظر الى ما صنع

ضرار ابن الازور قال افلح وجهك يا ابن الازور فما زلت مباركا في كل افعالك ثم سلم علي
عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وعلي المسلمين وقال من اين علمتم بمكاني هذا فقال
عبد الرحمن رضي الله عنه ايها الامير بينما نحن في قتال الروم وقد ظفرنا الله بهم وهم ما بين
قتيل واسير والمسلمون قد انهمكوا في جمع الغنايم اذ سمعنا صوت هاتف يهتف من
الهوي وهو يقول اشتغلتم بجمع الغنايم وخالد قد احاطت به الاعداء فلما سمعنا الصوت
لم ادري اي مكان انت وفقدنا شخصك واخذ المسلمون الغم من اجلك فدلنا عليك
علج كان بيد رجل من اصحابك وقال ان صاحبكم انا دللته علي هربيس وانه قصده
في هذا الجبل فاسرعنا اليك فقال خالد لقد دللنا علي عدونا ودل المسلمين علي نصرتنا
ووجب له الحق علينا ورجع خالد الي المسلمين وهم علي قلق عظيم من غيبته عنهم
فلما نظروا اليه فرحوا وبادروا المسلمون عليه فرد عليهم السلام وشكر فعلهم لهم ثم
دعا خالد بذلك العلج الذي دله علي هربيس ثم قال له انك وفيت لنا وتريد ان
نوفي لك بما وعدناك لانه وجبت لك النصيحة علينا فهل لك ان تكون من اصحاب
دين الصلاة والصيام وملة احمد عليه السلام فتكون من اهل الجنة فقال ما اريد
بديني بدلا قال فاطلق خالد له السبيل قال يزيد ابن سمرة فرايته قد استوي علي جواده
ومضي يطلب بلاد الروم وحده ثم ان خالد امر المسلمين بجمع الغنايم والاسري فجمع
ذلك اليه فلما نظر الي كثرتها حمد الله واثني عليه ودعا بدليله وقال انت يونس الحبيب
ثم قال ما فعلت زوجتك فحدثه الحديث وما كان من امرها فتعجب خالد فقال رافع
ابن عميرة الطاي ايها الامير اني قد اسرت ابنة الملك هرقل وقد سلمتها اليه بدلا
من زوجته فقال خالد واين ابنة الملك قال فمثلت بين يديه فنظر الي حسنها وجمالها
وما خصها الله به من الجمال وصرف وجهه عنها وقال سبحانك اللهم وبحمدك تخلق
ما تشاء وتختار ثم قد اوريك يخلق ما يشاء ويختار ثم قال يا يونس اتريدها بدلا من
زوجتك قال نعم ولكنا نعلم ان هرقل لا بد له ان يفيدها بالاموال او بالقتال فقال خالد
خذها اليك فان لم يطلبها فهي لك وان طلبها والله يعوضك خيرا منها قال يونس ايها
الامير انك في مكان ضيق وموضع صعب فاعزم علي الخروج منه قبل ان يلحقك نفير القوم
فقال خالد الله لنا ومعنا وعطف راجعا يجد في السير والغنايم امامه والمسلمون في اثرها
فرحين بالغنيمة والسلامة قال روح ابن عطيه فقطعنا الطريق كله وما عرض لنا من الروم
احد ونحن نخوض في وسط ديار القوم خوضا فلما وصلنا مرج المغير عند منظره ام
كلثم اذ نظرنا الي غبره من ورائنا قتامًا فلما عايناه انكرنا ذلك فاسرع رجال من المسلمين
الي خالد فخبروه بالغبره فقال ايكم يايتنا بخبرها فبادر بالاجابة رجل من غفار يقال له
صعصعه ابن بدر الغفاري فقال انا ثم نزل عن جواده وكان يثق بجريه بسبق الفرس
الجواد بعدوه فورد الغبره واختبرها فرجع علي عقبه وهو ينادي ايها الامير ادركنا

الصالبان من ورايها روم مصدفون بالحديد ما يبين منهم الا الحدق فدعا خالد
بيونس الدليل عندما قاربته الخيل وقال يا يونس اقصد نحو الخيل وانظر ما يريدون
قال السمع والطاعه ثم دنا من الخيل وقاربهم ثم رجع الى خالد وقال الم اقل لك ايها
الامير ان هرقل لا يغفل عن طلب ابنته وقد نفذ هذه الخيل يريد ان تاخذ الغنيمة
من ايد المسلمين فلما لحقوك ها هنا قريبا من دمشق بعثوا اليك رسولا يسالك
في الجارية اما تبيع واما تهديه فبينما خالد يتحدث مع يونس اذا اقبل اليه شيخ عليه
لباس المسوح فاقبل حتى دنا من المسلمين وقال اني رسول فان عميدكم فاخذ بيده
رجال من المسلمين واوقفوه بين يدي خالد وقال له قل ما تشا قال الشيخ انا رسول
الملك هرقل اليك وانه يقول لك قد بلغني ما فعلته برجالي وقتلك لزوج ابنتي واسرك
لحرمتي وقد ظفرت وسلمت ولا تفرط فتقطع والان اما ان تبيع مني ابنتي او تهديها
الي فالكرم سيمنكم ولا يرحم من لا يرحم واني لارجوا ان يقع بيننا صلحا فلما سمع
خالد ذلك قال للشيخ قل لصاحبكم والله لا رجعت او املك ما تحت قدميك كما تجد
في علمك واما ابقاؤك علينا فلو وجدت اليه سبيلا ما قصرت واما ابنتك فهي اليك
هدية منا وارجوا ان تكون في مكانها ثم ان خالد اطلق اليهما الجارية ولم ياخذ
في فديتها مالا فلما بلغ الرسول الى الملك هرقل قال لعظماء الروم والملوك هذا الذي
اشرت عليكم فلم تقبلوا واردتم قتلي وسيكون اعظم من هذا ولكن ليس هذا منكم
بل هو من رب السماء قال فبكت الروم بكاء شديدا وسار خالد حتى اتا دمشق وكان
المسلمون وابو عبيدة قد ايسوا من خالد ومن كان معه فهم في اعظم الاياس اذ
قدم خالد عليهم فخرجوا للقائهم وهنوه بالسلامه وسلم الناس بعضهم على بعض
ووجد خالد في دمشق عمرو ابن معدي كرب ومالك الاشتر النخعي ومن كان معهما
واقبل خالد الى جانب ابي عبيدة وهو يحدثه عما لاقى في طريقه وابي عبيدة يتعجب من
شجاعته وجسارته فلما استقر خالد مكانه اخرج الخمس وفرق الباقي على الناس
ثم ان خالد اعطى من ماله ليونس الدليل وقال خذ هذا المال اليك فتزوج به او اشتري
لك جاريه من بنات الروم قال يونس والله لا اتزوج في هذه الدنيا زوجه ابدا وما اريد
الا زوجتي في الاخره يعني من الحور العين قال رافع ابن عميرة الطاي فشهد معنا القتال الي
يوم اليرموك فما كنت اراه في حرب الا ويجاهد جهادا عظيما فلما كان في يوم اليرموك
رايته وقد ابلى في الروم بلاء حسنا فاتاه منهم سهم في لبته فخر ميتا رحمة الله عليه قال رافع
ابن عميرة الطاي فحزنت عليه واكثرت من الترحم عليه قال فرايته في النوم وعليه
حله تلمع وفي رجليه نعلان من ذهب وهو يجول في روضة خضرا فقلت ما فعل الله بك قال غفر
لي واعطاني بدلا من زوجتي سبعين حوريه لو برزت واحده منهن الى الدنيا لكسف
ضو نور وجهها نور الشمس والقمر فجزيتم من الله خيرا قال فقصصت الرويا على خالد

فقال ليس والله شي سوي الشهادة فطوبي لمن رزقها **قال الواقدي** رحمه الله
ولقد بلغني ان خالد لما رجع من سريته غانما ظن ان الخليفه ابا بكر رضي الله عنه حي
لم يقبض فعزم ان يكتب له كتابا بالفتح والبشاره وما غنم من الروم وابو عبيده لا
يخبره بذلك ولا يعلمه ان عمر رضي الله عنه الخليفه فدعا خالد بدواه وبيضا وكتب
فيها بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله خليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم من عامله علي
الشام خالد ابن الوليد المخزومي اما بعد سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو
واصلي علي نبيه وذلك انا لم نزل من مكابدة العدو واعلي حرب دمشق حتي انزل
الله علينا نصره وقهر عدوه وفتحت دمشق عنوه بالسيف من باب دمشق الشرقي
وكان ابو عبيدة علي باب الجابية فخدعته الروم فصالحوا علي الباب الاخر ومنعني
ان اسبي واقتل والتقينا عند كنيسة يقال لها كنيسة مريم وامامه القسوس والرهبان
ومعهم كتاب الصلح وان صهر الملك اسمه توما واخر يقال له هربيس خرجا
من المدينة بمال عظيم وحال جسيم فسرت خلفهم في عسكر الزحف وانتزعت الغنيم
منهم وقتلت اللعينين واسرت ابنة الملك هرقل ثم اهديتها اليه وقد رجعت
سالما وانا انتظر امرك والسلام وطوي الكتاب وختمه بخاتمه ودعا برجل
من العرب اسمه عبد الله ابن قرط فدفع اليه الكتاب وسار الي المدينة مدينة
رسول الله صلي الله عليه وسلم فوردها والخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فسلمه
اليه فقرا عنوانه واذا هو من خالد ابن الوليد الي خليفة رسول الله صلي الله عليه
وسلم فقال عمر رضي الله عنه ما عرف المسلمون خبر وفاة ابي بكر الصديق فقال لا يا امير
المومنين قال قد وجهت بذلك كتابا الي ابي عبيدة وامرته علي المسلمين وعزلت خالد
ابن الوليد وما اظن ابي عبيدة اراد الاماره لنفسه ثم سكت ثم قرا الكتاب قال
اهل السيره في خبرهم ممن تقدم ذكرهم واسنادهم في اول الجزو اوروا فتوح الشام
ونقلوه عن الثقاة منهم محمد ابن اسحاق وسيف ابن عمر وابو عبد الله ابن محمد
ابن عمر والواقدي وكل حدث بما رواه وسمعه ثقه عن ثقه قالوا جميعا في اخبارهم
رضي الله عنهم انه لما قبض ابو بكر الصديق رضي الله عنه وولي الامر بعده عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه وهو ابن اثنان وخمسون سنة فبايعه الناس بمحمد رسول الله صلي
الله عليه وسلم بيعة تامه ولم يتخلف عن بيعته احد لا صغير ولا كبير وانقطع في
ايامه الشقاق والنفاق وانحسم الباطل فقام الحق وقوي السلطان وضعف كيد
الشيطان ظهر امر الله وهم كارهون وكان في امارته يجلس ويلطف بالمساكين ويرحم
الصغير ويوقر الكبير ويتعطف علي اليتيم وينصف المظلوم ممن ظلمه حتي يرد الحق
الي مكانه ولا ياخذه في الله لومة لايم وكان في امارته يدور اسواق المدينة وعليه
مرقعته وبيده الدره وكانت درته اهيب من سيوفكم هذه وكان مونته في كل يوم

خبز

خبز الشعير واداميه الملح الجريش وربما اكل خبزه بغير ملح زهدا وحياطة وترفقا
على المسلمين ورافة ورحمة للمسلمين لا يريد بذلك الا الثواب من الله سبحانه ولا يشغله
شاغل عن اداء الفريضة وما اوجب الله عليه من حقوقه وسنة نبيه قالت عايشة رضي الله
عنها والله لقد تولى عمر الخلافة فاخرجوا ما جنته في التشمير وترك عن نفسه التكبير
ولقد كان احرقه اكل خبز الشعير بالملح واداميه اكل الزيت واليابس من التمر وربما اخذ
شيا من السمن ويقول اكل الشعير بالملح والجوع اهون غدا من نار من حل بها لم يمت ولا
يجد فيها راحة ابدا قعرها بعيد وعذابها شديد وشرابها الصديد لا يوذن لهم فيعتذرون
جند الجنود في امارته وبعث العساكر وفتح الفتوح ومصر الامصار وكان يخاف من عذاب
النار **قال الواقدي** رحمه الله ولقد بلغني ان هرقل لما بلغه ان عمر ولي الامر
بعد ابي بكر رضي الله عنهما جمع الملوك والبطارقة وارباب دولته واقام فيهم خطيبا
على منبر نصب له في كنيسة القسان وقال يا بني الاصفر هذا الذي كنت احذركم
منه فلم تسمعوا مني وقد اشتد الامر عليكم بولاية الرجل الاسمر الاحور وقد دنا ما
بعد بولاية صاحب الفتوح المشبه بنوح والله ثم والله لابد له ان يملك تحت سريري
هذا ثم الحذر قبل وقوع الامور ونزول الضرر وهدم القصور وقتل القسوس وتبديل
الناقوس هذا صاحب الحرب والجالد على الروم والفرس الكرب هذا الزاهد في دينه هذا
الغليظ على من اتبع غير ملته واني لارجو لكم النصر ان امرتم بالمعروف ونهيتم عن
المنكر وتركتم المظالم واتبعتم ما امر به المسيح من اداء المفروضات ولزوم الطاعات
وترك الزنا وانواع الخنا وان ابيتم الا العناد والفسوق والعصيان والركوب الى الشهوات
الدنيا سلط عليكم عدوكم واباكم بما لا طاقة لكم ولقد اعلم ان دين هولاء القوم
سيظهرون على كل دين ولا تزال اهله بخير ما لم يغيروا ولم يبدلوا واما ان ترجعوا
اليه واما ان تصالحوا القوم على اداء الجزية فلما سمعوا قومه ذلك بادروا
اليه وهموا بقتاله فسكن غضبهم بلين كلامه وملاطفته وقال لهم انما اردت
ان ارى حميتكم لدينكم وان كان تمكن خوف العرب من قلوبكم ام لا ثم استدعا
برجل من المتنصرة يقال له طليفة ابن مازن وضمن له مالا وقال له تنطلق من
وقتك الى يثرب وتنظر كيف تقتل عمر فقال طليفة نعم ايها الملك ثم تجهز وسار حتى
ورد مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمكن حولها واذا بعمر رضي الله عنه قد خرج
يشرف على اموال اليتاما والارامل ويتفقد احوالهم وحيطانهم فقصد المتنصر
الى شجرة ملتفة الاغصان فاستتر بها واذا بعمر رضي الله عنه قد اقبل الى قرب الشجرة
التي عليها المتنصر ونام على الارض وتوسد حجرا فلما نام هم المتنصر ان ينزل اليه
فيقتله واذا بسبع قد اقبل فطاف حوله واقبل يلحس قدميه واذا بهاتف يقول
يا عمر عدلت فامنت فنمت فلما استيقظ عمر رضي الله عنه ذهب السبع

ونزل للمنتصر ونزراما على عمر رضي الله عنه يقبل يديه وقال بابي وامي والله من الكاينات تحفظ
والسباع تحرسه والملايكة تصفه والحق يعرفه ثم اعلمه بما كان منه واسلم على يديه قال
الواقدي رحمه الله وان عمر رضي الله عنه كتب كتابا الى ابي عبيدة عامر ابن الجراح رضي الله عنه
يقول فيه قد وليتك على الشام وجعلتك امير الجيوش وعزلت خالد ولك الامر ثم سلم
الكتاب الى عبد الله ابن قرط واقام قلقا الى ما يرد عليه من امر المسلمين قال حدثني عاصم
ابن عمر قال لما ولي عمر رضي الله عنه امر المسلمين صرف همته الى الشام قال حدثني رافع ابن عميره
السكسكي قال حدثني يونس ابن عبد الله الاعلى قراة عليه بجامع الكوفة قال اخبرني
عبد الله ابن سالم الثقفي عن اشياخه الثقاة قال لما كانت الليلة التي مات فيها ابو بكر
الصديق رضي الله عنه راي عبد الرحمن ابن عوف الزهري رضي الله عنه رويا فقصها على
عمر رضي الله عنه يوم بويع واذا رويا ه التي راها عمر رضي الله عنه تلك الليلة بعينها قال
رايت بعيني دمشق والمسلمون حولها وكاني اسمع تكبيرهم في اذني وعند تكبيرهم وزحفهم
رايت حصنا قد ساخ في الارض حتى لم اري منه شيا ورايت خالدا وقد دخلها بالسيف
وكان نارا امامه ثم رايت كان ما وقع على النار فانطفت فقال علي رضي الله عنه
ابشر فان دمشق قد فتحت يومك هذا ان شاء الله تعالى وبعد ايام قدم عقبه ابن عامر
الجهني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتاب الفتح فلما راه عمر رضي الله عنه قال
يا ابن عامر كم عهدك بالشام قلت يوم الجمعة وهذا يوم الجمعه ومازلت امسح على
الخفين منذ خرجت قال اصبت السنة فما معك من الخبر فقلت خبر وبشاره فاني ساذكرها
بين يدي الصديق رضي الله عنه فقال عمر رضي الله عنه قبض والله حميدا اوصار الى رب كريم
وقد هاجم الضعف في جسمه فان عدل فيها نجا وان ترك او فرط هلك قال عقبه ابن
عامر فبكيت وترحمت على ابي بكر واخرجت الكتاب فدفعته اليه فلما قراه سر الكتم
الامر الى وقت صلاة الجمعة فلما خطب وصلى رقا المنبر واجتمع المسلمون اليه وقرا عليهم
كتاب فتح دمشق فضج المسلمون بالتكبير وفرحوا ثم نزل من المنبر قال عقبه ابن عامر
فلما نزل من المنبر كتب الى ابي عبيده رضي الله عنه يوليه وعزل خالد رضي الله عنه ثم سلم
الي الكتاب وامرني بالرجوع فرجعت الى دمشق فوجدت خالدا قد سري خلف توما وهربيس
فدفعت الكتاب لابي عبيدة فقراه سرا عن المسلمين ولم يخبر احدا بموت ابي بكر رضي الله
عنه وكتم امريته وكتم عزلة خالد رضي الله عنهما وتوليته على المسلمين حتى ورد
خالد من السرية فكتب الكتاب بفتح المسلمين دمشق ونصرهم على عدوهم وبما
ملكوا من مرج الديباج وباطلاقه ابنة هرقل وسلم الكتاب الى عبد الله ابن قرط فلما
ورد به على عمر رضي الله عنه وقرا في علوان الكتاب من خالد ابن الوليد الى ابي بكر انكر
الامر ورجعت سمرته الى بياض فقال يا ابن قرط ما علم الناس بولايتي وموت ابي بكر
الصديق رضي الله عنه وبولايتي عليهم ابي عبيدة ابن الجراح قلت لا فغضب وجمع الناس

بد

اليه وقام علي المنبر وقرا عليهم ما فتح الله علي المسلمين من غنيمة مرج الديباج فضج
المسلمين بالفرح والسرور والدعاء لاخوانهم ثم قال يا معاشر المسلمين اني امرت ابا عبيدة
الرجل الامين وقد رايته لذلك اهلا وقد عزلت خالد عن امارته فقال رجل من بني
مخزوم اتعزل رجلا اشهر الله بيده سيفا قاطعا وجعله دافعا للمشركين وقد قيل لابي
بكر اعزله فقال لا اعزل سيفا سله الله ونصر به دينه وان الله لا يعذرك في ذلك ولا المسلمين
ان انت غمدت سيف الله وعزلت اميرا امره الله لقد قطعت الرحم وحسدت ابن العم ثم
سكت الرجل ثم نظر عمر الي المخزومي فراه غلاما حدث السن فقال شاب حدث غضب لابن
عمه ثم نزل من المنبر واخذ الكتاب تلك الليلة تحت راسه وجعل يوامر نفسه في عزل خالد
فلما كان من الغد صلي بالناس صلاة الفجر وقام فرقا المنبر خطيبا فحمد الله واثني عليه
وذكر الرسول فصلي عليه وترحم علي ابي بكر رضي الله عنهما ثم قال ايها الناس اني قد حملت
امانة والامانة عظيمة واني راع وكل راع مسئول عن رعيته وقد جئت بصلاحكم والنظر اليكم
في معاشكم وما يقربكم الي ربكم فانا وانتم ومن حضر في هذا البلد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من صبر علي بلائها وشدتها كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة وبلادكم بلاد لا زرع
فيها ولا ضرع الا ما اتي به علي الابل من مسيرة شهر وقد وعدنا الله مغانم كثيرة واني اريد النصح للعامة
والخاصة ولست جاعل اماناتي الي من ليس لها باهل ولكني جاعلها الي من يكن رغبته في اداء الامانة
والتوفير للمسلمين واني كرهت ولاية خالد علي المسلمين لان خالد رجل فيه تبذير للمال
يعطي الشاعر اذا مدحه ويعطي الفارس اذا جاهد امامه فوق ما يستحقه من حقه
ولا يبقي ذلك لفقراء المسلمين وضعفائهم شيا واني قد نزعته ووليت ابي عبيدة مكانه
والله يعلم اني وليت امينا فلا يقول قايلكم عزل الرجل الشديد وولي الامين اللين السلس
القياد والله معه يسدده ويعينه ثم نزل من المنبر واخذ جلد ادم مبشور وكتب الي ابي عبيدة
رضي الله عنه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر امير المومنين واخير
المسلمين الي ابي عبيدة ابن الجراح سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي علي
نبيه وقد وليتك علي امور المسلمين فلا تستحي فان الله لا يستحيي من الحق واني اوصيك
بتقوي الله الذي يبقي ويفني ما سواه الذي استخرجك من الكفر الي الايمان ومن الضلالة
الي الهدي وقد استعملتك علي جند خالد فاقبض منه جنده وازله عن امارته ولا
تنفذ المسلمين الي هلكة رجا غنيمة ولا تجمع سرية الجمع كثيف ولا تقول اني ارجو لكم
النصر فان النصر انما يكون مع النبيين والتقه بالله واياك والتغرير بالقا المسلمين
الي الهلكة وغض عن الدنيا عينيك واله عنها قلبك واياك ان تهلكك كما اهلكت من
كان قبلك فقد رايت مصارعهم وخبرت سرايرهم وانما بينك وبين الاخرة ستر كالخمار
وقد تقدم اليها سلفك وانت غايتك منتظر سفرا ورحيلا من دار قد مضت نضارتها
وذهبت زهوتها فاحزم الناس الراحل منها الي غيرها ويكون زادها التقوي وولي المسلمين

ما استطعت واما الحنطة والشعير التي وجدت في دمشق وكثر في ذلك مشاجرتكم فهو للمسلمين
واما الذهب والفضة ففيه الخمس والسهام واما اختصامك انت وخالد في الفتح فالفتح للصلح
لا بالقتال لانك انت الوالي وصاحب الامر وان كان صلحا على الحنطة انه للروم فسلم
اليهم والسلام عليك وعلى جميع المسلمين واما سرية خالد خلف العدو الى مرج
الديباج فانه غرر بدما المسلمين وكان بها سخيا واما ابنة هرقل وهديتها الى ابيها
بعد اسرها فذلك تفريط وقد كان يا خذ بها مالا كثيرا يرجع به على ضعفا المسلمين
والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وختمه بخاتمه
ودعا بعامر ابن ابي وقاص اخي سعد ودفع اليه الكتاب وقال له انطلق الى دمشق
وسلم كتابي هذا الى خالد وامره ان يجمع الناس اليه واخبره بموت ابي بكر وقل له يقرا
هذا الكتاب على الناس ودعا بشداد ابن اوس فصافحه وقال له انطلق انت وعامر
الى الشام فاذا قرا عامر الكتاب فمر الناس يبايعونك ليكونوا بيعتك بيعتي قال فانطلقا
صاحباه يجدان في السفر الى ان وصلا دمشق والناس مقيمون بها ينتظرون ما ياتيهم
خبر من ابي بكر وما يامرهم به فاشرف صاحباه على المسلمين وقد طالت اعناقهم
اليهما ففرحوا بقدومهما فاقبلا حتى نزلا الى خيمة خالد رضي الله عنه وسلما عليهم عليهما
فقال كيف تركتما الخليفة ابا بكر فقال له عامر ابن ابي وقاص تركته بخير يعني عمر ومعي كتابه
وانه امرني ان اقراه على الناس فامرهم بالاجتماع فاستنكر خالد ذلك واسترابه الامر
وجمع الناس اليه فقام عامر ابن ابي وقاص فقرا الكتاب فلما انتهى الى وفاة ابي بكر ارتفع
للناس ضجة عظيمة بالبكا والنحيب وبكا خالد وقال ان كان ابو بكر قد قبض فقد استخلف
عمر والسمع والطاعة لعمر وما به امر وقرا عامر الكتاب الى اخره فلما سمع الناس وفيه الامر
بالمبايعة لشداد ابن اوس عوضا من امير المومنين عندها قام الناس الى صاحبه شداد
ابن اوس وبايعوه وكانت بيعته بدمشق لثلاث ليال خلت من شعبان سنة ثلثة عشر
من الهجرة قال الواقدي رحمه الله وقبض ابي عبيده الجيش والاموال واخبرهم ما حكم
به عمر رضي الله عنه وظن ابي عبيدة ان خالدا استعظم الامر عليه وانه يقصر في طلب العدو
او يهن ويضعف بعد ذلك قال الواقدي رحمه الله ولقد بلغني انه كان
على العدو بعد عزله اشد قصاصه واصعب نجها ولا سيما في حصن ابي القدس

وقعة دير ابي القدس

قال الواقدي رحمه الله سالت من حدثني بهذا الحديث عن حصن ابي القدس اين يكون
موضعه من الشام فقال ان حصن ابي القدس ما بين عرقه وطرابلس وبمرج يقال
له مرج السلسله وكان بازائه دير فيه صومعه وفي الصومعه راهب عالم بدين النصرانيه
قد قرا الكتب السالفه واخبار الامم المتقدمه وكان يقصد اليه الروم ويقتبسوا من علمه وله
من العمر ما ينيف عن المائة سنة وكان يقوم في كل سنة عيد عند ديره عند اخر صيام

الروم وهو عيد الشعانين فتجتمع الروم والنصارى وغيرهم من النواحي والسواحل ومن
قبط مصر فيجتمعون اليه ويحدقون به فيطلع عليهم من ورثة فيعظهم ويوصيهم
من وصايا الانجيل وكان يقوم عند ديره سوق عظيم من السنة الى السنة ويحمل الى سوقه
الامتعة والذهب والفضة ويبيعون ويشترون ثلاثة ايام وما كان المسلمون يعلمون بذلك
السوق ولا يعرفونه حتى دلهم رجل من نصارى المعاهدين كان ابي عبيدة قد اصطنعه
وامنه واهله فلما ولي ابي عبيدة امر المسلمين اراد ذلك المعاهدي ان يتقرب الى ابي عبيدة
ويفتح الدير والسوق على يديه فاقبل الى ابي عبيدة وابي عبيدة قد طال الفكر فيما يصنع
واي بلد من بلاد الروم يقصد فمره يقول اسير الجيش الى بيت المقدس فانها اشرف
بلادهم وكرسي مملكة الروم وبها قيام دينهم ومره يقول بل اسير الى انطاكيه واقصد
هرقل وافرغ منه وهو متفكر في امره وقد جمع المسلمين للمشورة اذ اقبل ذلك المعاهدي
وكان من متنصرة الشام فقال ايها الامير انك قد احسنت الي فيما خصصتني به منا ما سلك
علي وعلى الاهل والاولاد وقد اتيتك ببشارة غنيمة يغنمها المسلمون ساقها الله لهم فان
اظفرهم الله بها استغنوا عنا الافقر بعده قال ابو عبيده اخبرنا ما هذه الغنيمة واين تكون
فما علمتك الا ناصحا فقال ايها الامير ان بازائك على الساحل حصن يعرف باب القدس
ومن ورائه دير فيه راهب تعظمه اهل دين النصرانيه ويتبركون بدعائه ويقتبسون
من علمه وله في كل سنة عيد يجتمعون اليه كل النواحي والقرا والضياع والاديره ويقوم
عنده سوق عظيم يظهر فيه فاخر الثياب من الديباج والذهب والفضة ويقيمون عنده
ثلاثة ايام او سبعة لم يتفرقوا وقد قرب وقت قيام السوق فلو سيرت اليهم سريه تكون
فيها رجال من العرب يكبسون ذلك السوق فياخذ جميع ما فيه ويقتلون الرجال ويأسرون
النسا والذراري لكانت غنيمة يفرح بها المسلمون ويهون بها عدوهم فلما سمع
بذلك ابي عبيدة فرح فرحا شديدا رجاء ان تكون غنيمة للمسلمين فقال المعاهدي
وكم بيننا وبين هذا الدير قال عشر فراسخ يوم للمجد قال ابو عبيده وكم بقي الى وقت
قيام السوق قال المعاهدي ايام قلايل قال ابي عبيده فهل يكون لهم حامية من الروم
او شحنه يصدون عنهم قال المعاهدي ليس يعرف ذلك في بلاد الملك ولا يغصب بعضهم بعضا
لهيبة هرقل في قلوبهم فلما سمع ذلك ابي عبيده من المعاهدي قال هل بالقرب من الدير مدينة
من مداين الشام قال نعم ايها الامير بالقرب من سوق القوم مدينة تسمى طرابلس وهي
من الشام واليها فرصه تقدم المراكب من كل مكان وفيها بطريق عظيم كثير التجبر قد اقطعه
الملك اياها من تجبره وهو لا يحضر السوق وما كنت اعهد ان يكون لهذا السوق حاميا من
الروم الا ان يكون الان لخوفهم منكم ولو سار الى السوق ادنى المسلمين لرجوت له الفتح
ان شاء الله تعالى فقال ابو عبيدة ايها الناس ايكم يهب نفسه لله وينطلق مع جيش ابعثه
فتحا للمسلمين فسكت المسلمون ولم يتكلم احد فنادى الثانيه الى ابي عبيدة واتما اراد

يقول خالد وانما استحيا ان يواجهه في ذلك فسكت خالد ولم يتكلم فقام اليه من وسط المسلمين
شاب كما يفقد عارضه واخضر شاربه وكان الشاب عبد الله ابن جعفر الطيار وكانت امه اسما
بنت عميس الخثعمية وكان جعفر رحمه الله قد مات في غزات تبوك وقطعت يداه وخلف ولده
عبد الله صغيرا فتزوجها ابو بكر الصديق رضي الله عنه وكفل عبد الله فلما كبر وترعرع كان يقول
لامه يا اماه ما فعل ابي قالت يا بني قتلته الروم وكان يقول لان عشت لاخذن بثاره فلما
مات ابو بكر رضي الله عنه وولي عمر وجا عبد الله الى الشام في بعث بعثه عمر مع عبد الله ابن انيس
الجهني وكان فيمن تشبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلقه وخلقه وهو واحد ا
لا سخفى فلما قال ابو عبيده ايها الناس ايكم ينطلق الى هذا الدير وثب عبد الله ابن جعفر
الطيار فقال انا اول من يسير من بعث تبعثه يا امين الامة ففرح ابو عبيدة بقيامه
وجعل يندب اليه رجالا من المسلمين ومن سادات الموحدين وقال انت الامير عليهم يا ابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقد له رايه سودا وسلمها اليه وكانت الخيل خمسمائة
فارس منهن رجالا من اهل بدر وكان من توجه مع عبد الله ابن جعفر الطيار ابا ذر الغفاري
وعبد الله ابن ابي اوفى وعامر ابن ربيعه وعبد الله ابن انيس الجهني وعبد الله ابن ثعلبه
وعقبه ابن عبد الله السلمي وانس ابن صعصعه ومحمد ابن الربيع ابن سراقه وعمر ابن سراقه
ابن النعمان ابن المقعر وكان ممن شهد بدرا وجابر ابن مرزوق الزبيري وكان ممن شهد بدرا
والقارح ابن خزعل وكان ممن شهد بدرا ونافع ابن معاذ السلمي وكان ممن شهد بدرا ومثل
هولاء السادة **قال الواقدي** رحمه الله فلما اجتمعت الخمسمائة فارس تحت
راية عبد الله ابن جعفر وما فيهم الا من شهد بدرا والوقايع وخاض الملاحم لا يولون
الادبار ولا يركنون الى الفرار فلما عولوا على المسير قال ابو عبيدة لعبد الله ابن جعفر
يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقصر على القوم الا في اول يوم من قيام السوق
ثم ودعهم وساروا قال واثلة وكنت في تلك السرية سرية عبد الله ابن جعفر وكان
خروجنا من دمشق الى دير ابي القدس في ليلة النصف من شعبان والقمر زايد
النور وانا الى جانب عبد الله ابن جعفر فقال لي يا ابن الاسقع اما احسن قمر هذه الليلة
وانوره فقلت يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذه الليله النصف من
شعبان وهي ليلة عظيمة البركه فقال لي اجدها ليله تكتب فيها الارزاق وتغفر فيها
الذنوب ولقد كنت اريد ان اقومها فقلت ان سيرنا من مقامنا والله حزيل العطايا
قال فسرنا ليلتنا تلك الى الصباح فاصبح بنا الدليل وهو ذلك المعاهد نعلى جبل
عظيم فبينما نحن نسير اذا اشرفنا على صومعة راهب وهي عن ايماننا فعدل عبد الله
نحو الدير وعولنا معه فاطلع علينا راهب من صومعته وعليه برنس اسود وجعل يتاملنا
فقال من انتم فقلنا عرب فقال انتم المحمديون فقلنا نعم فتاملنا وتفقدنا واحدا واحدا
ثم جعل يطيل النظر في وجه عبد الله ابن جعفر ثم قال هذا ابن نبيكم قلنا له لا قال ان

نور النبوه تلوح بين عينيه فهل يلحق به قلنا هو ابن عمه قال الراهب هو من الورقه والورقه
من الشجره فقال عبد الله ابن جعفر ايها الراهب وهل تعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال وكيف لا اعرفه واسمه مكتوب في التورية والانجيل والزبور وهو صاحب الجمل
الاحمر والسيف المشتهر قال عبد الله فلم تومن به وتصدقه فرفع يديه الى السما
وقال حتى يشا صاحب هذه الخضرا قال فاعجبنا كلامه وسرنا والدليل بين ايدينا
الى ان اتينا الى واد كثير الشجر والما وامرنا ان نكمن فيه فقال له عبد الله ابن جعفر فامرح
في مسيرك وارجع الينا بالخبر قال فانطلق مسرعا واقام عبد الله ابن جعفر في ذلك
الوادي قال واثلة ابن الاسقع فاصلحنا زادنا واكلنا فلما مضى من الليل هزيع قام
عبد الله ابن جعفر يحرس المسلمين بنفسه الى الصباح فلما اصبحنا صلينا صلاة الصبح
وجلسنا ننتظر رجوع الرسول فلم يات وابطا خبره فقلق المسلمون لاحتباسه
وخافوا من المكيدة ووسوس عليهم الشيطان وسات بالدليل الظنون فما من
المسلمين الا من ظن بالمعاهدي شرا الا ابو ذر الغفاري رضي الله عنه فانه قال ظنوا بصاحبكم
خيرا فانما تخافون منه كيدا او لا مكرا الا له شانا تعلمونه قال فسكت القوم بذلك واذا
بصاحبهم قد اقبل قال واثلة ابن الاسقع فلما رايناه فرحنا به وظننا انه يامرنا بالنهوض
الى العدو فاقبل حتى وقف في وسط المسلمين وقال يا اصحاب محمد وامته وحق المسيح اني
لم اغشكم فيما حدثتكم ولي رجوت لكم الغنيمة وقد حيل بينكم وبين ذلك فقال له عبد الله
ابن جعفر وكيف احيل بيننا وبين الغنيمة فقال قد حال بينكم وبينها بحر عجاج
وذلك اني اشرفت على السوق وقد قام فيه البيع والشرا واجتمع فيه اهل
دين النصرانيه وقد دار اكثرهم بدير ابي القدس واجتمع اليه الاقسا والرهبان
والملوك والبطارقه فلما نظرت الى ذلك لم ارجع حتى اختبرت ما السبب الذي
جمعهم هناك فمضيت واختلطت بالقوم واذا بصاحب طرابلس قد زوج ابنته ملكا
من ملوكهم وقد اتوا بالجارية الى عند دير ابي القدس لياخذ والها منه ملعونا
وهو القربان وقد دار بها فرسان الروم والمتنصره في عددهم وعديدهم كل ذلك
خوفا منكم يا معاشر العرب وما ارى لكم صوابا ان تسيروا للقوم لانهم في خلق
كثير وجمع غزير فقال عبد الله ابن جعفر فكم يكونوا القوم وكم حزرتهم فقال اما
السوق ففيه اكثر من عشرين الف عوام الروم وهوا الارمن والنصارى والقبط
من مصر واليهود واهل السواد والبطارقه والمتنصره والمستنفرين للحرب خمسة
الف فارس وما لكم بالقوم طاقة وان وقع الصوت اجابهم امثالهم فان بلادهم
متصله واما انتم فعددكم يسير والعرب منكم بعيد قال فضعف ذلك على المسلمين
فسقط ما كان في ايديهم وهموا بالرجوع فقال عبد الله ابن جعفر رضي الله عنهما معاشر
المسلمين ما تقولوا في هذا الامر فقالوا انري ان لا نلقي بايدينا الى التهلكه كما امرنا

رسنا في كنانه العزيز ونرجع الى الامير بالجبيرة والله لا يضيع اجرنا فلما سمع قولهم
اما انا اخاف ان فعلت ذلك ان يكتبني من الفارين وما ارجع او يلي عذرا فمن ساعدني
فاجره على الله ومن رجع فلا عتب عليه فلما سمع المسلمون ذلك من كلام عبد الله
ابن جعفر من بذل مهجته استحيوا منه واجابوه باجمعهم وقالوا افعل ما تريد فما
ينفع حذر من قدر ففرح باجابتهم ثم عمد الى درعه فافرغه عليه وركز على
راسه بيضه وشد وسطه بمنطقه وتقلد بسيف ابيه جعفر واستوى على متن
جواده واخذ الرايه بيده وامر المسلمين باخذ الاهبة فلبسوا دروعهم واشتملوا
اسلحتهم وركبوا خيولهم وقال للدليل سر بنا نحو القوم فسنعاين من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا قال واثلة ابن الاسقع فرايت الدليل وقد اصفر
لونه وتغير وجهه وقال سيروا انتم وانا منكم بري وما على من امر ثم خرج قال
ابا ذر الغفاري رضي الله عنه فرايت عبد الله ابن جعفر يلطف به حتى سار بين
يديه يدل به على القوم ساعة ثم وقف وقال امسكوا عليكم فانكم قد قربتم
من القوم فكونوا في مواضعكم مكمنين الى وقت السحر ثم غيروا على القوم قال
واثلة ابن الاسقع فتشاحيت امرنا ونحن نطلب النصر من الله على الاعدا فلما
كان وقت السحر صلى بنا عبد الله ابن جعفر صلاة الفجر فلما فرغ من صلاته بهم قال
لهم ما ترون في الغارة فقال عامر ابن ربيعة ادلكم على امر تصنعونه قالوا افعل قال
اتركوا القوم لبيعهم وشرابهم واظهارا متقهم ثم اكبسوا عليهم على حين
غفلة وغرة من امرهم فضرب الناس رايه وصبروا الى وقت قيام السوق
ثم اظهروا السيوف من اغمادها واوتروا القسي وشرعوا الاسنة وعبد الله ابن
جعفر امامهم والراية بيده فلما طلعت الشمس عمد عبد الله ابن جعفر الى المسلمين
فجعلهم خمس فرق وعباهم كراديس في كل كرد وس مائة فارس وجعل على كل
مائة نقيبا وقال لياخذ كل واحد منكم قطر من اقطار السوق ولا تشتغلوا بنهب ولا
غاره ولكن ضعوا السيوف في المفارق والعواتق وتقدم عبد الله ابن جعفر بالرايه
وطلع على القوم فنظر الى الروم منفرشين في الارض كانهم الجراد المنتشر لكثرتهم
وقد احدق بدير الراهب خلق كثير وقد اخرج راسه من الدير وهو يعظهم
ويوصيهم ويعلمهم معالم هلاكهم وهم اليه شخوص بابصارهم وابنة البطريق
في الدير والبطارقه وابناوهم عليهم الديباج المثقل بالذهب ومن فوقها دروع
وجواشن تلمع وبيض وهم ينتظرون خروجها اليهم وقد لبسوا الحجر جلبابا كانهم
ينتظرون صيحة بين ايديهم او قارعة تطرقهم ونظر عبد الله ابن جعفر الى الدير وما
قد احدق به والى الراهب وما حول صومعته فهاله ذلك من امرهم وصاح بالمسلمين
قبل الحمله وقال يا اصحاب محمد احملوا بارك الله فيكم فان كانت غنيمة وسرورا فالفتح

والسلام

والسلامه وكان الاجتماع تحت صومعة الراهب وان كان غير ذلك ونعوذ بالله
فموعدنا الجنة وملتقانا عند حوض ابن عمي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
هز الرايه وحمل بها نحو المشركين والمائة فارس معه محدقين به يحملون بحملته
فيهم اهل القدمه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وطلب عبد الله
ابن جعفر مكان الجمع العظيم فغاص فيهم وجعل يضرب فيهم بسيفه تارة ويطعن
بالرمح تارة ويحمل المسلمون من ورائه وسمع الروم اصوات المسلمين وقد رفعوا
اصواتهم بالتهليل والتكبير فتيقنوا ان جيوش المسلمين قد ادركتهم وكانوا لذلك
منتظرين وهم على يقظه من امرهم فاما السوقه فانهم تبادروا الى اسلحتهم والمنع
عن انفسهم واموالهم واخذوا السيوف والاعمدة وانعطفوا على قتال المسلمين
عطفة الاسد الضروس وطلبوا صاحب راية المسلمين ولم يكن مع المسلمين غيرها
راية فاحدقوا بالراية من كل جانب وقامت الحرب على ساق وثار الغبار وانعقد
وصار قسطلا واحدق الروم بالمسلمين فما كان للمسلمين فيهم الا كالشامة البيضا
في جلد البعير الاسود فما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف بعضهم بعضا
الا بالتهليل وكل امرء مشتغل بنفسه عن غيره قال ابو سبرة ابن ابراهيم ابن عبد العزيز
ابن ابي قيس وكان من السابقين المتقدمين باسمائهم في الاسلام وصاحب الهجرتين
جميعا شهدت قتال الحبشة مع جعفر ابن ابي طالب وشهدت المشاهد مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بدر واحد وحنين فقلت اني لا اشاهد مثلها فلما قبض
رسول الله حزنت عليه ولم استطع ان اقيم بالمدينة بعد فقده فرجعت الى
مكة فاقمت بها فوبخت في منامي لتخلفي عن الجهاد فخرجت الى الشام ومعي زوجتي
ام كلثوم ابنة سهل ابن عمرو العامري فقدمت الى الشام وشهدت اجنادين وسرية
خالد لتوما وهربيس وشهدت سرية عبد الله ابن جعفر رضي الله عنهما وكنت معه
في دير ابي القدس فانستني فقتها ما شهدت قبلها من الوقايع بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك اني نظرت الى الروم حين حملنا عليهم في كثرة مددهم
وعددهم وقلنا لا غيرهم ولبسوا لهم كمين اذ خرج لهم كمين عظيم قال فراينا لهم
اجسادا هائله وخيلا عظاما عاليه وجثثهم عظيم وعليهم الدروع والزرد ما
يبين منهم الا الحدق ولهم طمطمة وزمجرة عند ما يحملون حتى نظرت الى
المسلمين قد غابوا في اوساطهم ولا اسمع الا اصواتا ثايره ثم يخمدونها فاقول
قد هلكوا ثم انظر الى الرايه بيد عبد الله ابن جعفر مرفوعه فافرح بذلك وعبد الله
يقاتل بالرايه ويكر بها على المشركين ولا انثني نجاهد على صغر سنه ولم تزل الحرب
كلما طال مكثها يشب ضرامها وعلا قتامها والتهب نارها وصار عبد الله ابن
جعفر في وسط الروم وهم من حوله وحول اصحابه كالحلقة الدايره والروم تحدقه

فجعلت كلما حمل يمينا حملت يمينا وكلما حمل شمالا الا حملت شمالا ولم نزل في الحرب والقتال
حتى كلت منا السواعد وخدرت منا المناكب وعظم عليهم الامر وعارهم المسير والحزهم
الانبهار وولى النهار وانثلم سيف ولد جعفر في يده وكادت تقف فرسه من تحته
فالتجا باصحابه الموضع ليجتمع اصحابه اليه فنظر المسلمون الى رايته فقصدوا اليها
وما منهم الا مكلوم من اكف المشركين فضاق بذلك ذرعه وما نزل به من نفسه مثل
ما نزل به من نفسه مثل ما نزل به من المسلمين فالجا الى الله امره وفوض الى صاحب
السرائر حاله ورفع يده الى السما وقال في دعايه يا من خلق خلقه فامتحن خلقهم
وبلا بعضهم وجعل ذلك محنة لهم اسالك بجاه عبدك محمد الا جعلت لنا من امرنا
فرجا ومخرجا ثم عاد الى القتال واصحاب الرسول يقاتلون معه تحت رايته فلله
در ابي ذر الغفاري رحمه الله فانه نصر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم وجاهد
بين يديه قال عمرو ابن ساعدة فلقد رايته في ذلك اليوم مع كبر سنه وهو يضرب
في الروم بسيفه ويتمثى الى قومه ويذكر عند حملاته باسمه ويقول انا ابا ذر قال والمسلمون
يفعلون كفعله الى ان بلغت القلوب الحناجر وظنوا ان ذلك الموضع فيه قبورهم
قال الواقدي رحمه الله قال حدثني عبد الله ابن انيس الجهني قال كنت احب جعفر
واحب من اولاده عبد الله فلما قبض ابي بكر الصديق رضي الله عنه نظر الى امه اسما بنت
عميس حزينة كره ان ينظر اليها في ذلك الحزن وايضا ان ابا بكر كان مقام ابيه جعفر وكان
يحب عبد الله حبا شديدا واستاذن عمر رضي الله عنه بالمسير الى الشام وقال لي يا ابن
انيس اشتهي ان الحق الشام واكون مجاهدا فتصحبني فقلت له نعم فتودع من عمه
علي ومن عمر ومن المسلمين رضي الله عنهم اجمعين وسرنا نريد الشام ومعنا عشرون
فارسا من اليمن ومن الازد حتى اتينا تبوك فقال يا ابن انيس اتدري موضعا قتل
ابي فقلت نعم ومؤتته قال فاشتهي اري الموضع قال فما زلنا حتى اتينا الموضع
فاريته مصرع ابيه وموضع الوقعة وقبر ابيه جعفر وعليه حجارة صفرا قوم من
كلب للتبرك فلما نظر عبد الله ابن جعفر الى قبر ابيه نزل عليه وبكا ثم ترحم وقمنا عنده
الى صبحة اليوم الثاني فلما رحلنا رايت عبد الله يبكي ووجهه مثل الزعفران فسالته
عن ذلك فقال رايت ابي جعفر البارحة في النوم وعليه حلتان خضرا وقلنسوتان وجناحان
بيده سيف مشهورا اخضر فسلمه الي وقال لي يا بني قاتل به اعداوك فما
وصلت اليهما نري الا الجهاد وكان اقاتل بالسيف حتى تنثلم قال عبد الله ابن
انيس وسرنا حتى اتينا عسكر ابي عبيدة رضي الله عنه بدمشق فبعثه الامير
تلك السرية الى ابي القدس قال ابن انيس فلما رايت الوقعة بينه وبين الروم قلت
يوشك ان يدهاعبد الله فسرت كالبرق واتيت عسكر ابي عبيدة رضي الله عنه فلما
راني قال البشارة يا ابن انيس ام لا فقلت نفذ المسلمين الى نصرة عبد الله ابن جعفر ثم

حدثه

53

حدثته بالقضيه فقال ابو عبيدة انا لله وانا اليه راجعون ان اصيب عبد الله بن
ابن جعفر ومن معه تحت رايتك يا باعبيدة وهي اول امارتك ثم التفت الى خالد
ابن الوليد رضي الله عنه فقال يا ابا سليمان سالتك بالله الحق عبد الله فانت لمعد
لمثلها فقال خالد وانا لها ان شاء الله تعالى وما كنت انتظر الان تامرني فقال
ابو عبيدة استحييت منك يا ابا سليمان فقال ام والله لو امر علي عمر طفلا
لامتثلته فكيف اخالفك وانت اقدم مني ايمانا واسبق اسلاما ما سبقت
باسلامك مع السابقين وسارعت باعانك مع المسارعين وسماك رسول الله
بالامين فكيف اسبقك وانا لدرجتك والله لقد ضربت وجوه المشركين زمانا
والان اشهدك اني جعلت نفسي في سبيل حبسا فسوف احال امير المومنين
اذ قال اني لا اريد الجهاد الا لاجل السمعه والله لا وليت اماره ابدا قال فاستحسن
المسلمون قوله فقال ابو عبيدة رضي الله عنه ايه يا ابا سليمان الحق اخوانك رحمك الله
قال فوثب كانه الاسد وسار الى رحاله واقرب عليه درع مسلمة الكذاب الذي
استلبه منه يوم اليمامه والقى بيضته على راسه فاردفها بقلنسوته وتقلد
حسامه وانتصبت في سرجه كانه قد نفر منه ونادا يا الجيش الزحف هلموا الى
ضرب السيوف قال فاجابوه مسرعين كانهم العقبان وتبادروا الى طاعة الرحمن
فاخذ خالد الرايه بيده وهزها على ركابه ودار عسكر الزحف به وودع المسلمون
بعضهم بعضا وسلم عليهم خالد وعبد الله ابن انيس الجهني يدل بهم قال رافع ابن
عميره الطاي وكنت يومئذ من اصحاب خالد ولم تزل تجد في السير والله عز وجل
قد طوا لنا البعيد فلما كان عند غروب الشمس اشرفنا على القوم والروم كالجراد
المنتشر وقد غرق المسلمون في كثرتهم فقال خالد يا ابن انيس في اي جانب اطلب
عبد الله ابن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له انه قد وعد
اصحابه ان يلتقوا عند دير الراهب وموعدهم الجنة قال فنظر نحو الدير واذا به
قد راى الراية الاسلامية وهي بيد عبد الله ابن جعفر وما من مسلم الا من قد
اصيب بجرح او ثلاث او شلة وقد ايسوا من الحياة الفانية وطمعوا في العيشة
الباقية السرمديه والروم تنا وشهم للحرب والطعن والضرب وعبد الله بن جعفر
رضي الله عنه يقول لاصحابه دونكم والمشركين واصبروا القتال المارقين واعلموا
ان قد تجلي عليكم ارحم الراحمين ثم قرى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن
الله والله مع الصابرين فلما نظر خالد الى صبرهم وتجلدهم لقتال اعدائهم الصفاح
وابشروا ابا النجاح يا اهل حي على الفلاح قال الواقدي رحمه الله فبينما
اصحاب عبد الله ابن جعفر في اشد ما كانوا فيه اذ خرج عليهم خيل المسلمين وكتايب
الموحدين كانهم الطيور في مثل جريها وعليها الرجال كانهم العقبان الكاسره

والليوث الضاريه وهم غايصون في الحديد والزرد النضيد وقد ارتفع لهم ضجيج وحيلهم
عجيج فلما نظر اصحاب عبد الله الي ذلك ايقنوا بالفنا وجعلوا ينظرون الي الخيل التي راوها
واذا هي قاصده اليهم ففزعوا وظنوا ان كمينا من الروم قد ظهر الي قتالهم واسرهم
قد بدر فعظم عليهم الامر وعازهم الصبر واخذ الانبهار وابي المشركين الدمار
واضرمت فيهم الحرب نارا والسيوف تلمع والروس من الرجال تقطع والارض قد مليت
قتلي وهم في ايدي الروم كانهم اسري قال والقوم في اشد القتال والسيف يعمل في
الرجال اذ نادي فيهم منادي وهتف بهم هاتف خذل الاوثان ونصر الخايف يا حملة القران
جاكم الفرج من الرحمن ونصرتم علي عبدة الاوثان والصلبان والاصنام وقد بلغت القلوب
الحناجر وعملت البواتر واذا بفارس علي المقدمة كانه الاسد الزاير والليث الهادي بيده
رايه تشرق بالنور كاشراق القمر فنادي الفارس باعلا صوته ابشروا يا معشر المسلمين
بالنصر المبين انا خالد ابن الوليد فلما سمع المسلمون صوته ونظر الي الرايه فكانهم كانوا في لجة
فاجابوه بالتهليل والتكبير وكانت اصواتهم كالرعد القاصف والرياح العواصف ثم
حمل خالد بجيش الزحف لا يفارق قومه ولا يفارقونه ووضع السيف في الروم قال عامر
ابن سراقه فما شبهت حملته في الروم الا حملة الاسد في الغنم ففرقهم يمينا وشمالا
قال وبدر علي المسلمين كل علج من الروم شديد ومن يمانع عن نفسه وماله وخالد
يطلب ان يصل الي عبد الله ابن جعفر فلما نظر المسلمون الي الخيل المقبلة اليهم فلم يعلموا ما هي
حتي سمعوا صوت خالد وهو يفتخر بنفسه ويذكر نسبه وسمعه عبد الله ابن جعفر فقال
يا ايها الناس دونكم والاعداء فقد اتاكم النصر من السما ثم حمل وحمل المسلمون معه
قال واثلة ابن الاسقع لقد كنا ايسنا من انفسنا وايقنا اننا في الهلاك حتي اتتنا
المعونه والنصر من الله عز وجل فحملنا بحملة اخواننا قال فلما اختلط الظلام
حتي نظر الي خالد ابن الوليد والرايه بيده وهو يسوق المشركين بين يديه سوق الغنم
الي المرعي والمسلمون يقتلون ويأسرون فلله در ابو ذر وضرار ابن الازور والمسيب ابن
نجبه الفزاري لقد قرنوا المناكب وهزوا القواضب وقتلوا الروم في كل جانب والتقي
ضرار رضي الله عنه بعبد الله ابن جعفر فنظر اليه والدم علي كمام درعه كاكباد الابل
فقال شكر الله ولك يا ابن عم رسول الله صلي الله عليه وسلم فانك قد اخذت بثار اسك
وشفيت غليلك فقال عبد الله ابن جعفر من الرجل المخاطب لي وكان الظلام قد لعنكم
وضرار ملثم لا يبين منه الا الحدق ولم يعرفه ولد جعفر فقال من انت فقال انا ضرار ابن
الازور صاحب رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال مرحبا بطلعتك من مساعد لنا
وقادم لنصرتنا فقال عبد الله ابن انيس الجهني وقد علي ذلك حتي جاء خالد بجيش
الزحف قال فشكر الله له واحسن جزاوه ثم قال يا ضرار اعلم ان حامية الروم من
البطارقه عند الدير لاجل ابنة صاحب طرابلس وما معها من الاموال وقد احاط بها

ط

كل فارس شهم من القوم فهل لك يا ابن الازور ان تحمل معي قال واين هم قال اما تنظر
اليهم فمددت عيني واذا بحماة الروم وبطريق طرابلس وقد احدق بالدير يمنع
عن الجارية والنيران مشتعلة والصلبان تلمع في ضوء النار وهم كانهم سد من حديد
فقال ضرار ابن الازور ارشدك الله الى الخيرات فنعم المرشد انت احمل حتى احمل بحملتك
قال فحمل عبد الله ابن جعفر من جنبه وحمل ضرار من جنبه واتبعهما الرجال فزعقوا بالروم
وحملوا المشركين انفسهم وكان اشدهم منعة بطريقهم برز امام القوم كانه العتيق
وهو يهدر كهدرات الاسد ويزار كالبعير ويصيح بكلمة الكفر وحمل حملات الشجعان
فقصده ضرار ابن الازور وباطشه في الضرب والتقت الاقران ونظر ضرار الى العلج وعظم
خلقته وتمكنه في سرجه وشدة ضرابه وحسن احترازه فاخذ منه حذره واحترز
منه بخبرته والبطريق يطلبه اشد الطلب وكل واحد منهما طامع في صاحبه فانفرد
ضرار ابن الازور مع صاحب القوم وكل قرن مع قرنه ولبس مع ضرار احد من المسلمين
قال فانبسط ضرار بين ايديهم ليمكر بهم فطلبه البطريق واصحابه وقصدوه بحملتهم
فلما نظر ضرار الى ذلك قصد موضع يصلح لمجال الخيل فاعترضه واد في ظلمة الليل فكان
الجواد فسقط الى الارض هاويا ثم ثار من سقطته يروم ان ياخذ الفرس فلم يجد الى ذلك سبيلا
فثبت مكانه وحجفته في يده وجعل يجاهدهم بسيفه وصبر لهم صبر الكرام ولم ياخذه
في الله لومة لائم فخفق عليه بطريق القوم واقبل يريد ان يضربه بعموده فلما الازقه وانزل
العامود عليه راغ ضرار عن الضربة ثم وثب اليه وثبة الاسد وضربه بعج فرس البطريق
من تحته وقام على رجليه وشب بيديه فوقعت ضربة ضرار على عنق الجواد فانتكس
الجواد الى الارض ووقع صاحب القوم من ظهره ولم يقدر ان يقوم لانه مزرفن في سرجه
فعاجله ضرار قبل وصول غلمانه اليهم وضربه على حبل عاتقه فنبى سيفه ولم يعمل
شيا فناهضه العلج وقد ايقن بالهلاك فوثب ضرار وقبض عليه بقوته فكان
كالجبل العظيم فرما به ضرار تحته وملك صدره واحتوى نحره وكان لضرار
سكين من صنع اليمن لا تفارقه فاستلها من غمدها وضرب بها خوصرة عدو الله الى صدره
فسقط عدو الله قتيلا وعجل الله بروحه الى النار ثم وثب ضرار ابن الازور فملك جواد
عدو الله واستوى في سرجه وكان على الجواد حلية كثيرة من الذهب والفضة
والفصوص التي تسوى ثمنا كثيرا فلما صار في ظهر الجواد حمل وكبر على الروم ففرقهم
يمينا وشمالا وكان ضرار لما انبسط امام البطريق ملك عبد الله ابن جعفر الدير ومن
فيه واحدق به المسلمون فلم ياخذوا منه شيا حتى رجع خالد من اتباع الروم
وذلك ان خالدا اتبعهم الى نهر عظيم كان بينهم وبين طرابلس والروم يعرفون
مشارعه فخاضوه خوضا فوقف خالد ورجع الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوجدهم قد ملكوا الدير وانبث الناس في جمع الغنايم وما كان في السوق من المتاع

والثياب والطرف والطعام قال واثلة ابن الاسقع فجعلنا نحمله في الاعكام وناكل من
الخيرات قال واخرجنا ما كان في الدير من انية الفضه والستور والمرائت واخرجت ابنة
البطريق ومعها اربعون جارية لها حلي وحلل وحمل المال والمتاع على البراذين والبغال
والحمير وانقلب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنيمة والاموال الجسيمة قال
الواقدي رحمه الله فخمست تلك السرية لثلاثة لعبد الله ابن جعفر صاحبها
وابن انيس مدركها وخالد منجدها ولقي خالد فيها مشقة وجراح مولمة فلما
سار اقبل خالد الى الراهب فصاح به فلم يكلمه فهتف به مرة اخرى وهدده فاطلع
اليه راسه وقال ما تشا فوحق المسيح ليطالبنك صاحب الخضر ابدا ما من قتلت فقال
خالد كيف يطالبنا وقد امرنا ان نقاتلكم ونجاهدكم ووعدنا على ذلك الثواب
ووالله لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا ان لا نتعرض لكم لانزلتك من صومعتك
وقتلتك اشر قتله فسكت الراهب عنه ولم يجدوا وانقلب خالد بالغنيمة حتى قدموا
دمشق وابو عبيدة رضي الله عنه مطلع اليه قدومهم فلما اشرفوا بالغنايم فرح فرحا
شديدا وفرح المسلمون واستقبلهم ابو عبيدة فشكرهم وسلم عليهم وسلم على
خالد وعلى عبد الله ابن جعفر ورجع الى مكانه فخمس الغنيمة وقسمها على الناس
ودفع لضرار فرس البطريق وسرجه وما عليه من حلية الذهب والجواهر فاتى به
ضرار الى اخته خوله قال زاينتها تنزع فصوص الجوهر فتفرقها على سابر نسا
المسلمين وان الفص منها يسوي الثمن الكثير قال واعرض السبي على ابي عبيدة وفي الجملة ابنة
البطريق فسال عبد الله ان يعطيها له فقال حتى استاذن امير المومنين في ذلك فكتب الى عمر رضي
الله عنه يعلمه بها ومسالة عبد الله ابن جعفر فكتب اليه عمر رضي الله عنه هي له فاخذها عبد الله
واقامت عنده زمانا وعلمها الطبخ وقيل بل كانت تحسن طبخ الروم وطبخ الفرس فاقامت
عنده الى ايام يزيد فاخبر يزيد بها فاستهداها منه فاهداها له فكانت له قال عامر ابن ربيعه
اصابني من غنيمة سوق الدير ثياب حرير دیباج فيها صور الروم وكان في ثوب منها
صورة حسنه فيها صورة مريم وعيسى عليه السلام فحملت الثياب الى اليمن فبعت
بثمن كثير فاشتريت بالطائف فكتبت الى عمر وانا مع ابي عبيدة رضي الله عنه بان
احمي انفذ الى مثل هذه الثياب واكثر منها فانها تنفق قال الواقدي
رحمه الله فلما رجع جيش المسلمين سالما غانما فكتب ابي عبيدة ابن الجراح رضي الله
عنه الى عمر رضي الله عنه كتابا يخبره بما فتح الله على يده وما غنم المسلمون من دير
ابي القدس ويمدح خالدا ويشكره ويثني عليه ويخبره بما قال فيه وما تكلم
به ويساله في كتابه ان يكتب الى خالد يبشره ويستعطفه عليه قال الواقدي
رحمه الله وكان كتاب ابي عبيدة رضي الله عنه الى عمر رضي الله عنه يستشيره في المسير
الى هرقل والى بيت المقدس وكتب اليه في امر المسلمين وانهم يشربون الخمر

قال عاصم ابن ذويب العامري كنت فيمن شهد قتال الشام وفتح دمشق وغوطتها
والعرب الوافده من اليمن في الضياع فاخذوا في الشرب واستطابوا ذلك فامكو عليهم
الامير ابي عبيده رضي الله عنه فقال رجل من العرب اظنه سراقه ابن عامر يا معاشر المسلمين
خلوا شرب الخمور فانها تذهب بالعقل وتكثر اكتساب الاثم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعن شارب الخمر حتى لعن حاملها والمحموله اليه فحدثني اسامه ابن زيد الليثي عن الزهري
عن حميد ابن عبد الرحمن ابن عوف الخشابي قال كنت مع ابي عبيدة رضي الله عنه بالشام
فكتب الى عمر رضي الله عنه يخبره بفتح السوق وفي الكتاب ان المسلمين شربوا الخمر واستقلوا
الحد فيها فقدمت المدينة فوجدت عمر رضي الله عنه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم علي وعثمان وطلحة وعبد الرحمن
ابن عوف يتحدثون فدفعت اليه الكتاب فلما قراه عمر جعل يفكر في ذلك ثم قال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جلد في شربها ثم سال عمر رضي الله عنه لعلي رضي الله عنه عن
ذلك فقال ما ترى في هذا فقال علي ان السكران اذا سكر هذا واذا هذا افترى واذا
افترى فعليه ثمانون جلده فاجلد فيه ثمانين جلده فكتب عمر الى ابي عبيده اما بعد فقد ورد
كتابك فقرانه وفهمته ومن شرب الخمر من المسلمين فاجلده ثمانين جلده ولعمري
ما يصلح لهم الا الشده والفقر ولقد كان حقهم ان يخشوا نبيا لهم وبرا فيقوا ربهم
عز وجل ويعبدوه ويومنوا به ويشكروه فمن عاد فاقم فيه الحد قال الواقدي
رحمه الله فلما ورد كتاب عمر رضي الله عنه الى ابي عبيدة رضي الله عنه وقراه نادي في المسلمين
من كان لله في جنبه حد فليعط ذلك من نفسه وليتب الى الله عز وجل ففعل الناس ذلك
من كان شرب الخمر اعطى الحد من نفسه قال ابو عبيدة رضي الله عنه اني قد عزمت بالمسير
الى انطاكيه ونقصد كل الروم لعل الله يفتح على ايدينا فقال المسلمون سر حيث شئت فنحن
تبعا لك نقاتل اعدائك فسر بقولهم وقال تاهبوا للرحيل فاني سايركم الى حلب فاذا
فتحناها توجهنا ان شاء الله الى انطاكيه قال فاسرع المسلمون الى اصلاح شانهم
واخذ اهبتهم فلما فرغ ابو عبيدة رضي الله عنه من جميع شغله امر خالد رضي الله عنه
ان يا خذ رايه العقاب التي عقدها له ابي بكر الصديق رضي الله عنه وامره ان يسير
امام الجيش بعسكر الزحف فسار خالد على المقدمة ومعه ضرار ابن الازور ورافع
ابن عميرة الطائي والمسيب ابن نجيه الفزاري والناس تتبع بعضهم بعضا وترك
ابي عبيدة رضي الله عنه على دمشق صفوان ابن عامر السلمي من بني اسلم وترك معه
خمسمايه رجل وسار ابي عبيدة رضي الله عنه في اثر المسلمين ومعه من العرب يمن ومضر
قال الواقدي رحمه الله وسار ابو عبيدة رضي الله عنه على طريق البقاع واللبوه فلما
وصل اليها هناك بعث خالد الى حمص وقال يا ابا سليمان انهض على بركة الله وعونه ونازل
القوم وشن الغارات على ارض العواصم وقنسرين وانا اسير الى بعلبك ولعل الله

ان يسهل علينا فتحها ثم ودعه وسار خالد بمن معه الى حمص وتوجه ابو عبيدة الى بعلبك واذا
ورد عليه بطريق من جوسيه ومعه الهدايا والتحف وصالح المسلمين سنة واحدة كامله
وقال ان فتحتم بعلبك وحمص فانا بين ايديكم ولا اخالف لكم قولا فصالحهم ابو عبيدة رضي
الله عنه على اربعة الف درهم وخمسين ثوبا من الديباج فلما ابرم الصلح سار ابو عبيدة
يطلب بعلبك وحمص فما هو الا ان ابعد من اللبوه الا وقد اشرف عليه راكب على نجيب يأكل
الارض بسيره فوقف ابو عبيدة رضي الله عنه حتى اشرف عليه النجاب فاذا هو اسامة ابن
زيد الطاى فقال له يا اسامة من اين فاناخ نجيبه وسلم على ابي عبيدة رضي الله عنه وعلى المسلمين
وقال اتيت من المدينة وسلم اليه كتاب من عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ففضه ابي عبيدة رضي الله عنه
وقراه واذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر امير المومنين الى امين الامة سلام عليك فاني احمد
الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه اما بعد فلا مرد لقضا الله وقدره ومن كتب في اللوح المحفوظ
كافرا فلا ايمان له وذلك ان جبله ابن الايهم الغساني كان قدم علينا ببني عمه وسراة
قومه فانزلتهم واحسنت اليهم فاسلموا على يدي وفرحت بذلك اذ شد الله عضد
الاسلام والمسلمين بهم ولم اعلم ما في مكين الغيب وانا شرفنا الى مكة حرسها الله تعالى
نطلب الحاج فطاف جبلة بالبيت سبعا فوطي ازاره رجل من بني فزاره فسقط الازار
عن كتفه فالتفت الى الفزاري وقال ويلك اكشفتني في حرم الله فقال والله ما تعمدتك فلطم
جبلة الفزاري لطمة هشم انفه وكسر ثناياه الاربع فاقبل الفزاري الي مستغيثا على
جبله فامرت باحضاره وقلت ما حملك على ان لطمت اخاك في الاسلام وكسرت ثناياه
الاربع وهشمت انفه فقال جبله انه وطي على ازاري فحله والله لولا حرمة البيت لقتلته
فقلت قد اقررت على نفسك اما ان يعفوا عنك او اخذ له منك القصاص فقال تقتص مني
وانا ملك وهو سوقي قلت شملك واياه الاسلام فما تفضله الا بالعافيه فقال جبله
تتركني الى الغد وتقتص مني فقلت للفزاري اتتركه الى الغد قال نعم فلما كان من الليل ركب في
بني عمه وتوجه الى الشام الى كلب الطاغية وارجو ان الله يظفرك به فانزل الى حمص ولا
تبعد عنها فان صالحك اهلها فصالحهم وان ابو فقاتلهم وابعث عيونك الى انطاكيه
وكن على حذر من المتنصره والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته
قال الواقدي رحمة الله فلما قرا ابي عبيدة رضي الله عنه الكتاب في سره قراه مرة اخرى
ثم الوي يطلب حمصا وكان خالد ابن الوليد رضي الله عنه قد سبقه اليها بثلث الجيش
فنزل عليها يوم الجمعة في شوال سنة اربعة عشر من الهجرة وكان عليها والي بطريق من قبل
هرقل اسمه نقيطا ابن كوكس وكان مات يوم نزول خالد عليها فلما راي اهل حمص الى
نزول المسلمين عليهم اجتمعوا في كنيستهم المعظمة وقال بطريقهم اعلموا ان صاحب الملك
قد مات وليس عند الملك خبر وهؤلاء العرب وقد نزلوا علينا وما ظننا ذلك ولقد
حسبنا انهم لا ينزلون علينا حتى يفتحوا حرسته وبعلبك وان قاتلتموهم وكانتم

الملك

الملك ان ينفذ لكم والينا وجيشا فان العرب لا يتمكن احد من جنود الملك ان يصل
اليكم ويبقى عندكم طعام يقوم بكم للحصار فقالوا ايها السيد فما الذي ترى قال
تصالحوا القوم على ما ارادوا منا وتقول نحن لكم وبين ايديكم ان فتحتم حلب وقنسرين
وهزمتم جيش الملك فاذا توجه القوم عنا بعثنا الى الملك يمدنا بالجيش عرموم ووالي من
اهل بيته او ممن يحبه ونستوثق لنا من الطعام والعدد وبعد ذلك نقاتلهم فاستصوب
القوم رايه وقالوا دبر لنا بحسن رايك وتدبيرك فبعث البطريق الى ابي عبيدة رضي الله عنه جا
ثليقا كان عندهم معظما ليعقد الصلح بينهم وبين المسلمين فخرج الجاثليق ووصل الى ابي عبيدة
رضي الله عنه وتكلم معه في الصلح وبما تحدث به البطريق من امر مسير المسلمين الى حلب وقنسرين
والعواصم وانطاكية فاجابهم ابو عبيدة رضي الله عنه الى ذلك وصالح اهل حمص على عشرة
الف دينار وثمانين ثوبا من الديباج وعقد الصلح مع القوم سنة اولها ذي القعدة واخرها
شوال سنة اربعة عشر من الهجرة قال وابرم الصلح وخرج السوق من حمص الى عسكر المسلمين وباعوا
عندهم واشتروا وراى اهل حمص سماحة العرب في بيعهم وشراهم وربحوا معهم ربحا وافيا
وان ابي عبيدة رضي الله عنه دعا بخالد رضي الله عنه اليه وضم اليه اربعة الف فارس من لخم وجذام
وكهلان وطي ونبهان وسنبس وخولان وقال يا ابا سليمان سر بهذه الكتيبة واقصد بها المعرة
واقرب من حلب وشن بها الغارة على بلد العواصم وارجع على اثرك وانفذ عيونك وانظر ان
كان للقوم نجدة او ناصر من قومهم ام لا فاجاب خالد لذلك واخذ رايته وتقدم امام الكتيبة
وهو يقول بعد الصلاة على الرسول

اخذتها والملك المعظم … وانني حاملها رحيم لانني نجم بني مخزوم
وصاحب لاحمد الكريم … اسير سير الاسد الهشوم … يا رب وقني من قتال الروم

وسار خالد الى شيزر فاقام بها يومه على نهر المقلوب ثم دعا بمصعب ابن محارب اليشكري
وضم اليه خمسمائة فارس وامره ان يشن الغارة على العواصم وسار خالد الى كفرطاب
وعرج منها الى المعرات الى دير سمعان وجعل يغير يمينا وشمالا على القرا ويأخذ الغنايم
والاسرى فلما ثقلت ايديهم بالغنايم والاسرى رجع خالد رضي الله عنه الى ابي عبيدة
رضي الله عنه فلما نظر ما معه من الغنايم والاموال فرح فرحا شديدا فبينما ابو عبيدة رضي
الله عنه كذلك اذ سمع ضجة عظيمة قد ارتفعت بالتهليل والتكبير واذا برجال المسلمين
ومعهم سواد عظيم فقال ابو عبيدة رضي الله عنه ما هولاي يا ابا سليمان فقال خالد رضي الله
عنه ايها الامير هو مصعب ابن محارب اليشكري عقدت له راية على خمسمائة فارس
من قومه من اليمن وانه غار بهم على ارض العواصم وقد اتى بالسبي والاموال والغنايم
فالتقاهم الامير ابو عبيدة رضي الله عنه فنظر الى سرح عظيم من البقر والغنم وبراذين عليها
رجال ونسا، وصبيان واطفال وخلفهم دوي عظيم وبكاء شديد فقصد ابو عبيدة رضي الله
عنه الضجيج واذا بهم اهل الضياع من الاعلاج مقرنين في الحبال وهم يبكون على عيالاتهم
وخراب ضياعهم ونهب اموالهم فقال ابي عبيدة رضي الله عنه لترجمانه وكان لا يفارقه قل لهم

مالكم تنكون ولم لا تدخلوا في دين الاسلام او تطلبوا الذمام فكنتم قد امنتم على انفسكم واموالكم
وعيالاتكم قالوا نحن اقوام كنا بالبعد وانما كانت الاخبار تتصل بنا وما ظننا انكم تبلغون
الينا فما شعرنا حتى اشرف علينا هؤلاء القوم فانتهبوا اموالنا واخذوا اغنامنا
وساقونا في الجبال قال الواقدي رحمه الله وكان الاعلاج زها على اربعمائة علج
فقال لهم ابو عبيدة رضي الله عنه فان مننا عليكم واطلقناكم من اسركم ورددنا عليكم
اهاليكم واولادكم فهل تكونون في طاعتنا وتؤدوا الجزية الينا والخراج قالوا ومن لنا
بذلك ونحن نفعل جميع ما تشترطه علينا فعند ذلك اقبل ابو عبيدة رضي الله عنه على
روسا المسلمين وقال لهم ايها الناس اني رايت من الراي اني اومن هؤلاء القوم من
القتل وارد عليهم عيالاتهم فيكونوا لنا عبيدا او يعمروا الارض لنا وناخذوا خراجهم
وجزيتهم فما انتم قائلون فما كنت بالذي اقطع امرا دونكم فقال المسلمون الامر لك
والراي رايك ايها الامير ان رايت ذلك صلاحا للمسلمين فافعل فعند ذلك فرض عليهم
وعلى كل راس منهم اربعة دنانير وبذلك كتب اليه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فعند
ذلك رد عليهم ابو عبيدة رضي الله عنه اموالهم واولادهم واطلقهم واقرهم على ضياعهم
وكتب اسمائهم وامرهم بالرجوع قال فرجعوا الى اوطانهم فلما استقروا اخبروا من
كان بالقرب منهم بحسنة سيرة العرب وعدلهم وما عاملوهم به من الجميل ولقد ظننا
انهم يقتلونا ويستعبدوا اولادنا فرحمونا واقروا الجزية والخراج علينا فلما سمعوا
الروم ذلك اقبلوا الى ابي عبيدة رضي الله عنه في طلب الامان ويؤدون الجزية والخراج
فاجابهم الى ذلك وكتب اسمائهم واسماء حصونهم وقراياهم وبلغ الخبر الى اهل
قنسرين والحاضر ان ابا عبيدة رضي الله عنه يعطي الامان لمن قصده فاحبوا ان ياخذوا
لهم امانا من ابي عبيدة رضي الله عنه واجتمع رايهم على ذلك وان ينفذوا رسولا من غير
علم بطريقهم قال الواقدي رحمه الله وكان على قنسرين والحاضر بطريق من
بطارقة الملك وكان من اهل الشدة والباس وكانوا يخافون منه واسمه لوقا وكان
يعانده صاحب حلب في مملكته وسلطانه قال الواقدي رحمه الله ولقد بلغني
ان هرقل دعا بهما اليه وقال ما تدعون في امر هؤلاء العرب فقالا ايها الملك
ما كنا بالذي ندع ملكنا من غيران تلقا العرب ولان تبلي معهم بلاء حسنا فوعدها
الملك ان يبعث لهما جيشا وكانا ينظران ذلك وكان مع كل واحد عشرة الف فارس الا
انهم لا يجتمعان في موضع واحد فلما سمع صاحب قنسرين ما قد عزم اهل بلده
عليه من الصلح لابي عبيدة رضي الله عنه غضب غضبا شديدا وعزم على ان يمكر
بهم فجمع اهل قنسرين اليه وقال يا بني الاصفر وعباد المسيح ما ترون ان اصنع في
امر هؤلاء العرب فكانكم بهم قد اقبلوا الينا يفتحوا بلدنا كما فتحوا سائر البلاد
قالوا ايها السيد قد بلغنا انهم اهل وفا وذمه وقد فتحوا اكثر بلاد الشام فمن

فانهم

فاتلهم قتل واستعبد والاولاده واهله ومن دخل في ذمتهم وطاعتهم اقروه في بلدهم
وكانوا امنين من سطواتهم والراي عندنا ان نصالح القوم ونكون امنين على انفسنا
قال لهم البطريق لقد قلتم فاحسنتم وبالصواب اشرتم لان هولا العرب قوم منصورون
على من قاتلهم وانا اعقد معهم الصلح سنه الى ان توافينا الجيوش من الملك هرقل ونعطف
عليهم وهم امنون فنهلكهم عن اخرهم فقالوا افعل ما تريد واتفق راي اهل
قنسرين وراي البطريق على ذلك الصلح وفي قلوبهم المكر والغدر فدعا لوقا برجل
من اصحابه اسمه اصطخر وكان قسا عالما بدين النصرانيه فصيح اللسان بالعربيه قد
عرف الدين اليهوديه والنصرانيه فقال له لوقا سر الى امير العرب فقول له يصالحنا
سنه كامله حتى نبيد القوم بالحيله والخداع وكتب كتابا يقول بعد كلمة الكفر اما بعد
فان بلدنا بلد مانع كثير العدة والعدد والزاد والمال وما نوتي من قله وانك لو اقمت اربعين
سنة ما قدرت علينا فان الملك قد استنجد عليكم بالروميه من حد الخليج الى رومية الكبرى
واذا ابعث اصالحكم سنه حتى نرى البلاد لمن تحصل وانا نريد ان تجعلوا بيننا وبينكم
علامه حد بلدنا ارض قنسرين والعواصم حتى اذا همت العرب بالغاره علينا ورات العلامه
راحت ونحن نصالحكم سرا من الملك ليلا يعلم بنا فيقتلنا والسلام ثم خلع على اصطخر
خلعه سنيه واعطاه بغله من مركوبه وعشرة غلمان فسار حتى ورد على حمص فوجد ابي عبيدة
رضي الله عنه يصلي بالناس صلاة العصر فوقف اصطخر ينظر ما يفعلون فلما سلم القوم
نظروا الى القس ومن معه فعلموا انه رسول فدنا منه عبد الله ابن ابي ربيعة وقال من انت
قال انا رسول ومعي كتاب قال فمثله بين يدي ابي عبيدة رضي الله عنه فهم القس بالسجود
فمنعه ابي عبيدة رضي الله عنه من ذلك وقال نحن عبيد الله عز وجل منا شقي وسعيد فاما
الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها
الاية فبقي اصطخر لا يرد جوابا وهو يتعجب مما تكلم به ابي عبيدة رضي الله عنه فنادي
خالد ما شانك يا ذا الرجل ورسول من انت قال اصطخر انا رسول صاحب قنسرين
والحاضر اليكم ثم خرج الكتاب ودفعه الى ابي عبيدة رضي الله عنه فاخذ ابي عبيدة
رضي الله عنه الكتاب وقراه على المسلمين فلما سمع خالد ما فيه من صفته بجلدهم
وكثرة عددهم وزادهم وتهديدهم بجيش هرقل احرك خالد راسه وقال ايها
الامير وحق من ايدنا بالنصر وجعلنا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان
هذا الكتاب الا من رجل ما يريد بصلحه الا الغدر ثم قال للرسول فان جا جنود
صاحبكم ورايتم القوم من جانبكم نقضتم عهدكم وعهدنا وكنتم اول من يقاتلنا
وان رايتم الحرب من غيران يكون سنه كامله فان لحق بكم جيش في هذه السنه من
هرقل فلا بد من قتاله ومن اقام في الذمة ولم يقاتل مع الجيش فهم على صلحنا لا نعرض
لهم قال اصطخر قد اجبتك الى ذلك فاكتب لي كتابا فقال ابها الامير اكتب له كتاب

موادعة سنة اولها هلال ذي القعدة من سنة اربعة عشر من الهجرة واخرها شوال من سنة
خمسة عشر من الهجرة ففعل ذلك فلما فرغ ابي عبيدة رضي الله عنه من الكتاب قال له اصطخر ايها
الامير ان بلدنا معروف وبازاينا صاحب حلب ونريد ان تجعل لنا فيما بيننا وبين المسلمين
والروم علامه ليكون اصحابك لايجاوزون ذلك فرضي ابي عبيدة بذلك قال لقد قلت
فاحسنت وانا ابعث من يجد لكم حدا فقال اصطخر ما نبعث احدا من اصحابك بل نحن
نصنع عمدا وننصبه وتكون عليه صورة الملك هرقل فاذا راوه اصحابك لا يتعدوه وقال
ابي عبيدة رضي الله عنه ما فعل ذلك فدفع له الكتاب ونادي ابو عبيدة رضي الله عنه
في المسلمين واصحاب الغارات من نظر الي العمود فلا يتعداه ولا يجوزه بل تبثن الغارات
علي ارض حلب وحدها ولا يجوزا العمود وليبلغ الشاهد الغايب فرجع اصطخر الي بطريق
قنسرين ودفع اليه الكتاب واعلمه بما جري له مع خالد ابن الوليد وابي عبيدة ابن الجراح
رضي الله عنهما ففرح بذلك وعمد الي عمود ووضع عليه صورة الملك كانه جالس في ملكه
قال الواقدي رحمه الله وكانت خيل المسلمين تضرب في غاراتها الي اقصي بلاد حلب
والعمق وانطاكيه ويحيدون عن حد قنسرين والحاضر ولا يقربون العمود قال عمر ابن عبد الله
العنبري عن سالم ابن قيس عن ابيه عن من حدثه عن سعيد ابن عباده قال كان صالح
المسلمين واهل قنسرين والحاضر علي اربعة الف دينار ملكيه ومائة اوقية من الفضة
والف ثوب من متاع حلب والف وسق من طعام قال عامر ابن رفاعه هكذا سمعت
معاذ ابن جبل يذكر الا انه قال واربعمائة وسق من طعام قال الواقدي رحمه الله
عن ملتمس ابن عامر قال كنا في بعض الغارات اذ نظرت الي العمود عليه صورة الهرقل
فتعجبنا منه وجعلنا نحوم حوله واذا اخذ نلعب بخيولنا ونعلمها الكر والفر وكان
بيد ابو جندله قناة تامة الطول فنفرت به فرسه من الصورة فدارت القناه وهو
لا يريد ذلك وهو غير معتمد ففقا عين الصورة بها وكان قوم من غلمان صاحب قنسرين
يحفظون الصورة والعمود فرجع بعضهم الي البطريق وحدثه بذلك فدفع اليهم صليبا
من الذهب فدفعه للطمان وقال لهم ارجعوا الي امير العرب وقولوا لهم لقد غدرتم
بنا ولم توفوا بذمتكم واحضر اصطخر ودفع اليه الكتاب والصليب وسار معه مائة
فارس حتي اشرف علي ابي عبيده رضي الله عنه فلما نظر والمسلمون الي الصليب وهو مرتفع
فاسرعوا اليه ونكسوه ووثب ابي عبيده رضي الله عنه واستقبلهم وقال من انتم قال
اصطخر انا الرسول اليكم من صاحب قنسرين وقد غدرتم ونقضتم قال ابي عبيدة رضي
الله عنه وما سبب نقضنا لصلحكم ومن نقضه قال نقضه الذي فقا عين ملكنا
قال ابي عبيده رضي الله عنه وحق رسول الله صلي الله عليه وسلم ما علمت بذلك وسوف اسال عن
ذلك ثم نادي يا معاشر العرب من فقا عين التمثال فليخبرنا فقال ابو جندله سهيل
ابن عامر انا من غير تعمد فما الذي تريدون وما الذي يرضيكم منا فقالت الاعلاج لا نرضي

حتى تفقوا عين ملككم يريدون بنظرون بذلك الي وفاء المسلمون فقال ابو عبيده
رضي الله عنه ها انا اصنعوا اليكما فعل بصاحبكم قالوا لا نرضا بذلك ولا نرضا
الا بملككم الاكبر الذي يلي العرب كلها قال ابو عبيده رضي الله عنه ان عين ملكنا
امنع من ذلك قال وغضب المسلمون اذ ذكروا عين عمر رضي الله عنه وهموا بقتلهم فنهاهم
ابو عبيدة رضي الله عنه عن ذلك فقال المسلمون نحن دون اماما نفديه بانفسنا ونفقوا
اعيننا دونه فقال اصطخر عندما نظر الي المسلمون وقد هموا بقتله وقتل من جاء معه
فقال لا نفقا عينه ولا عيونكم ولكن نصور واصورة اميركم علي عمود ثم نصنع به مثل
ما صنعتم بصورة ملكنا فقال المسلمون ان صاحبنا ما فعل ذلك الامر تعمدا به وانتم
تريدون التعمد فقال ابو عبيدة رضي الله عنه مهلا يا قوم واذا قد رضي القوم بصورتي
وانا اجيبهم الي ذلك تعمدا او لا تحدث القوم عنا انا عاهدناهم وغدرنا فان هولاء
القوم لا عقل لهم ثم اجابهم ابو عبيدة رضي الله عنه الي ذلك قال فصورت الروم صورة ابي عبيده
رضي الله عنه علي عمود وله عينان من الزجاج واقبل رجل منهم حنقا وفقا عين الصورة
برمحه ثم رجع اصطخر الي صاحب قنسرين واخبره بذلك فقال القوم بهذا الامر تم لهم
ما يريدون واقام ابو عبيدة رضي الله عنه علي حمص ينتظر خروج السنة ثم ينظر ما يفعل
بعد ذلك وابطا خبر ابي عبيدة رضي الله عنه عن عمر رضي الله عنه اذ لم يري له كتابا ولا فتحا
وانكر ذلك من امره وظن به الظنون وحسب انه داخله جبن وركن الي القعود وكتب
اليه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم الي ابي عبيدة سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو
واصلي علي نبيه وامرك بتقوي الله واحذرك معصيته واياك ان تكون ممن قال الله
فيهم في كتابه قل ان كان اباوكم وابناوكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم الايه وصلى
الله علي سيدنا محمد خاتم النبيين والسلام ونفذ الكتاب اليه فلما قراه علي المسلمين
علموا ان عمر يحرضهم علي القتال وندم ابو عبيدة رضي الله عنه علي ما صالح به اهل
قنسرين ولم يبق احد من المسلمين الا بكا من كتاب عمر رضي الله عنه وقالوا ايها الامير
ما الذي يقعدك عن الجهاد فدع اهل قنسرين واقصد بنا حلب والقلعة الي ان نملكها
ان شاء الله تعالى وقد انقضى الاجل فعزم ابو عبيدة رضي الله عنه علي المسير الي حلب
وعقد رايه ماصعب ابن محارب وعقد راية اخرى لسهيل ابن تميم ابن عياض ابن غنم
وجعله علي مقدمته واتبعه بخالد ابن الوليد رضي الله عنه وسار ابو عبيدة رضي الله عنه
علي الرستن وصالح اهلها واتي الي حماه فاتا اليه اهلها ومعهم الانجيل يرفعه الرهبان
علي اكفهم والقسوس امام القوم ليطلبوا منه الصلح فلما راهم وقف لهم وقال
ما تريدون قالوا نكون في عهدكم وصلحكم فانتم احب الينا من قومنا فصالحهم
ابو عبيدة رضي الله عنه وكتب لهم كتاب الصلح والامان وسالوه ان يدع عندهم رجالا
وسار حتى نزل شيزر فاستقبلهم اهلها فصالحهم ايضا وقال لهم هل سمعتم

علي الرستن وصالح اهلها

بطاغية الروم هرقل خبر قالوا ما سمعنا له ايضا خبرا غير انه قد انفل بنا ان
بطريق قنسرين كتب كتاب الي الملك هرقل يستنجده و يدعوه الي نصرته وقد بعث
اليه بجبلة ابن الايهم الغساني في غسان وعرب المتنصره ومعه بطريق عمورية
في عشرة الف فارس وانهم قد نزلوا بعسكرهم علي جسر الحديد فكن منهم علي
حذر قال ابي عبيدة رضي الله عنه حسبنا الله ونعم الوكيل واقام ابي عبيدة رضي الله عنه
بشيزر وهو متحير فبقي مرة يقول اسير الي حلب ومره يقول اسير الي انطاكية يجمع
المسلمون اليه وقال ايها الناس قد بلغني ان بطريق قنسرين قد كانت الي هرقل
يستنجده وما ذلك الا اضمر في قلبه المكر والغدر فقال له خالد رضي الله عنه ايها
الامير الم اقل لك ان كلامهم يدل علي انه خداع فقال ابي عبيدة رضي الله عنه يا ابا سليمان
وما ينفع حيلتهم ومكرهم والله من ورائهم بالمرصاد **قال الواقدي**
رحمه الله واقبل ابي عبيده رضي الله عنه يؤامر نفسه ان يبدا باهل قنسرين اذا فرغ ما
بينهم من الصلح والعهد وكان قد بقي شهرا او اقل من شهر واقام ينتظر انفصال
العهد قال وكانت عبيد العرب يانون بحزايم الشجر من الزيتون والرمان فعز
ذلك علي ابي عبيدة رضي الله عنه فدعا بالعبيد وقال الحاكم الله ما هذا الفساد قالوا ايها
الامير ان الاحطاب متباعده منا وهذه الاشجار منا قريبه قال ابي عبيدة رضي الله عنه
عزيمة مني عليكم علي صرا وعبد قطع شجره لها طعم وثمر لا اجازيته ولا تكلمن به
فلما سمعوا العبيد ذلك خافوا من النكال فاقبلوا يانون بالحطب من بعيد قال سعيد
ابن عامر فكان معي عبد نجيب اسمه مهجع وقد شهد معي الوقايع والحروب وكان جري
القلب في القتال وكان اذا خرج في غارة او في طلب حطب كان ينعزل وسعد عن رفاقته
وكان يقاتل بالمقلاع اجود من قتاله بالسيف فخرج هو وجماعة من الموالي وابو عبيدة
رضي الله عنه نازل بشيزر في طلب الحطب فابطا خبره عني فركبت جوادي وخرجت
في طلبه وجعلت اقفوا اثره واذا قد لاح لي شخصه فقصدته واذا هو عبدي مشجوج
الوجه قد سال دمه علي وجهه قال سعيد ابن عامر فقلت له ما وراك يا مهجع من
الاخبار فقال هلكت قلت يا ويلك يا ابن السودان حدثني بخبرك ثكلتك امك
فلم يكد يقف حتى سقط علي وجهه قال فنزلت اليه ونضحت علي وجهه ما
فسكن ما كان يجده وقال يا مولاي انج بنفسك والا ادركك القوم وصنعوا بك
مثل ما صنعوا بي فقلت ومن القوم فقال يا مولاي خرجت انا وكان معي جماعة من
الموالي نحتطب حطبا وتباعدنا وغولنا واذا نحن بكبكبة من الخيل زهاء الف
فارس كلهم عرب في اعناقهم الصلبان وهم معتقلون الرماح فلما نظرونا اسرعوا
نحونا وداروا بنا وعزموا علي قتلنا فقلت لاصحابي دونكم واياهم فقالوا ويحك
لمن نقاتل وكيف لنا طاقة بقتال هذه الكتيبة وما لنا الا نلقي ايدينا الي الاسر فقد

اهون

اهون من القتل فقلت والله لا اسلمت نفسي اليهم دون قتلي ابدا فلما عاينوا مني الجد
فعلوا كفعلي وقاتلنا القوم وقاتلونا فاسروا منا عشرة واما انا فاثخنت بالجراح
وسقطت علي وجهي فرجعوا عني فقمت كما تري قال سعيد ابن عامر فقمت
ما نزل بالعبد واردفته وراي وانقلبت اريد الرجوع فاذا بخيل وراي كانها
الريح الهبوب فاذا هي خيل غسان فاحدقت بي بالرماح وهم يصيحون نحن من اهل
غسان من حزب الصلبان والرهبان قال سعيد فناديتهم انا من حزب محمد
المختار فاسرع الي بعضهم وهم ان يعلوني بالسيف فناديته يا ويلك اتقتلني وانا رجل
من قومك فقال من اي الناس انت فقلت من الخزرج الكرام فرد السيف عني
وقال انت طلبة سيدنا جبله وحق المسيح فقلت ومن اين يعرفني جبله حتي
يطلبني فقال انه يطلب رجلا من اليمن من انصار محمد ثم قال سر طايعا والا سرت
كارها قال سعيد ابن عامر فسرت معهم والعبد معي حتي اشرفنا علي عسكر عظيم وجيش
كبير فلم ازل مع القوم حتي اتوني الي مضرب جبله ابن الايهم واذا به جالس علي كرسي
من الذهب وعليه ثياب الديباج وعلي راسه شبكه من الجوهر وفي عنقه صليب
من الياقوت فلما وقفت بين يديه رفع راسه وقال لي من اي العرب انت فقلت من اليمن
فقال اكرمت من ايهما فقلت انا من ولد حارثه ابن ثعلبه ابن امرى القيس ابن سعيد
الله ابن الازد وابن عوف ابن مالك ابن يزيد ابن كهلان ابن سنان فقال من اي القبيلتين
الذين نسبا الي امهما قلت انا من ولد الخزرج ابن حارثه انا من انصار محمد ابن
عبد الله قال وانا من قومك انا من غسان فقلت انت من القبيله التي نسبت الي
ما بها قال اجل قال انا جبلة ابن الايهم الذي رجعت عن دين الاسلام الي عبادة
الاصنام اما رضي صاحبكم ان يكون مثلي علي هذا الدين الذي انتم عليه حتي يعاديني
وانا سيد غسان فقال يا جبله ان حق الله اوجب من حقك واذا دينا لا يقوم
الا بالنصفه وان عمر لا تاخذه في الله لومة لايم فقال ما اسمك قلت اسمي سعيد
ابن عامر فقال يا سعيد ابن عامر اوطي مجلسك فجلست فقال لي كم لك عهد بحسان
ابن ثابت الانصاري فقلت بابي شاعر رسول الله صلي الله عليه وسلم ومن قال فيه المصطفي
انت حسان ولسانك حسام فقال كم لك منذ فارقته قلت عهدي به قريب وقد دعاني
الي دعوه صنعها وانشدنا   لله در عصابه نادمتها يوما بجلق في الزمان الاول
يغشون حتي لا تهر كلابهم لا يسالون عن السواد المقبل   بيض الوجوه اعفة
احسابهم شم الانوف من الطراز الاول   الاحقون فقيرهم بغنيهم المشفقون علي
اليتيم والارمل   اولاد جفنه حول قبر ابيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
ثم خرجنا الي الشام وهذا اخر عهدي به قال او حفظت هذه المكرمه قلت نعم فامر
لي بثوب من الكتان الرومي وفيه شي من الورق وقال انما امرتك بالكتاب حتي تلبسه

ثم قال ما كنت تصنع في الموضع الذي اسرت فيه فقلت ان الصدق اوفي ما استعمله العبد
انا من عسكر الامير ابي عبيدة ابن الجراح وقد قصدنا نريد حلب وانطاكيه فقال ان الملك
هرقل قد بعثني انا وهذا البطريق نتصر صاحب قنسرين فانه قد اكادكم يصلحه
لكم وانا انتظره ان يلقانا ولكن ارجع الى صاحبك ابي عبيدة وحذره منا ومن اسيافنا
وليرجع من حيث قدم ولا يتعرض لبلاد الملك فانا قد تجردنا لنصرة دين الملك وسوف
ننزع من ايديكم ما اخذتموه من الشام قال سعيد ابن عامر فركبت واردفت غلامي
وسرت حتى اتيت عسكر المسلمين فاسرع الناس الي فقالوا لي يا ابن عامر ابن كنت
فلقد حزنا لفقدك قال فاتيت نحو ابي عبيدة رضي الله عنه وحدثته بشاني مع
جبله ابن الايهم فقال لقد خلصك الله تعالى بذكرك لحسان ثم جمع اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم للمشورة وقال ايها المسلمون ما ترون في هذا الامر في قصد هذا البطريق
وقتاله فقال خالد ابن الوليد رضي الله عنه ان الباغي له مصرعه والله له بالمرصاد وسوف
نكيده لعظم من مكيدته واسير الى لقائه بعشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ابي عبيدة رضي الله عنه انت لها يا ابا سليمان ولكل كريهة فخذ من احببت من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد رضي الله عنه ابن عياض ابن الاشعري وعمير ابن سعيد
اليشكري وابن سهل العامري ورافع الطائي وسعيد ابن عامر الانصاري وعمرو ابن معدي
كرب وعبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق وضرار ابن الازور والمسيب ابن نجية الفزاري وقبيصة
ابن هبيرة المرادي فاجابوه بالتلبية فقال بارك الله فيكم خذوا على انفسكم واجتمعوا
الي قال فتدرعوا القوم واخذوا اهبتهم واتوا نحو خالد رضي الله عنه فوجدوه قد
تدرع بدرعه واشتمل لامته وركب جواده ثم قال لغلامه همام سر معي حتى ترى
مني عجبا فاسرع همام وسار خالد ابن الوليد رضي الله عنه والعشرة وابي عبيدة رضي
الله عنه لهم يدعوا فلما سار خالد رضي الله عنه اقبل على سعيد ابن عامر الانصاري
وقال يا سعيد اخبرك جبلة بان ياتي البطريق صاحب قنسرين اليه قال نعم يا ابا سليمان
قال له خالد رضي الله عنه فخذ بنا في الطريق الى عسكر جبلة وكان مسيرهم ليلا فلما قربوا
منهم ووصلوا الى قرب النيران وسمعوا الاصوات عدل بهم سعيد ابن عامر الى
صوب طريق البطريق وكمن خالد هنالك بمن معه الى الصباح فلم ياتيهم احد فصلى
خالد والمسلمون صلاة الفجر وهم مكمنون فبينما هم كذلك اذا اشرفت عليهم جيش جبلة
ابن الايهم وصاحب عمورية وهم يقصدون ارض العواصم فقال المسلمون لخالد رضي الله عنه
يا ابا سليمان اما ترى الى هذا الجيش الذي اشرف علينا في عدد الرمل والمدر فقال خالد
رضي الله عنه وما يكون من كثرتهم اذا كان النصر لنا اختلطوا بهم وكونوا في حملتهم
كانكم من جيشهم الى ان نلتقي البطريق ويفعل الله ما يشا، فعند ذلك اختلطوا بهم
وساروا في حملتهم لا يفكرون قال رافع ابن عميرة فلما اشرفنا ولاح لنا بلد العواصم

وقرب

وقنسرين واذا ببطريقهم قد استقبلنا وقد رفع امامه الصلبان واخرج بين
يديه القساقسه وهم يقرون الانجيل وقد ارتفع بينهم كلمة الكفر ودنا بعضهم
من بعض وخرج البطريق امام اصحابه ليلاقي الجبلة ليسلم عليه فاستقبله
خالد رضي الله عنه مواجها واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله فلما قربوا
منه قال لهم البطريق سلمكم المسيح وابقاكم الصليب قال له خالد رضي الله عنه يا ويحك
ما نحن من عباد الصليب ولكن نحن من اصحاب محمد الحبيب وكشف خالد رضي الله عنه لثامه
وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله انا خالد ابن الوليد وضرب
بيده عليه وانتزعه من سرجه وابتدر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه
وسلوا سيوفهم وارتفعت الضجة والجلبة واعلى اعداء الله بكلمة الكفر وضج المسلمون
بكلمة التوحيد فسمع جبلة وصاحب عمورية اصوات المسلمين بالتهليل والتكبير
فانزعجا لذلك ونظروا الى السيوف وقد جردت والرماح قد شرعت فابتدروا نحو اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم واحاطوا بهم من كل مكان فلما نظر خالد الى ما دهمه ونزل به
وباصحابه الذين معه والبطريق صاحب قنسرين في كفه لا يفارقه وقد ملك قياده وهو
خايف ان يفلت من يده جانبه قبل ان يقتله هم خالد بقتاله ورفع السيف ليعلوه فتبسم البطريق
من فعاله وتعجب خالد رضي الله عنه من ضحكه وقال يا ويلك ما اضحكك قال البطريق
لانك مقتول انت ومن معك وانت تريد قتلي وان انت ابقيت علي ابقيت عليك فتركه
خالد رضي الله عنه ولم يقتله فكان ما سكا بيده عن يده ثم صاح خالد رضي الله عنه
ولم يقتله يا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كونوا حولي واحموا عني واحمي عنكم
واصبروا على ما نزل بنا ولا يكبرنكم على من احدق بكم فان اشد ما تخافون الموت
والقتل منية خالد في سبيل الله واني والله اهديت نفسي الى القتل والفتنة في مواضع
الهلكة لعلي ارزقه الشهادة اعلموا رحمكم الله انكم كانكم قد وصلتم الى رب كريم وسكنتم
دار الا يموت صاحبها ولا يهرم شبابها لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين
قال الواقدي رحمه الله واجتمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
خالد رضي الله عنه وداروا حوله وسار عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما عن
يمينه ورافع ابن عميره عن شماله وغلامه همام من ورائه والقوم يحدقون به قال
فسلم خالد رضي الله عنه البطريق الى غلامه همام وقال اوثقه الى جانبك ولا تبرح من
مكانك قالوا واقبلت نحوهم العرب المتنصره من غسان يقدمهم جبله ابن الايهم وفي
عنقه طوق ذهب فيه صليب من الجوهر وعليه ثياب الديباج المثقل من فوقها درع
مذهب الزرد وصاحب عمورية الى جانبه كانه برج مشيد وحوله المدبجه من الاعلاج
وقد احدق بهم الجيش فلما عاين البطريق خالد وقد ملك صاحب قنسرين وهو في
يده اسير خاف يحمل عليه خالد رضي الله عنه القتل واقبل على جبله وقال ما هولاء

العرب الاشياطين الا انتظر الي هذا العربي ومن معه وهم عشرة نفر قد احدق بهم هذا الجيش
العظيم وقد مسكوا اصاحبنا وهو معهم اسير وما يخلوه من ايديهم واني اخاف عليه ان
يقتلوه فاخرج الي هذا العربي وقل له خلي صاحبنا يرسله الينا حتى نجود عليه بنفسه
ومن معه فاذا اطلقوا اصاحبنا ملنا عليهم فقتلناهم عن اخرهم قال رافع ابن عميره ونحن
في اوساطهم كحلقة في وسط فلاه واذا نحن بجبله ابن الايهم ينادي برفيع صوته ويقول
من انتم من اصحاب محمد ام انتم من العرب التابعين اخبروني من انتم قبل ان ينزل بكم الدمار
فكان المتكلم لهم منا خالد رضي الله عنه وقال يا جبله نحن من اصحاب محمد المعروفين نحن
اهل القبلة والاسلام والكرم والانعام ونحن الان من قبايل شتا وقد جعل الله قلوبنا
واحده ونحن مجتمعون عليها وهي لا اله الا الله محمد رسول الله فلما سمع جبلة جواب خالد
غضب غضبا شديدا وقال يا فتا انت اميرها ولا القوم قال خالد رضي الله عنه لست اميرهم
بل اخوهم في الاسلام قال جبله من انت من اصحاب محمد قال خالد رضي الله عنه انا المعروف
بكبش بني مخزوم انا خالد ابن الوليد وهذا الذي عن يميني عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق
وهذا الذي عن شمالي رجل من اهل اليمن من كرام طي رافع ابن عميرة الطايي وذلك
اني اخذت من كل قبيلة شجاعها المعروف وبطلها الموصوف وما انتم عندنا في القتال
الا كاطيار وقد وقع عليها صايدها فالقا القابض الشبكة عليها فما انفلت منها
الا النجيب فزاد غضب جبله من كلام خالد رضي الله عنه وقال ستعلم يا ابن مخزوم
كلامك عليك مشوم اذا دارت بك الاسنة قال خالد رضي الله عنه ومن انت
من العرب الذي قد سعيت لعبادة الصليب قال انا سيد غسان ومن ملك هذه
انا جبله ابن الايهم فقال خالد رضي الله عنه انت المرتد عن الاسلام ومن اختار الضلاله
على الهدى قال جبلة ليس كذلك انا الذي اخترت العز على الذل قال خالد رضي
الله عنه فانك على نفسك حريص وانما الكرامه في دار البقا والبعد عن دار
الشقا فقال جبله يا اخا بني مخزوم لا تفرط علينا في المقال فانما ابقاي عليك
وعلى اصحابك بسبب هذا الاسير الذي في يدك لاني اخاف ان احمل عليك
فتقتله وهو معظم عند الملك وقريب منه في النسب فاطلقه من يدك قال
خالد رضي الله اما الاسير فما اتركه عن يدي او اقتله ولا ابالي ما تصنع بعده واما
قولك انك تقصر عني ومن معك فما انصفت في الفعال فان اردت النصفه في
القتال فجمعكم عظيم وعددكم كثير ونحن اثنا عشر رجلا وقد احدقت بنا اعنة خيلكم
وان اردت النصفه فابرزوا الي واحد بعد واحد وهذا اسيركم معنا فان قتلتمونا
فالبكم تصيروا وان اظفرنا الله بكم فالنصر من عند الله فلم يعظم عليكم هلاك اسيركم
اذا اهلكت انفسكم قبله قال فنكس جبلة راسه واقبل يحدث صاحب عمورية
بجواب خالد فطمطم البطريق واظهر الغضب وانتضا سيفه من غمده فلم انه قد

عز

غضب وانه يريد القتال فلما هم صاحب عمورية بالبراز سكنه جبله واوقفه وقال لخالد رضي الله عنه ان الحرب كما ذكرت وهولا بني الاصفر قد رضوا منك بالمبارزه فمن احب منكم البراز فليبرز فهم خالد بالبراز فمنعه عبد الرحمن ابن ابي بكر رضي الله وقال يا ابا سليمان وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبرز لهولا القوم غيري ولا بد المجهود فيهم فلعلي الحق بابي فتركه خالد رضي الله عنه وما يريد وقال له اخرج شكر الله مقامك فخرج عبد الرحمن ابنا ابا بكر رضي الله عنهما من بين اصحابه وهو على جواد كان لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه فجال عبد الرحمن رضي الله عنه بين الروم والعرب ودعا الى البراز وقال دونكم يا بني الاصفر فانا ابن الصديق وانشد يقول بعد الصلاة على الرسول

انا عبيد الله ذو المعالي والشرف الفاضل والكمال ابي عتيق الصادق المقال

قال رافع ابن عميرة فخرج له خمس فوارس من شجعان الروم فما كان يجول عليهم عبد الرحمن اكثر من جوله واحده حتى صرعهم قتلا فقتل الخمسه وهم بالجمله في قلب عسكر الروم واذا قد خرج عليه جبله ابن الايهم وقد اشتد الغضب به وقال يا غلام لقد تعديت علينا في فعالك وبغيت في نزالك فقال عبد الرحمن رضي الله عنه وكيف ذلك وما البغي من شيمنا قال جبله لانك ملات الارض من قتلانا وما خرجت اليك على انا قاتلك لانك ما كنت لي كفوا وانما خرجت لان رجلا من اصحابكم خرج لغيبكم وليس هذا من شيم الانصاف والافعال الاشراف قال الواقدي رحمه الله ولقد قال غنايم وكان ممن حضر فتوح الشام قال فلما سمع عبد الرحمن ابن ابي بكر رضي الله عنهما كلامه تبسم وقال يا ابن الايهم اتريد ان تخدعني وقد شهدت المواقف قال عبد الرحمن رضي الله عنه فاخرج معك اخر من قومك ان كنت صادقا واحملا علي فانني كفو كريم فلما نظر جبله ابن الايهم الى عبد الرحمن رضي الله عنه وانه لا يوتى من قبل الحيل تعجب من فعاله وجوابه فقال له جبله هل لك ان تغمس في ماء المعموديه غمسه فتخرج نقيا من الذنوب كما خرجت من بطن امك وتكون من حزب الصليب فانا الذي مدحني شاعر يثرب في شعره حيث يقول

ان ابن جفنة من بقية معشر لم تنتقص اباوهم بالكرم

يعطي الجزيل ولا يراه بانه الا كبعض عطيه المذموم

وملا مني ذرا وقال الى احتكم فيما لنا فان الكريم كريم

فاسرع الى ما عرضته عليك لتنجو بنفسك من المهالك فقال عبد الرحمن رضي الله عنه لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ويلك اتدعوني من الهدى الى الضلاله ومن الايمان الى الجهاله وانا ممن امن ووقر الاسلام في قلبه وعرف رشده من غيه فدونك القتال ان اردت وتقدم الى خنقك ان عزمت على ذلك اضربك ضربة اعجل بها حمامك وتستريح العرب ان ينتسب اليها مثلك لانك من عبدة الصليب فغضب جبلة ابن الايهم من كلام عبد الرحمن رضي الله عنه وحرد عليه وهم بالسنان اليه يريد ان

بطعنه فزاغ عبد الرحمن رضي الله عنه عن الطعنه وجعلا يتقارعان حتي كل عبد الرحمن رضي
الله عنه عن حمل قناته فدحا به عن يده وانتضا سيفه من غمده وحمل عبد الرحمن رضي
الله عنه علي جبله وانتضي جبله سيفه من غمده وحمل به علي عبد الرحمن قال رافع ابن
عميره فعجبنا من عبد الرحمن وصبره علي قتال جبله وصعب الامر بينهما والقتال بيني
سابقه عبد الرحمن بالضربه اخذها جبله بجحفته فقطع الدرقه ووصل السيف الي
البيضه وعاطفه جبله بضربه فقطع ما كان عليه من الدروع ووصل الضربه الي منكبه
فجرحه فلما احس عبد الرحمن رضي الله عنه بالضربه انثنت نفسه واوري ان الضربه لم
تصل اليه وقهر جواده حتي لحق بخالد ابن الوليد والمسلمين رضي الله عنهم فلما راه المسلمون
ملحقه اخذوه عن فرسه وشدوا جرحه وقالوا يا ابن الصديق ان جبله لملك بجرحه
ثم صاح خالد رضي الله عنه بعبده همام وقال قدم لي هذا العلج الي فقدمه اليه فرما
براسه ونظرت الروم الي صاحبهم قد قتله خالد رضي الله عنه فغضب جبله ابن الايهم
وقال ابيتم الا الغدر وقد استوجبتم القتال حين قتلتم صاحبنا ثم صاح بالمتنصره
من العرب والارمن والروم وحرضهم علي القتال فاجتمعوا ونظر خالد الي القوم وقد عزموا
علي الحمله فصاح يا همام قف بازاء عبد الرحمن فامنع عنه من اراده ثم قال لاصحاب رسول الله
صلي الله عليه وسلم لا يخرج احدكم منكم عن صاحبه وكونوا من حولي فما اسرع النصر
من الله فوقف اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم من حول خالد كما امرهم وما فيهم
الا من قد ايس من نفسه وحملت الروم علي المسلمين وعظم بينهم القتال قال ربيعه
ابن عامر والله لقد كان خالد رضي الله عنه كلما كثرت عليه الخيل وعلينا التقاها بنفسه
ولم نزل كذلك الي ان عظم بيننا وبينهم الحرب ولم نجد الي الخلاص من سبيل واخذنا
العطش قال رافع ابن عميره فلما رايت ذلك قلت لخالد يا ابا سليمان نزل القضا بنا
قال والله صدقت يا ابن عميره لاني نسيت القلنسوه الذي لي ولم اصحبها معي قال
فعظم عليهم الامر واخذهم الانبها رقال والقوم في اشد القتال اذ نادي لهم
منادي وهتف بهم هاتف نصر الخايف يا حملة القران جاكم الفرج من الرحمن
قال الواقدي رحمه الله عن الحضرمي عن ابيه قال كنت مع ابي عبيدة ابن الجراح
رضي الله عنه في وقعة اجنادين وشهدت معه قنسرين وحلب فبينما نحن علي شيزر
وابي عبيدة رضي الله عنه في مضربه بعض الليالي واذ ابه قد خرج من المضرب وهو
يصيح بالمسلمين وهو ينادي النفير النفير احيط بفرسان الموحدين قال فاسرعنا
اليه من كل جانب وقلنا ما قلت ايها الامير قال كنت الساعه نايما اذ طرقني رسول
الله صلي الله عليه وسلم وزجرني وقال يا ابن الجراح اتنام عن نصرة القوم الكرام فقم والحق
بخالد فقد احاطت به اللئام قال الواقدي رحمه الله فلما سمعوا المسلمون
قول ابي عبيدة رضي الله عنه تبادروا الي السلاح وركبوا الخيل عربيا وغير عربي يريدون

خالد

خالد رضي الله عنه ومن معه فبينما ابي عبيدة رضي الله عنه علي المقدمه في اوايل الخيل
اذ نظر فارس يبرح امام القوم فامر رجالا من المسلمين يلحقونه فلما كلت الخيل عن
ادراكه نادي ابي عبيدة رضي الله عنه علي رسلك ايها الفارس المجد ارفق بنفسك
رحمك الله فوقف حين سمع الندا فلما قرب ابي عبيدة رضي الله عنه من الفارس واذا
هي ام تميم زوجة خالد رضي الله عنه فلما عرفها قال يا ام تميم ما الذي حملك علي المسير
قبلنا فقالت ايها الامير سمعتك وانت تصيح بالندا الان خالد اقد احاطت به
الاعدا فقلت في سري ان خالد لا يخذل ابدا ومعه ذوايب المصطفي صلى الله عليه
وسلم واذا حانت مني التفاته فنظرت القلنسوه وقد نسيها فاخذتها واسرعت
بها اليه فقال ابي عبيدة رضي الله عنه انت يا ام تميم سيري علي بركة الله قالت ام
تميم ولقد كنت في جماعة نسوة من مذحج حتي اشرفنا علي الغبره والقتال والاسنة
تلوح في القتام قال رافع ابن عميرة رضي الله عنه فبينما نحن قد ايسنا من انفسنا
اذ سمعنا التهليل والتكبير فقلنا قد اتانا الله بالفرج ان شا الله فلم تكن الا هنية
حتي حاط جيش المسلمين بعسكر المشركين ووضعوا فيهم السيف من كل جانب وعلت
الاصوات قال المصعب ابن محارب فرايت عبدة الصلبان وكانهم هاربين ورايت
خالدا وهو ثابت متشرف الي الاصوات من اين هي واذا بفارس قد خرج من القتام
وهو يهبر الروم هبرا حتي ازاح من كان حولنا فاسرع خالد رضي الله عنه وقال من انت
قالت انا زوجتك ام تميم يا ابا سليمان فقد اتيتك بالقلنسوه المباركه فخذها اليك
فجعلها علي راسه وحمل وحمل معه المسلمون فما كان غير بعيد حتي ولوا الادبار وكان
جبلة اول من انهزم والمتنصره في اثره قال ورجع المسلمون من اتباعهم واجتمعوا
تحت راية ابي عبيدة رضي الله عنه واقبل خالد رضي الله عنه واصحابه وسلموا علي
ابي عبيدة رضي الله عنه وعلي المسلمين وشكروا الله علي سلامتهم من الكافرين وشكر
ابي عبيدة لخالد رضي الله عنهم فعله ثم قال ابي عبيدة ايها الناس قد رايت من
الراي ان نسير من فورنا الي قنسرين وحاصرها فقال المسلمون نعم هو الراي يا امين
الامة قال فانتخب ابطال المسلمين وجعلهم في المقدمه مع عياض ابن غنم الي
ان اشرفوا علي قنسرين وحاصرها ثم شنوا الغاره وسبوا الذراري فلما
نظر اهل قنسرين الي ذلك غلقوا ابواب مدينتهم واذعنوا بالصلح واداء الجزيه
فاجابهم ابي عبيدة رضي الله عنه الي ذلك وكتب لهم كتاب الصلح قال الواقدي
رحمه الله عن سليمان ابن علي قال كنت في جمله من سبا في حاضر قنسرين فلما بعث ابي عبيدة
رضي الله عنه بالخمس الي عمر رضي الله عنه بعث بي فيمن بعث قال ابي عبيدة رضي الله عنه للمسلمين
اشيروا علي برايكم رحمكم الله هل نسير الي حلب وقلعتها وانطاكيه ام نرجع الي ورائنا
فقال المسلمون وكيف نسير الي حلب وانطاكيه ونشتغل بقتال هرقل وجيوشه وهذه

ايام الصلح الذي بيننا وبين اهل شيزر وحماه والرستن وحمص فقد انقضت ولا شك انهم قد اخذوا له الحصار وقوموا بلادهم ولاسيما بعلبك وقد تحصنها فنرجع فنجد البلاد كما قالوا محصنه فلما نظر ابي عبيدة رضي الله عنه الى ذلك ترك خالد رضي الله عنه على حماه وتوجه الى بعلبك

ذكر فتح بعلبك على يد ابي عبيدة صلحا

فلما قرب منها نظر واذا هو بقافلة عظيمه تريد بعلبك فاخذوها عن اخرها وقد كان هرب اقوام من القافلة واخبروا اهل بعلبك بخبرهم وكان على بعلبك بطريق اسمه هربيس فقال له بعض البطارقه ما انت صانع قال اقاتلهم لئلا يطمعون فينا فاشار عليه البطريق لا يفعل فان اهل البلاد الكبار قد دعنوا لهم وصالحوهم فلما راهم ابي عبيدة رضي الله عنه معولين على الحرب رتبهم مواكب وقال ان الله تعالى قد ايدكم بنصره ولم يزل الله يورث ارضه لعباده الصالحين ثم كتب الى اهل بعلبك كتاب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من خليفة امير المومنين القائم عليكم ابي عبيدة عامر ابن الجراح الى المدينة من المخالفين والمعاندين واعز اولياه المومنين على جنود الكافرين وان كتابنا معذره بيننا وبينكم وما كنا بالذي نقاتلكم او نغدر اليكم ونعلم ما عندكم فان دخلتم فيما دخل فيه غيركم من الصلح والامان صالحناكم وان ابيتم الا الحرب والقتال استعنا بالله عليكم فاسرعوا بالجواب والسلام على من اتبع الهدى وطوى الكتاب واعطاه لدهقان وامره ان يسير به الى اهل المدينة ولا يبرح الا بالجواب واخذ المعاهدي الكتاب واتى به الى السور وخاطبهم بلغتهم انى رسول اليكم فدلوا له حبلا فربطه في وسطه واخذه القوم اليهم واتوا به الى هربيس فسلم عليه وناوله الكتاب فجمع اليه البطارقه وقرا عليهم الكتاب فلما قرا هربيس الكتاب على قومه قال اشيروا على برايكم فقال له البطريق انا نرا من الراي لا نقاتل هولاء ومتى صالحناهم كنا في امن وخصب ودعه وان نحن قاتلناهم اخذونا واستعبدونا والصلح ارفق فقال له هربيس لا يرحم المسيح ضراك فما رايت في الروم اجبن منك وافترق اهل بعلبك فرقتين ورما هربيس الكتاب الى المعاهدي فاتى ابي عبيدة رضي الله عنه فحدثه بما كان وقال ان اكثر القوم قد عولوا على قتالكم فقال ابي عبيدة رضي الله عنه سدوا عليكم ونصب لهربيس سرير على برج وقد لبس لامته واخذت الحرب ماخذها وطحنت رجالها واصيب من المسلمين اثنا عشر رجلا واصيب منهم خلقا كثيرا وانصرف المسلمون الى رحالهم وما لهم همّ في طعام ولا شراب سوى الاصطلاء بالنار من شدة القر فبتنا ليلتنا الى الصباح فنادى منادي ابي عبيدة رضي الله عنه عزيمة من الامير الا يخرج رجل من رحله حتى يطعم الامير طعام حار لعينهم على قتال العدو اقال وصاح هربيس اخرجوا اليهم فلم يشعروا بشي الا والابواب قد فتحت والرجال قد خرجت كانهم الجراد المنتشر

وان بعضنا قد مد يده الي الطعام واذا بالمنادي ينادي ياخيل الله النفير النفير
وان ابي عبيدة قد نصب رايته والناس يهرعون اليها وهو ينادي يا فتيان العرب
اليوم اليوم ونظر ابي عبيدة رضي الله الي شدة صبر الروم علي المسلمين فحمل علي
الخيل فاحاط بالروم وكان في جملة خيله عمرو ابن معدي كرب الزبيدي وعبد
الرحمن ابن ابي ربيعة ومالك ابن الحارث الاشتر النخعي وضرار ابن الازور وذو
الكلاع الحميري فابلوا بلا حسنا فلما نظر المسلمون الي ذلك من فعالهم
رجعوا الي عسكرهم واضرموا نيرانهم ودفنوا من استشهد منهم فلما اقبل الليل اجتمع
روسا المسلمين الي ابي عبيدة رضي الله عنه وقالوا له ما الذي عزمت عليه قال ان تبعدوا
بخيامكم من المدينة مقدار شوط فرسخ ليكون ذلك مجالا لخيولكم والنصر من عند
الله ثم دعا ابي عبيدة رضي الله عنه سعيد ابن زيد ابن عمرو ابن نفيل العدوي رضي الله عنه
فعقد له راية وامره علي خمسمائة فارس وثلثمائة راجل وامرهم ان يهبطوا الوادي وان
يقاتلوا القوم علي الابواب ويشغلوهم عن المسلمين ثم دعا ايضا ضرار ابن الازور
رضي الله عنه فعقد له راية علي ثلثمائة فارس ومائة راجل وسرحه الي باب الشام
واصبح المسلمون وفتح الباب الكبير الذي نحو الامير ابي عبيدة رضي الله عنه وخرج منه
خلق كثير فلما نظر ابي عبيدة رضي الله عنه الي كثرتهم نادي برفيع صوته لا تفشلوا
فتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ثم ان الروم داخلهم الطمع لما كانوا لحقوا
من غره المسلمين في مسيهم فبينما هم في شدة الحرب ومقامات الطعن والضرب اذ
هتف بهم هاتف خذل الكافرون ونصرتم فقال قايل يا حملة القران جاءكم الفتح من الرحمن
والروم قد ايقنوا انهم الغالبون اذ ظهرت عليهم رايات المسلمين فالتفتوا ينظرون
ما الخبر واذا هم المسلمون قد حالوا بينهم وبين نسائهم وذراريهم فنادوا بالويل
وظنوا ان المسلمين قد اتاهم مدد وقد غدر بهم البطريق فلما نظر صاحبهم الي ما دهمهم
زعق بهم فقال يا ويلكم لا ترجعوا الي المدينة فقد حيل بينكم وبينها وان هذا من مكايد
العرب وكان سعيد ابن زيد وضرار ابن الازور رضي الله عنهما قد اقبلا في خمسمائة عن يمين
الحصن والمسلمون يتبعون اثارهم حتي طلعوا الي الجبل فالتجت الروم الي ضيعه في الجبل
حصينة وكان الذي تتبعهم الخيل خلفهم سعيد ابن زيد رضي الله عنه في خمسمائة
فارس فلما تحصن البطريق قال سعيد هذه طايفة قد اراد الله هلاكها حاصروهم
ولا تدعوا احدا يطلع راسه الي ان يلحق بكم المسلمون واخذ معه عشرون فارسا
وسار الي ان لحق بعسكر المسلمين فلما نظر اليه ابي عبيدة رضي الله عنه ومعه عشرون
فارسا قال انا لله وانا اليه راجعون ذهب المسلمون ثم اقبل عليه وقال يا سعيد ابن
زيد وما ذا صنعت قال ابشر ايها الامير فان المسلمين بخير وسلامه وقد الحقوا اعداء
الله الي ضيعه واخبره بالحديث فبينما هو يحدثه واذا هو برجل من المسلمين يحدر من

الجبل وهو ينادي النفير النفير فقد احاطت بهم الروم وكان شعارنا في ذلك اليوم المغرب
باعقاب الرماح فانا كذلك في اشد الحرب اذ سمعنا صوتا عاليا فنادا الا رجل يهب نفسه
لله ورسوله ويستنفر لنا المسلمين فانهم بالقرب منا ولا يعلمون ما نزل بنا قال مصعب
ابن عامر فلما سمعت الصوت هززت فرسي حتى اشرفت علي المسلمين وناديتهم النفير
فلما سمع ابي عبيدة رضي الله عنه النداء صاح بالرماة فاجابوه فاضمهم الي سعيد ابن زيد
وقال له الحق باصحابك قبل ان ياتي العدو اليهم ثم دعا بضرار ابن الازور وقال
اسعد اخاك فمضى المسلمون حتى علوا قلة الجبل واشرفوا علي الروم وقد احدقوا
بالمسلمين قال ابو زيد كنت ممن شهد القتال علي الضيعة وقد احاطت بنا الروم
وصبرنا لهم صبر الكرام وقد صرع منا سبعين رجلا من قتيل وجريح حتى سمعنا التكبير
ولحقنا النفير فلما اشرفوا علينا تراجعت الروم علي اعقابها منهزمين وكثر القتل
فيهم وبلغ الخبر الي ابي عبيدة رضي الله عنه وان القوم قد احيط بهم فقال الحمد لله
الذي جعلهم اشتاتا بعد جمعهم ثم قرا ذلك بان الله مولي الذين امنوا وان الكافرين
لا مولي لهم فعند ذلك رجع المسلمون الي مواضعهم التي كانوا نزلوا بها اول مره وضربوا
خيامهم وان اهل بعلبك اشرفوا علي السور يصيحون بلغتهم يا ويلهم ومصيبتاهم
واخراب ديارهم فارسل ابي عبيدة رضي الله عنه الي سعيد ابن زيد رضي الله عنه اما بعد
فان نصحنا لاهل الضيعة فتكون لمن حصل في يده شي فامنا عنه فلما نظر البطريق
الي ذلك من شدة الحصار قال لاصحابه قد اسانا التدبير في حبسنا انفسنا في حبس
ليس فيه طعام ولا شراب وان طال بنا الامر هلكنا انفسنا فقالت له بطارقته وما الراي
الذي ترا قال رايت ان اخدع العرب واحتال عليهم واسالهم الصلح لنا ولاهل المدينة
واضمن ان افتح لهم المدينة وتكونوا في ذمامهم فاذا دخلوا المدينة حاربناهم ولعلنا
ان يرسل الينا صاحب الخبر فيساعدنا علي ما نريده من مخادعة القوم فلما سمع
قولهم اجابهم الي مرادهم فلما اصبح الصباح قعد علي جدار الضيعه وقال يا معاشر
العرب هل فيكم احد يعرف كلامي فانا هربيس البطريق صاحب القوم فدنا منه الترجمان
وقال له ما تريد قال اريد ان ادنو من اميركم واخاطبه فقال الترجمان ذلك لسعيد ابن زيد
رضي الله عنه فقال لا حيا ولا كرامه له ان كانت له الحاجه فلينزل حتى اسمع كلامه قال
فاعلم الترجمان هربيس بجواب سعيد ابن زيد رضي الله عنه فقال للترجمان كيف انزل اليه
وانا حرب له قال له ان العرب لا تخيف فاصدقت ذلك بلغنا عنهم ولكن اريد ان استوثق
لنفسي ولاصحابي فانهم قد لحقهم الجهد علينا لكثرة ما قتلنا منهم قال ونزل الرجل
فوقف امام سعيد وهم ان يسجد له فمنعه اصحاب سعيد فقال لم تمنعوني ان اعظم صاحبكم
فقالوا انما انا واياه عبدان لله تعالى لا يجوز التعظيم الا لله فقال الرجل بهذا انصرتم علينا
وعلي غيرنا من الامم فقال لسنا ممن ينقض العهد وقد اعطيت صاحبكم الامان ولمن معه

ممن

ممن القى السلاح وجمع مسنا منا يطلب الامان فقال الرجل منك ومنا اميرك ومن معك فقال
سعيد رضي الله عنه لكم ذلك فعند ذلك رجع الرجل الى هربيس واعلمه بجواب سعيد وقال احذروا
الغدر فانه مهلك وان هولاء القوم لا يخونون **قال الواقدي** رحمه الله ثم ان البطريق
لبس الصوف وخلع ما كان عليه من الديباج والقى السلاح واتى حافيا حاسرا حتى وقف
بازاي سعيد رضي الله عنه فخر سعيد رضي الله عنه ساجدا وقال الحمد لله الذي اذل الجبابرة
ثم اقبل عليه وقال ادن منا فادناه حتى اجلسه الى جانبه فقال هل لك ان تصالحني على
اصحابي هولاء وعن اهل المدينة ومن فيها قال له سعيد رضي الله عنه اصالحك واصحابك على
شرطي انه من دخل في ديننا له ما لنا وعليه ما علينا ومن اختار الاقامة على دينه والقى سلاحه
كان امنا من القتال واما المدينة فالامير عليها وقد قرب فتحها ان شاء الله وان احببت ان
تسير معي حتى يسمع كلامك فسر فانت في ذمتي الى ان يحكم بيننا فقال البطريق افعل ذلك
فعند ذلك دعا سعيد رضي الله عنه بوقاص وقال يا وقاص كن البشير بما سمعت ورايت
واسرع بالجواب فاسرع وقاص حتى اشرف على الامير ابي عبيدة رضي الله عنه وقال ابشر ان
البطريق قد اخذ الامان من سعيد ابن زيد وهو قد اقبل عليك يسالك الصلح لاهل المدينة فلما
سمع ابو عبيدة رضي الله عنه ذلك سجد لله شكرا فلما رفع راسه قال ايها الناس تقدموا الى حرب
المدينة واظهروا اسلحتكم وكبروا تكبيرة واحدة حتى ترعبوا القوم ففعل المسلمون ذلك
فارتجت المدينة وفزع اهل بعلبك وتداعا الناس للقتال فاول من سبق الى المدينة واعطاهم
خبر البطريق المو فقال يا ويلكم هلكت حاميتكم فلما سمع اهل بعلبك ذلك من مقالته
رعبت قلوبهم وقالوا اهلكنا البطريق واهلك نفسه وشد المسلمون عليهم الحرب فصاحوا
الغوث الغوث يعنون الامان **قال الواقدي** رحمه الله فلما علم ابو عبيدة ان نيران
الحرب اضرمت على اهل المدينة ارسل الى سعيد ابن زيد رضي الله عنه اسرع بالرجل الينا وله
الامان الذي امنته فنحن لا نخفر لك ذمه فلما جاء البطريق وراه المسلمون صغروا في
عينه وقال لقد ظننت انكم اكثر عددا منا ولقد كان يخيل لنا عند حربكم انكم عدد
الحصا واما مدينتنا فهي مدينة حصينة ليس مثلها بالشام ولولا ما سبق من تفريطنا
ما صالحناكم عليها والان فقد كان ما كان واذا نصالحكم على الف اوقية من الذهب والفي
اوقية من الفضة والف ثوب ديباج فتبسم الامير ابو عبيدة رضي الله عنه وقال نصالحك
على ضعفي ما ذكرت وزيادة خمسة الف سيف من مدينتكم وسلاح اصحابك الذين هم في
الضيعه وانكم بعد ذلك لا تحملون سلاحا ولا تحدثوا حدثا ولا كنيسه ولا ديرا فلما
سمع البطريق من شرطه قال له كل ذلك علينا لك الا اني اشترط عليك وعلى اصحابك
شرط قال ابو عبيدة رضي الله عنه وما هو قال لا يدخل الينا منكم احد وتترك صاحبكم الذي
تخلفه علينا خارج المدينه واصحابه فيكون لهم الحمى ويدعن لنا في داخل المدينة من
قبلك للصلاح بين الناس والنظر في امورهم ونحن نجي الى من تخلف علينا من اصحابك

سوفا يكون فيه من جميع ما في مدينتنا ولا يدخلون الينا بل يغلظون كلامهم على اكابرنا فيكون ذلك
سببا للغدر فقال ابي عبيدة رضي الله عنه لكم ذلك وما لنا الدخول الي حصنكم والمقام من وراء الاحجار
في مدينتكم وتم الصلح على ذلك قال سهل ابن صالح فجاء المال المال بعد اثنا عشر يوما وهم مع ذلك
يحملون الزاد والميره حتى اذا استتمت الاموال والثياب والسلاح حمله البطريق الي ابي عبيدة
رضي الله عنه وقال له تسلم وانظر من تخلف علينا من اصحابك واشرط عليه الا يجوز علينا
ولا يطالبنا بما لا نطيق قال فدعا الامير ابي عبيدة رجلا اسمه رافع ابن عبد الله السهمي فقال له
اني استعملتك على هذه المدينة وضم اليه خمسمائة فارس من بني عمه وعشرينه واربع مائة
فارس من المسلمين وقال اوصيك بتقوي الله ولا تكن الا من الولاة العادلين واياك والجور
فتحشر مع الظالمين واقم الارصاد في اطراف البلاد ولتعلم انك بين اعدايك واكثر ما يكون
حذرك من الساحل ولا تمكن احدا من اهل المدينة ان يختلط مع اصحابك في غارة واحسن
معاملة من ساعدك وكن من القوم كاحدهم وامر اصحابك يكفوا ايديهم واياكم الفساد
والله خليفتي عليك والسلام ثم هم ابي عبيدة رضي الله عنه بالرحيل واذا بصاحب عين
الجبر قد اتا وصالح على نصف ما صالح عليه اهل بعلبك وولي عليهم سالم ابن ذويب
السلمي ووصاه بها ورحل ابي عبيدة رضي الله عنه يطلب حمصا فلما وصل بين الرستن اتته هدية
كثيره فقبلها وسار حتى نزل حمص وقال اللهم عجل علينا فتحها واخذل من فيها من المشركين
ونزل ابي عبيدة على النهر فلما استقر به الجلوس كتب الي حمص بسم الله الرحمن الرحيم من ابي عبيدة عامل
امير المومنين عمر ابن الخطاب على الشام وقايد جيوشه اما بعد فان الله عز وجل قد فتح
اكثر بلادكم على ايدينا ولا يغركم عظم مدينتكم وكثرة زادكم فما مدينتكم عندنا الا كقفص
حجاره في وسط عسكرنا وانا ادعوكم الي دين ارتضاه لنا ربنا وشريعة جا بها نبينا صلى الله عليه
وسلم وان اجبتم كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا وارتحلنا عنكم وخلفنا فيكم رجالا يعلمونكم
امر ديننا وان ابيتم الاسلام اقررنا عليكم الجزية فان ابيتم فالحرب بيننا وبينكم حتى
يحكم الله وهو خير الحاكمين ثم طوى الكتاب وسلمه الي رجل من المعاهدين وقال انطلق
بهذا الكتاب الي اهل حمص واتني بالجواب فاخذه المعاهدي وسار حتى قرب من السور
فهموا برميه بالنشاب فقال امسكوا فاني رجل منكم وقد جيتكم بكتاب من هولاء العرب
فدلوا له حبلا فربطه في وسطه وشالوه واتوا به الي البطريق فهم وناوله الكتاب فقال له البطريق
ارجعت عن دينك الي دين العرب قال لا ايها السيد ولكني في ذمتهم وتحت عهدهم وما رايتا
من القوم الا خيرا والصواب ان لا تقاتلهم فان القوم ذي باس والقتل عندهم افضل من الحياة
وقد تقاسم القوم ان لا يبرحوا الا ان تسلموه اليهم او يفتحه الله على ايديهم ووحق ديني
انكم احب الي من القوم ولكني خايف عليكم من باسهم فلما سمع البطريق قوله بدا الغضب
في وجهه وبربر وقال لولا انك رسول لامرت بقطع لسانك على جرائتك بهذا الكلام فاجاب
وكتب كلمة كفرهم ثم قال اما بعد يا معاشر العرب فانه قد وصل الينا كتابكم وعلمنا ما فيه من

التقرير

مذ التهديد ولابد لنا من الحرب والقتال والسلام طوي الكتاب وسلمه الي المعاهدي وامر به
فدلي بالحبال فلما قدم علي ابي عبيدة رضي الله عنه ناوله الكتاب ففضه وقراه علي المسلمين فعولوا
علي الحرب وقسم ابي عبيدة رضي الله عنه عسكر المسلمين علي اربع فرق بعث جزوا مع المسيب
ابن نجبه فنزل علي باب الجبل وبعث جزوا اخر مع شرحبيل ابن حسنه وبعث جزوا اخر مع
المرقال ابن هاشم ابن عتبه والاخري مع يزيد ابن ابي سفيان واقام ابي عبيدة وخالد رضي الله
عنهما علي باب الرستن قال وزحف المسلمون اليهم من كل مكان واقاموا يومهم في القتال
فلما كان من الغد جمع خالد ابن الوليد رضي الله عنه كل عبد في العسكر وامرهم بالزحف الي السور
فقال ابي عبيده رضي الله عنه وما يغني عنا فعالهم هذه فقال علي رسلك ايها الامير ولا تخالفني
فيما صنعت حتي يعلموا ان ما لهم عندنا قدر وما نقاتلهم بانفسنا فقال ابي عبيدة رضي
الله عنه افعل ما شيت وكانوا زها علي اربعة الف عبد قال فاشرف عليهم الملعون البطريق
وقد اربه عظما بطارقته فصلبوا علي وجوههم وقالوا ما ظننا ان العرب بهذه
الصفاة واذا هم سودان كلهم فقال بعض من لقيهم باجنادين بل هولا عبيدهم وهذه
من بعض مكايد العرب معناه انه ليس لنا من القدر عندهم ما يقاتلونا بانفسهم فلم
تزل الموالي والعبيد تقاتل عليه يومهم الي الليل وبعث البطريق رسولا الي ابي عبيدة رضي
الله عنه ومعه كتاب فاقبل نحو عسكر المسلمين واحس به المسلمون فاتوا به الي ابي عبيدة
رضي الله عنه فقال من انت قال انا رسول من البطريق واريد الجواب عن هذا الكتاب فاخذ
الكتاب وقراه فاذا فيه مكتوب اما بعد يا معاشر العرب فانا قد تبين عندنا ضعفكم وسفه
رايكم اذ وجهتم الينا العبيد للقتال ونحن صبيحة هذه الليلة نخرج اليكم والله ينصر من
يشا فلما قرا ابو عبيدة الكتاب استشار المسلمين في ذلك فقالوا الراي عندنا ان نكتب
الي هولا ونسلهم ان يميرونا بالزاد الكثير ونضمن لهم انك ترحل عنهم الي ان يفتح الله عليك
غير مدينتهم ثم ترجع اليهم وقد نفد زادهم وتفرقوا في بوادبهم فتشنها عليهم غاره
قال ابي عبيدة رضي الله عنه اصبتم الراي فاني ان شاء الله افعل ما ذكرتم ثم دعا بدواه
وبيضا وكتب جواب الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فاني قرات كتابك ورايت
ان قولك صلاح ولسنا ممن نريد البغي علي احد من عباد الله عز وجل فان اردت ان
نرحل عنكم فابعثوا الناميره خمسة ايام فالطريق قدامنا متتابع فاذا فتح الله
علينا رجعنا اليكم فان فعلتم ذلك كان صلاحا لكم والسلام وطوي الكتاب وختمه
بخاتمه وسلمه الي الرسول فلما قرا البطريق الكتاب فرح بذلك وجمع الروسا وقال
لهم ان العرب قد بعثت اليكم تطلب الزاد حتي ترحل عنكم وقد رايت من الراي ان
نزودهم حتي يرحلوا فان العرب مثلهم مثل السبع اذا وجد فريسته لم يعود الي
الي غيرها قال وبعث البطريق فاحضر الاقسه وفتح لهم باب المدينة فاقبلوا الي ابي
عبيدة رضي الله عنه واخذوا عليه العهد انه يرحل عنهم وتم الصلح علي ذلك ثم اقبل

عليهم ابي عبيدة رضي الله عنه وقال يا اهل حمص قد قبلنا ما حملتم الينا طوعا فان اردتم ان تبيعونا من الزاد والعلوفات فافعلوا قالوا نعم واهل حمص يستبشرون بميرة العرب منهم ورحيلهم وسار ابو عبيدة رضي الله عنه من حمص حتى نزل على الرستن

ذكر فتح الرستن

فرا ابو عبيدة حصنا مانعا وما فيها عزيز وهي مستحصنه بالرجال فبعث اليهم رسلا بالصلح فابوا عليه وقالوا انا لا نفعل ذلك حتى نرى ما يؤل اليه امركم مع الملك هرقل وبعد ذلك يكون ما شاء الله قال ابو عبيدة رضي الله عنه فانا متوجهون الى بلد الملك ومعنا رحال قد اثقلتنا ونشتهي ان نودعها في مدينتكم الى وقت رجوعنا فاتوا الى بطريقهم وكان اسمه نقيطا واعلموه بذلك فقال ما زالت الملوك تودع بعضها بعضا وما نكر ذلك فبعث الى ابي عبيدة رضي الله عنه يقول مهما كان لك حاجة نقضيها قال الواقدي رحمه الله عن ثابت ابن علقمه قال كنت ممن حضر عند ابي عبيده رضي الله عنه وذلك انه دعا باهل الراي والمشورة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم اعلموا ان هذا حصن منيع ليس الى فتحه من سبيل الا بخديعة واريد ان اجعل منكم عشرين رجلا في عشرين صندوق وتكون الاقفال من عندكم فاذا صرتم في المدينة ثوروا على اسم الله فانكم منصورون فقال خالد ابن الوليد رضي الله عنه اذا عزمت على ذلك فلتكن الاقفال ظاهره واسفل الصناديق في ذكر من غير شي يمسكها فاذا دخل القوم فاخرجوا يد واحده ويكبروا فان النصر مع التكبير مقرون فاجابه ابي عبيدة رضي الله عنه الى ذلك واخذ صناديق الطعام فنفض اسفالها وجعلها ذكري اثني فاول من دخل كان ضرار ابن الازور والمسيب ابن نجيه الفزاري وذو الكلاع الحميري وعمرو ابن معدي كرب الزبيدي والمرقال ابن هشام ابن عتبه وقيس ابن هبيرة وعبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق وابن مالك الاشتر النخعي وعون ابن سالم وصابر ابن كلحل الفزاري ومازن ابن عامر وربيعة ابن عامر وعكرمه ابن ابي جهل وعتبه ابن العاص وعبد الله ابن جعفر الطيار جعله اميرا عليهم رضي الله عنهم اجمعين فلما حصلت الصناديق في الرستن القاها نقيطا في قصر ماريه وارتحل ابي عبيدة رضي الله عنه حتى نزل بقرية يقال لها السويده فلما اظلم الليل بعث خالد بجيش الزحف يشرف على الرستن واذا بالصياح قد علا داخل الرستن فكان من امر الصحابه رضي الله عنهم انه لما تركهم نقيطا في دار ماريه ركب الى البيعه مع بطارقته ليصلوا صلاة الشكر وارتفعت اصواتهم بقراة الانجيل وسمع اصواتهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا من الصناديق وشدوا على انفسهم واشهروا سلاحهم وقبضوا على امراة نقيطا وقالوا نريد مفاتيح البلد فلما حصلت في ايديهم ثاروا بالتكبير والتهليل وكبسوا القوم على باب بيعتهم فلم يجسر احد من القوم يخرج اليهم لانهم دون عده وبعث عبد الله ابن جعفر الطيار وربيعة ابن عامر وعكرمه

ابن

ابن ابي جهل وعتبه ابن العاص والاصيد ابن سلمه رضي الله عنهم وسلم اليهم المفاتيح وقال
افتحوا الابواب وارفعوا اصواتكم بالتكبير فان اخوانكم حول البلد مكمنين وعلي المقدمه
خالد ابن الوليد رضي الله عنهم وقد اجابوهم بالتكبير ودخلوا المدينة وسمع اهل
الرستن اصوات اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فعلموا انهم في قبضتهم
فاستسلموا وخرجوا اليهم وقالوا انا لا انقاتلكم ونحن اليوم اسراكم فاعدلوا فينا
فانتم احب الينا من قومنا فاعرض عليهم خالد رضي الله عنه الاسلام فاسلم منهم قوم
وبقي الاكثر علي دينهم يودون الجزية واما نقيطا فانه قال لا اريد بديني بدلا فقال
له خالد رضي الله عنه اخرج باهلك عنا فتوجه باهله الي حمص واعلم اهلها بفتح الرستن
نصعب عليهم وعلموا ان العرب تصبحهم بالغاره وبلغ ذلك ابا عبيدة رضي الله عنه فسجد
لله شكرا ونفذ الف رجل ووصاهم بحفظ الرستن وامر عليهم بلال ابن عامر اليشكري
فلما استقروا بالرستن اخذ خالد وعبد الله ابن جعفر واصحابهم رضي الله عنهم بعسكر ابي
عبيدة رضي الله عنه وتوجهوا الي حماه فنزلوا عليها صباحا وكان اهل حماه في صلح المسلمين
كما ذكرنا وكذلك اهل شيزر

ذكر فتح مدينة شيزر

الا ان بطريقهم مات وبعث اليهم الطاغيه هرقل بطريقا جبارا اسمه نكس فنقض الصلح
واذاق اهل شيزر ضرا فلما بلغ ابا عبيدة رضي الله عنه خبرهم بعث خيلا من المسلمين جريده
امامه الي شيزر فغارت الخيل علي بلدهم ووقعت الضجه وسمع البطريق نكس ضجتهم فنزل
اليهم من قلعته وقال لهم يا اهل شيزر تعلمون ان الملك الرحيم استخلفني عليكم بحفظ
مدينتكم ثم فتح خزانة سلاحه وفرقها عليهم وامرهم بالحرب والقتال فبينما القوم
كذلك اذا اشرف عليهم خالد ابن الوليد رضي الله عنه في وجوه اصحابه فنزلوا بازائهم فهالهم
العسكر وحارت ابصارهم فكتب ابو عبيدة رضي الله عنه الي اهل شيزر بسم الله الرحمن الرحيم اما
بعد يا اهل شيزر فان حصنكم ليس هو امنع من حصن بعلبك ولا من الرستن ولا رجالكم
اشجع فاذا قراتم كتابي هذا فادخلوا في طاعتي ولا تخالفوني فيكون وبالا عليكم وطوى
الكتاب وسلمه الي رجل من المعاهدين فلما وصل اليهم بالكتاب اعطوه لنكس بطريقهم
فقال ما تقولون يا اهل شيزر قالوا صدقت العرب وان حصننا ليس بامنع من البلاد
الذي اخذوا فكيف تمتنع عليهم شيزر فسبهم نكس ولعنهم وامر غلمانه بضربهم وخرجوا
الي الحرب فكسرهم المسلمون ووقع القتل وفرح المسلمون بذلك ثم نادي ابو عبيدة رضي الله
عنه قد فتح الله علي ايديكم هذه المدينة ايسر فتح واهونه وقد خرج اهل حمص الان
من ذمتكم فارجعوا بنا اليهم فاستوت العرب علي جنوبها وهموا بالمسير اذ لاحت
لهم غبره مرتفعه وهي مقبلة من طريق انطاكيه فاسرعت الخيل نحوها واذا هم بنفس
عظيم ومعه مائة يردون من حولها مائة علج يحفظونها ولم يكن للعلوج علم بنزول
المسلمين علي شيزر قال الواقدي رحمه الله فزعق بهم خالد وكبروا المسلمون

واحدقوا اليهم وساقوا البراذين واخذوا القس والعلوج اسارى وساقوا الجميع الى ابي عبيدة رضي الله
عنه فوجدوه على نهر المقلوب واوقفوه على القس واستخبروه فعرفهم بما جاء فيه من ملكهم وان
جميع الروم والروسيه والصقالبه والافرنج والارمن قد اجابوا الملك وهم عازمون اليكم فعظم على
ابي عبيدة رضي الله عنه ذلك وعرض على القس الاسلام فقال القس للترجمان قل للامير انك البارحة رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقد اسلمت على يديه واعرض الاسلام على العلوج فابوا فضرب
اعناقهم وسار متوجها نحو حمص

ذكر فتح حمص صلحا

فما شعر اهل حمص الا والخيل قد غارت عليهم فارجع القوم الى المدينة وغلقوا ابوابها وقالوا غدرت
العرب قال ونزل المسلمون حول حمص وادار وابها وصعب ذلك على صاحب حمص وكتب الى ابي عبيدة
رضي الله عنه اما بعد يا معاشر العرب فانا لم نخبر عنكم بالغدر وانتم صالحتمونا على الميرة فامرناكم
قال ابي عبيدة رضي الله عنه انا لم نغدر ولم ننكث الم تعلموا اني عاهدتكم على اني منصرف عنكم حتى
افتح مدينه من مداين الشام ثم يكون الراي الى ان احببت رجعت اليكم او سرت الى غيركم قالوا بلى
قال فقد فتح الله لنا شيزر والرستن في اهون شي والان فلا عهد لكم عندنا الا ان تشاءوا ان تعودوا او
نصالحوا فقال لهم القسوس صدقتم ليس عليكم لوم والخطا منا كان اذ لم نستوثق ثم رجعوا
الى مدينتهم ودعا ابي عبيدة رضي الله عنه بالرجال وقال خذوا الاهبة للحرب فان القوم بلا زاد ولا
مدد ياتي اليهم من طاغيتهم واستعينوا بالله وعليه توكلوا قال ودنوا من الابواب واجتمع اهل حمص
الى بطريقهم فقالوا ما عندك من الراي قال الراي عندي انا نلقاهم ولا نريهم منا ضعفا قالوا ابن
الزاد وما الحيله قال لهم البطريق عندي حب طعام يقوتكم مدة طويله ثم فتح خزانة جده
جرجس وفرق عليهم الدروع وجميع الالة والعدد وقدموا الخيل قدامهم وباتوا بقية ليلتهم
يبتهلون بكفرهم قال وفتحت ابواب حمص وخرج القوم في عديدهم والتقى الجمعان واختلط
الفريقان الا ان المسلمين تراجعوا القهقري وفشى فيهم القتل والجراح فلما نظر امين الامة
الى ذلك من هزيمة المسلمين عظم عليه وكبر وصاح برفيع صوته يا بني العزمات الرجعة
بارك الله فيكم فهذا يوم له ما بعده قال فتراجع الناس وحملوا على اهل حمص حملة منكره
ووضع المسلمون فيهم السيف وتنادرت الروم حتى فشى القتل فيهم فجثت العلوج على الركب
واستترف بالدرق وافرغوا جعاب النشاب فلما نظر خالد الى ذلك برز باللوى وهو كان
صاحبه يوم حمص وهو ينادي في اصحابه شدوا بارك الله فيكم فانها غنيمة الدنيا والاخرة
قال ابي عبيدة رضي الله عنه لله درك يا ابا سليمان فلقد جاهدت في الله حق جهاده واما
للوقال ابن هاشم ابن عتبه صاح ببني زهره وحمل على الروم في ميمنتهم وحمل في ميسرتهم
ميسرة ابن مسروق العبسي وحمل من بعدهم عكرمه ابن ابي جهل وجعل يجزر الروم جزرا
ويبهرهم هبرا وقد غاص في المشركين فقصده البطريق فرماه بحربه في صدره فانجدل
صريعا فلما نظر خالد الى ذلك اقبل حتى وقف عليه وبكا ولم تزل المسلمون في اهوال الحرب
حتى هجم الليل وانصرف المسلمون الى رحالهم وباتوا ليلتهم فاستشار ابي عبيدة خالد ابن الوليد

رضي

رضي الله عنهما فقال اني رايت ان تنكشف للقوم فنطاردهم ونرجع لهم سوادنا وابلنا فاذا
تباعدوا عن مدينتهم تمكنا منهم واسرعنا الكرة عليهم فقال نعم الراي رايت وتواعد
المسلمون على هذا الراي واصبح صباح تلك الليلة فالتقا الجمعان وانهزم المسلمون امامهم
على ما بينهم فتبعهم البطريق في جيله وهم الف فارس وكان بحمص قس عظيم قد احكمته
التجارب فاشرف على السور ونظر الى العرب وقد انهزموا وتملك سوادهم فجعل يصيح وينادي
وحق المسيح انها لخديعة ومكيدة من العرب فان العرب لا تسلم اولادها واهلها ولو قتلت
عن بكرة ابيها ونادى ابو عبيدة رضي الله عنه برفيع صوته الرجعة يا معاشر العرب بارك
الله فيكم فلما سمعوا صوته عطفوا على الروم كالسهام الراشقة حتى احاطوا بالبطريق
من كل جانب فلما نظرت الروم الى فعلنا بهم تكالبوا علينا حتى اذا حمي الوطيس اشتد خالد
ابن الوليد رضي الله عنه ونادى باعلا صوته رحم الله من جرد سيفه ووفى عزمه وقاتل اعداه
فعندها انتضت العرب السيوف نادى ابو عبيدة رضي الله عنه قاتلوا عن حريمكم وسوادكم
فان الله متطلع عليكم وكان معاذ ابن جبل قد انفرد في خمسمائة فارس الى السواد وانقض
على الروم فما شعر علوج الروم الا والطعن قد اخذهم فقتل من الروم من قتل وانفلت
من انفلت ولما وضعت الحرب اوزارها اخذت المسلمون الاسلاب والدروع ووقع
الصياح بحمص واجتمع الرجال والمشايخ الى بيعتهم وعزموا على ان يسلموا حمص الى المسلمين
فخرج اهل دينهم وصالحوه على تسليم المدينة وان يكونوا تحت ذمته فقال ابو عبيدة انتم
تحت ذمتنا لكن لست ادخل مدينتكم حتى نرى ما يكون بيننا وبين ملك الروم وافتقدنا
من استشهد من المسلمين فكان جملتهم خمسة وثلاثون رجلا **قال الواقدي**
رحمه الله واتصلت الاخبار بهرقل ان المسلمين فتحوا حمص والرستن وشيزر وقد اخذ
اهبته التي بعثها الهربيس بجمع الجموع وحشد الجيوش حتى كان اولها عنده بانطاكية
على احد وعشرين فرسخا وقام فيهم وقال يا اهل دين النصرانية قد حذرتكم من هؤلاء
العرب وخوفتكم فلم تقبلوا وحق ديني لا بد ان تملك ما تحت سريري وقد اجتمع
وقد اجتمع لكم ما لم يقدر عليه ملك من ملوك النصرانية فتوبوا الى المسيح من ذنوبكم واني
قد عولت ان اصرف هذه الجيوش الى بلادها واخذ مالي واهلي واخرج الى القسطنطينية
فاكون هناك امنا من العرب قال فلما سمعوا ذلك صفقوا بين يديه وقالوا ايها الملك
لا تفعل ولا تخذل دين النصرانية فتطالب بذلك يوم القيمة وتعيرك الملوك ونحن نلقا
العرب ولعل النصر ينزل علينا قال افترقوا على اربع طرق فانكم ان اخذتم على طريق
واحد لم يسعكم ثم خلع على جبلة ابن الايهم وضم اليه المتنصرة من غسان ولخم
وجذام وعاملة وتقدم اليه ماهان وخلع عليه وقال له قد وليتك على هذا الجيش
كله فلا امر على امرك ثم قال لقناطر وجرجير لا تصنعا امرا الا بمشورته ورايه وجدوا
في طلب العرب وتفرقوا على ارض العواصم والمعرات وجبلة ابن الايهم على مقدمته ماهان

وكان لابي عبيدة رضي الله عنه عيون وجواسيس من المعاهدين يتوقون اخبار الروم فجاوا
وحدثوا ابي عبيدة رضي الله عنه بما راووا فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقام
فيهم خطيبا فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال اما بعد
معاشر المسلمين رحمكم الله فان الله سبحانه قد ابلاكم بلاء حسنا لينظر كيف تعملون وذلك
ما صدقكم الوعد وان عيوني اخبروني ان عدو الله هرقل قد استنفر علينا من بلاد الشرك
وقد سيرهم اليكم يريدون ليطفوا نور الله بافواههم والله متم نوره واعلموا ان الله
معكم وليس بقليل من يكن الله معه والله خاذل عدوكم وليس بكثير من يخذله الله فما عندكم
من الراي فقام رجال من المسلمين وقالوا ايها الامير الراي ان تسير عن معك هذا فتنزل
برجالك مما يلي وادي القرى فتكون المسلمين قريبا من المدينة والامداد تتصل الينا
من الخليفة فقال ابي عبيدة رضي الله عنه اني ان برحت من موضعي هذا اكره عمر ذلك وعنفني
وقال تركت مدنا فتحها الله على يديك واسترحت منها وكان ذلك هزيمة ثم قام
قيس بن هبيرة المرادي وقال يا امين الامة ان الشام خصيبة والحجاز جدبة وكيف
نرجع الى بلاد الحجاز وندع لهولاء الاعلاج القصور والانهار قال ومن جملة من بعث هرقل
الى اليرموك ثمانمائة الف من طوايف الكفر وقال خالد ابن الوليد رضي الله عنه اعلم ايها
الامير انك ان قمت في منزلك هذا فانك تعين على نفسك لان هذه الجابيه منزل قريب من
قيساريه وفيها قسطنطين ابن هرقل في اربعين الفا والذي اشير به انكم تستقبلون
عدوكم وتجعلوا الاذرعات خلف ظهوركم حتى تنزلوا اليرموك ويكون المدد من امير
المومنين منك احق وانتم من عدوكم على فرسخ فلما تكلم خالد رضي الله عنه بهذا
الكلام قال المسلمون نعم ما اشار به خالد فعند ذلك امر الناس بالرحيل من الجابية
فرحلوا ودعا ابي عبيدة رضي الله عنه بجيش خالد رضي الله عنه فضمه اليه وامره
ان يكون على حرس المسلمين ففعل ذلك ووقعت الضجة من المسلمين عند رحيلهم
~~فطلبوهم فالتقوا خالد رضي وطلبوا اليرموك وسمعت الروم الجمعه بالاردن~~
ضجة المسلمين عند رحيلهم فطلبوهم فالتقوا خالد رضي الله عنه في جيشه فتقدم من
الروم وصاح خالد رضي الله عنه باصحابه وقال دونكم والقوم هذه راية النصر
فانتضوا السيوف وقدموا الرماح وحمل خالد والمرقال وضرار وطلحة ابن نوفل
العامري وعامر ابن الطفيل ومثل هولاء رضي الله عنهم فلم يكن للروم طاقة
فولوا منهزمين الى ان بلغتهم الهزيمة والجاتهم الى الاردن فغرق فيه منهم
خلق كثير واما ابي عبيدة رضي الله عنه فانه نزل باليرموك وترك اذرعات خلفه
وكان هنالك تل عظيم فخط فيه ابي عبيدة رضي الله عنه النسا والاولاد وامرهم
باليقظة واقام الحرس ووضع الطلايع والعيون على ساير الطرف واقام المسلمون
باليرموك وهم مستعدون لقتال العدو ولم يزل العدو يقرب الى ان وصل بالقرب من

الى

ارض الجولان فلما نظرت المسلمون الى كثرة عساكر الروم اضطربوا واستغاثوا بالله
العظيم وكان هرقل قد قال لماهان لا تبتدي الحرب بينك وبين القوم ووجه ماهان
جرجس رسولا فسار حتى وقف بازايهم وقال معاشر العرب يخرج الينا مقدمكم
حتى نعرض عليه مقالتنا فركب ابو عبيدة رضي الله عنه حتى التقيا والناس ينظرون
اليهما فقال له قل يا اخا الكفر ما انت قايل قال جرجس يا معاشر العرب لا يغركم
ان تقولوا هزمنا الروم في مواطن كثيرة وفتحنا مدنا فانظروا الان الى ما قد اتاكم
فقال ابو عبيدة رضي الله عنه لا نخوف بالسيف فقد طال الضرب بالسيف خرجنا وانا
على يقين من امرنا ولا بد لنا ان نملك ارضكم باسرها كما وعدنا نبينا صلى الله عليه
وسلم فلما سمع جرجس كلام ابي عبيدة رضي الله عنه اخبر به ماهان وحدثه فقال
ماهان ادعيتم الى الصلح والموادعة قال لا وحق المسيح فدعا ماهان بجبله ابن الايهم
وقال له اخرج الى هولاء القوم وخوفهم كثرتنا قال فخرج جبله حتى وقف بين الصفوف
ونادا فاجابه عبادة ابن الصامت فنظر اليه رجلا اسمر طويلا كانه من رجال
شنوه فهابه وقال له من انت قال له انا عبادة ابن الصامت قال اني خرجت اليكم
لاني اعلم ان اكثركم من الرحم والقرابة وانا لكم ناصحا فاعلم ان هولاء القوم قد نزلوا
بفنايكم بجنود لا قبل لكم بها ولا تقولوا فضضنا جموعكم والحرب سجال وان ادبل
هولاء القوم عليكم هذه المرة لم يكون لكم ملجا الا يثرب وهم اذا انهزموا رجعوا
الى عساكر وبلاد وخزاين وما قد نلتم فخذوه وانصرفوا الى بلادكم فقال له عباده نحن
نعلم ان ما بقي من جموعكم قد تيسر امره علينا فانا ندعوكم الى الاسلام فاتبع سبيل
من تاب الى الحق فغضب جبله فقال عبادة ان ابيت الا ما انت عليه من الكفر فاياك
ان تلقانا فنحن الدخيل الاول يخطمك سيوفنا فلما سمع جبله ذلك قال يا ابن العم انما
خرجت لزيد النصيحة فاذا ابيتم فسل قومك ان يجيبون الى الصلح قال عبادة لا والله
لا صلح بيننا وبينكم الا باداء الجزية او الاسلام او السيف فرجع الى ماهان مذعورا
فزعا من كلام عبادة ابن الصامت فتبين ماهان الجزع منه وسار جبله في ستين
الفا حتى اشرف على المسلمين وابو عبيدة رضي الله عنه يتحدث مع عبادة بما كان
بينه وبين جبله اذ اشرف عليهم القوم فلما راوهم المسلمون صاح بعضهم ببعض
قد اقبلت العرب المتنصره لقتالكم فخرجوا اليهم فصاح خالد رضي الله عنه بالمسلمين
اصبروا رحمكم الله ولا تعجلوا فانا اكيدهم فقال له يا ابا سليمان ما هذه المكيده
قال ان الروم قد استعانوا علينا وهم في اضعاف عددنا وان نحن قاتلناهم
بجمعنا كان ذلك وهنا وضعفا فانفذ اليهم رجالا يعملون في ردهم عنا قال فان
تفعلوا ذلك كان كسرة لهم وان ابوا الا الحرب خرج اليهم نفر امنا نردهم على
اعقابنا فقال له ابو عبيدة رضي الله عنه افعل ما بدا لك ثم قال معاشر المسلمين

ان القوم في ستين الفا من المتنصره ونريد ان نلقا هذا الجمع الكثير فان قاتلنا جبله كان لنا
هيبه في قلوب اعدائنا ولكن ننتدب ثلاثون رجلا الى الستين الفا من هولاء العرب المتنصره
فقال له ابو سفيان ان جاء بك الى ذلك رجل فانه مغرر بنفسه فقال له خالد رضي الله عنه يا
ابا سفيان لا تكون جبانا في الاسلام شجاعا في الجاهلية قال ما قلت ذلك الا شفقة على
المسلمين فان صح عزمك فاجعل للقوم ستين رجلا يقاتل الرجل منهم الفا قال ابو عبيدة
رضي الله عنه نعم ما اشار به ابو سفيان فقال خالد رضي الله عنه للستين رجلا تاهبوا
رحمكم الله وخذوا عدتكم ولتكون السيوف هي المقربه للحتوف قال الواقدي رحمه الله
ونفروا الستين اذ رجاهم لاصلاح شانهم فاما ضرار ابن الازور فانه اقبل الى خيمته
يسلم على اخته خوله وكذلك الستون رجلا حتى استعدوا واما ارادوا وسلموا على اولادهم
وكان اول من خرج للقتال خالد ابن الوليد رضي الله عنه فتقدم امام جيوش المسلمين واصحابه
يقدمون عليه رجلا بعد رجل فلما اتوا الجمعان خرج خالد رضي الله عنه ونادى
يا عبدة الصلبان هلموا الى الحرب والطعان فصاح جبله بقومه يا ال غسان الحمله
الحمله فحملت الستون الفا على الستون رجلا من الصحابه رضي الله عنهم واشتعل
القتال بينهم فما كنت تسمع الا هيير القوم فكبر المسلمون واخذهم القلق على اخوانهم
والروم تقول ان اهل جبلة فهلك العرب حاصل فلما حمي القتال ترجل خالد
رضي الله عنه عن جواده والفضل ابن العباس ينادي انا الفارس الدعاس انا ولد
العباس وركب خالد رضي الله عنه فرسا عربيه وركب المرقال فرسا من خيل القوم
وحملوا على المشركين ولم يزالوا يومهم اجمع الى ان اجنحت الشمس الغروب واذا بجيش
المتنصره منهزم واصوات المسلمين قد ارتفعت بقول لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم فافتقد خالد المسلمين فلم يرى منهم الا
عشرين رجلا فجعل يقول هلكت المسلمين فما يكون عذري عند رب العالمين قال
فسأله ابي عبيدة رضي الله عنه ما بالك قال فقدت اربعين رجلا منهم الفضل ابن العباس
فاسترجع ابي عبيدة رضي الله عنه وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال له سالم
ابن الاحوص دونك المعركه واذا قد قتل من المتنصره خمسة الف فقال ابي عبيدة
رضي الله عنه يوشك ان بقية الصحابة يتبعوا المشركين فقام خالد رضي الله عنه
وتبع اثار القوم وتبعه اناس من المسلمين فما سار غير بعيد اذ سمع التكبير والتهليل
فاجابهم خالد رضي الله عنه بمثله فاقبل القوم اليه فقال ما كان من امركم فقالوا
هزم المشركون وذلك ان رجالا اسروا ورجونا ان نخلصهم فلم نرهم ولا شك
الا انهم قتلوا فقال خالد رضي الله عنه ان القوم لا محاله اسروا فقال له الزبير رضي
الله عنه من اين علمت ذلك قال الا انا لم نجد في الموضع الذي كانت فيه الوقعة
من المسلمين الا عشرة رجال ونحن عشرون وانتم خمسة وعشرون وقد اسر خمسة

لامحاله فمن قتل كان اجره علي الله ومن اسر فخلاصه علي ان شا الله ورجع جبله
الي ماهان وقال ايها الملك انا لم نزل منصورون عليهم حتي قبل الظلام وكان
ضرار خاصرخ بنا فبدد شملنا وحق الصليب يحلف ماهان لاحملن عليهم
غدا بخيلي ورجالي اجعلهم رميما وبات ابو عبيدة رضي الله عنه وقد اجمع علي
ملاقات الروم وكتب الي الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عامر ابن الجراح عامله علي الشام سلام عليك اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله
الا هو واصلي علي نبيه صلي الله عليه وسلم ولتعلم يا امير المومنين ان كلب الروم قد استنفر
علينا كل من عبد صليبا وان العدو اتي في ستمائة الف مقاتل غير الاتباع وستين الفا
من المتنصره من غسان ولخم واول من التقانا جبله في جموعه في ستين الف وخرج
اليهم منا ستون رجلا فهزم الله المشركين علي ايديهم وقتل من اصحابنا الستون
عشرة نواسر منهم رافع ابن عميره وربيعة ابن عامر وضرار ابن الازور وعاصم ابن عميره ويزيد
ابن ابي سفيان ونحن علي نية اللقا فلا تغفل عن المسلمين والله ينصر الاسلام واهله
والسلام عليك وعلي جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوي الكتاب وسلمه الي عبد
الله ابن قرط وتوجه الي ان وصل الي المدينة قال فصليت ركعتين وسلمت علي روضة رسول
الله صلي الله عليه وسلم وعلي ابي بكر رضي الله عنه واوميت بالكتاب الي عمر رضي الله عنه بعد ان سلمت
عليه وعلي المسلمين وقرا الكتاب فامتقع لونه فقال انا لله وانا اليه راجعون قال عثمان
وعلي والعباس وعبد الرحمن ابن عوف وطلحة رضي الله عنهم اطلعنا علي ما في الكتاب
فقراه عليهم فضجوا بالبكا وكان اشدهم في البكا عبد الرحمن رضي الله عنهم اجمعين وقال
يا امير المومنين ابعث بنا اليهم فوالله لا املك الا نفسي ومالي وما الجمل بهما علي المسلمين
قال علي رضي الله عنه اعلم ان هذه الوقعة التي ذكرها رسول الله صلي الله عليه وسلم التي تبقا
ذكرها الي الابد هذه الفتنة المهلكه المدمره علي من كفر بالله وعبد الصليب ثم قال لعمر اكتب
لعاملك ابي عبيدة واعلمه ان نصر الله خير له من معونتنا فكتب الي ابي عبيدة رضي
الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله امير المومنين عمر ابن الخطاب الي ابي عبيدة
والذين معه بالشام من المسلمين سلام عليكم فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي
علي نبيه وبعد فقد قرات كتابك وكانكم بالامراد وقد تخمست نحوكم وان كان مدد
الله ونصره خير لكم فالق العدو واعلم ان معك وناس ممن صحب بين يدي رسول الله صلي
الله عليه وسلم فما عجزوا عن عدوهم في موطن حتي قتلوا في سبيل الله وجاهدوا
في الله حق جهاده واقرا كتابي هذا علي المسلمين والسلام عليك ورحمة الله وبركاته قال
ابن قرط فارخيت زمام ناقتي حتي اشرفت علي اليرموك فانخت ناقتي وسلمت
علي ابي عبيدة رضي الله عنه وعلي المسلمين ودفعت له الكتاب وقراه علي المسلمين
فطابت قلوبهم وقالوا ما منا الا من يطلب الشهادة فالله يبلغنا اياها قال الواقدي

رحمه الله عن الثقاة ولما سار عبد الله ابن قرط من المدينة اذ سمعنا اصواتا هايله فخرجنا
مبادرين واذا نحن بقوم من اليمن ستة الف فارس من اليمن يقدمهم جابر ابن خويلد الربعي
قال وما اجن الليل حتي جات العلابس من اهل مكة والطايف فحمل عمر رضي الله عنه ضعيفهم
وزودهم وعقد لوا وسلمه الي سعيد ابن عامر وقال يا سعيد اني وليتك علي هذا الجيش
ولست بخير رجل منهم الا ان يكون اتقا فاذا سرت فارفق بهم ولا تخف ضعيفهم ولا تؤثر
قويهم ولا تتبع هواك والله الخليفة عليك وعلي من معك وسار سعيد ابن عامر
يجد السير يتجنب العمران ويسلك الفلاه الي ان وقع في وادي عظيم كثير الشجر وفيه عين
ما كبيره فنزل المسلمون عليه وشربوا منه واكلت الركاب من ورق الشجر اذ اخذتني
عيني فنمت فرايت رويا تدل علي غنيمة وسلامه ولم ازل اتلوا القران اذ سمعت هاتف
يهتف في الوادي ويقول   يا عصبة الهادي الي الرشاد   لا تفزعوا من هول هذا الواد
ما فيه جن ولا امعاد   ستفعلوا يا معشر العباد   لطف الذي يرفق بالاولاد   ويطرح الجنة في الاكباد
قال فحمدت الله شكرا ثم سرنا حتي اشرفنا علي الوادي من بلد عمان الي قرية هناك
فنظرت اليها فبين القرية وهم خارجون منها ومعهم الاهل والاولاد فلما راهم المسلمون
حملوا عليهم من غير ان امرهم بذلك فاخذوا بعضهم اسري فرجع القوم الي القرية الي حصن
منيع فتحصنوا فيه منا وطلبوا منا الامان فامناهم واستخبرناهم فقالوا لنا اعلموا
ان بطريق صاحب عمان لا بد ان تلقوا منه شده فلو ظفرتم به لكان فتحا لكم قال
سعيد ابن عامر ان الذي وجهنا اليه امير المومنين من نجدة المسلمين افضل لنا من
مقامنا فاخرجوا بنا للسير فبينما نحن نسير اذ اشرف اوزجيش عمان فلما اشرفوا
علي المسلمين حملوا عليهم والمسلمون علي غير اهبة الا انهم رفعوا اصواتهم بالتهليل
والتكبير ووضعوا فيهم السيف فقتلوا الرجال عن اخرهم واجتمعت الفتيان واقتتلوا
قتالا شديدا فانهزم بطريقهم راجعا الي عمان وبعض المسلمين في اثرهم وبعضهم في
الغنايم اذا التجي به من خلفه خيل تسرع بركبانها زها علي الف فارس يقدمهم
فارسان كانهما اسدان قال فتاملتهما فاذا هما الفضل ابن العباس والاخر الزبير
ابن العوام فلما نظر البطريق الي الزبير قد حمل عليه اراد الهرب فطعنه واقلبه
علي سرجه صريعا قال واشرف اصحاب سعيد علي الموضع فنظروا الي الحرب فقدروا
انه قد وقع بينهم وبعضهم يقتل بعضا فلما قربوا منهم سمعوا التكبير فقالوا
دعوة الحق فمن القايل بها واقتحم سعيد الغبره فسمع الفضل ابن العباس ينتهي
باسمه وهو يقول انا ابن عم رسول الله صلي الله عليه وسلم قال سعيد ابن عامر فما
افلت من القوم احد ثم امر الزبير بروس القتلي فسلخت وحملتها العرب علي اسنة
الرماح فكانت الروس اربعة الف والاسري الف اسير وسار المسلمون حتي اشرفوا
علي جيوش المسلمين قال فانزعجت اسرار القوم فسجد ابي عبيدة رضي الله عنه شكرا لله

وامر بالف فضربت رقابهم قال الواقدي رحمه الله عن ابيه انه لما اسر الخمسة من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتم المسلمون واكثرهم غما خالد رضي الله عنه
وان الخمسة الاسرى من الصحابة احضروا بين يدي ماهان لعنه الله فازدراهم
واستحقرهم فقال لجبلة هولاء قوام جيش المسلمين وما بقي في عسكرهم من
نخاف منه الا شخص واحد وهو الذي فتح البلاد فقال ماهان لا بد لي ان احتال عليه
حتى اجعله عندي واقتله مع هولاء الخمسة ثم دعا برجل من الروم اسمه جرجه
وكان حكيما فصيحا بلسان العرب فقال له تمضي لهولاء العرب وقل لهم يبعثوا لنا
رسولا وليكن هذا الرجل المسمى بخالد فسار نحو عسكر المسلمين وقال ان الملك
ماهان قد انفذني اليكم لتبعثوا رجلا منكم لعل الله يحقن دما نا ودماكم فقال خالد
انا اكون الرسول بنفسي فقال ابو عبيدة رضي الله عنه امض سلمك الله فلعل الله ان يهديهم
او طايفة منهم على يديك قال خالد رضي الله عنه المستعان بالله ثم وثب خالد
رضي الله عنه الى خيمته ولبس خفين حجازيه واعتم بعمامة سودا واصحبه ابو عبيدة
رضي الله عنه بماية رجل من المسلمين من المهاجرين والانصار كل واحد منهم يلقا خيبنا
وساروا حتى اشرفوا على عسكر الروم فرفعوا اصواتهم بقول لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فاستقبلهم جبلة ابن الايهم فقال من انتم فقيل
له هذا خالد ابن الوليد يريد ماهان وقد اتاه رسولا فقال قفوا في مواضعكم حتى
نستاذن الملك لكم على الملك فدخل على ماهان وقال قد اقبل صاحب العرب ومعه
ماية رجل من اصحابه قال ماهان انما اردت خالدا وحده وقد قال خالد لجبله
قل لصاحبك ان خالدا لا يدخل اليك الا ومعه اصحابه فاني لا استغني عن رايهم
فرجع جبله الى ماهان فاخبره بقول خالد فقال له ائذن له فاذا صار بازاء مضربي
هو ومن معه فامرهم بالنزول واخلع سيوفهم قال فمضى جبله وامرهم بالمسير
فدخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنا داهم الترجمان قد وصلتم الى سرداق
الملك فانزلوا عن خيولكم وضعوا سيوفكم فقال خالد رضي الله عنه اما خيولنا فلا
ننزل عنها واما سيوفنا فانها عزنا وما كنا بالذي نخلع عزنا فقال ماهان
دعوهم يدخلوا كيف شاووا فدخلوا يجرون حمايل سيوفهم وطرحت لهم كراسي
فلم يجلسوا عليها وجلسوا على الارض فلما نظر ماهان الى فعلهم قال لهم تابوا
الكرامه قال خالد رضي الله عنه ان الارض بساط الله وهي اطهر من فرشكم فقال
ماهان يا اخا العرب اني اكره ان ابداك بالكلام فقال خالد رضي الله عنه تكلم بما تريد
ولكل كلام جواب ثم قال ماهان الحمد لله الذي جعل المسيح افضل الانبيا قال
فقطع خالد رضي الله عنه كلامه واياك ان تسكت وقال خالد الحمد لله الذي جعلنا
نومن بنبينا ونبيكم وبجميع الانبيا قال فاصفر لون ماهان وسكت قليلا ثم قال

الحمد لله الذي ابتلانا واحسن البلاء وعافانا من الفقر وقد كان طايفة منكم يا معاشر
العرب يغشونا ويتمنون قاتلنا وكنا نظن ان العرب تعرف لنا ذلك فما شعرنا حتى
جيتمونا بالخيل والرجال وظننا انكم جيتمونا تطلبون منا ما طلب اخوانكم واذا انتم
على خلاف رايي اوليكم حتى تقتلون الرجال وتسبون النسوان وتغنمون الاموال
والان اخرجوا من بلادنا وان انتم ابيتم الانصراف عزمنا عليكم عزمة فرددناكم
كامس الذاهب وان اجنحتم الى الصلح امرنا لكل واحد منكم بماية دينار ولاميركم ابي
عبيدة بالف دينار ولخليفتكم بعشرة الاف دينار على انكم تحلفون ان لا تغزونا وتحربونا
قال الراوي وقال له ماهان لقد اعجبني عقلك وبصيرتك وقد احببت ان اواخيك
فقال خالد رضي الله عنه وانا فرحان ان تمم الله مقالتك يا ماهان وكيف ذلك قال خالد
رضي الله عنه تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا فعلت ذلك كنت اخي قال ماهان
اما ما دعوتني اليه من الترك لديني والدخول في دينك فما الي ذلك من سبيل قال خالد
رضي الله عنه وانا ادعوك لعبادة رب العالمين ولا تتخذ من دونه صنما ولا تتخذ
من دونه وليا ولا تجعل له صاحبة ولا ولدا ولا شريك ولا ضدا ولا ندا ولا تاخذه
سنة ولا نوم فمن اتبعنا كان اخانا وصار له ما لنا وعليه ما علينا ومن ابا الاسلام
فالجزية يودي بها الينا عن يد وهم صاغرون وان اداها حقن بها دمه وماله وولده
ومن ابا الاسلام والجزية فالسيف حكم بيننا وبينه حتى يقضي الله بحكمه وهو
خير الحاكمين ونحن ندعوكم الى هذه الثلاث خصال ليس غيرها اما ان تقول لا اله الا
الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله او الجزية في كل عام عن كل محتلم من
الرجال دينارا وليس على من لم يبلغ الحلم جزية ولا على امراة ولا على راهب
منقطع في صومعته فقال له ماهان فهل بعد قول لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
غير هذا قال خالد رضي الله عنه نعم تقيموا الصلاة وتوتوا الزكاة وتحجوا الى البيت
الحرام وجهاد من كفر بالله وتامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتوالوا في الله
وتعادوا اعدا الله فان ابيتم ذلك فالحرب بيننا حتى يورث الله الارض من يشاء
من عباده والعاقبة للمتقين قال له ماهان فافعل ما تشا فانا لا نرجع عن ديننا
ولا نودي الجزية واما ما ذكر من الارض يورثها من يشاء من عبيده فقد صدقت
فانها لم تكن لنا ولا لكم بل كانت لقوم غيرنا وغيركم فقاتلناهم عليها حتى ملكناها
والحرب بيننا فابرزوا على اسم الله فقال خالد رضي الله عنه والله ما انتم اشهى منا
للحرب وكاني بجيوشكم قد انهزمت والنصر يقدمنا وتساق انت حقير ذليل والحبل
في عنقك فلما سمع ماهان كلام خالد رضي الله عنه غضب غضبا شديدا قال الواقدي
ولما نظرت الحجاب والبطارقة والمهرقليه والقياصرة الى غضب ماهان هموا بقتل خالد رضي
الله عنه الا انهم ينتظرون امر الملك فقال ماهان لخالد وقد استوثق غضبا يا خالد

عن

لقد كنت اكلمك ولك في قلبي محبه وقد صار مكان ذلك غضبا فوحق المسيح ابن مريم لا
حضرت اصحابك الخمسة الاسري واضرب اعناقهم فقال له خالد اسمع ما اقول لك
ان هولاء الذين في يديك منا هم القتل ونحن مثلهم فوحق صاحب الدعوة المجابه
ووحق ابي بكر الصديق وخلافته واما منه لين قتلتهم لاقتلنك بسيفي هذا ويقتل كل
رجل من اصحابي هولاء بعدد قومك ثم وثب خالد رضي الله عنه من موضعه وامتشق
سيفه من غمده وفعلوا اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم كفعله وهم يقولون لا اله
الا الله محمد رسول الله قال حدثني مسلمه ابن عبد الحميد عن جده رافع ابن مازن قال
كنت مع خالد رضي الله عنه في سرداق ماهان الارمني وجردنا السيوف وهممنا بالقوم
وما في اعيننا من جيش الروم شي وقد ايقنا ان لا نفلت منذ لك الموضع قال فلما
راى ماهان الحنقه من خالد ومنا وتبين الموت من شفار سيوفنا نادى ماهان
مهلا يا خالد ولا تكن لهذه العجله فتهلك فانا اعلم انك ما فعلت ذلك الا انك
رسول والرسول لا يجب عليه القتل وانما كلمتك انا واختبرتك وانظر ما عندكم والان
فلا واخذك فارجع الي عسكرك واعزم علي القتال حتى يعطي الله النصر لمن يشاء
فلما سمع خالد رضي الله عنه ذلك غمد سيفه وقال يا ماهان ما تصنع في هولاء الاسري
قال ماهان اطلقهم كرامة لك واخلي سبيلهم ليكونوا لك عونا ولئن يعجزوا في
الحرب غدا ففرح خالد بذلك وامر ماهان بتخلية اصحاب رسول الله صلي الله عليه
وسلم قال فاطلقوا من وثاقهم وهم خالد بالمسير فقال له ماهان يا خالد اني كنت
احببت ان اصلح الامر بيني وبينك واني اسالك حاجة فقال خالد رضي الله عنه سل
عما تريد قال ان قبتك هذه الحمرا قد اعجبتني واني احب ان تهبها لي وانظر في
عسكري ما اعجبك من شي وهبته لك قال خالد والله لقد فرحتني اذ طلبت
ما املكه فهي موهوبة لك واما ما عزمت علي في عسكرك فلا حاجة لي فيه قال
ماهان لله انت لقد تكرمت واجملت قال خالد رضي الله عنه لقد تكرمت انت علينا
بما صنعت من اطلاق اصحابي من الاسر ثم انثني خالد رضي الله عنه خارجا من عند
ماهان واصحابه حوله وقدم له جواده فركب وركب اصحاب رسول الله صلي
الله عليه وسلم وامر ماهان حجابه واصحابه ان يسيروا معهم الي مامنهم قال ففعل
المسلمون بخلاف اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وحدث خالد رضي الله عنه لابي
عبيده رضي الله عنه بكل ما جري بينهم ثم قال وحق صاحب المنبر والروضة ان كان اطلق
لنا ماهان اصحابنا الا فزعا من سيوفنا فقال ابي عبيدة رضي الله عنه هذا رجل حكيم الا
ان الشيطان غلب علي عقله فعلي ما افترقتم قال خالد رضي الله عنه علي ان
نلتقي بهم ويعطي الله النصر لمن يشاء فلما سمع ابي عبيدة رضي الله عنه ولم يجمع
عظماء الناس من المسلمين وقام فيهم خطيبا فحمد الله واثني عليه وذكر النبي

وصلي عليه صلي الله عليه وسلم واخبرهم بان العدو امسيحهم بالقتال في غداة غد وامرهم
بالاهبة واخذ العده وقال توكلوا علي الله واعتصموا بالله فاخذ المسلمون الاهبة واقبلت
فرسان المسلمين تحرض بعضهم بعضا واقبل خالد رضي الله عنه علي اصحابه وهم
عسكر الزحف قال لهم اعلموا ان هولاء القوم الذين نصركم الله عليهم في مواطن
كثيرة قد حشدوا لكم حشود بلادهم واني دخلت الي عسكرهم فنظرت اليهم كانهم
النمل وهم اصحاب عده بلا قلوب ولا لهم من ينصرهم عليكم فهذه الوقعة بيننا
وبينهم وقد اتفق ان القتال في غداة غد وانتم اهل الباس والشدة فما عندكم
رحمكم الله قال فتكلم اصحاب خالد رضي الله عنهم وقالوا اما نحن فالقتال لعيشنا
ومنانا ولا نزال نصبر لهم علي الحرب والطعن والضرب حتي يحكم الله وهو خير
الحاكمين ففرح خالد رضي الله عنه بقولهم وقال لهم خالد وفقكم الله وارشدكم
خذوا اهبتكم للقتال قال فلم يبت تلك الليلة الا واستعد بالة حربه وباتوا فرحين
بالجهاد فلما اصبح القوم ولاح لهم الفجر اذن المؤذنون في عسكر المسلمين حتي ارتفعت
لهم جلبة عظيمة بالتوحيد واسبغوا الوضوء وصلي بهم ابي عبيدة رضي الله عنهم
فلما صلوا ركبوا جنبولهم الي قتال عدوهم وعبوا صفوفهم فكانت ثلاث صفوف متلاصقة
الصف منها لا يري اخره واقبل خالد علي ابي عبيده رضي الله عنهم وقال ما تامر ايها
الامير فقال اجعل علي الميمنة معاذ ابن جبل فقال خالد هو اهل لذلك فقال
يا معاذ اقصد الميمنة وكن مكانك فسار معاذ نحو الميمنة فوقف هنالك براتيه
فقال خالد ايها الامير من نجعل علي الميسرة فقال كنانة ابن هاشم الكناني فمضي
حيث امره ابو عبيدة رضي الله عنه قال حدثني فضالة ابن عامر قال حدثني موسي
ابن عون عن جده يوسف ابن معن قال كان هذا الغلام عارف بالحرب وصاحب
شجاعة وغاره وقد ذكر انه كان من شجاعته انه بات احبا العرب المعادين
له فاذا اشرف عليهم صرخ بهم وانتما باسمه فيثور اليه الرجال علي اعناق
الخيل فلا يزال يقاتلهم ويقاتلوه فان ظفر بهم كان مراده وان راي منهم
صوله وعظم عليه امرهم نزل عن جواده وسعي بين ايديهم فلا يلحقون منه
الا الغبار قال الراوي فلما ولاه ابي عبيدة رضي الله عنه وقف حيث امره
والتفت ابي عبيدة رضي الله عنه الي خالد رضي الله عنه وقال يا ابا سليمان قد وليتك
علي الخيل والرجال تول امر الرجال من شئت فقال خالد رضي الله عنه سا ولي
امرهم رجلا لا يوتي المسلمين من قبله ثم نادي ابن هاشم ابن عتبة ابن ابي وقاص
وقال قد وليتك الامير علي الرجال فقال له ابي عبيدة رضي الله عنه انزل يا هاشم وكن
معهم وها انا وافقتك قال الراوي فلما رتب ابي عبيدة رضي الله عنه صفوف
المسلمين وعباهم قال خالد رضي الله عنه ايها الامير ابعث الان الي اصحاب

الرايات

الرايات وقل لهم سمعوا مني فدعا ابو عبيدة رضي الله عنه بالضحاك ابن قيس
وقال له يا ابن قيس اسرع الى اصحاب الرايات وقل لهم ان الامير ابا عبيدة يامركم
ان تسمعوا لخالد وتطيعوا امره ففعل الضحاك ذلك وجعل يدور على اصحاب
الرايات حتى انتهى الى معاذ ابن جبل رضي الله عنه فقال له مثل ذلك قال معاذ سمعا
وطاعة ثم اقبل معاذ على الناس وقال اما انكم قد امرتم بطاعة رجل ميمون
الغرة مبارك الطلعة فان امركم بامر فلا تخالفوه فلم يريد غير صلاح المسلمين
قال فلما وصى الضحاك ابن قيس اصحاب الرايات بقول ابي عبيدة رضي الله عنه والطاعة
لخالد رضي الله عنه جعل خالد يسير بين الصفوف ويقف على كل راية ويقول يا اهل
الاسلام ان الصبر عزم والفشل عجز واعلموا ان الصابرين هم الغالبون وان الفشل
والجبن سيما من اسباب الخذلان من صبر كان الله ناصره على عدوه لان الله معهم
ممن صبر على حد السيوف فانه اذا قدم على الله اكرم منزله وشكر له سعيه والله يحب
الشاكرين قال ولم يزل خالد يقول هذا الكلام لاهل كل راية حتى مر بجماعة الناس ثم
ان خالدا رضي الله عنه جمع اليه خيل المسلمين من اهل الشدة والصبر ومن شهد معه الزحف
فقسمهم اربع ارباع فجعل على احدهم قيس ابن هبيرة المرادي فقال انت فارس العرب فكن على
هذه الخيل واصنع كما اصنع وجعل على الربع الاخر ميسرة ابن مسروق العبسي واوصاه
بمثل ذلك وجعل على الربع الثالث من يثق به ووقف خالد رضي الله عنه مع عسكر الزحف قال
الواقدي رحمه الله فلم تطلع الشمس الا وقد فرغ من ترتيب العسكر اما ماهان الارمني
فانه امر الروم بالزينة والاهبة للحرب ففعلوا ذلك الا ان المسلمين كانوا اسرع في التعبيه
قال وزحف عسكر الروم الى عسكر المسلمين ونظر المشركين الى تعبيتهم وكان الطير يظلهم
والصفوف متلاصقة والرماح متشبكة داخلهم الفزع والجزع وعبا ماهان عسكره
وجعل المتنصره من غسان ولخم وجذام في مقدم الصفوف وقدم امامه الصليب
وكان من الفضة البيضا ووزنه خمسة ارطال وهو محرق بالذهب وفي اربعة اركانه
جواهر تلمع وتضي كالكواكب قال حدثني حسان ابن اوس الربعي قال حدثني عدي
ابن الحارث الهمداني وهو ممن حضر الفتوح اوله واخره قال كانت الصفوف التي صفها
ماهان ثلاثين صفا الصف الواحد من صفوفهم مثل عسكر المسلمين قال واظهر
ماهان بين الصفوف الاقسة والرهبان وهم يبخرون ويتلون الانجيل واكثر ماهان
في عسكره من الرايات والاعلام فلما اصطفت صفوفهم واذا ببطريق من بطارقة
الروم قد برز وهو عظيم الخلقة عليه درع مذهب ولامة ملبجه وفي عنقه صليب
معلق من الذهب مرصع بالجوهر وتحته فرس اشهب وكان البطريق من عظماء الروم
ممن يقف عند سرير الملك فلما برز جعل يطمطم بكلام الروم بصوت كانه الرعد
فعلم المسلمون انه يطلب البراز فتوقف المسلمون عن الخروج اليه فصاح خالد رضي الله عنه

يا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا العلج الاقلف يدعوكم لقتاله وانتم متاخرون
فان لم تخرجوا اليه والا اخرج خالد وهم بالخروج واذا بفارس قد خرج من المسلمين على برذون
اشهب عظيم وعلى المسلم لامة حسنة وعدة سابغة وقصد نحو البطريق ولم يكن في رجال
من يعرف الفارس والذي خرج فقال خالد رضي الله عنه لعبده همام اخرج الى هذا الفارس
فانظر من هو من المسلمين ومن اي العرب هو فمضى همام يهتف به وقد هم ان يقرب من
البطريق وصاح به من انت يا ذا الرجل فقال انا روماس صاحب بصرى فلما علم خالد
رضي الله عنه به قال اللهم بارك فيه وزد في نيته فلما صار بازاء العلج كلمه بلسانه فقال
الرومي وقد عرفه يا روماس كيف تركت دينك وصبوت الى هولاء القوم قال روماس
هذا الذي دخلت فيه دين جليل شريف من دخل فيه كان سعيدا ومن خالفه فقد ضل
ثم حمل روماس على العلج وحمل العلج عليه فضربه ضربة صعبة سال دمه وحس روماس
بالضربة وقد وصلت اليه فانثنا راجعا نحو المسلمين واتبعه العلج طالبا لا يفتر عن
طلبه وكاد ان يركبه فصاح به فرسان العرب من كل جانب فقوي قلب روماس
بصياح المسلمين وداخل العلج من صياحهم الجزع فقصر عن طلبه ودخل روماس عسكر
المسلمين والدم على وجهه فاخذوه جماعة من المسلمين فشدوا جرحه وشكروه على فعله
ووعدوه بالغفران وهنوه باسلامه فلما رجع روماس منهزما اعجب العلج بنفسه واظهر
عناده وطمطم في كلامه وطلب البراز فهم ان يخرج اليه ميسرة ابن مسروق فقال
خالد رضي الله عنه يا ميسرة وقوفك مكانك احب الي من خروجك الى هذا العلج
وانت شيخ كبير وهذا علج شديد عظيم الخلق وشاب شجاع لا احب ان تخرج اليه
فانه لا يكاد الشيخ الكبير يقوم بالشاب الحدث الجلد ولا سيما ان شعرة من مسلم
احب الي من جميع اهل الشرك فرجع ميسرة الى مكانه وهم ان يخرج عامر ابن الطفيل
فقال خالد رضي الله عنه انت يا غلام حدث وانا نخاف عليك الا تقوم به فقال عامر
ابن الطفيل ايها الامير انك قد عظمت امر هذا الرومي ودخلت قلوب المسلمين
الرعب فقال خالد رضي الله عنه ان الفرسان تعرف اكفاها في الحرب وما خفي علي
ما هو عليه من الشجاعة والشدة وانت لا تقوم به لانه ما برز قبل اصحابه وبين
شجاعته الا وهو اوحد في قومه فقف في مكانك فوقف عامر ابن الطفيل في مكانه
ولم يخالفه قال والعلج يدعو الى البراز والحرب قال فاقبل الى خالد رضي الله عنه الحارث ابن
عبد الله الازدي فلما وقف بين يديه قال ايها الامير انا اخرج اليه فقال خالد رضي الله
عنه لعمري انك فيك جسارة وقوة شديدة وما علمتك الا شهما فان شئت ان تخرج على
اسم الله فاعزم فاخذ الازدي اهبته وهم ان يبرز فقال له خالد رضي الله عنه على رسلك يا
عبد الله حتى اسالك قال سل قال هل بارزت او قاتلت احدا قال لا قال فارجع يا ابن اخي ولا
تخرج فانك غر بالحرب وهذا فارس قد جرب الحروب وجوبته وعرف مصادرها

وما احب ان يخرج اليه الا رجل مثله وجعل خالد رضي الله عنه يقول هذا او ينظر الى قيس
ابن هبيرة فقال قيس يا ابا سليمان اني احب انك تعرضني واياي تقفي انا ابرز اليه
قال خالد رضي الله عنه فابرز على بركة الله فانك كفوا والله يعينك عليه فخرج قيس
ابن هبيرة رحمه الله واجرى جواده حتى لين عريكته وكسر حدته ثم قتله نحو البطريق وهو
يقول بسم الله وعلى بركة رسول الله وقرب من البطريق فلما نظر العلج الى فعاله علم
انه فارس شديد من فرسان المسلمين فدلف نحوه وقصد اليه وتحاملا فبدره قيس
ابن هبيرة وضربه على هامته فالتقاها العلج بحجفته فقد سيف الحجفة ووصل
الى البيضة فانتشب فيها وهم ان يخرج سيفه فامتنع عليه وضرب العلج لقيس ابن هبيرة
على حبل عاتقه فنشب الضربة والتقيا عنه الضربتين فطرح العلج نفسه عليه يريد
اسره وهو جبار من الجبابرة وكان قيس قد عود نفسه الصيام وقيام الليل وطول
الفكر وكان جسمه نحيلا فلما نظر قيس الى العلج قد ظهر عليه انجذب من يده وبعد
عنه وجعل ينظر اليه شزرا ويظهر له مكرا الا ان سيفه قد خرج من يده فانثنى عنان
فرسه يريد عسكر المسلمين لياخذ سيفا ويعود الى القتال وهو آيس من نفسه فلما
عطف راجعا صاح العلج في اثره وسعى في طلبه فقصر قيس ابن هبيره وقال في نفسه
يا نفس مرادك الموت وانت تهربين ارجعي الى العلج فصاح به خالد رضي الله عنه
يا قيس سالتك بالله ورسوله الا رجعت وتركت صديقتها علي وذلك ان خالدا رضي الله عنه
تبين منه التعب فقال قيس يا خالد لقد اقسمت علي بعظيم ان رجعت اليك تزيد
في اجلي قال لا فقال لم اختار الفرار واكون من اصحاب النار بل اصبر وافوز بالغفران
من الله وعطف على قرنه وليس في يده سيف بل اخذ خنجرا كان في وسطه قال ونظر خالد
الى قيس ابن هبيرة وليس في يده سيف فقال من ياخذ هذا السيف ويدفعه الى قيس ابتغا
ثواب الله عز وجل فقال عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انا لها يا ابا سليمان
فقال خالد رضي الله عنه انت لها والله يا ابن الصديق ثم انتضى عبد الرحمن سيفه
ولحق بقيس ابن هبيرة فظنوا الروم انه يريد يعاون قيسا على صاحبهم فخرج اليه
بطريق اخر واقبل الى صاحبه ووقف بازائه ودفع عبد الرحمن السيف الى قيس ووقف
معه ولم يرجع حتى راى اثنين وجعل العلج الخارج يتكلم بكلام عظيم لا يقف المسلمون
على شيء منه فقال عبد الرحمن يا ويلك ما الذي تقول فما نعرف كلامك فخرج اليه ترجمان
من الروم وقال يا معاشر العرب اليس ذكرتم انكم اصحاب نصفه وحق فقال عبد
الرحمن بلى قال الترجمان فما رينا من نصفتكم شيا يخرج فارسان الى فارس فقال عبد
الرحمن رضي الله عنه انما خرجت اعطي صاحبي سيفا وارجع ولو خرج الينا منكم مائة
لواحد لما كثر علينا ولا عظم لدينا وها انتم ثلاثة وانا وحدي لكم كفوا فاخبر الترجمان
لصاحبه بذلك فتعجبا من قوله وجعلا ينظران اليه شزرا وقال عبد الرحمن رضي الله عنه

علي كان بخاطيه فطعنه في نحره فخرج سنانه من قفائه فوقع متجدلا ونظر العلجين الي
صاحبهما متجدلا فحملا علي عبد الرحمن رضي الله عنه وقصده اليه دعا ونه قيس ابن هبيرة
فقال عبد الرحمن رضي الله عنه يا قيس سالتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وبحق ابي بكر الا
تركت عبد الرحمن يصطلي بهما فان قتلت كنت في الثواب شريكي وان قتلتهما فبنعمة الاسلام
فتاخر قيس عنه وقد عجب من فعله وحمل عبد الرحمن رضي الله عنه علي احد العلجين
وطعنه برمحه فاشتبك سنان رمحه في دراعه فرما عبد الرحمن الرمح من يده وانتضا
سيفه فضرب العلج ضربة طرحه بها نصفين ونظر الثالث الي عبد الرحمن وجرانه
فبقي حايرا متعجبا من فعله ونظر قيس الي البطريق وهو متحير باهت فتبين
الغفلة فقال ما يوقفك يا قيس ابن هبيرة وحمل علي البطريق وضربه ضربة هشم
هامته وسقط الي الارض صريعا فلما نظرت الروم الي اصحابهم فقال بعضهم لبعض
ما هؤلاء الا شياطين قال الواقدي رحمه الله واخبر ماهان بفعالهم
فقال لقومه ان الملك ابصر بهؤلاء القوم منا وحق المسيح لقد اعلم ان لك امرا
قد نصر هؤلاء القوم عليكم به فان لم تطحنوهم بكثرتكم فما يقوم لكم قائمة
ثم اتاه بطريق فساره في اذنه وقال ايها الملك ان القوم منصورون واني رايت البارحة
في منامي رجالا قد نزلوا من السماء الي الارض وهم علي ابراذين شهب وبلق وعليهم
كامل السلاح واحدقوا بهؤلاء العرب ونحن قيام بازايهم لا يخرج من عسكرنا
احد الا قتلوه حتي اتوا علي اكثرنا قال فكسر بهذا الكلام قلب ماهان فلم
يرد جوابا فاجتمع القوم اليه وسالوه ما قال البطريق فلم يخبرهم فلما اكثروا
عليه السوال تكلم فيهم كالخطيب وقال يا اهل هذا الدين انكم ان لم تقاتلوا كنتم من
الخاسرين وغضب عليكم المسيح وان الله عز وجل يزل لدينكم ناصرا ومعزا وان
لله الحجة عليكم لانه بعث اليكم رسولا وانزل عليكم كتابا فلم يتبع رسولكم الدنيا
وامركم ان لا تتبعوها وفي كتابه لا تظلمون فانه لا يحب الظالمين فلما خالفتموه
نصر اعداكم عليكم فما عذركم عند خالقكم وقد تركتم امر نبيكم وما انزل عليكم
في كتاب ربكم وهؤلاء العرب بازايكم تريدون قتل فرسانكم وسبي ذراريكم ونسائكم
وانتم تعملون بالمعاصي والذنوب ولا تفزعوا من ربكم فان نزع الله سلطانكم من
ايديكم واظهر عليكم عدوكم فذلك بحق منه وعدلا لانكم لا تامرون بالمعروف
ولا تنهون عن المنكر قال الواقدي رحمه الله وكان ماهان اكثر كلامه هذا
من كلام البطريق الذي حدثه بما راي في النوم وامره ان لا تذيعه لاحد واما قيس
ابن هبيرة وعبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما لما قتلوا الثلاثة نزل عبد
الرحمن فاختار سلاحهم واسلابهم هو وقيس ابن هبيرة ورجلا الي المسلمين ودفعا
السلب الي ابي عبيدة رضي الله عنه فقال هو لكما ومن قتل فارسا سلبه له هكذا اعهد الينا

امير المومنين عمر ابن الخطاب رضي الله فاخذ السلب ووقف قيس ابن هبيرة في موضعه الذي
اقامه خالد فيه ورجع عبد الرحمن رضي الله عنه الي ميدان الحرب فجال بين الصفين
وقد ركب شهري البطريق الذي قتله فراه لا ينبعث تحته كما عهد من خيل العرب
فرجع وغيره من تحته بفرسه وحمل علي جميعة الروم فشوش صفوفهم وقتل
منهم فارسين ورجع فحمل علي القلب ثم انثني نحو الميسره فرشق بالسهام فرجع
حتي وقف في صدر الجيش وجعل يفزع الروم باسمه ويدعوا الي البراز فخرج اليه
علج من علوج الروم فما جال معه غير يسير حتي قتله وخرج اليه اخر فقتله فقال
خالد رضي الله عنه اللهم واحفظه فان عبد الرحمن قد اصطلي اليوم بقتال الجيش وحده
ثم صاح يا عبد الرحمن بحق شيبة ابيك الا رجعت الي مكانك ودع اخوانك من المسلمين
يقاتلون فرجع الي مكانه حتي اقسم عليه قال الحزام ابن قتم قلت لرجل ممن شهد
اليرموك اكانت النسا معكن يشاهدون القتال قال نعم احداهن اسما زوجة الزبير
ابن العوام وخوله ابنة الازور وسبيه ابنة كعب وام ابان زوجة عكرمه ابن ابي جهل
وعربه ابنة عامر ابن عاصم الضمري مع زوجها سلمه ابن عود الضمري ورمله ابنة طلحه
الزبيري ورعله وامامه وزينب وهند ونعم واعبد او لبنا وامثالهن ولقد كن يقاتلن
قتالا يرضين الله به عز وجل ورسوله قال الواقدي رحمه الله وحدثني عبد
الملك ابن عبد الحميد عن عمرو عمن شهد وقعة اليرموك قال كان اولها شرونا واخرها
ضرام يحرق وان كل يوم كان ياتي من القتال اصعب من اليوم الاخر

وقعة اليرموك

قال عمر ابن جوير شهدت في اليوم الاول حربا يسيرا وشهدنا في اليوم الثاني حربا عسيرا
وذلك ان ماهان امر عشره من الصفوف ان تحمل علي المسلمين وذلك بعد ان قتل عبد الرحمن
من قتل وحمل المسلمون عليهم والتقت الرجال بالرجال ونظر ابو عبيدة رضي الله عنه وكان واقفا
لم يحمل علي عسكر ماهان وعلم ان الامر يصعب عليه فقال لا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وجعل يقرا الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال ولم تزل الحرب بين القوم من ارتفاع
الشمس في كبد السما حتي همت بالغروب ولم ينفصل الجمعان حتي فرق الليل بين
الفريقين عندما افترق الناس بعضهم من بعض وما يعرفون الا بالشعار وخرجوا
وكل قوم من العرب يهتف بشعارهم ويتذاكرون انسابهم ورجعت كل فيه الي مكانها
واستقبل المسلمون نساهم فجعلت المراه تمسح وجه زوجها بمرطها وتقول له ابشر
بالجنة يا ولي الله وبات المسلمون يحرسوا واوقدوا النيران وذلك ان القتل اول يوم لم يبين
علي الفئتين بل قتل من الروم يسير ومن المسلمين عشرة رجال من حضرموت احدهما
يقال له مازن والاخر قادم وثلاثة من غسان رافع ومجلي وحازم وواحد من الانصار
وهو عبد الله ابن الاحزم وثلاثة من بجيله واخر من مراد يقال انه كان ابن اخي قيس ابن هبيرة

المرادي فحزن قيس ابن هبيرة حين فقده ولم يراه فعلم انه مقتول فاخذ معه قيسا
من نهار وخرج هو ورجال من قومه حتى اتوا موضع المعركة واقبلوا يفتشون فلم يروه
فلما هموا بالرجوع اذ نظر الى نار قد اقبلت من جانب الروم يريد وامكان الوقعة يطلبون
بطريقا لهم معظما عندهم قال قيس لقومه اخمدوا النيران وانبطحوا بالارض بين
القتلى وناهضوا الروم واذا بهم نحو المائة في اله وعدة وكان مع قيس من قومه
سبعة نفر فقالوا ان القوم مائة ونحن سبعة وقد مضنا التعب قال قيس ارجعوا
انتم الى ورائكم فاني اطلب الموت لا اريد غيره واخذ بالثار فعجبوا من قوله ووقفوا
معه وقفة الكرام واقبلت الاعلاج يدورون بين الاموات وقعوا بالعلج وهو الذي كان
برز اولا وقتله قيس ابن هبيرة فلما ولوا يريدون عسكرهم صاح بهم قيس من ورائهم
وتابعه اصحابه بالصياح فرموا البطريق عن اكتافهم وذهلوا من الصيحة واتبعهم
المسلمون ووضعوا فيهم السيف وجعلوا يقتلونهم قتلا ذريعا وكان قيسا اذا ضرب
فيهم بسيفه يقول هذا عن ابن اخي هذا عن ثاره فقتل من القوم بيده ستة عشر
رجلا وقتل اصحابه اكثر القوم وانفلت الباقون فلما فرغ قيس من القوم عاد
يطلب ابن اخيه نحو عسكر الروم فسمع انينا فاقبل نحوه واذا هو ابن اخيه
سويد ابن بهرام ابن هبيرة فلما نظر اليه عرفه فبكا وقال ما لك يا ابن اخي قال يا عماه
اني نفقت القوم يعني الروم فرجع الي واحد منهم فطعني طعنة في صدري واجمع
السنان من ظهري وانا اعالج منها امرا عظيما وهولاء الحور العين حذاي ينتظرون
خروج روحي قال فبكا قيس وقال يا ابن اخي لكل اجل كتاب ولعل لك اجل طويل
قال هيهات قرب والله الامر فتقدر ان تحملني الى المسلمين فاموت هنالك قال
فاحتمله على ظهره واقبل به الى عسكر المسلمين وقصد به رحاله وسجاه فيه وسمع
ابي عبيدة رضي الله عنه بمجي قيس ابن هبيرة فقام حتى اتا اليه ونظر الى الغلام يجود
بنفسه فسلم عليه وجلس عند راسه وبكا وبكا المسلمون وقال ابي عبيدة رضي الله عنه
كيف تجدك يا ابن اخي قال بخير وغفران جزاء الله محمدا عنا خيرا فلقد صدقنا في
قوله قال والغلام يخاطب ابا عبيدة اذ مات رحمه الله تعالى وما برحنا حتى واريناه
في حفرته واقبل قيس لابي عبيدة رضي الله عنه باسلاب من قتل من المشركين ففرح فرحا
شديدا وعلم ان ذلك علامة النصر وبات الناس بقية ليلتهم وهم يتلون القران
ويسالون الله المعونة والنصر واما ماهان الارمني فانه لما رجع الى عسكره اجتمع اليه
بطارقة الروم والرهبان والقسيسون وقدم اليهم ماهان طعامه ومد سماطه
فلم ياكل منه شيا لما وقع في نفسه من الرويا التي راها البطريق واخبره بها فكان
ماهان يود لو ترك الامر لاداء الجزية والصلح للمسلمين ولكنه مغلوب على رايه
بمخالفة الروم وهرقل ايضا وذلك ليقضي الله امرا كان مفعولا قال واقبلت

الملوك

الملوك والاقسة والبطارقة والرهبان على ماهان وقالوا ما بال الملك قد امتنع من
الطعام فان كان ذلك من غمه وما جرا من العرب فان الحرب دول وسجال فيوم لك
ويوم عليك واعلم ايها الملك ان القوم مظفرون بنا وما يهلكهم الا انا نحمل بجمعنا
عليهم فلا يبقى منهم احد فقال ماهان ما اظن الا ان لكم شيا تصنعونه من تغير دينكم
والجور في سلطانكم فبهذا انصرت العرب عليكم فقام اليه رجل من اهل دينهم فقال
ايها الملك عشت الدهر اني رجل من اهل البلقا كانت لي مائة راس من الغنم وكان فيها
ولدي يرعاه فضرب عظيم من عظما اصحابك الفسطاط الى جانبها ثم عدا عليها فاخذ
منها حاجته واخذ بقيتها اصحابه فجاته امراتي تشكو اليه انتهاب غنمي فلما راها
امر بها فادخلت اليه فطال مكثها عنده فلما راى ذلك ابنها دنا من الفسطاط فاطلع
فاذا هو يضاجع امه فصاح الغلام وجلب فامر البطريق بقتل الغلام فقتلوا واقبلت
اريد خلاص ولدي فامر بي فضربت بالسيف فاتقيت الضربة بيدي فقطعتها ثم
اخرج يده فاذا هي مقطوعة قال فغضب ماهان غضبا شديدا وقال المعاهدي
اتعرف هذا العلج الذي فعل ذلك قال نعم هو هذا واوما بيده الى بطريق من البطارقة
فنظر اليه ماهان مغضبا فغضب البطريق وغضبت البطارقة لغضبه ومالوا على
المستعدي باسيافهم فضربوه حتى مات وماهان ينظر اليهم فزاد غضبه وقال خذلتم
وحق الصليب يا ويلكم كيف ترجون النصر وانتم تفعلون هذه الفعال اما تخافون
القصاص غدا الا جرم ان الله ينتقم منكم وينزع عنكم صالح ما اعطاكم ويعطيه غيركم
ممن يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وانتم الان عندي مثل الكلاب والحمير والوحوش
البهايم وسترون عاجلا عاقبة ظلمكم والى ما يوردكم والى اي مصير يصيركم ثم امر بانصرافهم
وقيل انه قام وتركهم فلما انصرف القوم عنده لم يبق الا بطريق من البطارقة فقال ايها
الملك والله ان القوم كما تقول وما اظن الا انا مغلوبون بظلمنا واعلم اني رايت في منامي
كان رجالا نزلوا من السما على دواب شهب فاحدقوا بهولا العرب وعليهم كامل السلاح
ونحن وقوف بازايهم ننظر اليهم ولا يخرج منا احد الا قتلوه حتى اتوا على اكثرنا وذكر
كما ذكر البطريق الاول واقبل ماهان يفكر طول ليلته ما يصنع في امر المسلمين فحسن له
رايه ان لا يعجز القتال بينه وبين المسلمين فلما اصبح عباد المسلمون صفوفهم ونظروا
فاذا ليس للروم انزعاج في عسكرهم فعلموا ان لهم امرا فقال ابو عبيدة ابن الجراح رضي
الله عنه دعوهم ولا تبغوا عليهم قال واجتمعت البطارقة الى ماهان وهم الملوك
الاربعة قناطر وجرجس والدرنجان وقورين وهم اصحاب الجيش يستاذنونه
في الحرب فقال ماهان وكيف لي ان اقاتل بقوم يظلمون ان كنتم احرارا فقاتلوا عن سلطا نعم
وامنعوا عن حريمكم فقالوا الف بنا الحرب فوحق المسيح ابن مريم لا نفارقهم حتى نخرجهم
من الشام الى بلادهم او تقتلونا او نقتلهم فمتى يقتلونا وانهض اليهم فاذا عزمت على

القتال فوج كل واحد منا بنوبته وعسكره يقاتل كل واحد منا يوما حتى يعرفنا من اشد
ويضجر المسلمون من المطاوله ونجمع عيالنا واطفالنا في السفن فان كانت لنا على
العرب ردناهم الى منازلنا وان كانت العرب علينا لحقوا ببلادهم وقومهم ويكون
الحرب بيننا وبينهم في الاسبوع خمسة ايام ونستريح يومين ونرجوا ان ينفصل
الامر بيننا وبينهم في يوم واحد او يومين قال ماهان لعنه الله هذا هو الراي
ثم كتب الى هرقل اما بعد فنسال الله ايها الملك بجدك ولاهل بيتك النصر ولاهل
سلطانك العز والقهر فانك بعثتني فيما لا يحصى من العدد واني قدمت على هولاء
العرب فنزلت بساحتهم ومنيتهم واطمعتهم فلم يطمعوا وسالتهم الصلح
فلم يقبلوا وبعثت الجمل فلم ينصرفوا ولم يفعلوا وقد فزع جند الملك منهم فزعا
شديدا وقد حسبت ان يكون الفشل قد عمهم والرعب قد داخل قلوبهم وذلك
لكثرة الظلم فيهم وقد جمعت اهل الراي من اصحابي وذو النصيحة للملك ودينه
وقد اجتمعت رايتنا على النهوض اليهم جميعا في يوم واحد ولا نزايلهم حتى يحكم
الله بيننا فان اظهر الله عدونا علينا فارض بقضا الله واعلم ان الدنيا زايلة عنك
فلا تاسف على ما فات منها ولا تقنط مما بقي في يدك والحق بما قبلك من اهل
ملكك بالقسطنطينيه واحسن الى رعيتك يحسن الله اليك وارحم يرحمك الله وتواضع
لله يرفعك الله فانه لا يحب المتكبرين ولقد عملت الحيلة في احضار امير القوم خالد
ابن الوليد ومنيته وارغبته فما قبل ورايته مقيما على الحق فاردت ان افتك به
او امكر به فخفت عاقبة المكر وما نصر والا بالعدل وانباح بينهم والسلام عليك
ثم طوى الكتاب وبعث به الى هرقل مع بعض اصحابه من العلوج قالت الرواه لفتوح
الشام واقام ماهان سبعة ايام اخر بعد الوقعة الاولى لم يقاتل المسلمين ولم يقاتلوه
وبعث ابو عبيدة برجل من اصحابه ينظر ما الذي اخر القوم عن القتال فغاب الرجل
يوما وليلة ثم عاد واخبر ابا عبيدة رضي الله عنه ان ماهان قد كاتب الملك وهو منتظر
للجواب فقال خالد رضي الله عنه ايها الامير والله ما اخر ماهان عن قتالنا الا وقد حصل فزعنا
في قلبه فازحف بنا اليهم فقال ابو عبيدة رضي الله عنه يا خالد لا تعجل فان العجلة من الشيطان
قال الواقدي رحمه الله فكان ابو عبيده رضي الله عنه رجلا لين الجنة يريد
الرفق فلما كان في اليوم الثامن نظر ماهان الى تلفت اصحابه الى الحرب والقتال فعزم
ان يلقاهم المسلمين وقد فرح بنشاطهم فدعا برجل من العرب المتنصره من لخم فقال
ادخل الى عسكر هولاء القوم وتحسس لنا اخبارهم وانظر ما عندهم من خبرنا
وكيف حرصهم على القتال وكيف اعمالهم وسيرتهم وكيف هيبتنا في قلوبهم قال
فمضى اللخمي حتى دخل عسكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقام فيه
يوما وليلة يطوف في عسكرهم وليس احد من المسلمين ينكره لانه من العرب وزيه

يوما

زيهم فنظر الي المسلمين وهم اسنون ليس لهم همه الا اصلاح شانهم والصلاة والتسبيح
والقران وليس فيهم عدوان ولا ظلم ولا احد يتعدا علي احد وقصد الي الموضع الذي فيه
ابي عبيدة رضي الله عنه فنظر الي الجبابيه كانه اضعف ضعيف في العرب ساعه يجلس علي الارض
وساعه ينام عليها فاذا كان وقت الصلاة قام واسبغ الوضوء واذن المؤذنون وصلي
بالناس فنظر اللخمي الي المسلمين يصنعون كصنعه فقال اللخمي ان هذه طاعة حسنة وبو شك
انهم ينصرون ثم رجع الي عسكر ماهان وحدثه بالذي نظر من القوم وعاين وقال
ايها الملك اني جئتك من عند قوم يصومون بالنهار ويقومون الليل ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر رهبان بالليل ليوث بالنهار ولو سرق احدهم قطعوه ولو زنا رجموه
لا يغلب هواهم علي الحق بل الحق لهم غالب واميرهم كاضعف من فيهم الا انه يطاع
في قوله بينهم ان قام قاموا وان قعد قعدوا مناهم القتل وشهوتهم النزال وانما تاخرهم
لقتالكم ليكون البغي عليكم اذ ابداتموهم فقال ماهان هولاء القوم ينصرون ونعبر اني وجدت
حيله اعملها عليهم فقال اللخمي وما الحيله ايها الملك فقال ماهان الست زعمت
انهم لا يقاتلونا حتي نقاتلهم لنكون نحن الباغين قال نعم قال وانا لا انطلق الحرب
بل ابطول الامر بينهم ونهمهم علي حين غفلة وهم دون عدة واله فعسي اظفر
بهم ثم ان ماهان جمع الملوك والبطارقة اليه وجعل يعقد لهم الرايات والصلبان
حتي عقد ستين ومائة صليب تحت كل صليب عشرة الف فكان اول صليب عقد
لقناطر وكان نظيره في المملكة وامره ان يكون في ميمنته ثم عقد للدريجان وضم
اليه السكسليه واللان وجعله علي ميسرته ثم عقد لجرجس وضم اليه الارمن
والبجاه والنوبه والروسيه والصقالبه وعقد لقورين ابن اخت الملك عقدا
علي الافرنج والارقليه والقباصره والبرغل والروفس وعقد لجبله ابن الايهم
عقدا وضم اليه المتنصره من غسان ولخم وجذام وعامله وضبيعه وامره ان
يكون علي المقدمه وقال انتم عرب واعداونا عرب والحديد لا يقطع الا الحديد
ثم فرق الاعلام في جوانب عسكره وانفجر الصبح وقد فرغ من تعبيته وقد نصب له كرسيه
ثم امر بعضربه فضرب له علي كثيب عال علي جانب اليرموك ليشرف منه علي
عسكره واوقف عليه ثلاثة الف فارس من حماة الروم في سابغ السلاح واوقفهم
عن يساره وعليهم الديباج الاحمر المنسوج بالذهب الذي لا يري منهم الا الحدق وهم
الملكيه اصحاب السرير وامرهم بالقنصة وقال اني اكدت العرب بهذا الفعال لانكم علي
علي تعبيه فاذا طلعت الشمس وراتم المسلمين علي غير تعبية فاحملوا من كل جانب ومكان
فما هم الا كالشامة البيضا في جلد البعير الاسود هكذا سمعت اباذر ابن غالب الحميري
يذكر وكان من المعمرين قال حدثني جوال ابن اسد السكسكي عن ابيه اسد ابن
علقمه وكان من اصحاب عياض ابن غنم الاشعري قال لما رتب ماهان عسكره

كنا في عسكرنا وليس عندنا مما صنع الكفار خبر قال اسد ابن علقمه فلما انشق الفجر
اذن المؤذنون وتقدم ابي عبيدة رضي الله عنه فصلي بالناس وهو لا يعلم بمكيدة ماهان
فقرا في اول ركعة والفجر وليال عشر حتى قرا ان ربك لبالمرصاد هتف بهم هاتف
وهم في الصلوة وهو يقول ظفرتم بالقوم ورب العزة وما يغني كبيرهم شيئا وما
اجرا الله هذه الاية علي لسان اميركم الا بشارة لكم قال فلما سمعوا المسلمون الهاتف
عجبوا منه ومما قرا ابي عبيدة رضي الله عنه ثم قرا في الثانية والشمس وضحاها
الي قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها واذا بهاتف
يقول تم الفال وصح الزجر هذه علامة النصر فلما فرغ ابي عبيدة رضي الله عنه من
صلاته قال معاشر المسلمين هل سمعتم هاتف النصر وبلوغ الامل فابشروا بنصر
الله ومعونته فوالله لينصرنكم الله عليهم وليرسلن عليهم سوط من عذابه كما انزل
علي القرون ثم قال ابي عبيدة رضي الله عنه معاشر الناس اعلموا اني رايت البارحة
في منامي رويا تدل علي النصر علي الاعداء والمعونة من العلي الاعلي فقالوا اصلح
الله الامير ما الذي رايت قال رايت رجال عليهم ثياب بيض لم ارا كهيئة حسنها بياضها
اشراق ونورها يغشي الابصار وعلي روسهم عمايم خضر وبايديهم رايات صفر
وهم علي خيول شهب فلما اخذوا مصافهم قالوا الي تقدموا الي عدوكم ولا تهابوهم
فانكم الاعلون والله ناصركم فدعوا برجال منكم وسقوهم من كاس كان معهم فيه
شراب وكاني انظر عسكرنا وقد دخل عسكر الروم فلما راونا ولوا بين ايدينا منهزمين
فقال المسلمون اصلحك الله ايها الامير هذه بشرا اقرالله بها عينك بشرك بخير
فقال رجل من الاخولان اصلح الله الامير وانا ايضا رايت البارحة رويا قال ابي عبيدة
رضي الله عنه خيرا يكون ان شا الله ما الذي رايت رحمك الله وايانا قال رايت كانا خرجنا
نحو عدونا فصافناهم للحرب واذا قد انقضت من السما طيور بيض لها اجنحة
العقبان فاذا جات الرجل منهم ضربته ضربة فقطعته قطعا ففرح المسلمون
بتلك الرويا فقال بعضهم لبعض ابشروا فقد امنكم الله وايدكم بالنصر وامدكم
بملايكته تقاتل معكم كما فعل لكم يوم بدر وسر ابي عبيدة رضي الله عنه وقال هذه
رويا حسنه وهي حق ونا بلها النصر واني ارجوا من الله العاقبة للمتقين فقال رجل
من المسلمين ايها الامير ما وقوفنا عن هولا الكلاب الاعلاج وايش انتظارك
بالحرب وعدو الله قد اكاد نا بمطاولته وما تاخرعنا الا البلية يريد ان يوقعها
بنا قال ابي عبيدة رضي الله عنه ان المسلمين قد كبسوا في السحر فقام وفيسا وكان علي حرس
المسلمين سعيد ابن زيد ابن عمر وابن نفيل العدوي اذا قبل سعيد وهو ينادي النفير حتى وقف
امام ابي عبيدة رضي الله عنه ومعه رجل من المتنصرة فقال ايها الامير ان ماهان الكاد المسلمين
بتخلفه عن الحرب وها هو قد عبا عساكره وصف جيوشه وزحف الينا زحفه من يريد

الحرب

الكبسه لنا ونحن علي غير اهبه ولا عده وهذا الرجل قد اقبل الينا راغبا في الاسلام محذرنا
من باسه ويزعم ان ماهان قد زحف بجيوشه وقدم الينا حامية البطارقه وقد اتفق
رايهم ان يقاتلونا كل ملك من ملوكهم بمن معه يوما وهذا اصعب القتال ونظر المسلمون
الي رايات القوم تقرب منهم والصلبان قد دنوا فقال ابي عبيدة رضي الله عنه لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال اين ابو سليمان خالد ابن الوليد فاجابه بالتلبية
فقال انت لها يا ابا سليمان ابرز في ابطال المسلمين وصد عن الحريم حتي تاخذ الرجال
صفوفها وتستعد الي حربها فقال حبا وكرامه وصاح خالد اين هاشم المرقال اين
الزبير ابن العوام ابن عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق ابن الفضل ابن العباس اين
يزيد ابن ابي سفيان ابن ربيعه ابن عامر العامري ابن ميسرة ابن مسروق العبسي .
ابن ميسرة ابن قيس ابن عبد الله ابن انيس الجهني ابن صخر ابن حرب الاموي ابن
عمارة الدوسي ابن سليم ابن غنم الغنوي ابن المقداد ابن الاسود الكندي ابن
ابو ذر الغفاري ابن عمرو ابن معدي كرب الزبيدي ابن عمار ابن ياسر العبسي ابن ضرار
ابن الازور ابن عامر ابن الطفيل ابن ابان ابن عثمان ابن عفان وجعل خالد رضي
الله عنه يدعو رجل من اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم ومن شهد معه المواقع
المفضله حتي دعا بخمسمائة فارس من اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم كل رجل
منهم جيش في نفسه يقاتل في سبيل الله فجاوا الي خالد رضي الله عنه باجمعهم واستقبلوا
المشركين باسنة رماحهم واشتغل الحرب بينهم واشتغل ابو عبيدة رضي الله عنه بترتيب
الصفوف وتعبئة العسكر واقبل ابو سفيان الي ابي عبيدة رضي الله عنهم وقال ايها
الامير مر النسا ان يعلوا علي هذا التل قال فامرهم بذلك فعلون علي التل وحصن
انفسهن ومعهن الاطفال والبنات فقال لهم ابي عبيدة رضي الله عنه خذن بايديكن
العمد عمد البيوت والفساطيط وحصلن الحجارة بين ايديكن وحرضن المومنين
علي القتال فان كان الامر لنا والظفر فكن علي ما انتن عليه وان رايتن احد من المسلمين
منهزما فاضربن وجهه باعمدتكن واحصبنه بحجارتكن وارفعن اليه اولاده قائل
علي اهلك وولدك وعن بيضة الاسلام فقلن النسا ايها الامير ابشر بما يسرك
قال الواقدي رحمه الله فلما حصن ابي عبيدة النسا علي التل اقبل يعبي جيشه
وقد ابتدر الناس للقتال بعد ان عباهم ميمنه وميسره وقلبا وجناحين وقدم
اصحاب الرايات وجعل المهاجرين والانصار في القلب واظهر المسلمون العده والسلاح
وجعل عسكره ثلاث صفوف فصف فيها النباله من اهل اليمن وصف فيه اصحاب السيوف
والجحف وصف فيه الرماحه اصحاب الخيل والعده وقسم الخياله ثلاثة فرق فجعلهم
ثلاث صفوف واستعمل عليهم ثلاث من فرسان المسلمين احدهم غياث ابن حرمله
العامري والاخر مسلمه ابن سيف اليربوعي والثالث القعقاع ابن عمرو التميمي ووقف

المسلمون تحت راياتهم ووقف ابي عبيدة رضي الله عنه تحت رايته التي عقدها له
ابو بكر الصديق رضي الله عنه يوم مسيره الي الشام وهي راية رسول الله صلي الله عليه
وسلم التي سار بها يوم خيبر قال ومع خالد رضي الله عنه راية العقاب وكانت
سودا وعلي الدراجة شرحبيل ابن حسنه وعلي جناح الميمنة يزيد ابن ابي سفيان
وعلي جناح الميسرة قيس ابن هبيرة فلما ترتبت الصفوف سار ابي عبيدة رضي
الله عنه وجعل يحرض المسلمين علي القتال ويقول ان تنصروا الله ينصركم والزموا
الصبر فان الصبر منجاة من الكرب ومرضات للرب ومدفعة العدو ولا تزالوا
صفوفكم ولا تنقضوا بغينكم ولا تخطوا الرجال خطوة الا وانتم تذكرون الله عز وجل
ولا تبدوهم بالقتال حتي يبدوكم وشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزموا
الصمت الا من ذكر الله عز وجل ولا تحدثوا احدثا حتي امركم ثم رجع الي مقامه
من القلب فوقف فيه ثم خرج من بعده معاذ ابن جبل رضي الله عنه فطاف
محرضا للناس يقول يا اهل الدين وانصار الهدي والحق اعلموا ان رحمة الله لا تنال
الا بالعمل والنية ولا تدرك بالمعصية والتمني بغير عمل مرضي ولا تدخلوا الجنة
الا بالاعمال الصالحة مع رحمة الله عز وجل ولا تؤتي الرحمة موخرا والمغفرة
لكل مقدم لا يؤتاها الا الصابرين والصادقين الم تسمعوا قول الله عز وجل
وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف
الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضي لهم وليبدلنهم من بعد
خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيا ومن كفر بعد ذلك فاولئك
هم الفاسقون واستحيوا رحمكم الله من ان يراكم فرارا من عدوه وانتم في
قبضته ليس لكم ملجا من دونه ولم يزل معاذ يقول ذلك حتي رجع الي قومه
وخرج من بعده سهل ابن عمرو ومشي بين الصفوف وهو يقول لهم مثل ذلك
ورجع الي قومه وخرج من بعده ابو سفيان فطاف بين الصفوف وهو شاك
في سلاحه راكب فرسه وهو يقول معاشر الناس انتم العرب الكرام والسادة العظام
وقد اصبحتم في دار الاعلاج منقطعين عن الاهل والوطن والله لا ينجيكم منهم
الا الطعن والضرب تبلغون بذلك ربكم منهم وتنالون الفوز من ربكم واعلموا
ان الصبر في مواطن الباس مما يفرج الله به الهم وينجي به من الغم فاصدقوهم
القتال فان النصر ينزل مع الصبر فان صبرتم ملكتم بلادهم وامصارهم واستعبدتم
ابناهم ونساهم وان وليتم فليس بين ايديكم الا مفاوز لا تقطع الا بالزاد
الكثير والماء الغزير وهولاء يرجعون الي الدور والقصور فاتقوا الله سيوفكم
وجاهدوا في الله حق جهاده ولا تموتن الا وانتم مسلمون ثم خرج من بين الصفوف
واقبل علي النسا وهن علي التل وفيهن المهاجرات وبنات الانصار ومعهن

والادهم

اولادهن فقال لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان النسا ناقصات عقل
ودين فكن ممن حفظن اديانهن وقدمن في ذلك النيه وحرضن ازواجكن على القتال
ومن رجع منهم منهزما فاحصبن وجهه بالحجارة واضربن جواده بالعمد واظهرن
اطفالكن حتى يرجع قال فوقفن النسا مستعدات وهن متحزمات ومرتجزات
باشعارهن ورجع ابو سفيان الى موضعه وهو يقول معاشر المسلمين قد حضر ما ترون
وهذا رسول الله امامكم والشيطان والنار وراكم واقبل حتى وقف في مكانه ولم تغن
مكيدة ماهان شيا وزحفت الروم الى درابها حين راوا خالد رضي الله عنه زحف
اليهم في خمسمائة فارس فخاروا لذلك ورجعوا فلما اصطفت الصفوف وعبا
المسلمون كتايبهم صرخ ماهان بالروم فقال ما يوقفكم عن قتالهم ارجعوا اليهم
فزحف الروم الى المسلمين ونظر خالد رضي الله عنه الى جيش عرموم وسيوف تلمع وكان
قد انفرد منهم ثلاثون الفا من عظمايهم وحفدوا لهم في الميمنة حفاير ونزلوا
فيها وشدوا ارجلهم بالسلاسل واقترن كل عشرة في سلسلة النحاس بالحفيظة
والا يفروا وحلفوا بعيسى ابن مريم والصليب الاعظم والقسيسين والرهبان
والكنايس الاربعة ان لا يفرون او يقتلون فلما نظر خالد رضي الله عنه الى ذلك قال
لمن حوله من جيش الزحف هذا يوشك ان يكون يوما عظيما ثم قال اللهم ايد المسلمين
وافرغ عليهم الصبر ثم اقبل على ابي عبيدة رضي الله عنهما وقال ايها الاميران
القوم قد اقترنوا في السلاسل وزحفوا الينا بالقواضب ويوشك ان يكون
يوما عظيما فاقبل ابو عبيدة رضي الله عنه الى الناس وقال ان عدد القوم كثير
وما ينجيكم الا الصبر ثم قال لخالد رضي الله عنهما ما الذي ترى من الراي يا ابا سليمان
قال خالد رضي الله عنه اعلم ان ماهان قد قدم حامية اصحابه امام جيوشه
وصفهم بازاء المسلمين قال الواقدي رحمه الله وكان ماهان قد قدم
امامه من الروم من ذكرت شجاعته وعرفت براعته واشتهر بالثبات في بلادهم
مائة الف فلما نظر خالد رضي الله عنه اليهم شهد لهم انهم من اهل الشدة فقال لابي عبيدة
رضي الله عنهما ان من الراي ان توقف في مكانك الذي انت فيه سعيد ابن زيد وتقف
انت من ورايه بحذايه في خمسماية وثلثمائة من اصحابك فاذا علم المسلمون انك
من ورايهم استحيوا من الله سبحانه وتعالى فلا ينهزمون قال ففعل ابو عبيدة مشورة
خالد رضي الله عنهما ودعا بسعيد ابن زيد رضي الله عنه وهو احد العشرة الذين رضي الله عنهم
اجمعين لقوله تعالى لقد رضي الله عن المومنين الايه فاوقفه في مكانه ثم انتخب
ابو عبيدة رضي الله عنه مايتي فارس من فرسان اليمن وفيهم رجال من المهاجرين
ووقف بهم من وراء الصف يحذا سعيد ابن زيد قال حدثني ورقة ابن مهلهل
التنوخي وكان صاحب راية ابي عبيدة رضي الله عنه يوم اليرموك قال وكان اول

من استفتح الحرب يوم جيش الاسلام غلام من الازد حدث السن فقال لابي عبيدة
رضي الله عنه ايها الامير اني قد اردت ان اشفي قلبي واجاهد عدوي وعدو الاسلام
وابذل نفسي في الله لعلي ان ارزق الشهادة فهل تاذن لي بذلك وان كان لك حاجة الي
الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرني بها فبكا ابي عبيدة رضي الله عنه وقال اقرا محمد
عني السلام وخبره بانا قد وجدنا ما وعد ربنا حقا قال والوي الغلام الازدي راس
جواده وحمل يريد الحرب فخرج اليه علج من علوج الروم تام من الرجال علي فرس اشهب
فلما راي الغلام دلف نحوه وقد حبس نفسه في سبيل الله فلما قرب منه قال
لابد من طعن وضرب صايب بكل لدن وحسام قاضب وحمل كل واحد منهما علي
صاحبه فابتدر الغلام الازدي للرومي بطعنه فجدله صريعا واخذ عدته وجواده
وسلم ذلك لرجل من قومه ثم عاد ودعا للبراز فخرج اليه ثانيا فقتله وثالث
ورابع حتى قتل اربعة وخرج اليه خامس فقتل الازدي رحمه الله فغضبت الازد
عند قتل صاحبهم ودنت من صفوف المشركين فعند اقبلت الروم وزحفت كالجراد
المنتشر حتى ناطرفهم من ميمنة المسلمين فقال ابي عبيدة رضي الله عنه ان
اعدا الله واعداكم قد تاهبوا للحملة واعلموا ان الله معكم فثبتوا انفسكم
بالصبر والصدق والنصر من عند الله ثم لحظ السما بطرفه وقال اللهم اياك نعبد
واياك نستعين ولك نوحد ولا نشرك بك شيا وان هولاي الاعدا يكفرون
بك وباياتك ويتخذون لك ولدا اللهم انصرنا عليهم يا من قال في كتابه واعتصموا
بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير اللهم زلزل اقدامهم وارعب قلوبهم وانزل
علينا السكينة والزمنا كلمة التقوي وانما عذابك يا من لا يخلف الميعاد فبينما
هو يدعو بهذه الدعوات اذ حملت الروم علي ميمنة المسلمين وكان فيها الازد
ومذحج وحضرموت وحمير وخولان فحملت عليهم الروم حملة واحدة فصبر
لهم المسلمون وقاتلوا قتالا شديدا وثبتوا ثباتا حسنا فحملت فيهم كتيبة
ثانية فصبروا لهم صبرا جميلا وحملت عليهم كتيبة ثالثة فزال المسلمون عن الميمنة
فانكشفت طايفة من الناس الي العسكر وثبتت طايفة ثباتا حسنا وقاتلوهم
تحت راياتهم وانكشفت زبيد يومئذ وهم في الميمنة فابتدر فيهم عمرو بن معدي
كرب الزبيدي وهو مقدم علي زبيد والامير فيهم وهم يعظمونه لما سبق
لهم من شجاعته في الجاهلية وكان يوم اليرموك قد مر له من عمره مائة وعشرون
سنة الا ان فيه همة الشجاعة فلما نظر الي قومه انكشفوا صاح فيهم يا آل زبيد
تفرون من الاعداء تفرون من شرب كوس الردي اترضون لانفسكم بالعار
والمذلة فما هذا الانزعاج من كلاب الاعلاج اما علمتم ان الله مطلع على
المجاهدين الصابرين فاذا نظر اليهم قد لزموا الصبر في مرضاته وثبتوا القضا به

امدهم بنصره وايدهم بصبره فاين تنهزمون من الجنة ارضيتم بالعار وغضب الجبار
فلما سمعت زبيد كلام سيدها عمرو ابن معدي كرب والحجاج ابن يعقوب والله
اعلم تراجعوا اليه كعطفة البهم علي اولادها فاجتمعوا من حوله وهم زها علي
خمسمائة راجل وشرف علي الروم شدة واحدة وحملت معهم حضرموت وخولان
وحملوا علي الروم حملة مصعبة فما زالوا الروم عن مواضعهم وحملت دوس علي
المشركين مع ابو هريرة رضي الله عنه فهز رايته وجعل يحرض قومه علي القتال وجعل
يقول يا ايها الناس سارعوا الي معانقة الحور العين وجوار رب العالمين في جنات النعيم
وما من موطن احب الي الله من هذا الموطن الا وان الصابرين فضلهم الله علي غيرهم
الذين لم يشهدوا مشهدهم فلما سمعت دوس مقالته طافوا به وحملوا علي الروم
ودارت كما تدور الرحا وتكاثفت جموع الروم علي المسلمين فالقوهم علي القلب فصبر
لهم المسلمون صبرا جميلا ودفعت عليهم كتيبة اخري فانهزمت ميمنة المسلمين
راجعة علي اعقابها والخيل تنكص باذنابها وخرجت منكشفة انكشاف الغنم
بين يدي الاسد ونظر النسوان خيول المسلمين منهزمة فنادت النسا يا بنات
العربيات دونكن والرجال ردوهم عن الهزيمة قالت سعيدة ابنة عاصم الخولاني
كنت في جملة النسا يومئذ علي التل فلما انكشفت الميمنة صاحت بنا عفيرة
ابنة عفار وكانت من المرجلات البازلات نادت النسا يا نسا العربيات دونكن
والرجال واحملن اولادكن علي ايديكن واستقبلوهم بالتحريض قال فاقبلت النسوة
يرجمن وجوه الدواب بالحجارة وجعلت ابنة العاص ابن امية تنادي قبح الله وجه
رجل يفر عن حليلته وجعلن النسا يقلن لبعولتهن لستم لنا ببعولة ان لم تمنعونا
من الاعلاج قال العباس ابن سهل الساعدي كانت خولة ابنة الازور وخولة ابنة
ثعلبة الانصارية ولعوب ابنة مالك ابن عاصم وسلمى ابنة هاشم ونعم ابنة فياض
وامثالهن وهن امام النسا والمزاهر معهن وخولة تقول شعر يا هاربا عن نسوة ثقات
لهن جمال ولهن ثبات تسلمهم طرا الي الهنات تملك نواصيهم مع البنات وجعلت تحرض علي
القتال فرجع المنهزمون رجعة عند ما سمعوا من تحريض النسا وخرجت هند بنت
عتبة وبيدها مزهر ومن خلفها نسا من المهاجرات وهي تقول الشعر الذي قالته يوم
احد في قتال النبي صلى الله عليه وسلم وهو نحن بنات طارق نمشي علي النمارق مشي القطا الاوامق
المسك في المفارق والدر في المخانق ان تقبلوا نعانق او تدبروا نفارق فراق غير وامق
هل من كريم عاشق يحمي عن العواتق ثم استقبلت خيل ميمنة للمسلمين فرات منهزمين
فصاحت بهم الي اين تفرون من الله ومن جنته وهو مطلع عليكم ونظرت الي ابي سفيان منهزما
فضربت وجه حصانه بعمودها وقالت الي اين يا ابن صخر ارجع الي القتال وابذل مهجتك
حتى تمحص عنك ما سلف من تحريضك علي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزبير

ابن العوام فلما سمعت كلام هند ابنة سفيان ذكرت يوم احد ونحن بين يدي رسول الله
صلي الله عليه وسلم ففطن ابو سفيان نعته ما سمع ذلك من كلامها وعطف المسلمون معه
ونظرت الي النسا وقد حملن معه فلقد رايتهن وهن يسابقن المسلمين وهن بين ارجل
الدواب ولقد رايت المراه منهن تقتل العلج العظيم وهو علي فرسه فيتعلق به فلا يفارقه
حتي تنكسه عن الجواد ثم تقتله وتقول هذا بيان نصر الله للمسلمين قال الزبير فحمل المسلمون
حملة صعبة لا يريد ونعتبر رضي الله ورضي رسوله وقاتلت الازد مع ابي هريرة قتالا شديدا
حتي فشا فيهم القتل واصيب منهم خلق كثير لانهم لقوا الصدمة الاولي بانفسهم فاستشهد
منهم ما لم يستشهد من غيرهم من القبايل قال سعيد ابن زيد وكان القتال في الميمنة شديد وكنا
ننهزم مرة ونعود مرة وساعة نتاخر قال ونظر خالد الي الميمنة وقد وصلت الي القلب
فصاح بمن معه من الخيل ومال عليهم في زها علي ستة الاف فارس وكبر وحمل علي الروم فانكا
فيهم نكاية عظيمة حتي كشف اعداء الله عن الميمنة والقلب وردهم علي اعقابهم ثم زحف
حتي رد الميمنة والقلب الي مواضعها ووقف خالد امامهم بطارد من كان من الروم قريب
من المسلمين فانكسرت الروم امام خالد كسرة عظيمة شديدة ونظر خالد الي فرسانهم فنادي
يا اهل الاسلام والايمان ويا قراء القران قد تبينت في القوم الكسرة ولم يبق عند القوم
من الجلد والقتال الا ما رايتم وقد كسر سعدتهم فرد ولعليهم الكر وشد ولعليهم رحمكم الله
فوالذي نفس خالد بيده اني لارجوا ان يمنحكم الله اكتافهم قال فناداه المسلمون من كل جانب
يا خالد احمل حتي نحمل معك قال فانتضي خالد سيفه وحمل في اصحابه قال عبد الرحمن
ابن حميد الجمحي كنت فيمن حمل مع خالد فوالله لقد انكشفت الروم بين ايدينا وولت كانوا
الغنم بين يدي الاسد وتبعهم المسلمون فكانت الحملة علي ميمنة الروم فانكشفوا
انكشافا قبيحا واما السلسلة فما برحوا من مكانهم وكانوا يرمون بالنشاب وهم
حماة القوم قال عبد الرحمن وكان خالد امامنا في حملته ونحن من وراءه وكان
شعارنا يومئذ يا محمد يا منصور فلم يزل خالد في حملته الي ان وصل الي الدريجان وكان
وكان قايما في موضعه الذي اقامه فيه ماهان ومعه صليب من الجوهر واصحابه ينظرون
الي حملته فيحملون معه فلما وصل خيل المسلمين الي موضعه قالت له البطارقة اما تحمل
فنحمل معك او تولي فقد خالطتنا خيول العرب فقال لاصحابه اعلموا ان يوم الشر لا احب
ان اراه ولا احضره ولقد احضرني الملك هذا الموقف وانكاره له ولكن لفوا راسي
ووجهي في هذا الثوب حتي لا اري الحرب قال فلفوا راسه ووجهه في ثوب من
الديباج والناس يقتتلون حتي انهزمت الروم من بين يدي المسلمين ووصلوا
الي الدريجان وهو ملفوف الراس فحمل عليه ضرار وطعنه طعنة نافذة فقتله
قال الواقدي وكان من حسن صنع الله بالمسلمين ان جرجير وقناطر
اختلفا وتنازعا وكان جرجير في الميمنه في الارمن وقناطر في الميسره بجيشه قال

واظهروا التهليل والتكبير وقام ابو عبيدة يمشي بين المسلمين وهو متكي على يد خالد بن
وجعل يتفقد الناس ويشد جراحاتهم بيده ويقول ايها الناس انعدوكم يالمون كما
تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وسار ابو عبيدة مع خالد ابن الوليد تخلل خيام
المسلمين طول ليلته حتى الصباح قال هذا ما كان من امر المسلمين واما ماهان فجمع
بطارقته فوبخهم وزجرهم وقال لهم قد علمت ان هذا يكون منكم مما رايت اولا من
قتلكم وجزعكم من العرب الضعفاء قال فاعتذروا اليه وقالوا غدا نبارزهم فان
فينا فرسانا وشجعانا الى الان لم يقاتلوا وغدا نضمهم القتال فتكون لنا عليهم
العاقبة فسكت ماهان من توبيخه اياهم وامرهم باصلاح سلاحهم وان ياخذوا
اهبتهم ففعلوا ما امرهم وبات الفريقان يحترسون وقد رعبت قلوب الروم لما راوا
من كثرة القتلى فيهم واما المسلمون فهم اقوى قلوبا منهم لدينهم وصحة نياتهم فلما
اصبح صلى ابو عبيدة بالمسلمين صلاة الخوف واذا بالصلبان قد برزت ورايات الروم قد
طلعت في عدد الشوك والشجر كانهم لم يلاقوا عدوا ولا قتالا اولا واخرا فوقفوا في مصافهم
ونصب لماهان سرير على التكتيب الذي كان يجلس عليه ويشرف منه على العسكرين
وامرهم ان يعبوا مصافهم ولا يقاتلوا فاخذوا مصافهم ولزموا امر نيتهم فلما نظر المسلمين
الى سرعة الروم الى القتال صاح كل امير برجاله وحرضهم على القتال فانقلبوا من الصلاة
الى الخيل فركبوها ولبسوا السلاح ورجع كل امير الى موضعه يعظ اصحابه ويعدهم من الله
عز وجل بالنصر وسار ابو عبيدة بين الصفوف وجعل يصف لهم فضل الجهاد وما اعد الله
للمجاهدين وخلف على النساء والذراري والاموال والانقال عمير ابن سعيد الانصاري وجعل
على الرجالة سعيد بن زيد وقدم الرامية من مزينة والانصار وجعل خمسمائة منهم من الميمنة
وخمسمائة في الميسرة وخمسمائة في القلب وطاف ابو عبيدة عليهم وقال معاشر الناس
الزموا مراكزكم فان رايتم القوم قد زحفوا الينا جميعا فارشقوهم بالنبل واذكروا اسم الله
عليه عند رميكم ولا تتركوها متفرقة ولتخرج نبالكم من قسيكم كانها من كبد قوس واحد
وان زحفوا اليكم فاثبتوا في اماكنكم حتى ياتيكم امري ففعلوا ما امرهم الامير ابو عبيدة
وتقدم ابو سفيان الى ولده يزيد والراية بيده وحوله اصحابه وقد عزموا على الحماية والجهاد
وقال يا بني احسنت احسن الله اليك فعليك بتقوى الله والصبر فانه ليس احد في هذا
الوادي يعني اليرموك الا وهو متجلبب بالصبر فاتق الله حق تقاته وانصر دين الله وشرع
نبيه واياك والجزع فيما قضاه ربنا قد امضاه واصبر مع اصحابك صبرا ولي العزم واياك
ان يراك الله منهزما فتبوء بغضب الله قال يزيد ساصبر جهدي وطاقتي والله اسال له
معينا وناصرا وصاح يزيد برجاله وهز رايته وندبهم الى القتال وحمل على من يليه
من العدو ومعه قومه فقاتلوا قتالا عظيما فعجب الناس منه ولم يزالوا كذلك حتى
انكوا في العدو نكاة عظيمة وابلوا بلاء حسنا وكان قتالهم من جانب القلب ولم يزل يزيد

كذلك في فعله وباسه حتى برز اليه بطريق من البطارقة ذو حنق ومنعة وشدة وباس وبيده
رمح عليه صليب من ذهب وحوله زهاء على عشرة الاف من الروم فعطفوا على الميمنة وكان
فيهم عمرو بن العاص فرموا بعمرو ومن معه فولوا على اعقابهم منكشفين حتى دخلت
الروم في اوايل عسكر المسلمين مما يلي الميمنة وعمرو ومن معه يتراجعون حتى الحقوا
بالتل الذي عليه النسا واحاطت الروم بالتل فصاحت امراة من نسا الانصار اين
انصار الدين اين حماة الاسلام قال وكان الزبير بن العوام جالسا عند زوجته اسما
بنت ابي بكر لانه اوى بعينيه وكان رمدا اذ سمع صياح المراة اين انصار الدين فقال
يا اسما ما لهذه المراة تصيح اين انصار الدين فقالت له عفيرة بنت عفار يا ابن عم
رسول الله هزمت ميمنة المسلمين حتى الجاتها الروم الينا واختلط بنا الاعلاج وهذه
الانصارية تستنصر بانصار الدين فقال الزبير انا والله من انصار الدين ولا يراني
الله سبحانه جالسا ثم طرح الخرقة عن عينيه واستوى على متن جواده واخذ قناته
وحمل وانتمى باسمه وقال في حملته انا الزبير بن العوام انا ابن عم رسول الله وحمل يطعن
فيهم طعنا متداركا حتى ردهم على اعقابهم وخيلهم تنكص با ذنابها قال ليث
بن جابر فلله در الزبير بن العوام انا ابن عم رسول الله لقد رد الروم بنفسه اذ حمل
عليهم وحده وما كان معه من العرب غيره حتى الجاهم الى عسكرهم وتراجعت خيل
عمرو ورجاله وهو ينادي الرجعة الرجعة الجنة الجنة الحزم الحزم يا اهل الاسلام
الصبر الصبر ثم حمل عمرو ومن معه وجلاها بعد انهزامهم قال الواقدي
وحمل ايضا جرجير الارمني في ثلاثين الفا من الارمن على شرحبيل بن حسنة فانكشف
اصحاب شرحبيل ولم يثبت غيره لقتال الروم في عصبة من قومه دون الخمسماية
رجل فحمل شرحبيل يحمل على الارمن ثم يرجع وينادي يا اهل الاسلام افرارا من
الموت الصبر الصبر فتراجع اصحابه اليه وحمل عند رجعتهم على الارمن فردهم
على اعقابهم وحملوا يضربون وجوههم بالسيوف ويطعنون فيهم بالرماح ويرشقونهم
بالنبال حتى اصابوا من الارمن ما لم تصب الارمن منهم عند هزيمتهم ثم رجع شرحبيل
الى مكانه ودار اصحابه فاقبل بعضهم بالعتاب ويقول ما الذي اصابكم حتى انهزمتم
امام هولا الاعلاج القلف الكفره وانتم الحماة الكرام البرره فقالوا يا صاحب رسول
الله تلك زلة كانت من الشيطان مثل يوم احد وحنين وها نحن معك فاحمل حتى نحمل
معك فجزاهم خيرا ووقف في موقفه مما يلي سعيد بن زيد ولزموا مواقفهم لم يتحركوا
ونظر قيس بن هبيرة الى فعل شرحبيل وقد ارجعت فخرج فيمن معه وحمل على العدو
وهو ينادي بشعاره وسمع خالد بشعار قيس فخرج خالد من ورا الجوع ونادى هو واصحابه
بشعارهم وكان شعارهم يا انصار الله يا نصر الله انزل يا منصور امت امت وكان هذا شعار
المسلمين يوم بدر واحد وحمل خالد على الروم من ذات اليمين وحمل قيس بن هبيرة من

ذات الشمال فقاتلوهم قتالا شديدا وجالت الروم جولة منكرة فلله در الزبير ابن العوام وهاشم
المرقال وخالد بن الوليد لقد حملوا حملة واحدة حتى قربوا من سرادق ماهان وتوافقت
الروم على سرادق ماهان وخيامه فلما نظر ماهان الى ذلك ولى عن سريره هاربا وصاح
ابو عبيدة وسعيد بن زيد فحملا ومن معه وهم ينادون لا اله الا الله محمد رسول الله يا منصور امت امت
يا نصر الله انزل وصكوهم صكة واحدة وقد انزل الله نصره على المسلمين واقبلوا يقتلون
الروم قتلا ذريعا فبينما المسلمون في حملتهم اذ سمعوا قايلا يقول يا نصر الله انزل يا نصر الله
اقترب ايها الناس الثبات الثبات قال عامر ابن اسلم فقابلنا الصراخ فاذا ابو سفيان وهو
تحت راية ابنه يزيد وشدت الامرا باجمعهم على من يليهم وقاتلوا قتالا شديدا ولم
يكن في الروم اثبت من اصحاب السلاسل فانهم يتنوا في اماكنهم يمنعون من اتاهم ولما
الرماة من الارمن فانهم كانوا في القلب من عسكر الروم وهم مائة الف رام وكانوا اذا رشقوا
بسهامهم نحو العرب يسترون ضوء الشمس فلولا النصر والمعونة من الله لكان المسلمون
يهلكون وانفصل المسلمون فرحين مستبشرين والمشركون قد هلك اكثرهم قال وطلع
علج من علوج الروم كانه نخلة باسقة وعليه درع مذهب وعلى راسه بيضة مذهبة
عليها صليب من ذهب مرصع بالجواهر وهو راكب على شهري عال وعليه زرد الحديد وبيده
رمح فجال العلج واشهر نفسه وسال النزال فنظر المسلمون الى عظمه وهوله فجعلوا ينظرون
اليه فقال ابو عبيدة معاشر الناس لا يهولنكم ما ترون من عظم خلقته فكم ترون من
عظيم الخلقة لا قلب له فمن له منكم ايها الناس فاستعينوا بالله عليه فخرج اليه
عبد من عبيد العرب وكان اسود اللون وبيده سيف وحجفة وهو راجل فلما هم ان يدنوا
من العلج صاح مولاه وكان ذو الكلاع الحميري فلما رد عبده خرج مبادرا وقصد نحو
العلج وجال جولة منكرة وكان ذو الكلاع الحميري من اهل الشجاعة فجال على العلج برمحه
وجال العلج عليه وكلاهما رامحان ثم التقيا وتطاعنا طعنا شديدا حتى كلا من الطعان
وانفصلا ساعة ثم تجاذبا بالسيفين فالتقيا بهما فضرب ذو الكلاع الحميري العلج
وضربه العلج ايضا ضربة وكان سيف العلج قاطعا وساعده قويا فقطع درقة ذي الكلاع
ودرعه وما تحته من الثياب ووصلت الضربة الى عضده الايسر فجرحه جرحا حتى
ابلغ فيه فثقلت يده عليه فلما نظر ذو الكلاع الى ذلك عطف براس جواده يريد
المسلمين ونظر العلج الى ذي الكلاع وقد عطف راجعا فطمع فيه وصاح ببرذونه ليلحقه
وكان فرس ذي الكلاع سابقا فلم يلحقه العلج حتى لحق المسلمين فاتى الى رايته قومه
من حمير والدم يفور من الضربة كالانبوب واجتمع اليه فرسان حمير قالوا اما وراك
ايها الامير فقال يا فرسان حمير اياكم والعجب فلا تتكلوا يقينا انكم على السلاح
ولكن اتكلوا على الله عز وجل قالوا وكيف ذلك ايها السيد فقال لاني رددت عبدي عن القتال
شفقة عليه اذ ليس عليه لامة وقلت انا افرس من عبدي واجود عدة ولامة فصنع بي

هذا الاغلف ما ترون والله ما لحقني مثلها في حرب قبل ذلك فشدت حمير جرحه ووقف
ذو الكلاع تحت رايته يحملها له رجل من قومه فصاح ذو الكلاع الحميري بقومه يا رجال
حمير ان كان سيدكم قد رجع كالا فما منكم من احد ياخذ له بثاره فبرز فارس من فرسان
حمير وعليه سابغ اليمن من الابراد كانه جمرة نار وحمل نحو العلج مصمما وجال معه جولة
عظيمة وعطف الحميري على العلج بطعنة ابتها في صدره وارداه بها قتيلا وعجل الله
بروحه الى النار وهم الحميري ان ينزل عن فرسه وياخذ سلبه فحمل عليه كردوس من الروم
فكشفوه عنه فردهم الحميري صاغرين ثم رجع الى العلج فاخذ سلبه واقبل بالسلب الى
ابي عبيدة فاعطاه اياه فدفع ذلك السلب الى قومه ورجع الى مقامه من القتال فخرج
اليه علج اخر فقتله واخر فقتله وخرج اليه رابع فقتل الحميري وهم العلج ان ياخذ سلبه
فرماه رجل من رماة الانصار بنبلة فوضعها في لبته جند له بها صريعا وعجل الله بروحه
الى النار فسقطا جميعا فصاحت البطارقة بعضها ببعض وهاج واجمع المسلمين وكان
صاحب نابلس فصاح بهم ماهان وسكنهم من اضطرابهم وخرج الى القتال ملك اللان
وكان يقال له مربولس وعليه لامة الملوك وقد اظهر وباجه وجوهرة وفي وسطه منطقة
مرصعة فجال بين الصفين واشهر سيفه وعرف بنفسه وقال انا ملك اللان فلا يبرز
الي الا اميركم فخرج اليه شرحبيل وبيده الراية وعليه درع من فوقه كزاغند متمنطق بمنطقة
من ادم على فرس اشهب فقال ابو عبيدة من هذا الذي قد خرج الى العلج قالوا شرحبيل
فبعث اليه ابو عبيدة يقول ادفع الراية لمن شئت واخرج من غير راية فلما بلغه ذلك
من الرجل الذي نفذه دفع له الراية وقال قف بها في موضعي فان قدر علي بقضا
الله شيء فادفع الراية الى ابي عبيدة وخرج شرحبيل نحو العلج وهو يقول
ساحملن في الليام بني الاعادي بكل مثقف له وحداد فيا بوس القيصر يوم ياتي وجمع
الروم شرد في البلاد قال فسمع اللاني شعر شرحبيل فلم يفهمه وكان اللاني يفهم
قولا قليلا بالعربية فقال يا عربي ما تقول قال له شرحبيل وقول كلاما يقوله العرب
عند برازها تشجع انفسها وتثق بوعد الله الذي وعده نبينا فقال ملك اللان وما الذي
وعدكم به نبيكم قال شرحبيل وعدنا الله على لسان رسوله ان الله يفتح لنا البلاد في الطول
والعرض ونملك الشام والعراق وخراسان وانا نقاتل الترك واللان فتكون من الظافرين
ينصر الله لنا قال ملك اللان ان الله لا ينصر من بغى وانتم تبغون علينا وتطلبون منا ما ليس
لكم بحق قال شرحبيل بل نحن قوم امرنا الله ان نقاتلكم على قول لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله واني اراك يا ملعون تعرف بلغة العرب فلو تركت ما انت عليه من عبادة
الصليب ودخلت في دين الاسلام لكنت من اهل الجنة وسعدت فقال له ملك اللان
ما اترك دين سيدنا المسيح ابدا فان دينه حق فقال له شرحبيل لا تقل انه اله معبود ولا
انه قتل وصلب فان الله سبحانه احياه في الارض ما شاء ورفعه متى شاء وهو عبد الله

ورسوله فقال له ملك اللان لست ارجع عن قولي ثم استخرج صليبا من عنقه فقبله وتركه
على عينيه واقبل يستنصر به فغضب شرحبيل من فعاله وقال له يا ويلك تبا لك ولمن معك
ولمن تقول بقولك ثم جال عليه ولهذا في القتال وجالا طويلا ولم يزالا في المجادلة ساعة
ورمقهما الابصار وجعل المسلمون يدعون لشرحبيل بالنصر والمعونة ونظر شرحبيل الى شدة
المشرك وباسه وجود مراسه فانكر بين يديه كالمنهزم فظن العلج انه منهزم وتبعه
وقصر شرحبيل من سعي جواده حتى علم شرحبيل انه قاربه فقلب العنان اليه وعطف
بالقناة اليه يريد ان يطعنه في نحره فراغ المشرك عن الطعنه وتحاسا لما ثم قال يا معاشر
العرب لا تدعون الخديعة والمكر فقال له شرحبيل صه يا ويلك اما علمت ان الحرب خدعة
والحيل والمكر راسها فقال له العلج فما الذي يفعتك حيلتك ثم رجعا الى الحملة وتضاربا حتى
انقطع السيفان من ايديهما واعتنقا معانقة شديدة وكان للمشرك اعظم جثة واشد منعة
وكان شرحبيل نحيف الجسم كثير الصيام فضغط عليه المشرك ضغطة عظيمة اوهنه بها
وهم ان يقلعه من سرجه والفريقان ينظران اليهما قال ضرار ابن الازور فداخلني والله الغيظ
وقلت لنفسي ويحك يا ضرار يقتل هذا العلج كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت تنظر اليه
فما الذي يمنعك عن نصرته قال الراوي فخرج ضرار نحوهما راجلا يسعى على قدميه كالافعى
الهماء حتى قرب منهما وهما لا يعلمان به جميعا وكان بيده خنجر فوجا به العلج من ورائه فاطلع
الخنجر من قبله فسقط العلج من ظهر جواده قتيلا وخلص شرحبيل من الضغطة قال
ولما سقط العلج عن ظهر جواده نزل اليه شرحبيل وضرار وسلباه ما كان عليه من لامة
حربه وركب ضرار جواده وانثنى هو وشرحبيل نحو المسلمين فهنا المسلمون لشرحبيل بالسلامة
وشكروا ضرار على فعله ثم ان شرحبيل اخذ سلب العلج اليه فنازعه فيه ضرار وقال ان السلب
لي لاني قتلت العلج فقال شرحبيل لا بل انا قتلته فاختصما في ذلك الى ابي عبيدة فخاف ابو عبيدة
ان يحكم بينهما فيه ولا يرضيا بحكمه وكتب الى امير المومنين عمر ابن الخطاب يقول له يا امير المومنين
ان رجلا خرج الى البراز وقاتل علجا من علوج الروم وبلغ معه في الحرب الجهد جهيد وخرج اخر
من المسلمين فاعان الرجل وقتل العلج ولم يسم الرجلين فالسلب لمن هو منهما فجاء الجواب من
عمر ان السلب للقاتل فاخذ ابو عبيدة السلب من شرحبيل ودفعه الى ضرار فقال رجل لشرحبيل
كيف فاز ضرار بالسلب دونك فقال له ذلك من فضل الله يوتيه من يشاء قال ولما قتل ضرار
ابن الازور ملك اللان غضب الروم وخرج منهم شجاع وطلب ساحة البراز فخرج اليه الزبير
بن العوام فقتله واخذ سلبه وبرز ثان فقتله الزبير واخذ سلبه وبرز ثالث ورابع
فقتلهما واخذ سلبهما فقال خالد لابي عبيدة ان الزبير قد تجرد اليوم للروم وبذل نفسه
لله ولرسوله وانا نخاف عليه من التعب وصاح ابي عبيده بالزبير وعزم عليه ان لا يخرج
فرجع الزبير الى مقامه وخرج خامس من الروم فخرج اليه خالد فقتله وكان ملك الروسية وهو

زوج ابنة ملك اللان فقوم سلبه وتاجه ومنطقته وصليبه ودرعه بخمسة عشر الف الف
فاخبر ماهان بذلك فغضب وقال هذا ملك من ملوكنا قد قتله واني اظن المسيح ان لا ينصرنا ثم امر
الرماة ان يرموا عن يد واحدة فرموا سهامهم واطلقوا نحو المسلمين دفعة واحدة مائة
الف سهم عن كبد واحد وكان النشاب يقع في عسكر المسلمين كسقوط البرد من السما وكثر
القتل في المسلمين والجراح وعور من المسلمين سبعمائة عين في ذلك اليوم فسمي يوم
التعوير وكان من اصيب المغيره وسعيد ابن عمرو وبكر بن عبد الله وكان الرجل بعد ذلك
يلقى الرجل فيقول له ما الذي اصاب عينك فيقول الاخر لم تقول مصيبه بل قل نعمة من الله
ثم قال وعظم وقع السهام في عسكر المسلمين حتى ما كنت تسمع الا من يصيح واعيناه وابصراه
واضطرب المسلمون اضطرابا شديدا وجذبت العرب اعنة خيلها راجعة على اعقابها
ونظر ماهان الى اضطراب المسلمين فحرض الرماه والروم وصاح برجاله وزحفت السلسلة
نحو جيش المسلمين وحمل جرجير وقناطر فقال لهم ماهان اثبتوا الان وارموا المسلمين
بالنشاب فما لهم غير فزادت الرماه في رميها وزحفت السلسلة بحديدها والبوارق
تلمع في كف الرجال كمقابيس النيران والحرب دايرة على ساق واخذ المسلمون على انفسهم
الاشفاق فلما وصل اليهم من الم وقع الاحداق قال عباد بن عامر فنظرت الى جيوش المشركين
نحونا سايره وفرسان المسلمين متاخره وخيلهم ناكصه فقلت لا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم اللهم انزل علينا نصرك الذي نصرتنا به في المواطن كلها ثم صحت في رجال
حمير يا حمير تفرون من الجنة الى النار ما هذا الفرار اما تخافون من العار قال عباد ابن عامر
فما اجابني والله احد كانهم صم ما يسمعون قال فقلت ان كان قبيلتك حمير قد اصمت
عن الجواب فجعلت اهتف بقبايل العرب فكل قد شغل بنفسه عن اجابتي فجعلت اكثر
من قول لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فما كان غير بعيد حتى نزل النصر من
السما وذلك ان المسلمين انقلبوا راجعين نحو نزل النسا ولم تثبت معهم غير اصحاب الرايات
قال عبد الله ابن قرط الازدي وشهدت قتال الشام كله فلم اشهد ولم اشاهد قتالا اصعب على
المسلمين من يوم اليرموك ولم اشهد في اليرموك اشد قتالا من يوم التعوير ورجعت خيل
المسلمين على ادنابها وقاتلت الامرا بانفسها والرايات بايديها حتى ان ابا عبيدة ويزيد
ابن ابي سفيان وعمرو ابن العاص كانوا يقاتلون قتال الموت قال ونظرت الى شرحبيل وضرار وهاشم
المرقال والمسيب بن نجبه وعبد الرحمن بن ابي بكر والفضل بن العباس يقاتلون قتالا عظيما
في ذلك اليوم قال عبد الله بن قرط فقلت في نفسي وكم مقدار ما يقاتلون هولا وهم نفر
يسير حتى اسعدنا الله بحملة النسا الذين يشهدون المواضع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروي عن راشد الزهري قال كان النسا يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فيداوين
الجراح ويسقين الما ويبرزن الى القتال فلم ار امراة من نسا قريش قاتلت بين يدي رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم ولا في اليمامه مع خالد مثل ما قتلن نساء قريش يوم اليرموك
حين دهمهن القتال وخالط الروم المسلمين فضربن بالسيوف ضربا وجيعا وذلك في
خلافة عمر وكان قد انضم الى نساء المهاجرين نساء من لخم وجذام من المومنات وقامت
الحرب على ساق ولاحت الاثار رفنادين النساء بانسابهن وامهاتهن والقابهن
قتال الموت ويضربن وجوه الخيل بالعمد ويلوحن بالاطفال وجعل بعضهن يقاتلن
مع المشركين وبعضهن يقاتلن المسلمين حتى رجعوا الى القتال وبعضهن يسقين الماء وبعضهن
يشددن الجراح فبينما هن يقاتلن وقد احمي الرجال اذ انهزمن من نساء لخم وجذام
وخذلن المسلمين فخرجت اليهن خوله بنت الازور وام حكيم ابنة الحارث وسلمى ابنة
لوي وجعلن يضربن روسهن ووجوههن بالعمد ويقلن لهن اخرجن من بيننا فانكن نوهن
جمعنا فرجعت نساء لخم وجذام يقاتلن قتال الموت وقاتلت ام حكيم ابنة الحارث بالسيف
امام الخيل وجعلت ترد المشركين قال واقد ابن ابي عون نظرت الى هند بنت عتبه وبيدها
سيف من سيوف الهند وهي تضرب في المشركين وتنادي بعلو صوتها يا معاشر العرب حمدوا
الغلفان بالسيوف وما سمع يومئذ صوت احد غير صوت ابي سفيان فانه قاتل ذلك اليوم
قتالا عظيما ورد على الناس ونخ بعظهم يومئذ باعلا صوته وهو يقول يا معاشر العرب انه
يوم من ايام الله فابلوا فيه بلاء حسنا واما اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما اقرنت
عنانها بعنان زوجها الزبير فما كان يضرب ضربة الا وهي تضرب مثله وتراجع المسلمون
الى القتال حين نظروا الى النساء يقاتلن فتردد النساء يوم اليرموك **قال الواقدي**
حدثني عبد الرحمن ابن الفضل قال كان وقعة اليرموك في رجب سنة خمسة عشرة من الهجرة
قال ابن عامر وحملت خوله على علج من علوج الروم كان قد حمل علينا فاستقبلته حتى
طار السيف من يدها وضربها العلج بالسيف على قمتها فاسال دمها وسقطت الى الارض
وصاحت عفيرة حين نظرت اليها بالجمع واستصرخت باختنه ثم حملت عفيرة على العلج
وضربته ضربة ابانت راسه واقبلت عفيرة نحو خوله ورفعت راسها والدم قد ضيع شعرها
فقالت لها كيف انت قالت بخير ولكنني اظن انني هالكة لا محاله فهل لك علم باخي ضرار
فقالت عفيرة ما رايته فقالت اللهم اجعلني فداء لاخي قالت عفيرة فجهدت ان تقم فلم تقم
فما كان الليل حتى رايتها تدور وتسقي الرجال الماء وكان ما بها اذا ونظر اليها اخوها
والضربة في راسها فقال يا اختاه ابشري فقد اخذت الضربه مرارا وقتلت منهم
اعدادو لم يزل من اول النهار وكلما قرب الليل يزيد ويشتعل وابو عبيدة رضي الله عنه
يقاتل براينه والامراء يفعلون كفعله وقصد ابو عبيدة رضي الله عنه الى المسلمين وكان
معه هاشم ابن المفرقال وبنو حمير ولخم وجذام وقد قتل من الروم يوم النفوير ارنعون
الفا وتزيد ولقد اخبرنا عن خالد ابن الوليد رضي الله عنه انه انقطع في يده ذلك اليوم
تسعة اسياف قال وحدثني من حضر وقعة اليرموك وشاهدها قال كان بعد قتال

خالد رضي الله عنه مائة رجل من شجعان الفرس وحماة الفتيان قال حازم ابن معن وبرز
من المشركين في قلب الوقعة اصحاب الديباج والحديد والتخافيف على الخيول الشهب
والبلق كانهم الجبال الراسيات فلما برزوا غاصوا في وسط القتال وكروا كرة واحدة
ورفعوا في وساطهم صليبا عظيما من الجوهر وحملت ميسرتهم على ميسرتنا
ثم حملت ميمنتهم على ميمنتنا فشردوا بين ايديهم كاننا نعام في فلاة ونظر
ابو عبيدة رضي الله عنه الى المسلمين وقد شردوا والى النساء والنساء يضربن وجوههم
فجعل يصيح بهم الله الله لا تسلموا الاسلام بهزيمتكم واتقوا الله ربكم قال وكان بين يدي
ابي عبيدة رضي الله عنه رجل من بني محارب اسمه نجم ابن مفرج وكان من خطباء العرب
وافصح العرب لسانا واجراهم جنانا وكان القدر من بنائه في بني محارب تقصده العرب
الفصحاء ليسمعوا ما ينطق به من نثره ونظمه قال الواقدي رحمه الله
حدثني عبد الملك عن محمد عن ابيه عن حبان ابن كعب عن عبد الواحد ابن عون
عن موسى ابن عمران اليشكري قال رايت خضر ابن مازن وهو بجامع النيل يحدث
عن صفوان ابن راشد وقد سمعته يحدث عن وقعة اليرموك قال عاد الناس عن الهزيمة
بعد قضاء الله ونصره الا كلام رجل من بني محارب اسمه نجم ابن مفرج فكان لا يتكلم
الا بسجع يولفه بحسن نظمه ولقد حفظنا منه يوم هزيمة اليرموك ما نحن
نذكره عنه ولقد بلغني ان الفصحاء المتاخرين مثل الاصمعي وابي عبيدة ينسج على
منواله في حسن كلامه فكان من جملة ما وعظ به المسلمين يوم اليرموك يوم
هزيمتهم ايها الناس هذا يوم له ما بعده وقد عاينتم قربه وبعده ولن تنال
الجنة الا بالصبر على المكاره وبالله ما يدخلها من هو في الجهاد كاره وسعتها في عرض السماوات
جنة ولكنها محفوفة بالمكاره واعلى الدرجات درجة الشهادة فارضوا لعالم
الغيب والشهادة وهذا الجهاد قد قام على ساقه ونبذ النفاق في اسواقه واختفى
النفاق في انفاقه افانتم اصحاب نبي العصر فاستتم من الثبات والنصر وتستروا
روح المصطفى بثباتكم وقدموا العزم بصفا نياتكم واياكم تولون الادبار فتستوجبوا
غضب الجبار اما والذي قدر الاقدار واجرى الفلك الدوار ومن كل شي عنده بمقدار
لقد تزينت لكم الحور العين بايديهم اباريق وكاس من معين لمن طلب دار البقاء
هان عليه ما يلقى فصححوا طلبكم تنالوا جنة ربكم وحققوا حملتكم تنالوا
بغيتكم واطعنوا الصدور تنالوا الحور وشرعوا الاسنة تنالوا الجنة واعتمدوا
الصبر كتب لكم الاجر وبشروا المومنين بحسن عملكم واياكم ان تفلوا عن سبيلكم
ولا توافقوا الكفار في جهلهم واعدلوا عن طريق فعلهم ووافقوا من سلف
من اسلافكم في فعلهم واسمعوا ما انزل من اجلهم وعد الله الذين امنوا وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ثم قال مبينا

وليمكنن

وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني
لا يشركون بي شيا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون سيروا فقد سبق المعدون
واجتهدوا فقد فاز المجتهدون يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن
الا وانتم مسلمون وحمل خالد ابن الوليد وبرز اليه بطريق يقال له النسطور عليه
الديباج واقبل يدعوا خالد ابن الوليد اليه ويطمطم وخالد في القتال لا يشعر به ولا
يدري ما يقول قال فعطف عليه خالد رضي الله عنه عندما سمع صوته وهو
يطمطم والتقيا واقتتلا قتالا شديدا باعظم ما يكون فبينما هو كذلك اذ كبا
بخالد رضي الله عنه فرسه فوقع الفرس على يديه وهو خالد لام راسه قال ونظر الناس
اليه قد هوى فقالوا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال وخالد يقول هي وعلاه
البطريق بسيفه على ظهر خالد رضي الله عنه فاوهن ظهره ولم يصنع سيفه شيا
ونهض فرس خالد رضي الله عنه من عثرته وقد سقطت قلنسوته عن راسه فصاح
قلنسوتي فاخذها رجل من قومه من بني مخزوم فاعادها خالد رضي الله عنه على
راسه فقيل له يا ابا سليمان انت في هذا الحال من القتال وانت تقول قلنسوتي فقال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلق راسه في حجة الوداع اخذت شعرات من
راسه فقال لي المصطفى عليه السلام ما تصنع يا خالد بهذه الشعرات فقلت اتبرك
بها واستعين بها على قتال اعدائي فقال لي المصطفى لا تزال منصورا ما دامت معك
فجعلتها في مقدم قلنسوتي فلم القها عنه وهي على راسي الا هزمتها كذلك ببركة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ان خالد شدها على راسه بعصابة حمرا وحمل
على البطريق لعني النسطور وعلاه بضربة على عاتقه فقطع عاتقه وهم ان
يثني عليه فحملت اصحابه وحازوه اليهم فهلك بينهم وانكسر من بقي من ملوكهم
وكرهوا التقدم بعد ذلك وكان خالد بعد ذلك يدعوهم للبراز فلم يخرج اليه احد
منهم ولم يزل خالد رضي الله عنه يضرب الروم حتى كلت سواعده فاشفق
عليه الحارث المخزومي وقال لابي عبيدة رضي الله عنه ايها الامير قد قضا خالد
ما يجب عليه وادى في سيف حقه حتى قد ضعف ساعده فلو امرته ان يريح
نفسه قال فمشا اليه ابي عبيدة رضي الله عنهما وجعل يعزم عليه ان لا يتقدم
ويساله ان يمنعهم بنفسه فقال خالد رضي الله عنهما ايها الامير اما انا فوالله
لاطلبن الشهادة بكل وجه فان اخطاتني فالله يعلم نيتي وحمل فلم يرجع
عن حملته حتى جدلها وذلك ان المسلمين اسعدوا خالد في حملته واقاموا
راجعين الى القتال بعد هزيمتهم والنساء امام الرجال ولم يزل الحرب من الفريقين
حتى انقلبت الروم على اعقابها وقد قتل منهم الوف عدة واما اصحاب السلاسل
فانحطم اكثرهم ووطيتهم الخيل بحوافرها ولم يزل الحرب بينهم حتى مالت الشمس

بعزوبها وانفصل بعض من بعض وقد جرت الدما بينهم وانفرشت بالقتلى والجراح فاشبه
في العسكرين جميعا الا انه في الروم اكثر ورجع كل قوم في اصلاح شانهم ومداواة جراحهم
وكن النسا لاصلاح الطعام وشد المكلوم ومداواة الجرحا بما يحتاج اليه الرجال
اصلحته النسا ولم يقبل ابي عبيدة رضي الله عنه لاحد من اصحاب راياته من يكن على
حرس المسلمين بل تولى الحرس بنفسه مع المهاجرين فبينما ابي عبيدة رضي الله عنه يدور
اذ نظر الى فارسين قد لقياه وهما يدوران بدورانه فتكلما قال لا اله الا الله محمد رسول الله
فقرب ابي عبيدة رضي الله عنهما واذا احدهما الزبير ابن العوام والاخر زوجته اسما
ابنة ابي بكر الصديق رضي الله عنهما فسلم ابي عبيدة رضي الله عنه عليهما وقال يا ابن عمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان المسلمين وذلك ان زوجتي قالت مشغولون في
هذه الليلة عن الحرس فهل لك ان تساعديني على حرس المسلمين فاجبتها الى ذلك
فشكر له ابي عبيدة رضي الله عنه ذلك وعزم عليه ان يرجع فلم يفعل فكان الزبير
وزوجته رضي الله عنهما اسما تلك الليلة يطوفان ليلتهما قال الواقدي
رحمه الله حدثني ابو عتبة عن صفوان ابن عمرو عن عبد الرحمن ابن جبير عن ابيه قال كان
في عسكر الروم رجل من اهل حمص يقال له ابو الجعيد وقد جعل مسكنه هنالك وكان
متزوجا في حمص فلما اجتمعت الروم للمسلمين الى اليرموك نزلوا في الزرعه وكان ابو
الجعيد قد جعل مسكنه هنالك لطيب هواها وانتقل من حمص ونزل عسكر الروم على الزرعة
وكان فيها عرس لابي الجعيد وزوجته تزف عليه قال فتكفل ابو الجعيد لضيافة الروم
واكرمهم واطعمهم واسقاهم قال فلما فرغ من امورهم قالوا له هات امراتك الينا فابا
عن ذلك وشتمهم فابوا الا اخذ عرسه فلما شح عليهم بذلك عمد والى العروس فاخذوها
وعبثوا بها طول ليلتهم فلما اتا ابو الجعيد وصاح ودعا عليهم فقتلوا ولده فاقبلت
ام الفتى واخذت راس ولدها في خمارها واقبلت به الى مقدم الجيش وشكت حالها وقالت
انظر ما صنع اصحابك بولدي فخذ بحقي فلم يعبا بكلامها ولم ياخذ لها بثار ولدها
فقالت له ام الفتى والله لينصرن العرب عليكم ابدا ورجعت وهي تدعوا عليهم فيما
كان الاسير حتى اهلكهم الله على يد المسلمين فلما كان يوم اليرموك بعد ان قتل خالد
النسطور اقبل ابو الجعيد الى عسكر المسلمين وقال ان هذا الجيش الذي نازل بازائكم
جيش عظيم ولو سلموا انفسهم اليكم للقتل ما فرغتم من قتلهم الا في المدة الكثيرة
فان كذبتهم لكم في هذه الليلة بمكيدة تظفرون بهم ماذا تعملون معي وتعطون قالوا
نعطيك كذا وكذا وندرع لك كذا وكذا ولا نوزنك جزية ابد الا لك ولا لعقبك
ونكتب لك بذلك العهد قال الواقدي رحمه الله فلما استوثق من المسلمين مضا الى
الروم وهم لا يعلمون اليافوصه قال واليافوصه واد عظيم فانزلهم الى جنبها وقال لهم
ان هذا النهر لا ينزلون به واني ساكيد لكم العرب بمكيدة تهلكون بها وجعل النافوصه

فيما

انك كفو فخرجت اليك لاقتلك واحظى عند ماهان وهرقل بقتلك قال له عمرو ابن الطفيل
اما ماذكرت من شدة القوم وعظم خلقهم في الله اشد منعة وهو مهلك الجبابرة واما قولك
تحظى بقتلي عند مخلوق وهو مثلك فاني اريد احظى بجهادي عند رب العالمين وحمل
عمرو ابن الطفيل على جبله وحمل جبله عليه والتقيا بضربتين فخرجت ضربة عمرو وغير
ممكنه وخرجت ضربة جبله ممكنه فقطع من قرنه الي كتفه فسقط عمرو قتيلا وجال
جبله على مصرع عمرو ووقف تعجب من نفسه وما صنع وطلب جبله البراز فخرج اليه
ولد المقتول وهو جندب ابن عمرو ابن الطفيل الدوسي وكانت معه الرايات فاقبل
بها الي ابي عبيدة وقال ايها الامير ان ابي قد قتل واريد ان اخذ بثاره او الحق به فادفع رايتك
الي من شيت من دوس فاخذ ابو عبيدة الرايه من يده ودفعها الي رجل من دوس يحملها
وخرج جندب الي قتال جبله وهو يقول سابذل مهجتي ابدا الاني اريد العفو من رب غفور
واضرب في العدا جهدا بسيفي واقتل كل جبار كفور فان الخلد والجنات خفا يباح لكل
مقدام صبور ودنا جبله ابن الايهم وقاربه وصاح به ابنت يا قاتل ابي فلذ قاتلك به
قال جبله ومن انت من المقتول قال انا ولده قال جبله ما الذي حملكم علي قتل انفسكم واولادكم
وقتل النفس مكروه محرم قال جندب قتل النفس في سبيل الله محمود تنال به الدرجة العاليه قال
جبله اني لا اريد قتلك وانت غلام حدث السن فارجع حتى يخرج الي غيرك قال جندب كيف
ارجع وانا المفجوع بابيه والله لا رجعت حتى اخذ بثاره او الحق به ثم حمل على جبله وحمل جبله عليه
وجعلا يلتقيان وقد شخصت نحوهما الابصار ونظر جبله الي الغلام وما ابدي من شجاعة
فعلم انه شديد الباس صعب المراس فاخذ منه حذره وغسان ترمق صاحبها جبله
فنظروا الي الغلام جندب وظهر على صاحبهم وقاربه في الحرب فصاح بعضهم بعضا يا ال
غسان ان هذا الغلام الذي قد برز الي صاحبكم واميركم نجيب فان رايتموه قد ظهر على
سيدكم فالحد واصاحبكم واميركم فلا تدعوه فيقتل فتاهب فرسان غسان للحملة نحو
سيدهم ليستنقذوه ان دهمه امر ونظر المسلمون الي صاحبهم جندب وما قد اظهر من الشدة
والشجاعة وفرحوا لاجل ذلك ونظر الامير ابو عبيدة اليه والي فعله فبكي وقال هكذا يكون
من بذل نفسه ومهجته في سبيل الله اللهم لا ... له فعاله وقال جابر ابن عبد الله الانصاري
شهدت قتال يوم اليرموك فما رايت غلاما احسن من الدوسي وهو جندب ابن عمرو حين قاتله
جبله ابن الايهم الغساني غير انه اذا جاء الاجل لم تنفع الشدة في القتال ولا كثرة السلاح
وذلك ان الغلام الدوسي حمل على جبله وضربه ضربة اوهنه بها وضربه جبله ضربة فقتله
وعجل الله بروحه الي الجنة وحقق الله مقام عمرو ابن الطفيل وجال جبله على مصرعه وطلب
البراز فصاح به قومه ارجع ايها السيد المكانك فقد قضيت ما يجب عليك فرجع وهو
معجب بصنعه حتى وقف تحت صليبه قال وبعث ماهان بشكره قال واصيب المسلمون بعمرو
ابن الطفيل وبولده جندب فعندها صاحت الدوسي الجنة الجنة خذوا بثار سيدكم عمرو وولده

من اعداء الله فخرجت دوس الى القتال وساعدتها الاوس والازد وكانوا خلفاهم وحملوا غسان
لخم وجذام وينادون يا الاشعار فعند ذلك صاح ابو عبيدة بالمسلمين وقال يا ايها الناس سارعوا
الى مغفرة من ربكم ومعانقة الحور العين في جنات النعيم فما من موطن احب الى الله من هذا
الموطن الا وان الصابرين فضلهم الله على غيرهم ممن لم يشهد مشهدهم فلما سمعت الازد بذلك
حملت مع دوس على المشركين حملة عظيمة وجعلوا ينادون في شعارهم الجنة الجنة قال الواقدي
حدثني موسى ابن محمد عن عطا بن مروان قال سالت رجلا عده ما كان شعار المسلمين يوم اليرموك
فاخبرت انه كان شعار ابي عبيدة امت امت وشعار عبس يا آل عبس وشعار اليمن من
الناس يا انصار الله وشعار خالد ومن معه يا حزب الله وشعار حمير الفتح الفتح وشعار
دارم والسكاسك الصبر الصبر وشعار بني مراد يا نصر الله انزل فهذه كانت شعار
المسلمين يوم اليرموك قال فلما حملت دوس واتبعتها الازد قصدت العرب المتنصرة وطلبت
موضع صليبهم وخرقتهم خرقة صعبة حتى وصلوا الى الصليب فطعن حامل الصليب الذي
لغسان فارداه عن فرسه وسقط الصليب من يده منكسا وكر غسان تريد اخذ صليبهم فما
اتصلوا عنده حتى قتل منهم خلق كثير وقتل من الازد والاوس رجالا الا انهم كانوا في غسان
مثل الشامة البيضا في جلد البعير الاسود ثم خرجوا من شط غسان قال الواقدي
بلغني عن عبد الله عدي قال شهدت اليرموك وكان المسلمون خمسة وعشرين الفا فغضب
ابو الحويرث وقال كذب من حدثك بهذا الحديث وان المسلمين يوم اليرموك احدى واربعين
الفا وقد اديت اليك ما سمعته ممن اثق به من الرواه قال الواقدي وهذا ابت
الاقاويل لان المسلمين كانوا يوم اجنادين اثنين وثلاثين الفا ثم جاءت الامداد
بعد ذلك قال الواقدي وحدثني ابن سمرة عن عبد الحميد ابن سهل عن جده قال
لما حملت الازد يوم اليرموك دخلت المشركون دخلة عظيمة وحملت المسلمين حملة
هائلة فانكشف المسلمون وكان صاحب لوا المسلمين يوم اليرموك عياض بن غنم
الاشعري فهرب منه منهزما ونظر المسلمون الى عياض ابن غنم وقد ولى اللواء بيده فصاح
به المسلمين انما ثبات القوم واهل الحرب بلوايهم فانتدر لاخذه عمرو ابن العاص وخالد
ابن الوليد كلاهما يتسابقان اليه فسبق باخذه عمرو بن العاص ولم يزل يقاتل به حتى انهزمت
الروم وفتح الله على ايدي المسلمين وكان اليوم الثالث من اليرموك يوما شديدا انهزمت
فيه فرسان المسلمين ثلاث كرات كل كرة تردهم النسا بالحجارة والعمد ويلوحن باطفالهن
فيرجعون الى القتال قال فلم يزل القتال تا بتا الى ان اقبل الليل بسواده والناس تحت الحرب والقتل
في المشركين كثير وفي المسلمين قليل الا ان الجراح فيهم فاشيه من النشاب فلما اولهم الليل
بسواده زحفت الروم الى مواضعهم وباتوا تحت السلاح وكذلك المسلمون وما كان همهم غير
غير الصلاة وبعد ذلك شد الجراح وصلى بهم ابو عبيدة صلاتين معا ثم قال ايها الناس
رحمكم الله اذا عظم البلاء فانتظروا الفرج فانه ياتي من عند الله واضرموا نيرانكم وتحارسوا

وظهروا

جرجير لقناطر احمل على هذه العرب ماهذا الوقوف فقال قناطر اتامرني ان احمل قال
جرجير وكيف لا امرك اما انا امير فوقك قال قناطر كذبت انا امير وانت امير ويكبني فوقك
وقد امرت لي بالطاعة فاختلفا وغضب جرجير من قول قناطر فحمل على المسلمين حملة
شديدة وكانت حملته على كنانة وقيس وخثعم وجذام وقضاعة وعامله وغسان وهم
بوميمنة فيما بين ميسرة المسلمين الى القلب وكشفت الروم المسلمين حتى زالت ميسرة المسلمين
عن مصافها ولم يبق منهم الا اصحاب الرايات فقاتلوهم ومن يليهم قتالا شديدا وركب
الروم اكتاف المنهزمين من المسلمين الى ان دخلوا الى معسكرهم فاستقبلهم النسا بالعمد
يضربوا وجوه الخيل ويرمونهم بالحجارة ومناديهم اين تنهزمون يا اهل الاسلام عن
الامهات والاخوات والبنين والبنات اتريدون ان تسلموهم الى الاعلاج قال منهالالدوسي
فاقسم لقد كن النسا اشد علينا غلظة من الروم فتراجع المسلمون عن الهزيمة ونادى
بعضهم بعضا وتراموا بالحفايظ وعطفوا على الروم عطفة عظيمة وقيامه ابن اشيم الكناني
امام المسلمين يضرب في اعراض المشركين تارة بالسيف وتارة بالرمح حتى كسر ثلاثة ارماح
وهو يقول

ساحمل في الروم الكلاب النوابح ... واضربهم ضربا بحد الصفايح
وارضي رسول الله خير مومل ... نبي الهدي المبعوث للدين ناصح

قال الواقدي ثم حمل حتى كسر سيفين اخرين وجعل كلما كسر سيفا او كسر
رمحا يقول من يعيرني سيفا او رمحا في سبيل الله وجزاه على الله ثم نادي يا معاشر قيس
خذوا نصيبكم من الاجر والصبر فان الصبر في الدنيا عز ومكرمة وفي الاخرة رحمة
وفضيلة فاصبروا وصابروا الاية قال فاجابه قومه ونشطوا معه القتال قال قثامه
ابن اشيم الكناني فما رايت مثل حملة قناطر وقومه ولقد خلطوا بعضنا ببعض قال ورجع
خالد بحملته مع الفين ووضعوا السيف في الروم فقتلوهم قتلا ذريعا قال والقتل فيهم
اكبر واقبل خالد على الناس من كرته والمسلمين يقولون جزى الله قثامة خيرا فلقد اغنى
عنا حسنا فلما سمع خالد ذلك اقبل اليه وقبل بين عينيه وراسه وقال يا قثامه
جزاك الله خيرا عن الاسلام واقبلت زريعه بنت الحارث من التل منحدرة وهي تقول
ما فعل خالد حتى وقفت بين يديه وقالت يا ابن الوليد انت علمت العرب الفرار انما الرجال
بامرايها فان ثبتوا ثبتت الرجال معهم وان انهزموا انهزمت الرجال معهم فقال لها
خالد والله ما كنت من المنهزمين وما كنا نقاتل الا في العجاج فقالت قبح الله وجه عبد نظر الى
وجه اميره ثابت وهو منهزم عنه قال الواقدي ونظر ماهان الى الميمنة من
عسكره وقد عركت عرك الاديم فبعث اليهم يحرضهم على القتال فعندها خرج علج من علوج
الروم من الميمنة وعليه سابغ السلاح كانه قطعة جبل على شهوب عظيم الخلق فبرز
بين الصفين رجالا على شهربه وسال القتال فخرج اليه غلام من الازد فما جال عليه الا جولة
حتى قتله العلج ثم دعا الى البراز ثانية فهم ان يخرج معاذ ابن جبل فقال له ابو عبيدة

يا معاذ سالتك بالله وبحق رسول الله الا ما ثبت في مكانك والزم الراية فلزومك الراية احب الي
من برازك الي هذا العلج فوقف معاذ بالراية ثم نادي معاشر المسلمين من اراد فرسا يقاتل
عليه ويركبه فهذا فرسي وسلاحي فاجابه ابنه عبد الرحمن فقال انا يا ابه وكان غلاما حين احتلم
ثم عمد الي السلاح فلبسه واخذ فرس ابيه فركبه وقال يا ابه انا خارج الي هذا العلج فان جرت
فالمنة لله علي وان قتلني فعليك السلام وان كان لك حاجة الي رسول الله صلي الله عليه
وسلم فاوصيني بها فقال له معاذ يا بني اقرا عليه السلام وقل له جزاك الله عن امتك
خيرا ثم قال له اخرج يا بني وفقنا الله واياك لما يحب ويرضي فخرج عبد الرحمن بن معاذ
الي العلج كانه شعلة نار وحمل علي العلج وضربه بالسيف فنبا عنه سيفه ومال
عليه العلج بضربة واصله فقطع العمامه وشجه شجة موضحة سال دمه منها فلما
راي الدم ظن انه قتله فتاخر الي ورائه لينظر كيف سقط عن الجواد الي الارض فلما نظر
عبد الرحمن الي العلج قد تاخر اثني راجعا نحو المسلمين فقال له معاذ يا بني ما لك
قال يا مولاي قتلني العلج قال معاذ يا بني ما الذي تريد من الدنيا ثم شد جرحه واذا بها
جراحة سالمة ثم ان العلج طغا وتمرد وحمل ثلاث حملات والازد ترده فقال ابو عبيدة من له منكم
فخرج اليه عمرو ابن الطفيل الدوسي وكان من اصحاب الرايات ممن شهد اليمامه مع خالد بن الوليد
وكان قد راي يوم اليمامه في قتال مسيلمة الكذاب كان امراة لقيته ففتحت له فرجها فدخل
فيه ونظر اليه ابنه فاسرع ليدخل مكان دخل ابوه ثم استيقظ وقص ذلك علي المسلمين فلم
يدر احد ما تاويلها فقال عمرو بن الطفيل اما اني قد عرفت تاويلها اني اقتل لان المراة التي ادخلتني
فرجها هي الارض وان ابني سيصيبه جراحة ويوشك ان يلحقني فقاتل يوم اليمامه فلم
يلحقه ادني فلما كان يوم اليرموك شهد فيه الحرب وخرج الي قتال العلج وحمل عليه بعد
ان اقبلت ميمنة الروم علي الميسرة ثم انثني علي البطريق كالصاعقه وطعنه قناته
شهدت معه الوقايع فانذق الرمح فرماه من يده واعتمد علي سيفه وهزه وضرب به
العلج علي عاتقه خالط امعاه فانتكس العلج صريعا عن جواده فاسرع اليه عامر
بن الطفيل فاخذه ورمي به الي المسلمين وسلمه الي ولده واثني راجعا نحو الروم وحمل
علي الميمنة حملة علي الميسرة حمله وطلب بحملته المتنصره من غسان ولخم وجذام
اصحاب جبله ابن الايهم فقتل من العرب فارسا ودعا البراز فخرج اليه جبلة وعليه
درع من الديباج المثقل بالذهب من تحتها درع من دروع التتابعة وعليه بيضة تلمع
كشعاع الشمس ومن تحته فرس من نسل خيول عاد فخرج جبله الي عمرو ابن الطفيل فقال
له من اي الناس انت قال انا من دوس قال جبله انك من الفزاره فابق علي نفسك
وارجع الي قومك ودع عنك الطمع فقال له عمرو قد اخبرتك من انا ومن قبيلتي فانت
من اي العرب قال من غسان وانا سيدها جميعا انا جبله ابن الايهم وانا خرجت اليك
حين نظرتك وقد قتلت هذا البطريق الشديد وهو نظير ماهان وجرجير في الشجاعه

فيما بينه وبين العرب ولا يعلم ملغورها فلما كان بعد يوم التغوير جاء ابو الجعيد
الى ابي عبيدة رضي الله عنه فوجده يطوف تلك الليلة هو وجماعة من المهاجرين حول
المسلمين فقال ما قعودكم قالوا وما نصنع قال اذا كان ليلة غد اكثروا من النيران ثم
ثم رجع الى الروم لينصب عليهم فلما كان من الليلة الثانية وقدوا من النيران اكثر من عشرة
الف نار فلما اشتعلت النيران اقبل اليهم ابو الجعيد فقالوا له اشعلنا النيران كما امرتنا
فما بعد ذلك قال اريد خمسمائة من ابطالكم حتى اشير عليهم بما يصنعون قال الواقدي
رحمه الله فانحاز من المسلمين خمسمائة رجل من جملتهم عياض ابن غنم ابن طارق المدلجي
ورافع ابن عميرة الطائي وضرار ابن الازور وعبد الله ابن قرط وعبد الله ابن ياسر وعبد الله
ابن اوس وعبد الله ابن عمر ابن الخطاب وعبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق وغانم ابن عبد الله الليثي
ومثل هؤلاء السادة رضي الله عنهم اجمعين فلما اجتمعوا سار بهم ابو الجعيد رجالا منهم ودلهم
على المخاض ولم يكن يعلم به سواه ومن سكن اليرموك وقال نازلوهم الحرب ثم انهزموا
ودعوني واياهم قال ففعلوا ذلك وصاحوا وحملوا وجرت منا وشة بينهم وبين الروم ثم انهزموا
الخمسمائة فارس يطلبون المخاض فعند ذلك صاح ابو الجعيد برفيع صوته معاشر الروم
دونكم ومن انهزم فهؤلاء المسلمون قد اوقدوا نارهم المكيدة وقد عولوا على الهرب
قال فاقبلت الروم على العجلة يظنون ذلك حقا فبعضهم يركب جواده عريا وبعضهم
راجلا وساروا في طلب المنهزمين وابو الجعيد بعد وابين ايديهم الى ان اوقفهم على الياقوصة
وقال هذا المخاض دونكم فدونكم واياه فاقبلوا يتهافتون في الماء ويتساقطون تساقط
الجراد حتى مات من القوم في الماء ما لا يحصيه الا الله تعالى ولا يحركه جنان فسمته العرب
الياقوصة هذا ما جرى للروم ولا يعلم الاول ما جرى على الاخر حتى اذا اصبحوا سمعوا ان
المسلمين في عسكرهم فعلموا انهم قد دهموا في ليلتهم وقد قل عددهم فقال بعضهم لبعض
من كان الصايح في ليلتنا فقالوا الرجل الذي عشنا بزوجته وقتلتم ولده وقد اخذ
بثاره منكم قال واصبح ماهان وعلم حقيقة ما نزل باصحابه فعلم انه هالك وان
العرب عليه ظاهرين فبعث الى قورين وقال ما ترى ان اصنع فقد تظاهرت العرب
علينا وان احملوا علينا حملة واحدة لم يفلت منا احد فهل لك ان تسالهم ان يوخروا
القتال حتى نعمل في خلاص انفسنا قال افعل ذلك قال فدعا ماهان برجل منهم وبعثه
الى المسلمين يقول لهم ان الحرب سجال والدنيا دول وقد مكرتم بنا فلا تبغون والبغي
مصرعه واخروا الحرب عنا يومنا هذا فاذا كان في غد كان الفصل بيننا فاقبل الرسول
الى ابي عبيدة رضي الله عنه وبلغ الرسالة فهم ان يجيبهم فمنعه خالد ابن الوليد رضي
الله عنه عند ذلك وقال لا تفعل ايها الامير فما عند القوم خير بعد ذلك فقال ابو عبيدة
ارجع الى صاحبك وقل له ما يوخر عند ذلك وانا على عجل من امرنا فرجع الرسول الى
ماهان واعلمه بجواب ابي عبيدة رضي الله عنه فعظم ذلك عليه وكبر لديه وكفر ونخر

وقال لقد كنت اربص نفسي عن العرب ارجوا بذلك الصلح فوحق الصليب لابرز اليهم
غيري ثم صاح بالروم واصحاب سرير الملك ومن كان يتكل عليهم في الشدايد وامرهم ان ياخذوا
الاهبة للقتال قال فاستعدوا وخرج ماهان في مقدمة الجيش والصليب امامه واذا المسلمون
قد اخذوا مصافهم للقتال وذلك ان ابا عبيدة رضي الله عنه صلى بالمسلمين صلاة الفجر وامرهم
بالسرعة للقتال واخذوا مواضعهم للحرب وايقنوا انهم منصورون على عدوهم وصف
ابا عبيدة رضي الله عنه اصحاب الرايات ووقف هو وخالد رضي الله عنهما في الخيل المسوفه
يحمل الزحف وطلعت الشمس فما كان طلوعها حتى خرج جرجيس وهو بعض ملوك
الروم ودعا البراز وقال لا يبرز الي الا الامير فسمعه ابو عبيدة رضي الله عنه فسلم الراية
الى خالد رضي الله عنه وقال انت لها فان انا عدت من قتال هذا البطريق فالراية لي وان هو
قتلني فامسك امارتك حتى يرى عمر رايه فقال خالد رضي الله عنه انا لقتاله دونك فقال
ابي عبيدة رضي الله عنه لست افعل ولا بد لي من الخروج اليه وانت شريكي في الاجر ثم برز ابي
عبيدة رضي الله عنه وما احد من المسلمين الا وهو كاره لذلك فاقبلوا يسالونه فلج في الخروج
فتركوه ورايه فلما قرب ابي عبيدة رضي الله عنه من جرجيس وعاينه قال انت امير هذا
الجيش فقال ابي عبيدة نعم انا ذلك وقد اجبتك الى ما طلبت من امر البراز فدونك وعزمه
الميدان فما بقي بيني وبينكم الا ان اقتلك واقتل ماهان بعدك قال جرجيس امة الصليب تعينك
ثم حمل جرجيس على ابي عبيدة رضي الله عنه وحمل ابي عبيدة رضي الله عنه عليه وطال بينهما
القتال وبقي خالد رضي الله عنه ينظر الى ابي عبيدة رضي الله عنه ويدعوا له بالسلامة والنصر
وكذلك المسلمون قال وانطرد جرجيس امام ابي عبيدة رضي الله عنه وهو مع ذلك واثق
بالنصر والسلامة وسار ابو عبيدة رضي الله عنه على اثره فعندها عطف عليه جرجيس
كالبرق والتقيا بضربتين فكان ابي عبيدة رضي الله عنه اسبق بضربته فوقعت على
عاتق جرجيس فخرجت من علايقه فكبر عند ذلك ابي عبيدة رضي الله عنه وكبر المسلمون
ووقف ابي عبيدة رضي الله عنه على جرجيس وجعل يتعجب من عظم خلقته ولم ياخذ
شيا من سلبه فنادى خالد رضي الله عنه لله درك ايها الامير ارجع الى رايتك والزمها
فقد قضيت ما يجب عليك فلم يرجع ابي عبيدة فاقسم عليه المسلمون ان يرجع
الى مقامه فرجع واخذ الراية من خالد رضي الله عنهما ونظر ماهان الى جرجيس وقد
قتل فعظم ذلك عليه لانه كان ركن من اركانه فهم بالهزيمة ثم قال في نفسه
لم لا ابلي عذرا عند الملك وارز الحرب فان قتلت فقد استرحت من العار وان سلمت
كان لي عند الملك عذرا احسن مما اوقع الادبار قال فاعلم رجاله انه يريد المبارزة بنفسه
ثم اخذ عدته ولبس زينته وخرج كانه ذهب يلمع ثم جمع البطارقة والقسيسين
والرهبان وقال لهم ان الملك هرقل كان اعلم منكم بهذا الامر فاراد صلح القوم فخا
لفتموه فها انا ابرز بنفسي فتقدم اليه بطريق من بطارقة السرير وكان فيه نسك

وبرز

ودين وكان يعظمه الكنايس والرهبان ويتبع ما فرض عليهم في الانجيل وكان يقرب لجرجير
في النسب فلما علم بقتله عظم عليه وقال وحق الصليب لابرزن الي المسلمين ولاخذن
الثار والحق به واقتل قاتله ثم قال لماهان قد تعين علي الجهاد وابي او دين فرض
المسيح ولا بد لي من المبارزة قال فتركه ماهان فخرج وكان اسمه سرجيس فكان عليه
درع وعلي لذرع ثوب جديد وتقلد سيفه واعتقل بقنطاريته وعودته الاقسة وبخروه
ببخور كنايسهم واقبل اليه راهب عموريه واعطاه صليبا كان في عنقه وقال هذا الصليب
من ايام المسيح توارثه الرهبان ويتمسحون به فهو ينصرك فاخذ سرجيس وخرج
ونادي للبراز بكلام عربي فصيح حتى ظن الناس انه عربي من المتنصره وخرج اليه
ضرار ابن الازور رضي الله عنه وكانه شعلة نار فلما قاربه ونظر الي جثة البطريق وعظم خلقته
هابه وندم علي الخروج اليه فقال وما يغني هذا الباس ان حضر الاجل ثم رجع مولياً فظن
المسلمون انه جزع فقال قايل الان ضرار قد انهزم من العلج وما عرفنا له مثل هذا قط
ولا يكلم احد حتى سار الي خيمته ونزع ثيابه وبقي في سرواله واخذ معه قوسه وتقلد
سيفه وحجفته ثم عاد الي الحرب يروم قتال البطريق فوجد مالك ابن الحارث النخعي
قد سبقه اليه وكان مالك من الخطاطه كان اذا ركب سحب رجلاه علي الارض فنظر
ضرار رضي الله عنه واذا مالك ينادي بالعلج تقدم يا عابد الصليب الي الرجل النجيب وناصر
محمد الحبيب فلم يجبه العلج علي كلامه مما داخله من فزعه فجال مالك حوله وهم
ان يطعنه وقدم اليه رمحه فلم ير له مكانا للطعنه مما عليه من اللامه فقصد جواده
وطعنه في خاصرته اطلع الطعنه من الجانب الاخر قال فنفر الجواد بحرارة الضربة
وجعل يضرب بيديه ورجليه الارض وهم مالك باخراج الرمح فلم يقدر لانه قد
اشتبك في اضلاع الجواد فانقصف الرمح وسقط الجواد بالبطريق وهو علي ظهره ولم
يقدر البطريق وهو علي ظهره النزول من ظهره لانه مزرفن الي سرجه فنظر المسلمون الي
ضرار ابن الازور رضي الله عنه وقد اسرع اليه مثل الضبه حتي وصل الي العلج فقنعه
بالسيف علي قامته فسقط وقام فاخذ سلبه فاقبل عليه مالك وقال ما هذا
يا ضرار تشاركني في صيدي قال ما انا شريكك وانما انا صاحبه وهو لك فقال
مالك انا قتلت جواده قال ضرار اما انا مازح في كلامي خذه اليك فوالله ما ياخذ
ضرار منه شي وهو لك وانت احق به منه ثم انتزع سلب العلج وحمله علي عاتقه
ما يكاد ان يحمله وهو ينصب عرقا قال زهران عابد فلقد رايته وهو سيوبه وهو راجل
ومالك فارس حتي طرحه في رحل مالك قال ان لله قوم وهبوا انفسهم لله وما يريدون
الدنيا قال فلما قتل البطريق انقض جناح ماهان فصاح بقومه وجمعهم اليه وقال اسمعوا
يا اصحاب الملك وبلغوه عني اني ما تركت جهدا في نصرة هذا الدين وحامية عن الملك
وقاتلت عن نعمته وما اقدر ان اغالب رب السما لانه قد ادال العرب علينا وملكهم

بلادنا والان فما الي وجه ارجع به الي الملك حتي اخرج الي الحرب وابرز الي مقام الطعن
والضرب وقد عزمت ان اسلم الصليب الي احدكم وابرز الي قتال المسلمين فان قتلت
فقد استرحت من العار ومن توبيخ الملك ايلم اقصر عن نصرته قالوا ايها الملك لا تخرج الي
الحرب حتي نخرج نحن الي القتال فان قتلنا فاصنع بعدنا ما شئت قال فحلف ماهان
بالكتاب الاربع انه لا يبرز احد قبله فلما حلف امسكوا عن مراجعته ثم دعا بابن
كان معه فدفع اليه الصليب قال له قف في مكاني وقدم لماهان عدته فافرغها
عليه قال الواقدي رحمه الله بلغنا ان عدة ماهان التي خرج بها الي الحرب
قومت بستين الفا الا انها جميعها مرصعة بالدر واليافوت فلما عزم علي
الخروج تقدم اليه راهب من الرهبان فقال ايها الملك ما ارى لك الي البراز من سبيل
ولا احبه لك قال ولم قال لاني رايت لك رؤيا فارجع ودع غيرك يبرز قال ماهان
لست افعل ذلك والقتل احب الي من العار قال فبخروه وحفوا له وعوذوه وخرج
ماهان الي القتال وهو جبل ذهب يشرف واقبل حتي وقف بين الصفين ودعا
الي البراز وخوف باسمه فكان اول من عرفه خالد ابن الوليد رضي الله عنه فقال
هذا ماهان صاحب القوم وبالله ما عندهم شي من الخبر قال وماهان يرعب باسمه
فخرج اليه غلام من دوس فقال انا والله مشتاق الي الجنة وحمل ماهان بده الي
عمود من تحته وهو ذهب فاخذه وخفق به الدوسي خفقة قتله وعجل الله به الي الجنة
قال ابو هريرة رضي الله عنه فنظرت الي الغلام عند ما سقط من جواده وهو مشير باصبعه نحو السما
ولم يهاله ما لحقه فعلمت ان ذلك فرحة لما عاين من الحور العين وجال ماهان عليه
وقوي قلبه بقتله ودعا الي البراز فسارع المسلمون اليه كل يقول اللهم اجر لي قتله علي
يدي فكان اول من برز اليه مالك ابن الحارث النخعي وسالوه في ميدانه فانتذر لماهان
بالكلام وقال ايها العلج الغلف لا تغتر بمن قتلته فانما صاحبنا اشتاق الي الجنة وما
منا الا وهو مشتاق الي الجنة فان اردت نجاتك وزيننا في جنات النعيم فانطق بكلمة الشهادة
او الجزية والا فانت هالك لا محاله فقال ماهان انت صاحبي خالد قال لا انا مالك النخعي
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهان لا بد لي من الحرب ثم حمل علي مالك فكان
من اهل الشجاعة لعنه الله واعتمد علي عمود وصبه علي البيضة التي علي راس مالك
فغاصت البيضه في جبهته فانتشرت عينه فمن ذلك اليوم سمي الاشتر وهم مالك لعظم
ما نزل به من ضربة ماهان فهم علي الرجوع ثم فكر فيما عزم عليه من الفرار فصبر نفسه
وعلم ان الله ناصره والدم فاير من ضربته وعدو الله يظن انه قد قتل مالك الاشتر فهو
ينتظر متي يقع من جواده واذا بمالك قد حمل عليه ولحقته اصوات المسلمين يا مالك استعن
بالله فانه يعينك علي قرنك قال مالك فاستعنت بالله عليه وصليت علي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وضربته ضربة عظيمة فقطع سيفي فيه قطعا غير موهن فعلمت ان الاجل حصين

فلما

فلما احس ماهان بالضربة ولي علي وجهه ودخل في عسكره **قال الواقدي**
رحمه الله فلما ولي ماهان بين يدي مالك الاشتر منهزما صاح خالد رضي الله عنه بالمسلمين يا اهل
الصبر والباس احملوا علي القوم ما داموا في دهشتهم ثم حمل خالد رضي الله عنه ومن
معه من جيشه وحملت الامراء بمن معهم من قومهم وتبعتهم جماعة المسلمين بالتكبير والتهليل
فصبرت الروم بعض الصبر حتي اذا غابت الشمس واظلم الافق انكشفت الروم منهزمين
وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة زها علي مائة الف
واسروا اربعين الفا وغرق منهم في الياقوصة امم لا تحصي وتفرق بعضهم في الجبال والاوديه
وخيل المسلمين وراهم يأتون بهم من الجبال اساري ولم يزل المسلمون يقتلون ويأسرون حتي
مضي من الليل هزيع فبعث ابي عبيدة رضي الله عنه الي الناس وقال اتركوهم الي الصباح فجعل
المسلمون يقتلون ويأسرون وتراجع المسلمون وقد اثقلت ايديهم بالغنائم والسرادقات
وانية الذهب والفضة واللالي والنمارق والطنافس **قال الواقدي** رحمه الله ووكل
ابي عبيدة رضي الله عنه رجالا بجمع الغنائم وبات المسلمون فرحين بنصر الله لهم حتي اذا اصبحوا
فاذا ليس للروم خبر وقد وقع اكثرهم في هزيمة اليرموك قال عمار ابن اسلم قال حدثني
نوفل ابن سعد عن جابر ابن نصر عن حامد ابن حميد قال اراد ابي عبيدة رضي الله عنه يحصي
عدد القتلي من المشركين فلم يقدر ان يحصي ذلك الا بالقصب فامر بقطع القصب من الوادي
وجعل علي كل قتيل قصبه فعدوا القصب فاذا في القتلي مائة الف وخمسة الف والاسري
اربعون الفا وقتل من المسلمين اربعة الف ونيف ووجد ابي عبيدة رضي الله عنه رؤسا باليرموك
فلم يدر اهم من النصرانية او من المسلمين فامر بها فغسلت ثم صلي عليها وعلي القتلي وامر
بدفنهم وافترقت خيل المسلمين في طلبهم في الجبال والاودية واذا هم براع قد استقبلهم
فقالوا له مر بك احد من الروم قال نعم مر بي بطريق معه زها علي اربعين الفا **قال الواقدي**
رحمه الله وكان ماهان لعنه الله قال فتبعهم خالد رضي الله عنه وجعل يقفوا اثرهم ومعه
عسكر الزحف فادركهم علي دمشق وكبر وكبروا المسلمون وحمل خالد رضي الله عنه ووضع
السيف فيهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وكان ماهان ارجل عن جواده وبقا الا انه
الرجل نفسه ليسلم فاقبل اليه رجل من المسلمين فحامل عن نفسه فقتله الرجل فكان
القاتل له النعمان ابن جلهمة الازدي او عاصم ابن احوال اليربوعي وقد اختلفوا ايهما
قتل ماهان والله اعلم **قال الواقدي** رحمه الله وخرج اهل دمشق الي خالد رضي الله
عنه وقالوا نحن علي عهدنا الذي بيننا وبينكم قال خالد رضي الله عنه انتم علي عهدكم
ثم مضي في طلب الروم يقتلهم حيث وجدهم حتي انتهي الي ثنية العقاب فاقام بها يوما
ثم عاد الي حمص علي طريقه فنزل بها وبلغ ذلك ابي عبيدة رضي الله عنه فسار حتي لحق
به فيمن معه من المسلمين قال والامراء في طلب الروم في كل جهة من الشام فلما اجتمعوا
عادوا الي دمشق وجمع ابي عبيدة رضي الله عنه الغنائم واخرج منها الخمس وكتب كتابا الي عمر

ابن الخطاب رضي الله عنه كتاب البشارة والفتح يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على
محمد نبيه المصطفى ورسوله المجتبى صلى الله عليه وسلم من ابي عبيدة عامر ابن الجراح اما بعد فاني
احمد الله واصلي الذي لا اله الا هو واشكره مليا على ما اولى من نعمه وخصنا به من كرمه
ببركة نبي الرحمة وشفيع الامة محمد صلى الله عليه وسلم واعلمك اني نزلت اليرموك ونزل
ماهان بالقرب منا ولم ير المسلمون اكثر منه جمعا ولا عددا ففض الله تلك الجموع ونصرنا
عليهم بمنه وكرمه وفضله فقتلنا منهم زها على مائة الف وخمسة الف واسرنا اربعين
الفا وقتل من المسلمين اربعة الاف ختم الله لهم بالشهادة ووجدت روسا قطعت لم اعرف
اصحابها فصليت عليها ودفنتها وقتل ماهان على دمشق قتله عاصم ابن احوال اليربوعي
وقد كان قبل الوقعة نصب عليهم رجل منهم يقال له ابو الجعيد من اهل حمص فالقاهم في
موضع في اليرموك يقال له الياقوصة فغرق لهم ما لا يحصيه الا الله تعالى واما من قتل في الاودية
والجبال من المنهزمين وغيرهم فاخذت عدتهم تسعين الفا وقد ملكنا الله اموالهم
واخوالهم وحصونهم وبلادهم وكتبنا اليك في هذا بعد الفتح من دمشق وقد جمعت
الغنايم وخمستها وانا منتظر امرك في الخمس والغنايم والسلام عليك ورحمة
الله وبركاته وعلى جميع المسلمين وطوى ابو عبيدة رضي الله عنه الكتاب وختمه بخاتمه
ودعا بحذيفة ابن اليمان رضي الله عنه ودفع الكتاب اليه وضم اليه عشرة من المهاجرين
والانصار وقال يا حذيفة سر بكتاب الفتح والبشارة الى امير المومنين واجرك على
الله تعالى فاخذ حذيفة الكتاب وسار من وقته وساعته والعشرة معه يجدون
السير ليلا ونهارا حتى قربوا من مدينة النبي صلى الله عليه وسلم قال الواقدي
رحمه الله حدثني عبد الله ابن عون المالكي عن ابيه قال لما هزم الله الروم في يوم اليرموك
وكان من امرهم ما قدر الله تعالى راى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ليلة هزيمة الروم في منامه
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الروضة ومعه ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان
عمر رضي الله عنه يسلم عليهما ويقول يا رسول الله ان قلبي مشتغل بالمسلمين وما ادري ما صنع
الله بينهم مع اعدايهم وقد بلغني ان الروم في ثمان مائة الف فقال يا عمر ابشر وافقد
فتح الله على المسلمين وقد قتل منهم كذا وكذا ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك
الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين
قال فلما كان من الغد صلى عمر رضي الله عنه بالناس صلاة الفجر واعلم المسلمين بما راى في منامه
ففرح المسلمون بذلك واستبشروا واعلموا ان الشيطان لا يتمثل في صورة النبي صلى الله
عليه وسلم في النوم قال ولما ورد حذيفة ابن اليمان والعشرة بكتاب ابي عبيدة رضي الله عنه
بالفتح والبشارة فكان فيه كما اعلم المصطفى عليه السلام فسجد ثم شكر الله تعالى
وقرا الكتاب على الناس فارتفعت اصوات المسلمين بالشكر والثنا لله رب العالمين ثم
قال عمر رضي الله يا حذيفة فهل قسم ابو عبيدة الغنايم فقال لا يا امير المومنين بل انه قد اخرج

لخمس وهو منتظر امرك قال فدعا عمر رضي الله عنه بدواة وبيضا وكتب الى ابي عبيدة رضي الله
عنه كتابا يقول بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر ابن الخطاب الى عامله على الشام
سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم وقد فرحت
بما فتح الله به على المسلمين من نصره وانهزام عدوهم فاذا وصل اليك كتابي هذا فاقسم
الغنيمة بين المسلمين وفضل اهل السيف واعط كل ذي حق حقه واحفظ المسلمين والكرم
واشكر لهم صبرهم وفعالهم واقم بموضعك حتى ياتيك امري والسلام عليك وعلى
من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب وسلمه لحذيفة ابن اليمان رضي
الله عنه فاخذ حذيفة الكتاب وسار به حتى ورد الى ابي عبيدة رضي الله عنه فوجده
على دمشق فسلم عليه وعلى المسلمين وناوله كتاب امير المومنين عمر ابن الخطاب رضي
الله عنه فلما قراه على المسلمين امر بالغنايم فمثلت بين يديه ثم جعل يقسمها على المسلمين
فاصاب الفارس اربعة وعشرين الف مثقال من الذهب الاحمر وللراجل ثمانية الف وكذلك
من الفضة واعطا للفرس الهجين سهما وللفرس العتيق سهمين والحق البراذين بالعرب
فلما فعل ابي عبيدة رضي الله عنه ذلك قال اصحاب الهجين الحقنا بالعرب فقال ابي عبيدة رضي
الله عنه اني قسمت عليكم كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم بين اصحابه الغنيمة فلم يقبلوا
قوله وكتب الى عمر رضي الله عنه بذلك ويعلمه اختلاف الناس في الخيل الهجين والعرب وكتب اليه عمر
رضي الله عنه اما بعد فانك قد فعلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تتعد
حكمه فاعط للفرس العربي سهمين وللهجين سهما واعلم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم عرب العربي وهجن الهجين يوم حنين فجعل للهجين سهما وللعربي سهمان
فلما ورد الكتاب على ابي عبيدة رضي الله عنه وقراه على المسلمين قال والله ما اراد ابي
عبيدة ان يحف رجلا منكم ولكني تبعت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الواقدي رحمه الله فلما قسم ابي عبيدة الغنايم على المسلمين فاذا له خالد ابن الوليد رضي
الله عنه ان رجلا من المسلمين قد شفع الي اليك ان تلحق فرسه الهجين بفرس عربي وتعطيه
سهمين فابا ابي عبيدة رضي الله عنه وقال والله ان سف التراب اهون علي من ذلك
فروى غانم ابن عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما فاشهد جدي الزبير ابن العوام رضي
الله عنه يوم اليرموك ومعه فرسان يتعاقب عليهما يركب هذا يوما وهذا يوما
فلما كان وقت قسمة الغنايم اعطاه ابي عبيدة رضي الله عنه ثلاثة اسهم ولفرسه سهمين
قال الزبير رضي الله عنه اما تصنع بي كما كان يصنع بي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر
كان معي فرسان فاسهمني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة اسهم لفرسي اربعة ولي عطاني
سهما فقال المقداد رضي الله عنه كنت انا وانت يوم بدر ومعنا فرسان فاعطانا رسول الله
صلى الله عليه وسلم سهما سهما لفرسينا فقال ابي عبيدة رضي الله عنه انك لصادق يا مقداد
الان ينسخ فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وخيبر قالوا فقال جابر ابن عبد الله

الانصاري رضي الله عنه فشهد عند ابي عبيدة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعطا الزبير ابن العوام يوم حنين خمسة اسهم فلما فعل ذلك ناعطاه ابي عبيدة رضي
الله عنه خمسة اسهم فلما فعل ذلك اتا رجال من العرب لكل واحد منهم اربعة افراس
وخمسة افراس فقالوا الحقنا بالزبير فاستاذن عمر رضي الله عنه في ذلك وقال صدق
الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاه يوم حنين خمسة اسهم ولا تعطي
غيره مثله قال حدثني لوي ابن عبد الله عن سالم مولى حذيفة ابن القاسط ابن
سلمه عن عدي ابن عاصم عمن حدثه عن فتوح الشام قال لما هزم الله الروم في وقعة
اليرموك على يدي المسلمين وبلغ الخبر الى هرقل بهزيمة جيشه وقتل ماهان
قال قد علمت ان هذا الامر يجري الى هذا ثم اقام ينتظر ما يكون من امر المسلمين فاقاموا
على دمشق شهرا وجمع ابي عبيده رضي الله عنه امرا المسلمين اليه وقال ايها الناس اشيروا
علي بما اصنع واين اتوجه فانه قد اتفق رايي على المسير اما الى قيسارية او الى بيت
المقدس فما الذي ترون من الراي قالوا انت الرجل الامين وما نشير الى موضع
الا ونحن نتبعك فقال معاذ ابن جبل رضي الله عنه ايها الامير اكتب الى عمر امير المومنين
فحيث امرك فاستعن بالله وسر اليه قال اصبت الراي يا معاذ وفقنا الله واياك
ثم كتب الى امير المومنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما يعلمه انه قد عزم على قيسارية
او بيت المقدس وانا منتظر ما تامرني به والسلام عليك ونفذ الكتاب مع عرفجة
ابن ناصح النخعي وامره بالمسير فسار حتى ورد المدينة وسلم الكتاب الى عمر رضي الله عنه
فقراه على المسلمين واستشارهم في الامر فقال علي رضي الله عنه يا امير المومنين
مر صاحبك ابي عبيدة ان ينزل بجيوشه المسلمين الى بيت المقدس فيحدقون بها
ويقاتلون اهلها فهو خير راي وابركه واذا فتح الله بيت المقدس صرف وجهه الى
قيسارية فانها تفتح بعدها ان شا الله تعالى كذا اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال عمر رضي الله عنه صدق المصطفى وصدقت انت يا ابا الحسن ثم دعا بدواه وقرطاس
وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر امير المومنين الى عامله بالشام ابي عبيدة
اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم وقد وصلنا
كتابك تستشير في اي ناحية تتوجه وقد اشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمسير الى بيت المقدس فان الله سيفتحها على يديك والسلام عليك وعلى من معك
من المسلمين ورحمة الله وبركاته وحسبنا الله ونعم الوكيل ثم طوى الكتاب ودفعه الى عرفجة
ابن ناصح النخعي وامره ان يعجل بالمسير فسار عرفجة حتى قدم على ابي عبيدة رضي
الله عنه فوجده على الجابية فدفع اليه كتاب عمر رضي الله عنه فقراه ابي عبيدة رضي الله
عنه على المسلمين ففرحوا بمسيرهم الى بيت المقدس فعندها دعا ابي عبيدة رضي الله عنه
بيزيد ابن ابي سفيان وعقد له راية حمرا فدفعها اليه وضم اليه خمسة الف فارس

من المسلمين وسرحه الي بيت المقدس وقال يا ابن ابي سفيان ما علمتك الا ناصحا
فاذا اشرفت علي بلدة ايليا فارفعوا اصواتكم بالتهليل والتكبير واسال الله بجاه
نبيه ومن سكنها من الانبيا والصالحين ان يسهل علينا فتحها علي ايدي المسلمين
فاخذ يزيد الرايه وسار يريد بيت المقدس ثم دعا ابو عبيدة رضي الله عنه بشرحبيل
ابن حسنه كاتب رسول الله صلي الله عليه وسلم وعقد له رايه سودا وضم اليه خمسة الف
فارس من اهل اليمن من حضرموت وكهلان وطي وخولان وسنبس ونبهان والازد
وقال سر من معك حتي تقدم بيت المقدس وانزل بعسكرك ولا تختلط اصحابك مع
اصحاب يزيد ابن ابي سفيان ثم عقد رايه ثالثه وهي رايه بيضا ودعا بالمرقال
هاشم ابن عتبه ابن ابي وقاص وضم اليه خمسة الف فارس من العرب من مضر وغيرها وسرحه في
اثر شرحبيل وقال انزل علي حصنها وليكن نزولك بمعزل عن صاحبك وعقد ابو عبيدة
رضي الله عنه رايته رابعه وسلمها الي المسيب ابن نجيه الفزاري وقال دونك والحق باخوانك
وضم اليه خمسة الف فارس من النخع وخثعم وغطفان وفزاره وعقد رايه خامسه
وسلمها الي قيس ابن هبيرة المرادي وضم اليه خمسة الف فارس من قومه من مراد وعقد
رايه سادسه ودفعها الي عروة ابن مهلهل ابن زيد الخيل وضم اليه خمسة الف فارس
قال الواقدي رحمه الله فكان جملة من سرح ابو عبيدة رضي الله عنه الي بيت المقدس
ثلاثين الفا وسارت الامرا في ستة ايام كل امير يوما ليرهبوا الاعدا الله كل يوم يرد
امير بجيشه فكان اول من طلع عليهم يزيد ابن ابي سفيان رضي الله عنه فلما اشرف
عليهم كبر وكبروا الصحابه وسمع اهل بيت المقدس ضجيج اصواتهم فزعزعت
قلوبهم وصعدوا اعلي سور بلدتهم فلما نظروا الي قلة اصحاب يزيد استحقروهم
فظنوا ان ذلك جميع جيوش المسلمين فنزل يزيد ابن ابي سفيان رضي الله عنه بمن معه مما
يلي اريحا واقبل في اليوم الثاني شرحبيل ابن حسنه رضي الله عنه واقبل في اليوم الثالث
المرقال هاشم ابن عتبه ابن ابي وقاص رضي الله عنه فنزل في الباب الغربي واقبل في اليوم
الرابع المسيب ابن نجيه الفزاري رضي الله عنه فنزل مما يلي الشمال واقبل من بعده
عروة ابن مهلهل ابن زيد الخيل رضي الله عنه فنزل مما يلي طريق الرمله بجاه محراب داوود
عليه السلام ثم عبد الله ابن عامر ابن ربيعه العطفاني وما نزل احد من المسلمين علي بيت
المقدس الا نزل فصلي بازايها ما رزقه الله وكبر ودعا بالنصر والظفر بالاعدا

ذكر فتوح بيت المقدس

قال واقبل ابو عبيدة وخالد رضي الله عنهما ببقية الناس والحريم
والذراري والنسا والسواد والغنم وما افا الله به علي المسلمين من الماشية والمال ولم
يبرح من مكانه واقام المسلمون ثلاثة ايام نزولا علي بيت المقدس لم يبادوهم حرب وهم ينتظرون
منهم رسولا فلم يكلمهم من اهلها احد الا انهم قد تحصنوا وحصنوا اسوارهم بالمنجنيقات
والعرادات والسيوف والدرق والجواشن والزينة الفاخرة قال المسيب بن يحيي الغادري

ذكر فتوح بيت المقدس

ما نزلنا بلد امن بلاد الشام فرينا احسن زينة ولا اكثر عدة من بيت المقدس وما نزلنا
الا تضعضعوا لنا ودا خلهم الهلع وختونهم الهيبة الا اهل ايليا فانا نزلنا بازايهم
ثلاثة ايام لم يكلمنا احد منهم وهم ينظرون غير ان حرسهم شديد وعدتهم كاملة
فلما كان في اليوم الرابع قال رجل من البادية لشرحبيل ابن حسنة ايها الامير هولاء القوم
صم لا يسمعون او بكم لا يتكلمون ام عمي فما يبصرون ازحفوا بنا اليهم واحموا بنا عليهم
فلما كان في اليوم الرابع وقد صلوا المسلمون صلاة الفجر كان اول من ركب من الامرا الحرب
اهل بيت المقدس يزيد ابن ابي سفيان فاشهر سلاحهم وجعل يدنوا من صورهم بحيث
يسمعون خطابهم وقد اخذ معه ترجمان يبلغهم عنه ما يقول فوقف بازايهم بحيث
يسمعون خطابه وهم صموت قال يزيد لترجمانه قل لهم ان امير العرب يقول
لكم ما تقولون في الاجابة الى دعوة الحق وكلمة الصدق وهي قول لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يغفر لكم ربنا ما سلف من ذنوبكم وتحقنون بها دمايكم
فان ابيتم ان تجيبوا فاصلحوا على بلدكم كما صالح غيركم ممن هو اعظم منكم عدة واشد
فان ابيتم هاتين الخليتين حل بكم البوار وكان مصيركم الى النار فقال فتقدم الترجمان
اليهم وقال من المخاطب عنكم فكلمه قس من الافسه عليه مداوع الشعر وقال الترجمان
انا المخاطب عنهم فما الذي تريدون فقال الترجمان ان هذا الامير يقول كذا وكذا ويدعوكم
الى الدخول في دين الاسلام فان ابيتم فصالحوا بيننا وبينكم قال فبلغ القس لاهل بيت
المقدس ما قال لهم الترجمان فضجوا بكلمة كفرهم وقالوا انا لا نرجع عن دين العذرى
للبتول وان قتلنا اهون علينا من ذلك قال فبلغ الترجمان ليزيد ما قال فمشى الى الامير
او اخبرهم بجواب القوم ثم قال فبلغ الترجمان ما انتظاركم بهم فقالوا ان الامير
ابي عبيدة ما امرنا بقتال القوم بل ~~امرنا بقتالهم~~ بل امرنا بالنزول عليهم ولكن
نكتب الى امين الامة فان امرنا بالزحف اليهم فعلنا فكتب يزيد الى ابي عبيدة يعلمه
بما كان من جواب اهل بيت المقدس فما الذي ترى فكتب اليهم ابو عبيدة يامرهم بالزحف
الى القوم وهو في اثر الكتاب اليهم ونفذ الكتاب مع ميسرة ابن ناصح فلما قرا المسلمون
كتاب ابي عبيدة فرحوا بذلك واستبشروا وباتوا ينتظرون الصباح قال الواقدي
ولقد بلغني ان المسلمين باتوا في تلك الليلة وكانهم ينتظرون قادما يقدم عليهم من
شدة فرحهم بقتال اهل بيت المقدس وكل امير يريد ان تفتح على يديه ويتمتع بالصلاة
بها والنظر الى اثار الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين قال فلما اضا الفجر اذن المؤذنون
وصلى المسلمون صلاة الفجر فقرا يزيد باصحابه يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
التي كتب الله لهم ويقال ان الامرا كل قرى باصحابه هذه وكانهم كانوا على ميعاد فلما فرغوا
من الصلاة نادوا النفير يا خيل الله قال فاول من برز الى القتال كانت بنو حمير ورجال
اليمن وبرزت المسلمون للحرب كانهم اسد ضاريه ونظر اليهم اهل بيت المقدس وقد

اشرفوا لقتالهم فاوتروا قسيهم ورشاء وعلى المسلمين بسهام فكانت كالحجارة والجراد
المنتشر فجعل المسلمون يلتقونها بالدرق والجحف ولم يزل الجهاد بينهم من الغداة الى الغروب
يقاتلون قتالا شديدا وليس يظهرون للمسلمين فزعا ولا رعبا ولا يطمعون في بلدهم
فلما غربت الشمس تراجع المسلمين الى معسكرهم وصلوا ما افترض عليهم واخذوا في اصلاح
عشواتهم فلما فرغوا من ذلك اوقدوا النيران واشتكروا منها الان الحطب عندهم ممكن
فقوم يصلون وقوم يقرون وقوم يدعون ويتضرعون وقوم ينام لما لحقهم من
التعب فلما كان من الغد بكر المسلمون اليهم وتبدوا القتال وذكروا الله كثيرا واثنوا
عليه وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم رماة النبل واقبلوا يرمونا ويكرون
الله عز وجل قال الواقدي ولم تزل المسلمون في القتال عشرة ايام واهل بيت المقدس
يرون الفتح وانهم ليس في قلوبهم مزيح منهم فلما كان في ايام الحادي عشر اشرف عليهم
راية ابي عبيدة يحملها غلامه سالم ومن ورايها فرسان المسلمين وابطال الموحدين
وقد احدقوا بابي عبيدة رضي الله عليهم اجمعين وخالد عن يمينه وعبد الرحمن ابن ابي
بكر الصديق عن يساره فجاءت النسوان بالاموال فضج الناس ضجة عظيمة بالتهليل
والتكبير فاجابتهم ساير القبايل ووقع الرعب في قلوب اهل بيت المقدس وانقلب
كبراهم وبطارقتهم الى البيعة المعظمة عندهم وهي قمامة فلما وقفوا بين يدي
بتركهم سلموا عليه وصففوا بين يديه فقال ما هذه الصيحة التي اسمع فقالوا
يا ابانا قدم امير القوم الينا واشرف بقية المسلمين علينا فهذه الصيحة
من سببه فلما سمع البترك ذلك منهم انخطف لونه وتغير وجهه وقال
هي هي فقالوا ماذا لك ايها البترك الكبير والاب الخطير فقال وحق الانجيل ان
كان هو اميرهم فقد دنا هلاكهم والسلام فقالوا وكيف ذلك قال لانجد في
العلم الذي ورثناه عن المتقدمين ان الذي يفتح الارض في الطول والعرض هو
الرجل الاسمر الاجو صاحب نبيهم محمد فان كان قد قدم لا سبيل لكم الى قتاله
ولا طاقة لكم بفعاله ولابد لي اذا اشرف عليه وانظر الى صفته فان كان هو
عملت في مصلحته وصيه الى ما يريده وان كان غيره لم اسلم قط لان مدينتنا
لا تفتح الا على يد من ذكرت لكم والسلام ثم وثب قايما والقسوس والرهبان والشمامسة
من حوله وصعدوا على السور تجاه الطريق الذي قدم منه ابو عبيدة فنظر الى المسلمون
وهم يسلمون عليه ويعظمونه ثم يرجعون الى القتال كانهم الاسد الضارية فناداهم
رجل من الروم ممن كان يمشي بين يدي البترك باذنه وقال يا معاشر المسلمين
كفوا عن قتالنا وحرساونا لكم قال فامسك المسلمون عنهم فناداهم الرجل
بلسان عربي اعلموا ان صفة الرجل الذي يفتح بلدنا هذه وجميع الارض عندنا
فان كان هو لم نقاتلكم بل نسلم اليكم وان لم يكن فلسنا نكف عنكم ولا نسلم اليكم ابدا

قال الواقدي وما سمع المسلمون كلام ترجمانهم اقبل نفر منهم الي ابي عبيدة فحدثوه
بما سمعوا فخرج ابو عبيدة اليهم الي ان حاذا بهم فنظروا اليه وحققوا صفته فقال البترك ليس
هو الرجل فانشروا وقاتلوا عن دينكم وحريمكم فلما سمعوا قوله رفعوا اصواتهم واعلنوا
بكفرهم فاقبلوا يقاتلوا القتال الشديد وعاد البترك الي مقامه ولم يخاطب ابي عبيده بل
امر قومه بالحرب والقتال قال وعاد ابو عبيدة الي مقامه عند اصحابه فقال له خالد ما كان منك
ايها الامير قال لا اعلم اليغير اني خرجت اليهم كما رايت فاشرف علي شيطان من شياطينهم
الذي يظلونهم فما هو لاء ان نظروا الي حتي صاحوا صيحة واحدة ثم ولوا عني ولم يكلمني
فقال خالد يوشك ان يكون لهم ذلك راي نقف عليه بعد ذلك ونعلم بعد حتي ثم قال
نصب عليهم الحرب والقتال ثم صاح خالد ابو عبيدة بالمسلمين وامرهم بالقتال قال الواقدي
وكان نزول المسلمين علي بيت المقدس في ايام الشتا والبرد وظن الروم ان العرب لا يقدرون
علي القعود عليهم قال وزحفت المسلمين اليهم وتكالبوا عليهم وبرزوا النباله من اهل اليمن
وهم اصحاب قسي السرحط والنبع وبركوا جاثمين ورشقوهم بالنبال وكانت الروم غير
محترزين من النبل لقلة اكتراثهم لها حتي رروا النبل تنكسهم علي روسهم ويخرج من ورا ظهورهم
قال عون ابن مهلهل فلله در عربة اليمن لقد رايتهم يرمون بالنبل والروم بينها فتون من صورهم
كالمطر فلما نظروا الي النبل وما يصنع احترزوا ورفقوا الصور بالحجف والجلود واللبود وغير ذلك
فلم يرد عنهم النبل قال ونظرت الي ضرار ابن الازور وقد اقبل نحو الباب الاعظم وعليه
بطريق كبير وعلي راسه صليب من الجوهر وحوله الغلمان وعليهم الطورف والقراطق وبايديهم
العمد والقسي الموتوره وهو يحرض القوم علي القتال قال عون ابن مهلهل فنظرت الي ضرار
وقد قصد نحوه وهو يختفي تحت حجفته الي ان قرب من البرج الذي عليه البطريق ثم
اطلق اليه النبله قال عون فنظرت الي النبله وقد خرجت والبرج علي رفيع فقلت ما يكون
من هذه النبله عند علو هذا الجدار واما تصنع في هذا العلج وعليه هذه اللامه المانعه
فاقسم لقد وقعت فيه فارتد الي اسفل حصنهم فسمعت للقوم ضجة عظيمة وجلبه هايله
فعلمت انه قد قتله بنبلته ولم يزل ابو عبيدة منازلا لاهل بيت المقدس اربعة اشهر كاملا
وما من يوم الا ويقاتلوهم القتال الشديد والمسلمون صابرون علي المطر والثلج فلما نظروا
اهل بيت المقدس الي شدة الحصار وما نزل بهم من المسلمين قصدوا الي قمامة ووقفوا بين
يديه بتركهم وقالوا يا سيدنا قد دام علينا حصار هو لاء العرب ورجونا ان ياتينا مددا
من الملك وقد اشتغل عنا لاشتغاله بنفسه لاجل هزيمة جيشه وما من يوم يمر علينا الا
ويقتل منا خلق كثير ومنهم ايضا الا انهم اشهي للقتل منا في الحياة وانهم من يوم نزلوا علينا
لم نخاطبهم بكلمة واحدة ولم نجبهم احتقارا منا بهم والان قد برح الخفا وعظم بنا الامر
وانا نريد منك ان تشرف علي القوم وتنظر ما الذي يريدون منا فان كان امرهم قريب اجبناهم
الي ما يريدون وان كان صعب فتحنا الابواب وخرجنا اليهم فاما ان نقتل عن اخرنا واما ان

نظرهم

نهزمهم عنا قال فاجابهم البترك الي ذلك واشتهر بلباسه وصعد الصور وحمل الصليب بين
يديه واجتمع القسوس والرهبان بين يديه وحوله بايديهم الاناجيل مفتحة واشرف
البترك على الموضع الذي فيه ابي عبيدة نازلو ونادا منهم رجل فصيح اللسان بالعربية وقال
يا معاشر العرب ان عمدة دين النصرانية وصاحب شريعته قد اقبل يخاطبكم فليدن منا
اميركم فاخبروا ابو عبيدة بمقالته فقال والله اني لا استحل ان لا اجيبهم الي ذلك ثم قام ابو
عبيدة يمشي اليه وجماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من حوله ومعه ترجمان
له فلما وقف بازائهم قال ما تريدون وما الذي تطلبون هذا امير العرب قد اقبل نحوكم
قال البترك للترجمان قل لهم ما الذي تريدون منا فهذه البلده هي اهل ارض القدس فمن قصدها
يوشك ان الله يغضب عليه ويهلكه فاخبر الترجمان ابي عبيدة ذلك فقال قل لهم نحن نعلموا
انها بلده شريفة ومنها اسري نبينا الي السماء ودني من ربه فكان قاب قوسين وانها
معدن الانبياء وقبورهم فيها ونحن احق منها منكم بها ولا نزل نازلين عليها او يملكنا
الله اياها كما ملكنا غيرها قال البترك فما الذي تريدون منا قال ابو عبيدة ان الذي نريد هي
خصلة من محمد عبده ورسوله فان اجبتم الي هذه الكلمه كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا
قال البترك ان هذه كلمة عظيمة ونحن قايلون لها الا ان محمد ما نعرفه نبيا ولا رسولا قال
ابو عبيدة الله كذبت يا عدو الله وانك لم توحد الله قط ولقد اخبرنا الله في كتابه العزيز
انكم تقولون ان المسيح ابن الله لا اله الا هو سبحانه وتعالي عما يقولون الظالمون والجاحدون
علوا كبيرا قال البترك هذه خصلة لا نجيبكم اليها ابدا فما الخصلة الثانية قال ابي
عبيدة تصالحون عن بلدكم وتودون الجزية الينا عن يد وانتم صاغرون كما اداها
غيركم من اهل الشام جميعا قال البترك هذا اعظم علينا من الاوله وما كنا بالذي
ندخل تحت الذل قال ابي عبيدة فما نبرح نقاتلكم او يظفرنا الله بكم فنستعبد نساكم
واولادكم ونقتل منكم من خالف الحق واعتكف على كلمة الكفر قال البترك فان لا نسلم
مدينتنا او نهلك عن اخرنا وكيف نسلمها وقد استعدنا فيها الي الحصار وفيها العدة الحسنه
والرجال الشداد ولسنا نحن لقيتم من اهل المدن التي ادعوا لكم بالجزية فانما هم
غضب عليهم المسيح وادخلهم تحت طاعتكم ونحن في بلدنا من اذا سال المسيح ودعي اجاب
دعوته فقال ابو عبيدة كذبت يا عدو الله ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
وامه صديقة كانا ياكلان الطعام خلقه الله كما خلق ادم من تراب ثم قال له كن فكان
وانا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قال البترك اقسموا بالمسيح انكم لو
اقمتم علينا عشرين سنة لا فتحتموها ابدا وانما يفتح بلدنا رجل نجد نعته في كتبنا
وليس الصفة معكم قال ابو عبيدة وما صفة من يفتح بلدكم قال البترك لا نخبركم بصفته
ولكن نجد في كتبنا وما قريناه من علمنا انه يفتح هذه المدينة صاحب محمد اسمه عمر ابن
الخطاب ويعرف بالفاروق وهو رجل شديد لا ياخذه في الحق لومة لايم ولسنا نري صفته

فيكم قال فلما سمع ابو عبيدة بذلك من كلام البطريق تبسم ضاحكا وقال فتحنا البلده
وحق رب الكعبة ثم اقبل عليه وقال فان رايت هذا الرجل تعرفه قال نعم وكيف لا اعرفه وصفته
عندنا وعدد سنينه واياته قال ابو عبيدة فهو والله خليفتنا وصاحب نبينا قال البترك
واذا كان الامر على ما ذكرته وقد علمت صدق قولنا فاحقن الدما وابعث الى صاحبك ياتي
فاذا رايناه وتبينا معرفته ونعته فتحنا له المدينة واعطيناه الجزية قال ابو عبيده فاني
ابعث اليه ان يسير الينا افتحبون القتال او الكف عنكم قال البترك يا معاشر العرب
لا تدعون تعبكم وتعبكم قد صدقناكم في كلامكم لحقن الدما وانتم تابون الا القتال
فقال ابو عبيدة لان ذلك اشهى الى قلوبنا من الحياة لانا نرجوا انه الفوز والغفران من ربنا
ثم انصرف ابو عبيدة وامر الناس بالكف عن الحرب ثم جمعهم اليه واعلمهم بمقالة البترك فرفع
المسلمون اصواتهم بالتهليل والتكبير وقال افعل ايها الامير واكتب الى امير المومنين بذلك
فلعله يسير الينا ويفتح هذه البلدة فعندها كتب ابو عبيدة بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله امير
المومنين عمر ابن الخطاب من عامله ابو عبيدة عامر ابن الجراح اما بعد سلام عليك فاني
احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه واعلم يا امير المومنين انا منازلين لاهل مدينة
ايليا نقاتلهم كل يوم ويقاتلون ولقد لقي المسلمون مشقة عظيمة من البرد والامطار
الا انهم صابرون على ذلك يرجون رحمة الله عز وجل بذلك فلما كان في اليوم الذي كتبت
اليك هذا الكتاب اشرف علينا بتركهم الذي يعظمونه وقال انه يجد في كتبهم انه لا يفتح
مدينتهم وبلدتهم الا صاحب امرنا وانه يعرفه بصفته وقد سالنا نحقن الدما وان
تسير الينا وتجدنا بنفسك فلعل الله ان نفتح هذه البلده على يديك والسلام عليك
ورحمة الله وبركاته وعلى جماعة المسلمين ثم طوى الكتاب وختمه وقال معاشر المسلمين
من ينطلق بكتابي الى عمر واجره على الله فاسرع باجابته ميسرة ابن مسروق العبسي
وقال انا ايها الامير اكون الرسول وارجع مع عمر ان شا الله قال خذ الكتاب بارك الله فيك فاخذه
ميسرة واستوى على ناقته له كوما ولم يزل يجد السير حتى اتى الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخلها ليلا فقال والله لا نزلت على احد من اهل المدينة ثم اناخ ناقته وعقلها ودخل المسجد
وسلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قبر ابي بكر الصديق رضي الله عنه ثم اخذ موضعا من
المسجد ونام وكان له ليالا عده لم ينم فاخذته عيناه فما استيقظ الا لاذان عمر رضي الله عنه
وكان عمر يغلس بالاذان فلما اذن دخل المسجد وهو يقول الصلاة يرحمكم الله قال ميسرة
فقمت وتوضات وصليت خلف عمر رضي الله عنه صلاة الصبح فلما انحرف قمت اليه وسلمت
عليه فلما نظر الي تصلخني واستبشر وقال ميسرة ورب الكعبة ثم قال وما وراك يا ابن
مسروق فقلت الخير والسلامة يا امير المومنين ثم ناولته كتاب ابي عبيدة امين الامة فكان
اول من تكلم عثمان ابن عفان وقال يا امير المومنين ان الله قد اذل الروم واخرجهم
من الشام ونصر المسلمين عليهم وقد حاصر اصحابنا ايليا وذا ايقوا على اهلها وهم

فتح

في كل يوم يزدادون ذلا وصغارا وضعفا ورعبا فاذا انت اقمت ولم تسر اليهم راوا انك بامرهم
مستخف ولشانهم حقير ولا يلبثوا الا قليلا حتى ينزلوا على الصغر ويعطون الجزية فلما
سمع ذلك عمر من مقالة عثمان جزاه خيرا وقال هل عند احد منكم رايا غير هذا فقال علي
ابن ابي طالب نعم عندي غير هذا الذي وانا ابديه اليك رحمك الله فقال له عمر وما هو يا ابا
الحسن قال ان القوم قد سالوك وفي سوالهم ذل وهو على المسلمين فتحا وقد اصاب المسلمون
جهدا عظيما من البرد والقتال وطول المقام واني ارى ان سرت اليهم فتح الله هذه البلدة
على يدك وكان لك في سيرك الاجر العظيم في كل ظما ومخمصة وفي قطع كل وادي وصعود
جبل حتى تقدم عليهم فاذا انت قدمت عليهم كان لك وللمسلمين الامن والعافية والصلاح
والفتح ولست امن انهم ييسوا منك ومن قبولك الصلح ان يتمسكوا بحصنهم وياتيهم
المدد من بطارقتهم وطاغيتهم فيدخل على المسلمين هم وبلا لان بيت المقدس عندهم
معظما واليها يحجون ولا يتخلون عنها والصواب ان تسير اليهم ان شاء الله تعالى ففرح عمر
بمشورة علي وقال وقد احسن عثمان النظر في المكيدة للعدو واحسن علي المنظر للمسلمين
جزاهم الله خيرا ولست اخذ الا بمشورة علي فما عرفناه الا محمود المشورة ثم ان عمر امر الناس
باخذ الاهبة للمسير معه والاستعداد فاسرع المسلمون لاخذ ذلك واستعد المسلمون
وتاهبوا وامرهم عمر ان يعسكروا خارج المدينة ففعلوا ذلك واتى عمر المسجد فصلى فيه
اربع ركعات ثم قام الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على المدينة علي ابن
ابي طالب وخرج عمر من المدينة يومئذ واهلها يشيعونه ويودعونه وهو على بعير احمر
وعليه غرارتان في احدهما سويق وفي الاخرى تمر وبين يديه قربة مملوة وخلفه جفنة الزاد
وخرج معه جماعة من الصحابة كانوا قد شهدوا اليرموك ثم عادوا الى المدينة منهم الزبير
وعبادة ابن الصامت وسار عمر نحو بيت المقدس فكان اذا نزل منزل لا يبرح منه حتى
يصلي الغدا فاذا انفتل من صلاته يقبل على المسلمين بوجهه ويقول الحمد لله الذي عزنا
بالاسلام وخصنا بنبيه عليه السلام وهدانا من الضلال وجمعنا بعد الشتات على
كلمة التقوى والف بين قلوبنا ونصرنا على عدونا ومكن لنا في بلاده وجعلنا اخوانا
متحابين فاحمدوا الله يا عباد الله على هذه النعم واسالوه المزيد منها والشكر عليها
وعلى ما اصبحتم تتقلبون من النعمة السابغة والمنن الظاهرة فان الله عز وجل يزيد
المستزيدين الراغبين فيما لديه ويديم نعمه على الشاكرين ثم ياخذ جفنته فيملاها
سويقه ويصف التمر حوله ويقول للمسلمين كلوا هنيا رحمكم الله وياكلوا المسلمون معه
ثم يرحلوا فلم يزل في المسير قال العمر بن مالك العبسي كنت مع عمر ابن الخطاب حين سار
الى الشام فمر على ماء جذام وعليه طايفة منهم نزول والمائد عادات المثان فنزل بالمسلمين
عليه فبينما هو كذلك واصحابه من حوله اذا اقبل اليه قوم من جذام فقالوا يا امير
المومنين عندنا رجل عنده امراتان وهما اختان لام واب فغضب عمر وقال علي به فاتي

بالرجل اليه فقال عمر ما هاتان الامراتان قال الرجل زوجاتي قال فهل بينهما قرابة
قال نعم هما اختان لام واب قال عمر فما دينك السنة مسلما قال نعم قال عمر اما علمت ان هذا
حرام عليك او ليس الله تعالى قال في كتابه وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف قال الرجل والله
ما علمت وما هما علي بحرام فغضب عمر وقال كذبت والله انه لحرام عليك ولتخلين سبيل احدهما
والا ضربت عنقك قال الرجل فتحكم علي قال اي والذي لا اله الا هو فقال الرجل ان هذا
دينا ما اصبت فيه خيرا ولقد كنت غنيا ان احل فيه قال عمر ادن مني فدنى منه فخفق
راسه بالدره خفقتان وقال انتشتم الاسلام يا عدو الله ونفسه وهو الدين الذي
قد ارتضاه الله لملائكته ورسله وخيرته من خلقه خلي يا ويلك سبيل احدهما والا
جلدتك جلد المفتري قال الرجل كيف اصنع بهما وان احبهما ولكن اقرعوا بينهما فمن
وقعت القرعة عليها ثلاثا فهي لي وانا لها وان كنت لهما جميعا محبا فامرهما فاقترعا
فوقعت القرعة علي احدهما ثلاثا فامسك الواحده واطلق سبيل الثانيه ثم اقبل عمر عليه
وقال له اسمع يا ذا الرجل واعي ما اقول لك انه من اسلم في ديننا ثم رجع قتلناه فاياك
ان تفارق الاسلام والا ان بلغني عنك انك اصفت باخت امراتك التي فارقتها فانك
ان فعلت ذلك رجمتك قال وثار عمر حتى راجع علي حي من بني مورا فاذا بقوم منهم
قد اقيموا في الشمس يعذبون فقال لهم عمر ما بال هولا يعذبون قالوا انا عليهم خراجا
فهم يعذبون عليه قال فما يقولون قال يقولون ما نجد ما نودي قال عمر دعوهم والا
تكلفوهم ما لا يطيقون فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تعذبوا الناس فان
الذي يعذبون الناس في الدنيا فانهم يعذبون يوم القيمة ثم امر بهم فخلا سبيلهم
ثم سار حتى اذا كان بوادي القرى اخبروه ان شيخا على الما وله امراة وله
صديق يوده فقال صديقه هل لك ان تجعل لي في زوجتك نصيبا وتكفيك راعي
ابلك وسقيها والقيام عليها ولي فيها يوم وليلة ولك يوم وليلة قال له الشيخ قد فعلت
ذلك ورضي فلما اخبر عمر بذلك امر بهما فاحضروا فقال يا ويلكما ما دينكما قالا مسلمون
قال عمر فما هذا الذي بلغني عنكما قالا وما هو فخبرهما بما سمع عنهما فقال له الشيخ
منهما نعم قد كان ذلك قال عمر وما علمتما ان هذا حرام في دين الاسلام فقالا لا والله
ما علمنا بذلك فقال للشيخ ويحك وما الذي دعاك الى ان صنعت هذا الامر القبيح فقال
انا شيخ كبير قد ضعفت ولم يكن لي ولد اثق اليه ولا اتكل عليه وقلت هذا يكفيني الرعي
والسقي ويعينني علي زمني واجعل له نصيبا في امراتي والان اذ علمت انه حرام فلا
افعله قال عمر خذ بيد امراتك ليس لاحد عليك من سبيل ثم قال للشاب اياك ان
تقربها فان بلغني ذلك عنك ضربت رقبتك ثم ارتحل عمر يريد بيت المقدس حتى
اذا دنا من اول الشام واشرف عليه قال اسلم نزلنا ونزر ما مولي لهم فلما اشرف علي
الشام نظرنا الي خيل مقبله من خيل المسلمين فقال عمر للزبير يا ابا عبد الله اسرع وانظر

ملعون

ماهذه الخيل فاسرع الزبير اليها فلما قرب فاذا هي خيل المسلمين من اليمن قد بعث بهم ابو عبيده
ياخذون له خبر عمر رضي الله عنه قال الزبير فسلموا علي وقالوا يا فتي من اين اقبلتم قلت من
مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فكيف خلفتم اهلها فقلت بخير فقالوا ما فعل عمر
هل اتي الينا وقدم علينا ام لا قال الزبير ومن انتم قالوا نحن قوم من اليمن وقد وجهنا
ابو عبيده لناخذ خبر عمر قال فرجع الزبير الي عمر وحدثه فقال اصمت يا ابا عبد الله واقبل
من بعدهم تبع اخر فسلموا علينا وسالونا عن عمر فقال لهم هذا عمر فما تريدون قالوا
يا امير المومنين لقد ان وقت العبور وطالت الاعناق بالتطاول الي مقدمك فلعل الله
ان يفتح علينا بيت المقدس قال ثم رجعوا علي اعقابهم حتي اشرفوا علي عسكر
ابي عبيدة ونادوا برفيع اصواتهم ابشروا معاشر المسلمين بقدوم عمر قال فارتج الناس وهموا
ان يركبوا لاستقباله باجمعهم قال ابو عبيدة عزيمة مني علي رجل يخرج من مركزه ثم
سار ابو عبيدة في اناس من المهاجرين والانصار حتي اشرف ومن معه علي عمر قال
ونظر عمر الي ابي عبيدة واذا هو علي قلوص موطي بعباة قطنيه وخطام قلوصه من
شعر وابو عبيدة لابس سلاحه متنكب قوسه فلما نظر ابو عبيدة اناخ قلوصه واناخ
عمر بعيره وترجلا كلاهما ومد ابو عبيدة يده فصافح عمر وتعانقا جميعا وسلم بعضهما
علي بعض واقبل المسلمون يسلمون علي عمر ثم ركبا جميعا وجعلا يتسايران امام الناس
ويتحدثان ولم يزالا كذلك حتي نزلا بدلا فلما صلي عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم
خطبة حسنة فقال في خطبته الحمد لله الحميد المجيد القوي الشديد الفعال لما يريد
ثم قال ان الله اكرمنا بالاسلام وهدانا بمحمد عليه السلام فازاح عنا الضلالة
فاحمدوه علي هذه النعم تستوجبوا منه المزيد لان الله قال ولان شكرتم لازيدنكم
ثم قرا من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا فلما تلا عمر
ذلك قام قس من النصاري كان جالسا بين يديه قال ان الله لا يضل احدا فلما
كررها قال عمر انظروا فان اعاد القول فاضربوا عنقه وعرف القس ما قال فامسك
قال ومضي عمر في خطبته وقال اما بعد فاني اوصيكم بتقوي الله عز وجل الذي يبقي
ويفني كل شي سواه الذي بطاعته تنتفع اولياوه وبمعصيته تشقي اعداوه ايها
الناس اذوا زكات اموالكم طيبة لا تريدون بها جزاء من مخلوق ولا شكرا
فافهموا ما توعظون به فان الكيس من احرز دينه وان السعيد من وعظ بغيره
الا وان شر الامور مبتدعاتها وعليكم بسنة نبيكم فالزموها فان الاقتصاد
في السنة خير من الاجتهاد في البدعة والزموا القران فانكم تجدون فيه الشفا والفوز
ايها الناس انه قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقيامي فيكم وقال الزموا ما عليه
اصحابي ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب حتي يشهد من لم يستشهد ويحلف
من لم يحلف فمن اراد الجنة فليلزم الجماعة فان الفذ معه الشيطان ومن

اسدته حسنته وساته سيئته فهو مومن والصلاة ثم الصلاة ثم لما فرغ من خطبته وجلس
ابو عبيدة بما لقا من الروم وعمر ناصية له فتارة يبكي وتارة يهدي فلم يزل كذلك الى ان حضرة
صلاة الظهر فقال الناس يا امير المومنين اسال بلالا يوذن لنا وكان بلال مقيما ببلد
فلما بلغه ان الناس قد نزلوا على بيت المقدس اتى اليه وشهد قتالهم وجعل يقاتل معهم
فلما بلغه ان عمر سار مع ابو عبيدة قدم حتى سلم على عمر وعظم قدره فلما حضرت صلاة
الظهر سال المسلمون عمر ان يسال بلالا ان يوذن قال فدعاه عمر وقال يا بلال ان اصحاب رسول
الله يسالونك ان توذن لهم وتذكرهم اوقات نبيهم قال بلال نعم قال فلما قال
الله اكبر الله اكبر خشعت جوارحهم واقشعرت جلودهم وابدانهم فلما قال اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله بكا الناس بكاء شديدا حتى كادت قلوبهم
ان تتصدع عند ذكر الله وذكر رسوله وكاد بلال ان يقطع الاذان مما لقا الناس من
الخوف والحذر والبكا عند ذكره المصطفى فلما فرغ بلال صلى عمر بالمسلمين فلما فرغ عمر
من الصلاة جلس وقال بلال يا امير المومنين ان امرا اجناد الشام ان ياكلوا لحم الطير
وخبز النقي وما لا يلحقه ضعفا المسلمين وما لا تناله ايديهم وان الاكل يكفيني وانا الى
التراب مصيرنا فقال له يزيد ابن ابي سفيان يا امير المومنين ان شعر بلادنا هذه رخيص
فانا لنصيب ما قال بلال هو بمثل ما كنا نقوت به انفسنا في الحجاز فقال عمر ان كان الامر
كما ذكرت فكلوا هنيا مريا ولست ابرح من مكاني هذا حتى تجمعوا لي من في المنازل يعني
ان تكتبوا فقرا المسلمين ممن في المدن والقرايا فافرض لكل بيت ما يجزيهم من البر والشعير
والعسل والزيت والعدس والخل وما لا بد لهم منه ثم قال لهم هذا لكم من امرائكم
عوما يا تيكم منه من بيت مال المسلمين فان قطعه عنكم امرائكم فاعلموني حتى اعزلهم
عنكم ثم امرهم بالرحيل فلما هم بالركوب على بعيره وعليه مرقعته وهي من الصوف
وفيها اربعة عشر رقعة بعضها من الادم قال الواقدي بلغني ممن اثق به انها
انها كانت مرقعته فقال المسلمين يا امير المومنين لو ركبت بدل بعيرك جوادا ولبست
ثيابا فانه لك اعظم لهيبتك في قلوب اعدائك فاقبلوا يسئلونه ويلطفونه به الى
ان اجابه ونزع مرقعته ولبس ثيابا بياضا قال الزبير احسبوا انها كانت من ثياب مصر
قال الزبير تساوي خمسة عشر درهم وطرح على كتفيه منديلا من الكتان ليس
هو بالجديد ولا بالخلق دفعه اليه ابو عبيدة وقدم برذون اشهب من براذين
الروم فلما استوى عمر في ظهره جعل البرذون يهملج فلما نظر عمر الى فعاله نزل
عنه مسرعا وقال اقيلوا لي عثرتي اقالكم الله عثراتكم يوم القيمة لقد كاد
اميركم ان يهلك بما داخل قلبي من الكبر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه
مثقال حبة خردل من ايمان ولقد كان يهلكني ثوب البياض وبرذونكم المهماج ثم ان

عمر نزع ما كان عليه من الذي لبسه ثم عاد فلبس مرقعته قال الواقدي فقلت
له ولا تخالف فتهوي في النار فان الصدق امانه والكذب خيانه فقال لما لبس عمر
مرقعته جعل يتمختر في استعمال فقره فكان الدنيا بملابسها وقد ازوت عنه مصايد
لهوها بانها ونزلت له في حلل ميسها بواسط سرعة حدثان شيبها وقد حملت تاج
شهواتها علي قمتي مفرق راس سندتاد نانها واقبلت راكدة في حبله مراوده مطلقتا
عنه الطمع في طلب زوالها هدته معرضة ملابس جمالها علي سوق معارضته
نا قلتا مدته تبرجها في اعين مشاهدته واقفة علي قدم الاستدراج الي ترك
خدمته باذن الهمو داذ هادر بغة الي وصلتها وعمر قد امسك بيدي عصمته فلما
نصبت له حبايل بلاها ولم نزه وقع في اشراك هواها سمعت خطابا في معناها قد
شغفها حبا ان لتريها فقالت يا عمر قد وليت ارضي ولا بد من القيام بفرضي قالوا
الا انه لا تقوم الا بالملابس الهنيه والماكل الشهيه والظلم في الرعية قال عمر اذهبي
لستو من رجالك ولا ممن يقع في اوحالك اما علمتني اني قد تجردت لمعاندتك فلا حاجة
لي في مشاهدتك وها انا قد قمت علي قدم وتجردت لاقامة دعوة سيد الامم حتي
افتح بلاد الروم والعجم ثم شهر في وجهها صارم اجتهاد في معني قوله تعالى وجاهدوا
في الله حق جهاده قال الواقدي فاستحسنت كلامه فلحقت ما قال في هذا
الموضع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال وان عمر سار يريد العقبه
وصعدها الي بيت المقدس فلقيه قوم من المسلمين عليهم ثياب ديباج مما اخذوا من
اليرموك فامر عمر ان تحثا التراب في وجوههم وان تخرق عليهم ثيابهم
ولم يزل يتعلق بالعقبة حتي اشرف علي بيت المقدس فلما نظر اليها قال الله اكبر
مرتين اللهم افتح لنا فتحا يسيرا واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا ثم سار
واستقبلته العشاير والقبايل واصحاب العقود وسار عمر حتي نزل موضع ما كان
ابو عبيدة نازل فضربت له خيمة من شعر فجلس في كسرها علي التراب ثم قام فصلى
اربع ركعات قال وعلت للمسلمين ضجة عظيمة وصايح مزعج بالتكبير والتهليل
وسمع اهل بيت المقدس الضجة والجلبه فقال لهم البترك انظروا ما شان العرب
فذا اتفقت لهم الجلبه من غير قتال فتشارف رجل من متنصرة العرب وقال يا معاشر
المسلمين اخبرون ما ضجتكم قالوا ان امير المومنين عمر قد قدم علينا من مدينة رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه الضجة من فرح المسلمين قال فرجع المتنصر واعلم البترك ما
قال المسلمون قال فما طرق ولم يتكلم فلما كان من الغد وقد صلى عمر بالمسلمين صلاة
الفجر قال [illegible] عبيدة يا عامر تقدم الي القوم واعلمهم اذ قد اتيتموا قال فخرج ابو عبيده
وصاح بهم وقال يا اهل هذه البلدة ان صاحبنا امير المومنين عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه قد اتي فما تصنعون فيما قلتم قال فاعلم البترك وخرج من كنيسته

وعليه المسوح ومن حوله الرهبان والقسيسون والاساقف وقد حمل بين يديه صليب عظيم
لا يخرجه لاهل المدينة الا في عيدهم وسار معه الناطليق وهو الوالي عليهم وهو يقول للبترك
ان كنت تعرف صفته والا لا تفتح لنا باب ودعنا وداب هولاء العرب ابدا فانا نوبيدهم
واما يبيدون قال البترك انا افعل ذلك وعلى على الصور ووقف البطريق الى جانبه
والصليب امامه واشرف على ابو عبيدة هذا امير المومنين الذي ليس عليه امير ثاني
فاخرجوا اليه واعقدوا منه الامان والذمه وقروا له بالجزية قال له البترك يا ذا الرجل
ان كان صاحبكم اني وهو الذي ليس عليه امير فقل له حتى يدني منا فانا نعرفه
بصفته ونعته وافردوه من بينكم ويقوم باذ الحصن حتى نراه فان كان صاحبنا
الذي نجد نعته في الانجيل نزلنا اليه وعقدنا منه الامان في الزمه واقررنا له الجزية
وان كان غير الذي نجد صفته ونعته فما لكم منا غير القتال قال فرجع ابو عبيدة الى
عمر واخبره بما قال البترك فهم عمر بالقيام فقالت له اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا امير المومنين تخرج اليهم منفردا وليس عليك عدة الحرب غير هذه المرقعة فانا نخشا
عليك منهم غدرا او مكرا فينالون منك قال عمر لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا
وعلى الله فليتوكل المتوكلون فامر بعيره فقدم اليه فاستوى في كوره وعليه مرقعه
ليس عليه غيرها وعلى راسه قطعت عبا قطوانيه قد عصب بها راسه وليس
معه غير ابو عبيدة سايرا بين يديه حتى وقف بازا البترك والناطليق فتكلم
ابو عبيدة وقال يا هولاء هذا امير المومنين قد اتا فمد البترك عينه فنظر اليه
وزعق وقال باعلى صوته هذا والله الذي نجد صفته ونعته في كتابنا ومن يكون
فتح بلادنا على يده لا محالة في ذلك ثم قال لاهل بيت المقدس يا ويلكم انزلوا اليه
واعقدوا منه الامان والذمه وهذا والله صاحب محمد ابن عبد الله فلما سمعت الروم
كلام البترك نزلوا مسرعين وكانوا قد ضاقت انفسهم من الم الحصار ففتحوا الباب
وخرجوا الى عمر ابن الخطاب يسالونه العهد والذمة ويقرون له بالجزية فلما نظر
اليهم عمر على تلك الحال تواضع لله سبحانه وتعالى وخر ساجدا الله تعالى على قتب
بعيره ثم اقبل عليهم وقال ارجعوا الى بلدكم ولكم الذمه والعهد ان سالتمونا
واقررتم الجزية لنا فرجع القوم الى حصنهم ولم يغلقوا الابواب ورجع عمر
الى عسكره فبات فيه ليلة فلما كان الغد قام فدخل اليها وكان دخوله يوم الاثنين
واقام فيها الى يوم الجمعة وخط بها محرابا وهو موضع مسجده فتقدم فصلى باصحابه
صلاة الجمعة فهمت الروم بغدرهم وكان ابو الجعيد الذي نصب عليهم باليرموك
ما قد ذكرنا عندهم لاجل اهله وماله فقالوا له ما ترى بغدرنا هولاء العرب اذا
اشتغلوا بصلاتهم وسجدوا وليس معهم الة الحرب ولا ما يحترزون به من الضرب
فقال لهم صاحبهم ابو الجعيد يا قوم لا تفعلون ولا تقدروا بهم فانكم ان فعلتم ذلك

بهم اذ بيلهم عليكم عند الغدر ولكن اتركوهم فان كانوا اصحاب دنيا ولها
يطلبون دون الاخره شره عليكم مما تصنعون بهم قالوا والله ما الذي نصنع
قال ابو الحميد اظهروا للعرب ما لكم من الدنية ومتاع هذه الدنيا فان الدنيا
وما فيها لا يبصر صاحبها عنها فان طلبوا او همّوا بغدر رفيقنا نكم وما تريدون
قال فاقبلوا على ما كانوا يقدرون عليه من المال والمتاع الحسن فاظهروه وصفوه
في طريق المسلمين ونثروا رغبهم فجعل المسلمون ينظرون الى ذلك في دخولهم ويتعجبون
منه وقالوا الحمد لله الذي ورثنا ديار قوم لهم مثل هذا من الدنيا ولو كانت الدنيا
عند الله تساوي جناح بعوضة ما سقا الكافر منها شربة ماء قال عوف بن سالم
فوالله ما من المسلمين من جعل يده على شي من متاعهم فقال ابو الحميد هولاء
القوم الذين وصفهم الله في التورات والانجيل وانهم لا يزالون على الحق لا يقوم
بحربهم احد ما داموا على ما هم عليه قال الواقدي واقام عمر في بيت المقدس
عشرة ايام قال حوشب سمعت كعب الاحبار يقول انه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لما
صالح اهل بيت المقدس ودخلها اقام فيها عشرا فاقبلت نحوه وكنت في قرية من قرى فلسطين
قدمت عليه لاسلم على يديه وذلك ان ابي كان اعلم الناس بما انزل الله سبحانه وتعالى على موسى
وكان بي محبا وعلي مشفقا وادا ولم يكتم عني شيا الا علمني اياه ممن كان يعلم الناس فلما
حضره الموت دعاني اليه وقال لي يا بني انك تعلم اني ما ادخرت عنك شيا مما كنت
اعلمه الا اني خبيت عنك ان تخرج بعض هولاء الكذابين وتتبعه وقد جعلت هاتين
الورقتين في هذه الكوره التي ترى فلا تعرض لها ولا تنظر فيها الى ان تسمع بنبي يبعث في اخر
الزمان اسمه محمد وان يرد الله بك خيرا فانت تتبعه ثم انه مات بعد وصيته اياي وقال
كعب فدفنته ولم يكن شيا احب الي من ان اقضي المأتم حتى انظر ما في الورقتين
فلما انقضى المأتم اقبلت الى تلك الكوره واستخرجت الورقتين ونشرتهما ونظرت
ما فيها فاذا فيها مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله خاتم النبيين لا نبي بعده مولده بمكة
ودار هجرته الطيبة الامينه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب همته الحامدون الذين يحمدون
على كل السنتهم رطبة بالتكبير والتهليل وهو منصورا على كل من ناواه من اعدائه اجمعين
يغسلون فروجهم وانا جيلهم في صدورهم وتراحمهم بينهم تراحم الانبيا بين الامم وهم
اول من يدخل الجنة يبن قال كعب فلما قرات ذلك قلت في نفسي وهل علمني ابي شي هو خير
من هذا ثم مكثت بعد وفاة ابي ما شا الله الى ان بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قد ظهر بمكة
وهو يظهر امره بعد اخرى فقلت هو والله لا محاله ولم ازل ابحث عن امره حتى قيل ان
خرج من مكة ونزل يثرب فجعلت ارقب امره حتى غزا غزوا وانه ونصر على اعدائه
فتجهزت اريد المسير اليه فبلغني انه قد قبض فقلت في نفسي لعله ليس بالذي كنت انتظره
حتى رايته في منامي وكان ابواب السما قد فتحت والملائكه تنزل زمرا بعد زمر وقايلا يقول

قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحي عن اهل الارض فرجعت الى داري فوقي وجاء بالخبر
انه اقام من بعده خليفة من امته اسمه ابو بكر الصديق فقلت اقدموا عليه فلم البث ان جاءتنا
جيوشه وجنوده الى الشام ثم جاءتنا وفاته ثم قيل انه قد استخلف عليه رجل اسمه عمر
فقلت لا ادخل في هذا الدين حتى اعلم حقيقته ولم ازل متوقفا حتى قالوا قدم عمر ابن
الخطاب رضي الله عنه الى بيت المقدس وصالح اهلها فنظرت الى وفائهم بعهودهم وما
صنع الله باعدائهم فعلمت انهم امة النبي الوفي وحدثت نفسي بالدخول في دينهم فوالله
اني ذات ليلة نائم على سطح بيتي فاذا انا برجل من المسلمين يقرا يا ايها الذين اوتوا الكتاب
امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما
لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا قال كعب فلما سمعت هذه الاية خفت والله اني لا اصبح
حتى يحول وجهي فما كان شي احب الي من الصباح فلما اصبحت غدوة من منزلي وسالت عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه فقيل لي انه في بيت المقدس مقيما فقصدت اليه اذا به قد صلى باصحابه
صلاة الفجر فاقبلت عليه وسلمت عليه فرد علي السلام وقال من انت قلت انا كعب الاحبار
واني قد جئت اريد الاسلام والدخول فيه فاني وجدت صفة محمد وامته في الكتب المنزلة ان
الله عز وجل اوحى الى موسى يا موسى اني ما خلقت خلقا احب الي من امة محمد ولولاه ما خلقت
جنة ولا نارا ولا سماء ولا ارضا امته خير الامم ودينه خير الاديان ابعثه في اخر الزمان
امته مرحومة وهو نبي الرحمة النبي التهامي القرشي الرحيم بالمومنين الشديد على الكافرين
سريرته مثل علانيته وقوله لا يخالف فعله القريب والبعيد عنده سوا اصحابه متراحمون
متواصلون فقال عمر رضي الله عنه حقا هو يا كعب قال كعب اي والذي يسمع ما اقول ويعلم ما تخفي
الصدور فقال عمر الحمد لله الذي اعزنا واكرمنا وشرفنا ورحمنا برحمته التي وسعت كل شي
وهدانا بمحمد صلى الله عليه وسلم فهل لك الان ان تدخل في ديننا فقال كعب يا امير المومنين ففي
كتابكم ذكر دينكم فقال عمر نعم ثم قرا ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله
اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ثم قرا ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب
الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل
واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون ثم قرا ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
الاية ثم قرا اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ثم
قرا وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل قال كعب
فلما سمعت الاية قلت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ففرح عمر باسلام كعب
الاحبار ثم قال له عمر هل لك ان تسير معي الى المدينة فتزور قبر المصطفى وتتمتع بزيارته
فقلت نعم يا امير المومنين انا افعل ذلك قال فارتحل عمر رضي الله عنه بعد ان كتب لاهل
بيت المقدس عهدا واقراهم في بلدهم على الجزية وسار بعسكره على الجابية فاقام
بها ودون الدواوين واخذ الخمس الذي فيه لله عز وجل مما افا الله على المسلمين ثم قسم

الشام قسمين فاعطى ابو عبيدة من حوران الى حلب وما يليها وامره بالمسير الى حلب وان يقاتل
اهلها حتى يفتحها الله على يديه وكان قد سلم اكثر الاجناد الى ابي عبيدة وخالد بن الوليد رضي الله
عنهما اعطى ارض فلسطين وارض القدس والساحل الى يزيد ابن ابي سفيان وجعل امر يزيد الى
ابي عبيدة وامر يزيد ان يحارب اهل قيسارية الى ان يفتحها الله على يديه وسير عمرو ابن العاص
الى مصر واستعمل على قضا حمص عمير ابن سعد الانصاري ثم سار عمر يريد مدينة رسول الله
واخذ كعب معه وكان الناس بالمدينة يظنون ان عمر يقيم بالشام لما يرى من كثرة خيره وطيبه
ورخصه وما يخبرون عنها انها بلاد الانبيا وهي الارض المقدسة وفيها المحشر فبقوا النايبو يتطاولون
لخبره ويخرجون كل يوم ينظرونه حتى قدم عمر فرحت الارض لقدومه واستبشروا اصحاب
رسول الله بمقدمه ورحبوا به وهنوه بما فتح الله على يديه فلما بدا بالمسجد فسلم على
قبر رسول الله وعلى قبر ابي بكر وصلى اربع ركعات ودعا بكعب الاحبار وقال حدث المسلمين
بما رايت في الورقتين فحدثهم بما ذكرناه قال الواقدي والله يا ابن سفيان
النحوي قال حدثني ابو جعفر محمد ابن عبيد ناصح قال حدثني عبد الله ابن مسلم الزهري وعبد الله
ابن جعفر عن عبد الله ابن يحيى عمن حدثهم به ممن تقدم ذكرهم واسماوهم في اول الجزو
وحديث القوم قريب بعضه من بعض والله يعيذنا من الزيادة والنقصان لان الصدق امانة
والكذب مهانة قال ابو عبد الله محمد ابن عمر الواقدي رحمه الله والله الذي لا اله الا هو عالم
الغيب والشهادة ما اعتمدت في خبر هذه الفتوح الا الصدق وما احدث الا عن قاعدة
الصدق لاثبت فضايل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لارغم بذلك اهل الرفض والجاحدين
السنة والفرض اذ لولاهم بمشية الله عز وجل لم تكن البلاد للمسلمين ولا انتشر علم هذا
الدين فلله درهم لقد جاهدوا وصبروا وثبتوا اللقا العدو وبذلوا جهدهم وما قصروا
حتى زحزحوا الكفر عن سريره وثنوا الميسرة واذلوا كسرى وقيصر والخليل ابن كركره حتى
علا الاسلام وظهر وذل الكفر وتقهقر واجرم قال الله فيهم فمنهم من قضى نحبه ومنهم
من ينتظر وما بدلوا تبديلا قال الواقدي رحمه الله وذلك انه لما بعث عمر رضي الله عنه امير الشام
ابي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه الى حلب وانطاكية والمعرة وما يليهم من الحصون وبعث عمرو
ابن العاص الى مصر وبعث يزيد ابن ابي سفيان الى ساحل الشام ونازلها وكانت قيسارية
اهله بالخلق كثيرة الجند وعليها قسطنطين ابن الملك هرقل ومعه ثلاثين الفا من الروم
ومن العرب المتنصرة والروسية فلما نظر قسطنطين الى ذلك استنجد بابيه وقد بعث اليه
هرقل بصاحب مرعش لاذن ابن ميخال في عشرين الفا من ابطال الروسية ونفذ له
المراكب بالزاد والعلوفة فلما نظر يزيد ابن ابي سفيان الى ذلك ولا قدرة له على قيسارية
كتب الى امير المومنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد ابن ابي سفيان
عامله على بعض الشام الى امير المومنين عمر ابن الخطاب سلام عليك فاني احمد الله
الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه اما بعد يا امير المومنين فاني نازلت اهل قيسارية وهي

مدينة اهلت بالخلق كثيرة الجند وليس لي اليها سبيل وان قسطنطين ابن الملك هرقل قد استنجد
بابيه وقد انجده بصاحب مرعش وهو لاون ابن ميخائيل في عشرين الفا والمراكب ترد اليه
في كل يوم بالعلوفة والطعام واريد النجدة والسلام وبعث الكتاب الى عمر رضي الله عنه مع سالم
ابن حميد النخعي فلما ورد سالم المدينة سلم الكتاب الى عمر رضي الله عنه وسلم عليه فقال
عمر رضي الله عنه من اين هذا الكتاب فقال من عاملك يزيد ابن ابي سفيان فاخذ عمر رضي الله
عنه الكتاب وفكه وقراه فلما اتى على اخره فكر في امر يزيد وما دفع اليه واذا علي رضي الله
عنه قد قدم فقام اليه عمر رضي الله عنه وعانقه وسلم بعضهما على بعض ثم جلسا
فقال علي يا امير المومنين كيف حالك فقال عمر رضي الله عنهما انا بخير من الله وانا اسأله
المعونة فيما وليت والله لو ضاعت شاة بالفرات لاخذ بها عمر وهذا كتاب يزيد ابن ابي سفيان
من على قيسارية بالشام يطلب مني النجدة فقال علي رضي الله لا تغتم على المسلمين ولا تحزن
فان الله سيفتحها عليك رغما فانجد يزيد ابن ابي سفيان بما قدرت عليه فكتب عمر رضي
الله عنه الى ابي عبيدة رضي الله عنه يامره بنجدة يزيد ابن ابي سفيان ونفذ اليه كتابا قال
الواقدي رحمه الله فلما وصل كتاب عمر الى ابي عبيدة رضي الله عنهما نفذ الى يزيد ثلاثة الف
فارس مع حرب ابن عدي وبقي مع ابي عبيدة رضي الله عنه سبعة عشر الفا اكثرهم من اليمن
وذلك ان ابا عبيدة رضي الله عنه كان صالح اهل قنسرين والحاضر عنوه على خمسة الف
اوقية من الذهب ومثلها من الفضة والفي ثوب من اصناف الديباج وخمسمائة
وقر من التين والزبيب فلما تم صلحهم وجبوا ما ضمن لهم من مدينتهم وحاضرهم
كتب لهم الكتب وشرط عليهم الشروط ودخل ابو عبيدة وخالد رضي الله عنهما في خاصتهم
من رجال المومنين وسادات المسلمين وخطوا فيها مسجدا وبلغ ذلك اهل حلب منه صلح قنسرين
ومسير العرب اليهم فاضطربوا اضطرابا شديدا وكان عليهم ريسان وكانا اخوين لاب
وام وكانا يسكنان في القلعة ولم يكن في المدينة يومئذ محيطة بالقلعة وانما
كانت المدينة مفردة بذاتها وكان البطريقين يقال لاحدهما يوحنا والاخر يوقنا
وكان ابوهما ملك البلد واعماله وضياعه ورستاقه الى حدود الدروب والى حدود
الفرات وقد ملك حلب سنينا لا ينازعه منازع وكان هو قبل طاغية القوم قد
اقطعه اباها كلها ذلك فزعا من شره وعظيم مكره وكانت ملوك الروم تهابه وتوقره ولا
تحاربه كل ذلك اتفاقا على ملكهم واجتماع كلمتهم لانه كان قد انتخ من رومية وهو
غلام نبيل يحلي في المملكة لكثرة شره وتدبيره وشدة بنيته فلما نزل بالعواصم استخلص
لنفسه قلعة حلب وبناها وحصنها وانبسط في البلاد فلما هلك الملك وفي الامر بعده
ولده يوقنا وكان الكبير وكان شجاعا بطلا جامعا للاموال مقداما في الحرب لا يصطلى
بناره وكان اخوه يوحنا البنا وكان قد تزهد بيده من الملك وترهب وكان اعلم اهل زمانه
وانه لما بلغهم الخبر ان ابا عبيدة رضي الله عنه قد قصد اليهم قال لاخيه يوقنا على

ما ترى

ماذا عولت قال على قتال العرب ولا ادعهم يقربون من ارضنا وبلدنا واوى العرب
الست من جملة من لقيوا من بطارقة الروم الشام ولا منه غيرهم قال له اخوه يوحنا
وكان قد درس الانجيل وقرا المزامير ولبس له هذه الاعوان الكنايس وبنا الاديره
وتشيد الصوامع وكسوة الشمامسه والقسوس والرهبان والقيام باموره فلما بلغ
هذا الاخوين فتح الحاضر عنوة وقنسرين صلحا وان العرب نازلين عليها وخيلهم
تضر المغار بسوا العواصم والبقاع الى حد الفرات فاقبل يوحنا على اخيه الاكبر يوقنا فقال
له يا اخي اني اريد ان اخلو ابك ليلة واشاورك واطلعك على راي فاشرف على رايك
قال فانعم له بذلك فلما جلسا للمشورة اقبل يوقنا على اخيه يوحنا وقال يا اخي الا ترى ما نزل
بالملوك من هولاء العرب الجياع الاكباد العراة الاجساد وما حل باهل الشام منهم من
القتل والنهب واخذ الاموال قهرا وما ينزلون على مدينة من مداين الشام الا فتحوها
وملكوها فما ترا انا ما نصنع في امرهم فكاني بهم قد اشرفوا علينا فقال يوحنا يا اخي
اذ قد استشرتني في امرك فاني انصحك ولا اغشك ان قبلت النصيحة وان كنت اصغر
منك سنا واقل بالحروب منك بصيرة فوحق المسيح والقربان لين قبلت مشورتي ليعلون
امرك ويسلم لك حالك ونفسك قال له يوقنا ما علمتك الا ناصحا فما عندك من الراي
عندي ترسل رسولا الى العرب فان شيت اكون انا رسولك اليهم فتبذل لهم شيا من المال
وتسلهم الصلح وتتفق معهم على مال معلوم تدفعه في كل عام ما دامت الغلبة لهم
فلما سمع يوقنا ذلك من كلام اخيه يوحنا اقبل عليه وقد استوثق بالغضب فتحك المسيح
فما اعجز رايك وانما ولدتك امك راهبا او قسا ولم تلدك ملكا ولا محاربا والرهبان لا
قلوب لهم لان اكلهم العدس والزيت والبقل ولا ياكلون اللحم ولا يعرفونه وليس لهم
بالقتال بصيره ولا ملاقات الرجال وانما انا فملك ابن ملك وليس بيني وبينهم الا الحرب
ولا تنسبني الملوك الى العجز ويلك كيف نسلم ملكنا الى العرب ونعطيهم القياد من
انفسنا بغير حرب ولا لقا فلما سمع يوحنا ذلك من كلام اخيه تبسم من كلامه
تبسم التعجب وقال له وحق المسيح اني اظن ان قتلك قد قرب لانك صاحب بغي
تحب سفك الدماء وقتل النفس وما اظن جموعك باكثر من جموع الملك هرقل الذي
جمعها في اليرموك مع ماهان ويوم اجنادين وهولاء القوم قد اذيل لهم علينا
فاتق الله ولا تعن على قتلك فلما سمع يوقنا كلام اخيه داخله الغضب وقال قد
اكثرت الكلام واطلت في مدحك العرب واني لست ممن لقوه من الجموع التي ذكرتها
ولا اقاس بهم ومع هذا فما اعلم ان احدا ممن ذكر من اهل المدن وغيرها من سلم بلده
دينهم عنوة قبل ان يقاتلوا وانما جمعت الاموال لادفع بها الاذى عني واني اجمع على قتال العرب وحدها
فان ظفرت بالصليب بهم واعانني المسيح عليهم طلبت العرب الى ان ادخل خلفهم
الحجاز واستبد على ساير الملوك وارجع الى الشام ملكا ولا يقدر هرقل ان ينازعني

ان هزمتني العرب طلعت قلعتي هذه ولزمتها فاني قد اوعيت فيها من الزاد والاطعمه ما يكفيني
طول دهري واكون فيها عزيزا الى ان اموت ولا القي يدي الى العرب ولا ابذل اموالي من غير سبب ولا
تعاودني في شي من امور العرب بكلام تدعوني فيه الى الصلح الا ابطشت بك قبلهم قال الواقدي
رحمه الله واحتوى الشيطان على قلبه وقد سول له سو الفعل فلما سمع يوحنا كلام اخيه
يوقنا قال كلامك علي حرام ابدا حتى ترجع الى رايي وتنتهي الي ثم قام عنه مغضبا فلما كان
من الغد جمع يوقنا اليه جميع من لجا اليه من العسكر من الارمن والمتنصرة وغيرهم وعرضهم
علي نفسه فمن اراد سلاحا اعطاه وفرق فيهم الاموال وجعل يهون امر العرب عليهم ويقول
انما هم قليل وليسوا بالكثير لان جموعهم قد افترقت منهم علي قيسارية الشام ومنهم من
توجه الي مصر قال الواقدي رحمه الله وقد عزم على قتال ابي عبيدة رضي الله عنه قبل ان يصل
اليه والي بلده ثم عمد الي بطريق من بطارقته اسمه كركيس وضم اليه الف لابس ووكله بحفظ
بلده وان يذب عنه من غاره وسار يوقنا بمن معه يريد ان يلقي جيش ابي عبيدة رضي الله عنه
والمسلمين وهو يومئذ في اثني عشر الف مدرع غير ما كان بغير لبس ونشر امامه الاعلام
والصليب الذي يعظمه وكان صليبا من الجوهر ومن حوله الف علم قال صهيب ابن ثعلبه
الكندي اقام ابو عبيدة رضي الله عنه علي مدينة قنسرين بعد ان فتحها بالصلح حتى
اتا البريد بكتاب امير المومنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فامره ان يبعث الي يزيد ابن ابي سفيان
من جيشه فبعث اليه ثلاثة الف فارس وعول ابو عبيدة رضي الله عنه على المسير الى حلب فدعا
برجل من بني ضمير يقال له كعب ابن ضميره الضميري وكان بطلا مجربا شديد الباس عظيم
الاحتراس وكان اذا ثبت علي وجه الارض للقتال لا يهاب الجحافل ان قلت عليه او كثرت فضم
اليه الف فارس وسرحه علي مقدمته وقال يا كعب لا تقاتل جيشا لا تطيقه واختبر امر هذا
العلج واعرف خبره وانا راحل من ورائك فسار كعب ابن ضميره يريد حلب وكان يوقنا قد
قدم امام عسكره عيونا ياتونه بالاخبار فوردت عليه جواسيسه تخبره ان خيول المسلمين
قد اتتك تريد بلده وتروم قتاله فقال لهم في كم اتت العرب فقالوا له في الف فارس وها هم
نزول عن ستة اميال من بلدكم قال فكمن لهم يوقنا كمينا ثم سار بجيشه حتى اشرف علي
المسلمين وهم نزول في اماكنهم علي نفر من الماء يسقون خيولهم ويسبغون الوضوء
فبينما هم كذلك اذا اشرف عليهم يوقنا والصليب امامه نادا المسلمون بعضهم ببعض واستووا
علي خيولهم وركب كعب ابن ضميره فرسه وسبق في اوايل قومه واشرف علي جيش يوقنا فحزر
الجيش انه خمسة الف وكان يوقنا قد قسم عسكره شطرين النصف معه والنصف في الكمين
فلما نظر كعب الي يوقنا وجيشه انقلب الي اصحابه وقال يا انصار دين الله اني نظرت عسكر
عدوكم وحزرته وهم به في خمسة الف وهم لكم مغنما اما يقاتل واحد منكم خمسة نفر فقالوا نعم
بلي والله واقبل يشجع بعضهم بعضا وقربت الفيه من الفيه وصاح يوقنا برجاله وغلمانه
وبطارقته وامرهم بالحملة علي المسلمين فحملوا باجمعهم علي المسلمين حملة صعبه وحمل

المسلمون

المسلمون عليهم والتقا الجمعان واشتبك الحرب وقاتل الفريقان قتال الموت وقد ايقنوا بالغنيمة والظفر
اذ طلع عليهم كمين المشركين من ورائهم وكر اصحاب الكمين بالحملة على المسلمين قال مسعود ابن عون
الجمحي شهدت الخيل التي بعثها ابو عبيدة رضي الله عنه على طلايعه مع كعب ابن ضميره وكنت فيها
يوم التقا الجمعان وقد خرج عليهم الكمين ونحن في القتال ونحن لا نظن ان له كمين فطلع من
ورا ظهورنا واذا بصوت حوافر الخيل قد ارتفعت فما شعرنا الا والخيل قد اكبت علينا
فايقنا بالهلكة بعد ان كنا موقنين بالغلبه وصرنا في وسط عسكر الاعلاج فلم يكن بد لنا من
القتال فافترق المسلمون ثلاث فرق فرقة منهم منهزمة وفرقة قصدت لقتال الكمين وفرقة
منهم مع كعب ابن ضميرة وقد جهدت قتال البطريق يوقنا ومن معه من عباد الصليب قال
مسعود ابن عون فلله در رجال كنده فلقد قاتلوا قتالا شديدا وابلوا بلا حسنا ووهبوا
انفسهم لله تعالى حتى قتل منهم ذلك اليوم مائة رجل في مقام واحد وحمل اهل الكمين حملا عظيما
وكعب ابن ضميره قلق على المسلمين يجاهد عنهم وهو يجول بالراية وينادي يا محمد يا محمد
يا نصر الله انزل معاشر المسلمين اثبتوا لهم فانما هي ساعة ويأتي النصر وانتم الاعلون فجعل المسلمون
يقبلون اليه حتى اجتمعوا من حوله فنظر اليهم والجراح فاشية فيهم وقد قتل من المسلمين
مائة وسبعين رجلا فاما الاعيان منهم عباد ابن عاصم النخعي وزفر ابن عامر البياضي
من بني بياضه وحازم ابن شهاب وهشيم ابن اشيم البجلي ورفاعه بن محصن المظفري
وغانم ابن ذر الضمري وعويلم ابن ناهد الضمري وقيس ابن طالب ونجيه ابن دارم الضمري
وعنان ابن سيف الضمري ولجام ابن ضميرة الضمري ومحلم ابن ماجد اليشكوري وسنان
ابن عروة احد بني طهيه ابن عامر السكسكي وسعيد ابن مفلح مولى لبني ساعده وكان
ممن شهد يوم السلاسل وتبوك بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد قتال
اليمامه مع خالد ابن الوليد رضي الله عنه قال مسعود ابن عون فوالله لقد اسفنا على قتله
ووجدنا فيه اربعين ضربة كلها في صدره ولم نجد واحدة في ظهره فكانت الاعيان اربعة
عشر رجلا الا ان الرجل ما قتل حتى قتل اعدادا من المشركين وشهد القتال في المشركين
حين نظروا الى ثبات المسلمين على قلة عددهم وما يهولهم من قتل منهم فهموا ان
ينهزموا فانتهرهم يوقنا وقال لهم يا ويلكم ما العرب الا مثل الذباب ان صرفت فلت
وان تركت طمعت ولما نظر كعب ابن ضميرة الى من قتل تحت رايته اغتم لذلك غما شديدا
فنزل عن فرسه ولبس درعا فوق درعه وشد وسطه بمنطقة من تحت ومسح وجه
فرسه ومناخره وكان قد شهد معه المواطن وجاهد عليه بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان سماه البطال ثم استوى في متنه ووقف امام المسلمين وجعل ينظر الى القتلى
وهو يفكر في امره والراية بيده وهو ينظر من ابي عبيدة رضي الله عنه جيشا يصل اليه او
طليعة تقدم عليه فلم ير لذلك اثرا وذلك انه لما سار يوقنا الى حرب المسلمين اجتمع
المشايخ بلد حلب والروسا بعضهم الى بعض وقالوا يا قوم انكم تعلمون ان هولاء العرب قد

اطاعهم اهل دين الصليب ودخلوا في ذمتهم ومنهم من رجع الى دينهم ومن قاتلهم
خسر فهل لكم ان تسيروا الى امير العرب وتسله الصلح لنا ونصالحه على مدينتنا
وندفع اليه ما احب من اموالنا فان ظفر المسلمين بالبطريق يوقنا نكون نحن امنين
قد سبقنا الى الصلح فان لم يغلب ورجع سالما لم نعلمه بصلحنا واتفق رايهم على ذلك

ذكر صلح رؤسا حلب عن حلب

وخرج منهم ثلاثون رجلا من رؤسائهم وسلكوا طريقا غير طريق يوقنا
حتى اشرفوا على عسكر ابي عبيدة رضي الله عنه وهو نازل على قنسرين وهو عازم
على الرحيل فلما اشرف الثلاثون رجلا على المسلمين نادوا الفون الفون وكانت
العرب قد علمت هذه الكلمه ان معناها الامان وكان عمر رضي الله عنه قد بلغه ذلك
بكتب الى عماله بالشام انه قد بلغني ان لفون بالروميه هو الامان فمن سمعتموه
يقولها فلا تجهزوا عليه بالقتل فيطالبكم الله بدمه يوم القيامه وعمر منه بري وكان
العرب يعرفونها فلما سمعها المسلمون اسرعوا اليهم واوقفوهم بين يدي ابي عبيدة
رضي الله عنه فقال خالد رضي الله عنه يوشك ان هولاء قوم يطلبون الصلح والامان
لانفسهم وهم اهل حلب قال ابو عبيدة رضي الله عنه ارجوا ان يكون ذلك ان شاء الله
وان صالحوني صالحتهم قال وهو لا يعلم ما فيه اصحابه وكان قدامهم عليه ليلا
والنيران توقد بين يديه ومنهم رجال قيام يصلون ومنهم يتلون فجعل بعضهم يقول
البعض بهذه الفعال نصروا علينا فلما سمع الترجمان مقالتهم اخبر ابو عبيده بذلك
وما قد تناجوا به بينهم فقال ابو عبيدة رضي الله عنه يا قوم سبقت لنا العنايه
من خالقنا وانا رجال لا نريد بدين الله ورسوله بدلا ولا نجزع من الاعداء فاخبرهم
الترجمان بذلك وقال لهم من انتم فقالوا نحن من سكان حلب من تجارها وسوقها
ورؤسائها وقد جئنا نطلب منكم الامان والصلح فقال لهم ابو عبيدة رضي الله عنه
وكيف نصالحكم وقد بلغنا ان بطريقكم قد صمم على قتالنا وقد حصن قلعته وجعل
فيها ما يقوته سنين واتخذ الجند واكثر من ذلك وما لكم عندنا صلح قالوا ايها الامير
ان صاحبنا خرج من عندنا يريد حربكم وقتالكم قال ابو عبيدة رضي الله عنه ومتى
خرج قالوا خرج سحيرا وخرجنا نحن في اثره من بعده وسلكنا طريقا غير طريقه
وانا نرجوا انه هلك لا محاله لانه ركب غارب البغي ولم يرض بالصلح وقد اضاع
هواه ومن اطاع هواه اهواه في سبيل الردى فلما سمع ابو عبيدة رضي الله عنه بخروج
البطريق يوقنا فعلى طليعته منه وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هلك
والله كعب ومن معه انا لله وانا اليه راجعون ثم اطرق الى الارض فقال شيوخ حلب
للترجمان كلم لنا الامير في الصلح قال فكلمه فقال ابو عبيدة رضي الله عنه بفضحه لا صلح
لهم عندنا قال فخاف الشيوخ على انفسهم وقالوا انه قد اجتمع الينا من القرايا والرساتيق

خلق كثير فان صالحتمونا عمرنا لكم الارض وكنا لكم عونا على عمارتها وعشنا في ظلكم
ايام عدلكم وان انتم ابيتم ذلك نفر الناس عنكم وطلبوا افنا بلادهم وشاع الخبر
عنكم انكم صلا تصالحون ولا يبقى حولكم احد قال فاعلمه الترجمان بما قالوا فجعل
ينظر اليهم واذا قد برز من القوم رجل دحداح من الرجال حسن الوجه وكان حكيما
من حكما الروم وفصيح بلسان العرب فقال ايها الامير اسمع ما القيه اليك من العلم
الذي انزله الله في الصحف على انبيائه فقال ابو عبيدة رضي الله عنه قل لنسمع فان كان
حقا علمناه وان كان غير الحق لم نسمعه فقال الرجل ايها الامير ان الله سبحانه
انزل على انبيائه انا الرب الرحيم خلقت الرحمة واسكنتها قلوب المومنين
واني لا ارحم من لا يرحم فمن احسن احسنت اليه ومن تجاوز تجاوزت ومن
عفا عفوت عنه ومن طلبني وجدني ومن اغاث ملهوفا امنته يوم القيمة
وسطت له في رزقه وباركت له في عمره وكثرت اهله ونصرته على اعدائه ومن
شكر المحسن على احسانه فقد شكرني وقد اتيناك ملهوفين خايفين فاقل
عثرتنا وآمن روعتنا واحسن الينا فبكى ابو عبيدة رضي الله عنه من قولهم وقرا
ان الله يحب المحسنين ثم قال صلى الله على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين
فبهذا اوانه ارسل نبينا الى جميع الخلق فالحمد لله على هدايته لنا ثم اقبل
على المسلمين وهم من حوله وفيهم الروسا من المهاجرين والانصار وقال
ان هولاء اهل سوقه وضياع وهم مستضعفون وقد رايت ان نحسن اليهم
ونصالحهم ونطيب قلوبهم وانه متى كانت المدينة في ايدينا والسوقة معنا
فانهم يعينونا بالميرة والعلوفة بما نقدر عليه من عدونا ويكون عينا لنا
فقال رجل من المسلمين اصلح الله الامير ان مدينة القوم بالقرب من القلعة
ولا نامن القوم ان يدلوهم على عوراتنا ويشوهم باحوالنا وما القوم الا يخدعونا
اما ترى نطريقهم قد جنح ينفي قتالنا وحربنا وكيف يطلب هولاء الصلح منا
ولا شك انهم مكروا بكعب ابن ضميرة ومن معه من المسلمين قال ابو عبيدة رضي الله
عنه ايها الرجل حسن ظنك بالله وثق فان الله لا يخذلنا ولا يسلط علينا عدونا
فرحم الله عبدا قال خيرا او صمت وانا اشترط عليهم النصيحة للمسلمين في صلحهم
لنا ثم اقبل ابو عبيدة رضي الله عنه على القوم وقال اني اريد ان تدلوا في صلحكم ما
بذله اهل قنسرين قالوا ايها الامير ان قنسرين قالوا ايها الامير ان قنسرين
اقدم من مدينتنا واكثر جمعا ومدينتنا مختلفة من الناس نحو رصاحبنا
علينا لانه قد اخذ اموالنا وغلاتنا وصعد بالجميع الى القلعة وبقي عندنا
الضعفا ومن لا مال له وانا نسالك ان ترفق بنا وتقدر فينا وتحسن الينا قال
ابو عبيدة رضي الله عنه فما الذي تريدون ان تعطوا في صلحكم قالوا نعطي نصف ما اعطا

اهل قنسرين قال ابو عبيدة رضي الله عنه قد قبلت منكم ذلك علي انا اذا نزلنا بساحتكم اغثتمونا
بالميره تبيعون وتشترون في عسكرنا ولا تكتمون خبرا تعلمونه من اعدائنا ولا تتركون
جاسوسا يتجسس علينا وان رجع بطريقكم منهزما تمنعوه ان يصعد الي القلعة
قالوا ايها الامير اما ان نمنع البطريق ان يصعد فما نجد الي هذا من سبيل ولا نقول ما لا
نفعل لانه هذا ما لنا به طاقة ولا من معه من اعوانه وجنده قال ابو عبيدة رضي الله عنه
ولا تمنعوه الصعود الي قلعته وعليكم عهود الله والايمان الموكدة ان تقولوا هذا
القول بنية وتوفون لنا بكل شرط عليكم وحلفهم بالايمان التي يعرفونها فحلف القوم
عن رجالهم وابنائهم ونسائهم وعبيدهم وساير اهليهم فقال لهم ابو عبيدة رضي الله
عنه انتم قد حلفتم وقبلنا ايمانكم فمتى اصبنا احدا منكم قد اخلف او علم من البطريق
علما ولم يخبرنا به فقد وجب لنا عليه القتل واخذ ماله وولده حلا لانا لا يطالبنا الله
بذمته ومتى نقضتم ما اشترطنا عليكم فلا عهد لكم ولا ذمة لكم ولنا عليكم الجزية
من العام المقبل فاسعد ابن عامر التنوخي ورضي اهل حلب بما شرط عليهم ابو عبيدة
رضي الله عنه واخذ عهدهم وكتب لهم اسماهم وعزم القوم عن الانصراف الي بلدهم فقال
لهم ابو عبيدة رضي الله علي رسلكم حتي ابعث معكم من يشيعكم الي ما منكم فقد وجب علينا
حفظكم الي ان تعودوا سالمين الي بلدكم قال له الدحداح ايها الامير انا نرجع في الطريق الذي
اتينا منه وما نريد احدا يسيرنا فتركهم ابو عبيدة رضي الله عنه وبات ليلته قلقا علي
كعب ابن ضميره ومن معه قال الواقدي رحمه الله ورجع القوم من ليلتهم الي المدينة فاتي
الصبح ولم يصلوا فلما اشرفوا علي حلب نظر اليهم بعض الاعلاج للبطريق يوقنا وهم راجعون
فاقبل اليهم وسالهم من اين اقبلتم وما صنعتم فظنوا انه من اهل حلب فاخبروه بصلحهم
مع ابي عبيدة رضي الله عنه فتركهم العلج ومضا وان القوم استقبلهم اهل حلب فسالوهم
فاخبروهم بالصلح ففرحوا بذلك قال واقبل ذلك العلج حتي اشرف علي يوقنا وهو منازل
لاصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد احاط بهم وهو يظن انه قد ملكهم وهو يتوقع
بهم الصباح اذ اشرف عليه العلج وقال ايها البطريق انك غافل عما نزل بك ودهمك
قال وماذاك يا ويلك قال ان اهل بلدك قد صالحوا العرب وكانك بهم وقد ملكوا القلعة
واخذوا الاموال وقتلوا النسوان فلما سمع يوقنا ما اخبره العلج خشي علي قلعته ان ملكوها
في غيبته فانفسح عليه ما كان يومله ان يفوز بالظفر من صاحب ابي عبيدة رضي الله عنه
كعب ابن ضميرة ومن معه وكان قد قتل من المسلمين مايتين ونيف وكعب قد اضمر نفسه
عن الحرب واعلموا انهم هلكا لا محالة قال كعب ابن ضميره وكنت ذلك اليوم صاحب
الحرب بنفسي امنع عنهم واقيهم بمهجتي فاذا الجفني القتا وتلبسني الحرب التجيت الي
اصحابي وانا مع ذلك اتوقع من الله سبحانه فرجا وارقب راية ابي عبيدة رضي الله عنه
ان تطلع فبعد علينا ذلك فلم يزل الحرب بيننا يوم وليلة الي الصباح من اليوم الثاني

فاقسم بالله ان كان احد امنا صلي ولا وصل الي زاد ياكله ولا ما يشربه وانا بين الياس والرجا وارتقينا
طريق قنسرين ان نطلع راية الاسلام منها وما رايت لها اثرا اذ رايت جيش العدو وقد اضطرب
من جوانبه وقد علت له ضجة عظيمة فقلت ما هذا الامداد قد لحقه في بلده او من الملك
فالتحمت الكلمة الشدايد لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال كعب ابن ضميره فوحق
رسول الله صلي الله عليه وسلم ما قلت الكلمة حتي رايت جيش العدو وقد انكشف عنا علي
عقبه فقلت الحمد لله حمد الشاكرين واني اظن ان صايحا صاح بهم من السما فبددهم اجمعين
او ملائكة نزلت عليهم كيوم بدر فلم ار لهم اثرا قال كعب فهممت ان اتبعهم فصاح بي
المسلمون الي اين يا كعب ارجع الينا ما كفاك ما نحن فيه او طي بنا الارض وارحنا مما نحن
فيه من التعب والنصب وادنا فرضنا وارح خيولنا فما رد الله عنا هولاء القوم الا
بمشيئته وقدرته قال فنزل كعب ابن ضميره بنا مكانه وشربوا الما واسقوا الما وصلوا
ما فاتهم واكلوا من ازوادهم واستقبلوا للراحة قال الواقدي رحمه الله وابطا خبر
كعب ابن ضمرة علي ابي عبيدة رضي الله عنه فلما صلي صلاة الصبح انفتل من صلاته واقبل علي المسلمين
وخاطب من بينهم خالدا رضي الله عنه وقال يا ابا سليمان ان اخاك ابي عبيده ما زقد البارحة غما
وان كان يجب علينا الشكر بما فتح الله علينا وان النفس تحدثني ان الذي مع كعب ابن ضميره قد
ذهبوا وقتلوا لما اخبرونا بهولاء الذين سالوني الصلح والذمة انصاحبهم يوقنا قد سار اليهم
ولم ار لهم اثرا واظن انه نظر الي اصحابنا فقاتلهم وقد قتلوهم عن اخرهم فقال له خالد
رضي الله عنه وانا والله ايضا مثلك والله ما غمت من الغم عليهم فما الذي عزمت ان تصنع قال
علي الرحيل ثم امر الناس بالاهبة فارتحل المسلمون وساروا يريدون حلب وعلي المقدمة
خالد ابن الوليد رضي الله عنه وعلي الساقه ابي عبيدة رضي الله عنه فما كان غير بعيد اذ اقبل
خالد ابن الوليد رضي الله عنه علي المسلمين وهم نيام واقاموا لهم ديدبانا يحرسهم
فلما اشرف عليهم خالد رضي الله عنه والراية بيده صاح بالامير النفير النفير يا انصار
الدين فنادوا من مضاجعهم كانهم اسود ثايره واستووا في متون خيولهم واستقبلوا
صاحب الراية فعرفوه فصاح بعضهم ببعض اشرفوا هذه راية المسلمين يحملها
خالد قال واشرف عليهم خالد رضي الله عنه وسلم عليهم واتصل بهم الناس واقبل
ابو عبيدة رضي الله عنه فلما نظر الي كعب ابن ضميرة وهو سالم حمد الله واثني عليه ونظر الي
موضع المعركة والقتلي واذا القتلي مطرحين مكان المسلمين ورا والقتلي فلما نظر الي
ذلك عاد فرحه ترحة واسترجع وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ودعا
كعب ابن ضميرة وقال يا كعب كيف قتل اصحابك ومن لقيك فاخبره كعب ابن ضميره فقال يوقنا
وانه اشرف وجميع من معه من المسلمين علي الهلاك حتي لم يبق فيهم هلاك فهم كذلك
اذ اقبلوا غارا جميعين بغير قتال فقال ابو عبيدة رضي الله عنه رضي الله عنه سبحان
مسبب الاسباب لبث ابا عبيدة قتل امامهم ولم يقتلوا واخذت رايته ثم امر المسلمين

ان يحفروا لهم حفاير ثم جمعهم ابو عبيدة وامر بهم فدفنوا في سلاحهم ودمايهم ثم قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الشهدا الذين قتلوا في سبيل الله
يوم القيمة ودماهم على نحورهم اللون لون الدم والريح ريح المسك والنور عليهم يتلالا
فيدخلهم الجنة بغير حساب فلما واراهم في حفرتهم قال ابو عبيدة لخالد ابن الوليد
رضي الله عنهما ان كان عدو الله قد رجع الى بلده وعلم بصلح القوم لنا فسيلقوهم
منه تعبا شديدا فالحق بهم فقد وجب علينا ان نذب عنهم لانهم تحت ذمتنا قال
فارتحل ابو عبيدة رضي الله عنه من ساعته يريد حلب

ذكر فتوح قلعة حلب

فلما ورد عليها والبطريق وجنوده قد احدقوا باهل حلب وهو يريد قتلهم ويقول
يا ويلكم صالحتم العرب عن انفسكم وصرتم عيونا علينا قالوا قد فعلنا ذلك لانا
نعلم انهم قوم منصورون قال يا ويلكم ان المسيح لا يرضى بفعلكم فوحق المسيح
لا قتلنكم عن اخركم او تخرجون معي الى قتال العرب وتنقضون ما بينكم وبينهم من
العهد والميثاق فاخرجوا اليهم من شاهد الامر حتى ابدا به قال فلم يطيعوه على ذلك
فقال لعبيده ادخلوا واتوني بهم حتى اقتلهم فقد اخبرني فلان البطريق منهم قد
لقيهم وعرفني بهم فهجموا العبيد عليهم وجعلوا يقتلونهم على فرشهم وابواب منازلهم
وسمع اخوه يوحنا الضجه وهو في القلعة فنزل الى اخيه ونظر اليه يقتل اهل البلد وقد
قتل منهم ثلثماية رجل فصاح به يا علي رسلك لا تفعل فان المسيح يغضب عليك وقد
نها المسيح عن قتل العدو افكيف من هو على ديننا فقال يوقنا لاخيه انهم صالحوا
العرب عن البلد وصاروا لهم اعوانا علينا فقال يوحنا وما عليهم في ذلك وانما ارادوا
لهم الصلح لانهم ليسوا اهل حرب ولا قتال فقال يوقنا وحق الصليب لا ابقيت منهم
احد وقال يوقنا انت الذي حملتهم على الصلح وانت اول من ابطش به ثم عمد الى اخيه
وقبض عليه وجرد سيفه عليه ليعلوه فلما نظر يوحنا الى اخيه وقد جرد سيفه علم
انه هالك فرفع راسه الى السما وقال اللهم اشهد على اني مسلم اليك مخالف لدين
هولاء القوم اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان المسيح نبي الله ثم قال
لاخيه اصنع الان ما انت صانع فان كنت قاتلي فاني سايرا الى جنات النعيم قال فورد
على البطريق من اسلام اخيه مورد اعظيما ومن اهل بلده ومن فزعه من
المسلمين فحمله الغيض ان رما راسه عن جسده رحمه الله وانتدب الى
قتال اهل البلد وهم يستغيثون اليه ولا يغيثهم ويسالونه فلا يجيبهم ولا
يعف عنهم فكثر منهم الضجيج وعلت الجلبه وقد اخذوا البلد من جنباته
وقد ايسوا اهل حلب من نفوسهم واذا بالفرج قد اتاهم والمعونة قد ادركتهم
اذ اشرف عليهم رايات الاسلام ومن حولها ابطال المومنين وهم ينادون بكلمة التوحيد
يقدمهم خالد ابن الوليد وفي جانبه ابو عبيدة رضي الله عنهما فلما نظر خالد رضي

الله عنه الى اهل المدينة ولهم ضجيج بالصياح والبكا فقال لابي عبيدة رضي الله عنهما ايها
ايها الامير ذهبوا والله اهل صلحك وذمامك كما ذكرت ثم صاح بجواده وحمل
والراية بيده وزعق بالقوم في حملته وقال انفرجوا يا معاشر الاعلاج عن اهل صلحنا
ثم اجاد فيهم الطعن وحمل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلوا السيف في الاعلاج
فلما نظر يوقنا الى ذلك انهزم الى قلعته ثم حمل بطارقته قال الحصن اين تمرة العدوي
فرح الله قلب ابي عبيدة رضي الله عنه كما فرج عن قلوبنا بقتل الاعلاج يوم
حلب فمن لجا الى القلعة سلم ومن طلب الهرب الى البر قتل قال الحصن فكان جملة
من قتل يوقنا من اهل صلحنا ثلاثماية رجل وقتلنا نحن من اصحابه ثلاثة
الف رجل فكانت وقعة عجيبة فرح بها المسلمون فلما قتل من قتل وفرج الله عن
اهل حلب ما يجدون وخبروا لابي عبيدة رضي الله عنه كيف قتل يوقنا لاخيه
يوحنا ونقضهم كلها قال الواقدي رحمه الله ولما سلم يوقنا
من سيوف المسلمين ودخل قلعته استعد للحصار ونصب المنجنيقات والعرادات
ونشر السلاح على الاسوار وصنع الة الحصار واما اهل حلب فانهم اخرجوا لابي
عبيدة رضي الله عنه اربعين اسيرا من البطارقة فقال ابو عبيدة رضي الله عنه
للترجمان قل لهم اي شي اسرتموهم قالوا لانهم من اصحاب يوقنا هربوا الينا
فلم نر ان نخفيهم منك لانهم ليسوا معنا في الصلح قال فاعرض عليهم الاسلام
فاسلم منهم سبعة واما الباقون فضربت رقابهم وقال ابو عبيدة رضي الله
عنه لقد نصحتم في صلحكم فتنزرون منا ما سركم وصار لكم ما لنا وعليكم
ما علينا وهذا بطريقكم تحصن منا في هذه القلعة افتعرفون له عورة تدلون
عليها حتى نقاتلهم منها فان فتحها الله علينا جعلنا لكم غنيمة معنا كما نفعل
من قومكم جزا لفعلكم الجميل معنا قالوا ايها الامير والله ما نعرف له عورة وان يوقنا
سد طرقاتها وقطع مسالكها وعوراتها وهذا ما لا نعلمه فعندها وثب الى ابي عبيدة
رضي الله عنه رجل من المسلمين وقال اصلح الله الامير انظر هولاء القوم فان كانوا صاروا
من حزبنا فانهم ينصحونا ويدلونا على عورات قومهم لا والله لا يفعلون ذلك
ابدا فعندها اقبل ابو عبيدة رضي الله عنه على خالد رضي الله عنه والمسلمين وقال
اشيروا علي رحمكم الله فاقبل عليه ذلك الرجل وكان اسمه يونس ابن عمر الغساني
وكان رجلا بصيرا بالشام ومدنه وقد رعا في جميع ارضه وكان لا يخفى عليه
المسالك من طرق الشام سهله وجبله فقال اصلح الله الامير اتكلم بما اعرفه من
البلاد وما عندي من الراي فقال ابو عبيدة رضي الله عنه تكلم يا ابن عمر فانت عندنا ناصح
للمسلمين فقال اصلح الله الامير ان الله عز وجل قد فتح الله على يديك الشام وقتل
طاغية الكفر وطاغيته حاميه وان بقايا عسكرهم من وراء الدروب والدروب

من جبال ومضايق ووعر حزونه والقوم قد رعبت قلوبهم بما قد اباد الله عز وجل منهم فلبس
فلبس لهم قلوب يقاتلون بها فحاصر هذه القلعة وثب الخيل وشن الغارات فما لهم زاد يقوم
بهم فتبسم خالد رضي الله عنه من كلام الغساني وقال هذا والله هو الراي وانا اشير عليك بمشورة
اخري ان تزحف نحو القلعة فلعل الله ان يفتحها في وقتنا هذا فاني اخشى ان طال بنا المقام
عليها ان تعطف علينا جيوش الروم مرة اخري فيحولون بيننا وبينها قال ابو عبيدة رضي
الله عنه يا ابا سليمان لقد اشرت فاحسنت وقلت فصدقت ثم امر ابو عبيدة رضي الله عنه
بالزحف الي القلعة فترجلت الفرسان عن خيولهم وتجردت من ثيابها واختلطت العبيد والسادات
وافترقت القبايل وانتسبت العشاير وتحاوبوا بالاشعار وتداعوا بالانساب قال مسروق
ابن مالك العلوي فوالله ما رايت في قتال الشام في حصونهم يوما كان اعظم من ذلك ولقد كانت
دوران الحرب كدوران الرحا يهشم من دار عليه ولقد برز لنا السهم في اول الحرب وقد تبادرت
ابطال اليمن وسادات ربيعة ونظر بعضنا بعضا وجعلوا يطلبون القلعة من حيث لا اطربونها
فاذا علوا نحوها اخذتهم الحجارة من كل جانب ورمونا بالمناجيق والعرادات وكنت انا
واصحابي اقرب الناس الي الارض فاسرعنا راجعين على اعقابنا ونحن ندفع بعضنا
بعضا لا نظن ان ينجوا منا احدا ووقعت الخذله في المسلمين وقد شرحت الحجارة خلقا
كثيرا فقتلت بعضنا وبعضنا ارمته فكان جملة من قتل يوم قلعة حلب بالحجارة عامر
ابن الاسلع الربعي ومروان ابن عبيد الربعي وسلمان ابن دافع العامري وعطاف ابن سالم
الكلابي وسراقة ابن مسلم ابن عوف العدوي وسوار ابن مالك العدوي وعاصم ابن
فارح العدوي ومهدا ابن سفيان العدوي وكان من جملة من قتل في ذلك اليوم اربعة
من بني ربيعة ورجل من الغامر ورجل من بني كلاب وسبعة من بني عدي قال مسروق
ابن مالك والله لقد كنا نرا بعد ذلك بسنين خلقا كثيرا عرجا هذا من رجله وهذا
اشل من يده نعرفهم في يوم الوقعة بحلب فعندها نصب ابو عبيدة رضي الله عنه رايته
خارج المدينة وجعل ينادي بالمسلمين اجتمعوا الي رحمكم الله حتى اذا اجتمعوا من
من حوله قال ايها الناس انكم قاتلوهم اليوم على غرة فادفنوا الشهدا وشدوا
من اصابه جرح فابتدر المسلمون الي دفن الشهداء واما اهل قلعة حلب فقال لهم
يوقنا ان العرب لا يرجعوا الى القلعة بعد هذا اليوم ابدا وحق المسيح لاكبسنهم
ثم لاهيطن الي عسكرهم قال الواقدي رحمه الله ولقد حدثني عبد الله ابن سليمان
الدينوري وكان نقل اخبار الشام وفتوحه من ثقات المسلمين قال حدثني عمن روى
ان يوقنا انتخب الفين من خيار قومه وامرهم بالنزول ليلا فنزلوا من القلعة
هذا المقدم عليهم عينه الي عسكر المسلمين والنيران تتاجج فضواته تجعل يدور حول
المسلمين حتى نظر الي طرف عسكرهم وقد خمدت نيرانهم وكان يقربهم بادية من
اليمن مثل مراد وبنو كعب وعك قال عبد الله ابن صفوان العكي وكنا تلك الليلة

عارين من عددنا امنين لكثرتنا وقد غفل حرسنا فلم يشعروا الا وطماطم الروم قد هجموا
علينا وهم ينادون بلغتهم وقد اعلنوا الرهج بينهم ولم نعلم ما يقولون ووضعوا فينا
السيف فكان النجيب منا الذي استوي علي ظهر فرسه وطلب النجاه وهو لا يدري من
اين هي ولا كيف يتخلص وقد وقعت الحملة في عسكر المسلمين والقوم يقولون النفير
النفير ذهبنا ورب الكعبة وهم يسرعون الي خيمة ابي عبيدة رضي الله عنه وينادون ايها
الامير كبسنا يوقنا بعسكره واصحابه فعندها ركب ابو عبيدة رضي الله عنه في الرجال وجعل
يدور حول العسكر وفطن صاحب الروم ان العرب قد لحقته صاح باصحابه من اخذ
شيا فليتركه وليطلب النجاة لنفسه قال عبد الله ابن صفوان فاخذوا من رجالنا
خلفا كثيرا نحو من الخمسين رجلا سوا ما قتل في المعمعه وهم ستون رجلا من اخلاط اليمن
واكثرهم من حمير واقبل الروم يحمي بعضهم بعضا يطلبون القلعه فلما نظر خالد ابن الوليد
الي ذلك حمل وحملت عصابته فاقتلع من الروم زها عن مائة رجل ووضع فيهم السيف
فقتلهم فلما وصل اصحاب يوقنا الي القلعة فتح لهم وادخلهم فلما اضا الفجر وطلعت الشمس
دعا يوقنا بالخمسين رجلا من المسلمين وهم موثوقون بالكتاف نعزلهم الي موضع ينظر اليهم
والمسلمون يسمعون اصواتهم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله حتي قتلوا
عن اخرهم فلما نظر ابو عبيدة رضي الله عنه الي ذلك امر مناديه فنادي في عسكر معزمة
من الله علي رجل وكل حرسه لغيره وليكن كل رجل منكم حارس نفسه ولا يتكل بعضكم
علي بعض فاخذ القوم حذرهم واقبل يوقنا يدبر فكره في مكيده اخري ليكيد بها المسلمين
اذ علم انهم يحاصره ومع ذلك فان جواسيسه تاتيه بالاخبار في الليل والنهار وكان اعظم
جواسيسه متنصرة العرب غير انهم يحسنون بالروميه فبينما يوقنا ذات يوم في
قلعته وحوله البطارقة والعمالقه وقد اضر بهم الحصار واشرفا علي ان اهل المدينة
لا ينظرون الي رجل من اصحابه يعرفوه الا اخذوه وسلموه الي المسلمين فهو كذلك يشاور
اصحابه في امره وكيف الحيلة في مكيدة يكيدون المسلمين اذ اقبل اليه جاسوسه
من عيونه فقال ايها البطريق العظيم ان اردت ان تكيد المسلمين فهذا يومك ووقتك
فقال يوقنا وكيف ذلك وما الذي عندك من الراي الخبر قال له ان علافة لهم قد خرجوا
الي وادي بطنان وقد صالحوا اهله وعلوفة العرب وميرتهم منه وقد رايتهم
جمالا وبغالا ومعها طائفة عليهم الغفر الخلقة وبايديهم الرماح الموصلة وهم
يقصدون في طلب العلوفة وهم قوم قليلون وليس هم في كثرة فلما سمع يوقنا ذلك
من قول جاسوسه اختار الف فارس من اصحابه من سادات قومه وقال لهم اصلحوا
شانكم فوحق المسيح لاضيقن علي العرب مسالكهم فلما اقبل الليل واظلم الافق فتح
لهم باب السر واخرجهم وساروا حتي استقاموا علي الطريق وجعلوا يسيرون تحت
ستر الليل فبينما هم كذلك اذ هم براع ومعه سرح من البقر يريد بها بلده من بلاده

وهو يسير بها سيرا عنيفا فلما نظروا اليه اسرعوا نحوه وقالوا له اجبت يا مومن
العرب قال نعم قد مضوا والشمس قد اصفرت وهم نحو مائة رجل علي خيول مسرعه ومعهم
جمال وبغال يريدون عليها الميره من هذا الوادي قالوا وكيف سلمت بفرسك قال ان اهل هذا
الوادي في صلحهم فلسنا نخاف منهم فقال له المقدم علي الف لقد القيت الي من صلح
هذا الوادي ما لم يكن عندنا منه خبر فيحكم المسيح لما استحللتم ان تفوا العرب
علينا فاصبروني علي البطريق ذهبت العرب قال ها هنا وما بيده الي المشرف فسار
البطريق ومن معه ولم يعرضوا الصاحب النفر حتي اذا قرب الصبح اشرف علي خيل المسلمين
وكان عليها امير يقال له منا وش ابن الضحاك الكناني فلما نظر منا وش الي خيل الروم اقبل
علي المسلمين وقال لهم يا بني العربيات هذا بطريق من بطارقة الروم قد اقبل اليكم فدونكم
والجهاد والصبر علي الشدة لتنالوا الجنة ثم حملوا عليهم فركبهم العدو بالخيل والرجل
فشد المسلمون عليهم واقتتلوا قتالا شديدا فقتل منا وش ابن الضحاك وغيلان ابن
مسافر والغطريف ابن ثابت ومنيع ابن عاصم وكهلان ابن مره ومطر ابن جمير وسيار
ابن عوف وبشر ابن سراقة وشيبة ابن الاسلع ومنهال ابن يشكر ولجام ابن عقيل ومسيب
ابن نافع وحنظلة ابن ماجد ومنا وش ابن سليط وربيعة ابن قادح ومره ابن ماهر
ونوفل بن عدي وعطا ابن بشار وعقال ابن جماهر وسليم ابن خفاف وفضل ابن ثابت
والافرخ ابن قارح والمغيط ابن عامر وا لكل من بني طي وكان من جملة من قتل من المائة
ثلاثون رجلا وملكت الروم ما كان معهم من الدواب والابل ورجع المسلمون منهزمين
فعندها اقبل البطريق علي اصحابه وقال ارموا الاحمال عن هذه الطوال الاعناق
يعني الجمال واعقروها بالاسنه وخذوا هذه الدواب بما عليها تكون لكم ميرة واطلبوا
الجبل واختفوا عن اعين الناس والا الساعه تطلع عليكم خيول العرب كالرياح
فتدهكم حتي اذا جن الليل طلبنا القلعة ولعتصمنا بها فعندها عمدت الروم
الي الابل والقوا ما علي ظهورها ونحروها بالاسنة وعطفوا بالدواب وهي محمله
نحو الجبل الي قرية فيه فاقاموا بقية نهارهم يرتقبون الليل ليرجعوا الي القلعة وجعلوا
لهم ديدبانا يحرسهم من العرب قال معاون ابن صباح الطاي وكنت يومئذ في
الخيل لما قتل عني منا وش ونحن في قلة وقد دهمنا خيل الروم فلما نظرنا الي كثرتهم
وشدة باسهم مع قلة عددنا احترزنا لانفسنا ورجعنا الي ورايتنا فاشرفنا علي
المسلمين تتقاطر في اثرنا فيد رايتنا ابو عبيدة وقال ما وراكم قلنا وراينا الحرب
العوان قتل والله منا وش وقتل معه خلق كثير من فوارس طي وزبيد واخلصوا ما كان
معنا من الزاد والدواب قال ابو عبيدة رضي الله عنه ومن ذا الذي دهاكم وقد حاصر
الله الروم وما يجسر احد منهم يخرج قالوا لا علم لنا غير انا رينا بطريقا عظيما قد
اشرف علينا في عدة حسنة وجنود كثيرة مستعدين للقتال لا نعلم عددهم ولا نعلم
من

من ابن مددهم فهجموا علينا ونحن سايرين فاصيب اميرنا وقتل رجالنا واخذ ما كان
معنا من الدواب والزاد فلما سمع ابو عبيدة رضي الله عنه ذلك دعا بخالد رضي الله
عنه اليه وقال يا ابا سليمان انت لها وللمعضلة مثلها واني واثق بالله وبك اني استخير الله
في جميع الامور خذ معك من المسلمين من اردت وسر حتى تشرف موضع الوقعة واقف
اثر القوم الذين قتلوا رجالنا واطلبهم حيث كانوا فلعلك ان تقع بهم وتاخذ بثار
المسلمين واعلم انا قد صالحنا اهل هذا الوادي واعلم اننا لا ننقض عهدا ولا نحل
عقدا الا يكون القوم قد مكروا بنا فنجد الى قتلهم سبيلا فاتق الله فيهم وسر
برحمة الله قال فاسرع خالد رضي الله عنه الى خيمته فلبس سلاحه واستوى
في متن جواده وهم بالمسير وحده فقال ابو عبيدة رضي الله عنه الى اين يا ابا سليمان قال
قال اسارع الى ما امرت به قال خذ معك من المسلمين من اردت قال خالد رضي الله
عنه امضي وحدي وما اريد معي احدا قال ابو عبيدة رضي الله عنه وكيف تمضي
وحدك وعدوك في كثرة من العدد قال وكم يكون العدد ولو كان الفا انا لهم بعون
الله قال ابو عبيدة رضي عنه انه كذلك قال فاخذ خالد رضي الله عنه رجالا من طي فيهم
ضرار ابن الازور وربيعة ابن عامر وفعل خالد رضي الله عنه ذلك وسار ومن معه حتى
اتى الى موضع المعركة فراوا القتلى مطرحين وراوا حولهم اهل الوادي وهم يبكون
خوفا على انفسهم وذراريهم وان العرب يطلبونهم بهم فلما طلع عليهم خالد
رضي الله عنه نصارخ القوم في وجهه والقوا انفسهم بين يديه قال خالد رضي الله عنه
لترجمانه الذي كان معه ما يقولون هؤلاء القوم قال الترجمان ان القوم يقولون
انا براء منك ومن دما اصحابك ونحن في صلحكم واستحلفهم خالد رضي الله
عنه انهم لا يعلمون من قتلهم فحلفوا له قال فمن الذي وقع باصحابنا قالوا بطريق
من اصحاب يوقنا في الف رجل من اشد قومه وان له في عسكركم عيونا يرمقون
له الاخبار قال خالد رضي الله عنه فاي طريق سلكوا قالوا هذا الطريق المتغالي
ورايناهم يطلبون الجبل فقال خالد رضي الله عنه لاصحابه ان القوم قد علموا
ان لا بد لخيلنا ان نطلبهم فتعالوا عن طريقكم ليهجم عليهم الليل فيرجعون
الى قلعتهم ثم ارخوا الاعنه وخالد رضي الله عنه يقدمهم واخذ معه رجل
من المعاهدين يدل به ويقفوا اثرهم فلما حصل في الطريق قال خالد رضي الله عنه
للمعاهدي هل لهم طريق غير هذا قال لا قال فامكن انا نظفر بهم فترجل خالد رضي
الله عنه ومن معه في الوادي وهم يرقبون الطريق فلما مضى من الليل هزيع اذ
حسوا بوقع حوافر الخيل في الظلام والبطريق اما مهم والخيل من ورايه وهو
يزجرهم ويستحفهم في المشي عندها صاح خالد رضي الله عنه من مكمنه
صيحة شديدة كانه الاسد وخرج عليهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم كان لخالد رضي الله عنه غير بطريقهم المقدم فظن انه يوقنا فضربه ضربة رماه نصفين ووضع
المسلمون السيف فيهم وجعلوا يطلبونهم وهم في الهرب فلم ينج منهم احد وحازوا الاسرى وردوا بهم
ورجعوا الى ابي عبيدة رضي الله عنهما فوجدوه وهو متشوف الى قدوم المسلمين فلما اشرف
خالد ومن معه رضي الله عنهما ومعهم الاسارى والسلب الكثير فهللوا وكبروا فاجابهم ابو عبيدة
وجميع من معه رضي الله عنهم اجمعين بالتهليل والتكبير وقدم خالد ومن معه رضي الله عنهم
ازيد من ثلاث مائة اسير وروس القتلى سبعمائة راس ودونها فاعرض ابو عبيدة
رضي الله عنه عليهم الاسلام فقالوا نحن نطيعك فقال خالد رضي الله عنه الصواب ضرب
اعناقهم عشيهم من اهل القلعة فتوهن بذلك عدو الله وعدو المسلمين فلما سمع
ابو عبيدة رضي الله عنه ذلك من كلام خالد رضي الله عنه امر بضرب رقاب الاسارى فضربت
رقابهم قال خالد لابي عبيدة رضي الله عنهما انا كنا نظن انا نحاصرون القوم واذا بهم
بخلاف ذلك يرقبون غفلتنا وينظروا غرتنا وياخذون جمالنا ودوابنا والصواب ان
تامر رجالك بالاهبة والتفتيش وتجعل عليهم الحرس في كل طريق ولا تمكنهم ان
يخرجوا من قلعتهم وضيق عليهم ما استطعت فقال ابو عبيدة رضي الله عنه جزاك الله
خيرا يا ابا سليمان عن مشورتك فلما كان من الغد صلى ابو عبيدة رضي الله عنه بالناس صلاة
الفجر وانفتل من صلاته الى اصحابه ودعا بعبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما
وضرار بن الازور وسعيد ابن زيد ابن عمرو ابن نفيل العدوي وقيس ابن هبيرة وميسرة ابن
مسروق رضي الله عنهم ففرقهم من حول القلعة وامرهم باخذ الطريق والمسالك على يوقنا
حتى لو طار طائر اليهم قنصوه واقام القوم على حصار القلعة فلما طال عليهم حصارهم
الروم ضجر ابو عبيدة رضي الله عنه لطول مقامه وامر الناس بالرحيل عنهم وعزم
ان ينتقل عنهم من القلعة فيرجوا منهم غفلة ينتهزها او وثبة يصل اليها
قال فبعد عن المدينة ميلا وهو يريد حيلة يصل بها لاعداء الله قال ويوقنا
لا ينزل من القلعة ولا يفتح بابها فانكر ابو عبيدة رضي الله عنه عليه غاية الانكار
وقال لخالد رضي الله عنهما وقد اتى اليه يا ابا سليمان اظن ان جواسيس عدو الله توصل
اليه اخبارنا ويخوفه منا واني اقسم عليك الا ما جلت في عسكرنا جولة واختبرت
امر الناس فلعلك ان تقع بجواسيس عدونا قال فركب خالد رضي الله عنه وامر الناس
يدوروا في عسكرهم وهو معهم بنفسه اذ يقبضوا على كل من ينكروه فبينما خالد
رضي الله عنه في طوافه اذ نظر الى رجل جالس وهو من العرب وبين يديه عباه يفليها
فجعل خالد رضي الله عنه يلاحظه واسترابه وانكره فاقبل اليه خالد رضي الله
عنه وسلم عليه وقال من اي الناس انت يا اخا العرب قال انا رجل من اليمن
قال من ايها فاراد ان ينتمي الى غير قبيلته فجرى الحق على لسانه وقال انا من غسان
فلما سمع خالد رضي الله عنه كلامه قبض عليه وقال يا عدو الله انت من متنصرة العرب

وانت

وانت عين لعدونا قال ما انا متنصر وانما انا مسلم فاقبل به خالد الى ابي عبيدة رضي
الله عنهما وقال ايها الامير قد رابني امر هذا الانجما رايته قط الا ابوي هذا وقد ذكر انه
من غسان ولا شك انه من عباد الصليب قال ابو عبيدة رضي الله عنه فاختبره يا ابا سليمان
وكيف اختبره قال بالقران والصلاة فان اجابك والا فهو متنصر فقال خالد رضي الله
عنه يا اخا العرب ثم فصلي ركعتين واجهر فيهما بالقراءة فلم يدر ما قاله فقال خالد وانت
انت عين علينا ثم استخبره عن شانه فاقر انه عين عليهم فقال خالد رضي الله عنه
انت وحدك قال لا ولكنا كنا ثلاثة انا احدهم والاثنان قد عادوا الى القلعة
ليخبران يوقنا بخبركم وانا تخلفت لانظر ما يكون من امركم قال اخبرني ايما احب
اليك القتل والاسلام فليس بعدهما شي قال الغساني انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله ثم رجع ابي عبيدة الى حلب وما زال يحاصر القلعة اربعة شهور وقيل
خمسة ما من يوم الا ويلقون فيه حربا وينظرون شدة وابطا كتاب ابي عبيدة عن
امير المومنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما فكتب عمر الى ابي عبيدة رضي الله عنهما كتابا يقول
فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر الى عامله ابي عبيدة سلام عليك فاني احمد الله
الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم يا ابا عبيدة لو علمت بابطا كتابك
وانقطاع خبرك يكثر قلقي ويظن جسدي على اخواني المسلمين وما لي ليل ولا
الا وقلبي عندك ومعك فاذا لم يات منك خبر ولا رسول فان عقلي طاير وفكري
حاير وكانك لا تكتب الي الا بالفتح او غنيمة واعلم يا ابا عبيدة ان كنت ناي عنك داع
لكم قلق عليكم لقلق المراة الحنينة على ولدها فاذا قرات كتابي هذا فكن
للاسلام والمسلمين عضدا والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة
الله وبركاته وبعث الكتاب الى ابي عبيدة رضي الله عنهما فلما ورد عليه الكتاب
قال معاشر المسلمين اذا كان امير المومنين داع لكم وراضي عنكم في فعالكم فان الله
عز وجل ينصركم على عدوكم ثم كتب جواب الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله امير
المومنين عمر ابن الخطاب من عامله بالشام ابي عبيدة سلام عليك فاني احمد
الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا امير
المومنين ان الله تعالى وله الحمد قد فتح على ايدينا قنسرين وقد شننا الغارة على
العواصم وقد الحق الله مدينة حلب صلحا وقد عصي من قلعتها وبها خلق
كثير مع بطريقهم يوقنا وقد كافحنا مرارا وقتل منا رجالا رزقهم الله الشهادة على
يديه ثم ذكر من قتل والله تعالى من ورائه بالمرصاد وقد اردت الرحيل عن محاصرته
الى البلاد التي ما بين انطاكية وحلب وانا منتظر جوابك والسلام عليك ورحمة الله
وبركاته وطوى الكتاب وضمنه مع رجلين احدهما عبد الله ابن قرط اليماني والاخر
جعده ابن جبران اليشكري فجعلا يسيران سيرا حثيثا ايا ما ولياليا واخذا

على هيئة العلقة وجدا في السير حتى قطعا ارض حقا بالي صعكا صعكه وهي حصون العرب
قريبه منه سبا فلما وصلا اليها عارضهما فارس على فرس وعليه درع سابغ وبيضة عاديه
تلمع في شعاع الشمس معتقل برمحه كانه قد برز قاصدا لمقاتله فلما نظر اليهما قصدهما
قال عبد الله ابن قرط لجعده ابن جبران يا ويلك عدوك اما ترى هذا الفارس قد عارضنا
في مثل هذا المكان على هذه الحالة ما عسا ان نتخوف من فرسان العرب ورجالها وليس
في هذا البلد احد ممن يرفع له عمدا ولا يضرب وتدا الا وهو معنا في شريعة محمد صلى الله
عليه وسلم فلما قرب الفارس منهما سلم عليهما فقال من اين انتما والى اين قصدكما
قال له اما نحن فرسولان من الامين ابي عبيدة الى امير المومنين عمر بن الخطاب فمن
انت ايها الرجل قال انا هلال ابن بدر الطاى فقالوا والله ما لنا نرى عليك لامة الحرب
قال اني خرجت في طوايف من قومي وجماعة من اصحاب يزيد الشامي للجهاد وكتاب
ورد علينا من عمر رضي الله عنه فلما رايتكما من بطن البرية قصدتكما لانظر ما قصتكما
ولي اصحاب من وراي مقبلين ثم سلم عليهما وركضا مطيتهما وساروا واذا بالخيل
قد اشرفت وابل قد اقبلت تتبع هلال ابن بدر راسا لا الي ان لحقوه واخبرهم بقضية
صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحوا بذلك وسار القوم يريدون الشام واما
عبد الله ابن قرط وجعده ابن جبران فانهما وصلا الى المدينة ودخلا مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسلما على عمر وعلى المسلمين وناولا عمر رضي الله عنهما اجمعين الكتاب
فلما قراه استبشر ورفع كفيه وقال اللهم اكف الناس شره وتخن كل ذي شر ثم امر
مناديه ينادي في الناس الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس قرا عليهم كتاب ابي
عبيده رضي الله عنهما فلما استتم قراته حتى قدم عليه ركب من حضرموت
واقامت اليمن مرد مان وسهلا ومارت يسالونه ان ينفذ بهم الى الشام فقال
عمر رضي الله عنه كم انتم بارك الله فيكم قالوا نحن زها على اربعمائة فارس وثمانية
مطيه مردفين ومعنا اناس يمشون على اقدامهم لا ركاب لهم فان حضر
امير المومنين ركابا نحملهم عليها والا حملناهم حتى نصل الى عدونا فقال عمر رضي الله عنه
فكم يبلغ الذين معكم قالوا مايتة واربعون رجلا فالعرب او موالي فقالوا عرب
وموالي اذ تواليهم سادتهم في الجهاد والمسير الى الاجهاد فعندها دعا عمر رضي الله
عنه بعبد الله وقال امضي الى مال الصدقات فاعط القوم منها سبعين راحلة
ليتعقبوا عليها وحملوا ازوادهم وميرتهم على ظهورها فاسرع عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما فاتاهم بسبعين بعيرا وسلمها اليهم وقال لهم خذوا رحمكم الله
الى اخوانكم واسرعوا الى حرب عدوكم ثم كتب الى ابي عبيدة رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فقد ورد علي كتابك مع رسلك فسرني ما سمعت من الفتح على اعدايكم
ومن قتله الله من الشهداء واما ما ذكرت من النفر افذا الى البلاد التي بين حلب

وانطاكيه

وانطاكيه ونترك القلعه ومن فيها فما هذا الراي انترك رجلا قد اخذت بلاده
وملكت مدينته ثم نرحل عنه فيبلغ الخبر الى جميع النواحي انك لم تقدر عليه ولا
وصلت اليه فيضعف ذكرك ويعلو ذكره بما صنع ويطمع ولم يطمع ويجتري عليك
عليك اجناد الروم خاصتهم وعامتهم ويرجع اليك الجيوش وتكاتب ملوكها في
امرك فابا ان نبرح الى ان يحكم الله وهو خير الحاكمين فبث الخيل في السهل والسعة
واكمنها في المضايق والجبال وبين الموات الى حدود الفرات ومن صالحك منهم
فاقبل صلحه ومن سالمك سالمه والله خليفتي عليك وعلى جميع المسلمين
وقد نفذت كتابي هذا الى اهل مشارق اليمن ممن وهب نفسه لله ورغبت في الجهاد
في سبيل الله وهم عرب وموالي فرسان ورجاله والمدد ياتيك متواتر ان شاء الله
ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه ودفعه الى عبد الله ابن قرط اليماني وامر المسلمين
الموافرين بالخروج معه وسار الجيش وسار عبد الله ابن قرط ومعه جعده بن جبران
وجعل القوم يجدون في سيرهم ومع ذلك يسالون عبد الله ابن قرط وصاحبه عن
بلاد الشام وفتح البلدان وقتال الروم الى ان سالوهم عن مستقر المسلمين واين
عسكرهم فقال لهم عبد الله ابن قرط ان جميع المسلمين مع اميرهم محاصرين لقلعة
حلب وفيها بطريق من عظماء الروم ومعه اعلاج له من اصحابه قد تحصن في
راس قلعته قالوا له يا ابن قرط ما لهم لم يدخلونها في جماعة من صالح من اصحابهم
فقال لهم يا معاشر العرب الم تر انا نعر وقعت اليرموك رجلا اشجع من هذا فلقد
قتل رجالا وجندل ابطالا وانه ليغير على اطراف العسكر في وقت غفلة لهم فيقتل
رجالهم وينهب رحالهم ويرجع الى قلعته وربما انه يسري في سواد الليل
فطلب المتخلفه فوقع بهم فاستاسرهم واخذ دوابهم وجميع زادهم وميرتهم
ثم عاد الى القلعة ونحن لا نعلم به وذلك ان المسلمين محاصرين ومنه خايفين
قال وكان فيمن سمع كلامه وفهم خطابه مولى من موالي بني طريف من ملوك
كنده يقال له دامس ويكنا ابو الهول مشهور الاسم باسمه وكنيته وكان اسودا
كثير السواد بصاصا كانه فارسا النخلة السحوق واذا ركب الفرس العالي من الخيل
يخط برجليه الارض وكان فارسا شجاعا قد شاع ذكره وعلا امره وعلا قدره في
بلاد كنده واودية حضرموت وجبال مهره وارض السحره واخاف البادية وانتهب
اموال الحاضره وكان مع ذلك لا تدركه الخيل العتاق وكان اذا ذكرته العرب في ارضها
تعجب من صولته وشجاعته فلما سمع دامس ابو الهول تذكر امر يوقنا وما تفعل
بالمسلمين فاكاد ان يميز غيظا وحنقا وقال لعبد الله ابن قرط ابشر يا اخا
العرب فوالله لاجتهدن ان يخذله الله على يدي فلما سمع عبد الله كلام العبد
جعل ينظر اليه شزرا وقال يا ابن السوداء لقد منتك نفسك ما لا تبلغها وشيا

لا تدركه ويحك لم تسمع ان فرسان المسلمين وابطال الموحدين باجمعهم له محاصرين ولاصحابه
محاربين ومع ذلك لا يقدر له احد على شر فقد كادوا ملوك الروم وقهر جبابرة الارض
فلما سمع دامس ابو الهول ذلك من كلام عبد الله ابن قرط غضب وقال والله لولا يلزمني لك من
الاخوة وذمة الاسلام لبدأت بك قبله فاحذر ان تزدري بالرجال فان احببت ان تعرفني
فسال عني من حضر من اهلي وما تقدم من فعلي الذي من ذكره تطيش العقول وتضيق
الصدور من عساكر قاتلتها وجماعة فرقتها وجحافل بددتها وغارة شننتها واهوال
ركبتها ورجال قتلتها واموال غنمتها وفلاة قطعتها وكل ذلك لا يوجد لي ثار ولا يقفى
لي اثار ولا يضام لي جار ولا يلحقني بحمد الله عار كرار غير فرار ثم ترك مغضبا وسار
امام الناس وان قوما من العرب قالوا لعبد الله ابن قرط يا اخا العرب رفقا بنفسك فانك
وايم الله تخاطب لرجل يقرب عليه البعيد ويهون عليه الصعب الشديد وانه لجلد جليد
ولا تهوله الرجال ولا تفزعه الابطال ان كان في حرب كان فيها ولها يدرك من طلب
ولا يفوته من هرب فقال عبد الله ابن قرط اكثرتم وصفكم واطنبتم في فعلكم
وارجوا ان يجعل الله عنده خيرا وفرجا للمسلمين ثم اخذ القوم يجدون في السير
حتى قدموا على ابي عبيدة رضي الله عنه وهو منازل لاهل القلعة محاصر ليوقنا وقد احاطت
القوم بالقلعة من كل جانب فلما اشرف القوم باجمعهم اخذوا في زينتهم ونشروا راياتهم
وكبروا باجمعهم وصلوا على نبيهم صلى الله عليه وسلم فاجابهم اهل العسكر بالتهليل والتكبير
من كل جانب وناحية واستقبلهم ابو عبيدة رضي الله عنه وسلم عليهم وسلموا عليه وانزل
كل قوم على بني عمهم وعشيرتهم وان يوقنا مع ذلك كله ينشط اليهم برجاله ويناوشهم
الحرب وذلك انه كان لا يقاتلهم نهارا ولا يخرج اليهم من قلعته الا ليلا وكان اكثر خروجه
في وقت غفلات المسلمين فلما نظر والمسلمون القادمون في تلك الليلة نظرت طي وسنبس
ونبهان وكنده وحضرموت الى شدة الحرس وضجة التكبير وعظم حذرهم اقبل دامس
على اهله الذي نزل عندهم من بني طريف من كنده وقال لهم والله انتم المحاصرون
لا محالة فقالوا وكيف ذلك قال لان عدوكم في راس قلعته وانتم في فضاء الارض مطمئنين
لا عداكم لا عدو يفزعكم ولا عسكر بازكم يخيفكم فما هذا الخوف وما هذا
القلق قالوا له يا ابا الهول ان صاحب هذه القلعة علج ميشوم يرتقب غرتنا ويغير
على اطرافنا فيقتل رجالنا ويبيتنا من مامننا فبينما دامس يخاطب قومه واذا
بالضجة قد وقعت في طرف عسكر المسلمين وجلبة عظيمة فوقف دامس منتظر
منتظر حسامه ونكب جحفته وطلب الناحية التي سمع منها الصوت حتى بلغ
اليه واذا هو بيوقنا في خمس مائة رجل من ابطال اجناده وقد وجد غرة من القوم
فلما نظر دامس الى الروم وقع في وسطهم وجعل يقول شعر

انا ابو الهول واسمي دامس   اكر في جمعكم مداعس
ليث هزبر بطل ممارس   قال

وجعل يقرب في اعراضهم ومعه طايفه من بني طريف من شجعانهم وفرسانهم فلما نظر
يوقنا الى ما نزل به تقهقر الى ورايه وقتل من رجاله مايتي رجل ودامس يكدهم كدا
ويتبعهم الى باب القلعة وكنده من ورايه فناداهم ابو عبيدة رضي الله عنه عزيمة مني
عليكم ان يتبعهم احد منكم في ظلمة الليل فقال الناس يا ابا الهول الامير يعزم عليك و
علينا بالرجوع فارجع رحمك الله فرجع الى رحله وتراجع القوم الى رحالهم وقد ابلت
كنده بلا حسنا والناس قد فرحوا بمن تدمر من الروم فلما اصبحوا اجتمع الناس الى
الصلاة مع ابي عبيدة رضي الله عنه فلما قضيت الصلاة تفرق الناس ولم يبق الا نفر
يسير من المسلمين وروساوهم بحضرته فجعلوا يتذاكرون ليلتهم فقال خالد رضي الله عنه
اصلح الله الامير لقد رايت البارحه كنده وقد ابليت بلا حسنا وتقدمت رجالها وثبتت
ابطالها وازالت عنهما جهة العدو فقال ابو عبيدة رضي الله عنه صدقت والله يا ابا سليمان
لقد اسعدت الناس كنده بشبانها وجرانها ولقد سمعتهم يقولون احسن دامس
اجاد ابو الهول فقام الى ابي عبيدة رضي الله عنه رجل من روسا كنده يقال له سراقه
ابن مرداس ابن يكرب الكندي فقال اصلح الله الامير ان دامسا ابو الهول مولى لبني
طريف قدم مع هولاء الوفد الذي ورد بالامس الينا وهو رجل يعجز الرجال ويهيل
الابطال ويفضح الشجعان ويذل الاقران لا يهوله جمع ولا تصعب عليه غارة قال
ابو عبيدة رضي الله عنه لخالد رضي الله عنهما اما تسمع كلام سراقه ابن مرداس في
عبدهم دامس فقال خالد رضي الله عنه اصلح الله الامير يوشك انه صادق في قوله ولقد
سمعت بذكره وخبرت بشجاعته ولقد اخبرني رجل يقال له يعمر ابن عنز المهري
ان دامسا هذا اغار عليهم وحده وهو على ساحل البحر ومعه حلة فيها سبعين
رجلا من المهره وكان دامس هذا اطلبهم لاجل ثار كان له عند القوم وكانوا يخافون
منه ومن شره وباسه وكان مع ذلك يقصدون بدوابهم واموالهم الى اطراف الجبال
وسواحل البحر حذرا من مكره وكان مع ذلك يسال عن اخبارهم ويتطلع لاثارهم
فلما صح عنده نزولهم على ساحل البحر استصرخ قومه للغارة عليهم فتثاقلوا ولم
ينفر احد منهم وكان مع ذلك خبيرا بالبلد سهله ووعره وبحره وبره فلما ييس
من قومه دخل الى خبائه واحتمل رزمه على عاتقه فلما نظر اهل الحي من مواليه وغيرهم
لدامس وقد خرج من خبائه والرزمه على راسه واقبل اليه نفر منهم فقالوا له الى
اين يا ابا الهول وما الذي نراه معك فقال لهم يا قوم اني اريد الغاره على بني السعد اواخذ
الثار واكشف العار فقال له مشيخة القوم ما راينا اعجب من رايك وانت تعلم ان
بني السعد سبعين رجلا فمن يريد ان يغير عليهم ياخذ معه ثيابا ما سمعنا هذا الا
منذ الساعة وانا النزال لقصد جودا وكانت جودا هذه امة لبني حسان من
الحضارمه وكانت بقربه من قرا حضرموت يقال لها السفله وكان دامس يهواها

وكان كلما ياخذ من الاموال والابل والخيل والرجال يدفعه اليها ولا يعظم عليه كثرته وكان
لا يرضا لها بالقليل ولا يشبع لها من الكثير فظن القوم انه ماض اليها قاصد لها فقال
لهم وايم الله انه باطل ما تظنون وسوف تعلمون باني ما اقول الا الحق فرجع القوم وتركوه
وحده وسار حتى اتى الى مراعي قومه فاخذ راحلة من ابله واخذها واخذ سيفه وحجفته
بين يديه ووطا بالرزمه من تحته على كورها وجعل يسير يوما وليلة حتى اذا كان في اخر
الليل عطف بالراحلة الى بعض الاودية وابركها وحل رحلها وعقلها يرما مها ثم تركها
ترعي وهي معقوله ثم تشرف من بين حجر بن وكان قريبا من الحي وهو يخاف ان يندر به
احد فلما مضي عليه نهاره واقبل عليه ليله اقبل الى راحلته فابركها وحلها واستوى
في كورها وسار حتى اذا مضا من الليل شطره اشرف على نيران القوم فعقل ناقته حتى
علا نشرا من الارض مشرف على الحي وكان في ذلك النشر شجر من الطلح والسدر فابرك
ناقته وامسك شدقها لئلا ترغا فيسمع القوم رغاها فلما عقلها عمد الى رزمته فحلها
واستخرج منها ازرا واخذ اغصان تلك الشجر وياخذ من عيدانها كل عود على قدر قامته
قال فياتي بالعود فينصبه ويسنده بالحجارة ويطرح عليه ازارا ولم يزل حتى اقام
اربعين عودا وجعلها صفا واحدا متحاذيه وجوه ابواب البيوت والاخبيه ثم انه
اصلت سيفه وتنكب بحجفته واتشح بازار احمر ارجوان ثم هبط من ذلك الشرف
الذي فرق فيه الثياب على الاعواد وقصد الحي ودار حول خبا منهم وتفكر في امرهم
كيف يحتال وقد مضي من الليل اكثره ثم امهلهم الى طلوع الفجر ثم سار نحو الساحل
وسيفه مسلول وحجفته بيده فلما قرب منهم صاح بهم دنا خلا لكم انا ابو الهول
فلقد صبحتم بالويل اخذتم من البر والبحر ثم جعل ينادي يا الطريف يا ال كنده
فلما وقع صوته في اسماعهم ذهلت رجالهم وتصارخت نساوهم فاجفل القوم
بين يديه عن البيوت هاربين الى الساحل نحو الجبل وهو من خلفهم فلما راوه وحده
ولم يروا من ورائه احدا اخذ واتي طلبه فجعل يكر عليهم ويرجع عنهم ويقتل رجلا
بعد رجل فلما نظروا الى شدة باسه وعظم مراسه ارادوا ان يسبقوه الى النشر ليعلوا
عليه من خلفه فلما نظر اليهم وقد قاربوا الاعواد التي اصلح عليها الازر والثياب خاف
ان ينظروا اليها فيطمعوا فيه ويقفوا على مكره فانبسط في السعي حتى سبقهم
وصار امامهم ثم اقبل على الاعواد وهو يخاطبها كانه يخاطب الرجال ويقول
يا ال كنده يا ال الطريف املكم القوم فصد نكم الرجال فاحملوا عليهم فمد القوم ابصارهم
عند صباحه الى اعلا النشر فنظروا الى الاعواد التي عليها الازر اعني الثياب فلما راوها
فشكوا انهم رجال فانفضوا راجعين نحو البحر وجعل دامس ينادي يا قوم اقسمت
على رجل منكم ان يبرح من مكانه وزال من موضعه انا اكفيكم مونه القوم فرجع
الي مهره ناكصين على اعقابهم هذا قد ارد في زوجته وهذا امته وهذا ما قدر

على

عليه من اثاثه ورجع ابو الهول الجالي فلم يصادف فيه الا العبيد والصبيان والمشايخ والعجائز
فامر العبيد ان يقربوا الجمال ففعلوا ذلك وجعل الرجال على ظهور الابل وكتف العبيد
وحمل ما كان في الحي وسار يريد قومه فلما استقام على الجادة تاخر وتقدم ومر
كالريح العاصف واخذ الازر والثياب ثم لحقهم وسار حتى لحق قومه فاعجبت منه
العرب ومن فعله فلما سمع ابو عبيدة رضي الله عنه ذلك من قول خالد رضي الله عنه اقبل
على سراقة ابن مرداس الكندي وقال ادع عبدكم حتى انظر اليه واسمع كلامه
فما كان غير بعيد حتى اتاه به سراقة فقال له ابو عبيدة رضي الله عنه انت دامس
قال نعم اصلح الله الامير فقال لقد بلغني عنك عجائب وانت والله اهل لها
لانك جزل من الرجال واعلم انك وقومك تقاتلون في بلاد سهلة لا تعرفون الجبال
والقلاع ولقد اقتحمت البارحة انا واعداء الله اقتحاما منكرا فارفق بنفسك
واحذر من هذا البطريق يوقنا فقال له دامس اصلح الله الامير لقد عزت على
الـ مهره واخذت اموالها مرهفات وان جبالها شاهقة رفيعة ذات وعر وحجر
وما هذا الجبل بامنع من تلك الجبال فقال ابو عبيدة رضي الله عنه اني اراكم نجيبا
فهل حدثتك نفسك من اهل هذه القلعة بشي فقال دامس اصلح الله الامير اعلم
اني لما قدمت عليك في الوفد رايت في طريقي رؤيا فقال ابو عبيدة رضي الله عنه وما
الذي رايت قال رايت كاني سائر في فضاء من الطريق وانا اجد لطلب قومي وكاني قد
انقطعت عنهم وقد سبقوني الى الغارة اراد وها على قوم فبينما انا اجد في سيري
اذ اشرفت عليهم واذا هم حايرون لا يستقدمون ولا يستاخرون فناديتهم يا قوم
ما شانكم واي شي عن مسيركم قطعكم فقال لي القوم اما ترى هذا الجبل كيف عرض
لنا في اخر هذا الطريق وليس لنا منه مطلع ولا منفذ فقلت على رسلكم الا ترون
الى هذه الفلجة في هذا الجبل فقالوا هيهات لا طريق فيها فقلت ولم قالوا لان
فيها ثعبانا عظيما لا يمر به احد الا قتله وقتل رجالا وجندل ابطالا فقلت لهم
يا قوم الا تقتحمون عليه باجمعكم قالوا انا لا نقدر على ذلك لان النار تخرج من
انفاسه ولا سبيل لنا عليه فقلت لهم التمسوا طريقا من وراء ظهره فقالوا انا
لا نقدر على ذلك من عظم حثته فتركتهم ثم التمست الى موضعا فلم اجد الا مكانا
ضيقا حرجا فاقتحمته فما سلكته الا بعد المشقة واتيت الى الثعبان من ورائه
فقتلته ثم اشرت الى قومي فاتبعوا اثري فما وصلوا الي الا بعد الجهد وهم امنون
من عدوهم ثم استيقظت فرحا مسرورا فقال ابو عبيدة رضي الله عنه خيرا رايته
وخيرا يكون يا دامس اما تفسير رؤياك ففي للمسلمين بشارة ولعدونا خسارة فقال
له دامس وما ذلك ايها الامير ثم ان ابا عبيدة رضي الله عنه قام قايما على قدميه
ونادى برفيع صوته الله اكبر الله اكبر فتح الله ونصر وجاءنا بالظفر الا ومن كان

علي بعد قليل ومن كان ذا لبنا فليسمع بان في تفسير رويا دامس عبرت لمن اعتبر وموعظة
لمن اذكر فاقبل المسلمون يهرعون نحوه فرحين ولما يقول مستمعين فلما اجتمعوا اليه وصاروا
بين يديه قام ابو عبيدة علي قدميه فحمد الله واثنى عليه وذكر النبي فصلى عليه صلى الله عليه وسلم
ثم قال معاشر المسلمين ان الله سبحانه وتعالى وله الحمد قد وعدنا في كتابه على لسان نبيه
صلى الله عليه وسلم الغلبة لاعدائنا والظفر بمرادنا وما كان ليخلف وعده رسله واني
نذرت ان فتح الله علي يدي هذه القلعة ان اصنع من البر ما استطعت والان فقد هش في
نفسي ووقع في قلبي انا ظافرون بهذه القلعة ومن فيها ان شا الله ولا قوة الا بالله
العلي العظيم ودلني علي ذلك تاويل رويا ذلك الغلام ثم قبض بكفه علي زند دامس وقال رحمك
الله حدث اخوانك بما رايت في منامك فقام دامس علي قدميه وقال اعلموا اني رايت في منامي
كذا وكذا وجعل يقص الرويا من اولها الي اخرها فلما فرغ منها اقبل المسلمون علي ابي عبيدة
رضي الله عنه فقالوا ايها الامير قد سمعنا قوله فما تاويله قال ابو عبيدة رضي الله عنه
اعلموا رحمكم الله ان الجبل الذي ذكر انه راه عاليا شامخا شديد الامتناع فكذلك
بلا شك دين الاسلام وسنة نبينا محمد عليه السلام واما الثعبان الذي راه وهجم
بسيفه عليه فامن يحب الله ان يكون علي يديه يفرج الله للمسلمين به قال ففرح الناس
بتاويل ابي عبيدة رضي الله عنه ثم قالوا ايها الامير فما الذي تامرنا به فقال امركم
بتقوى الله سرا وجهرا ثم المكايدة لاعداء الله تعالى واعداء رسوله طوعا وصبرا ارجعوا
رحمكم الله الي رحالكم واصلحوا ما تحتاجون اليه فاني انفذكم في غداة غد الي اعدائكم
ان يجد رايا غير هذا فاني لست ادع الاجتهاد في الراي جهدي والمشورة لمن اتقي برايه
من جندي فقالوا باجمعهم الي رحالهم فجعل هذا يحد سيفه وهذا يصلح قوسه وهذا
يتفقد درعه وهذا يتعاهد فرسه ولم يزالوا كذلك بقية يومهم وليلتهم فلما
اصبحوا دعا ابو عبيدة رضي الله عنه بدامس وقال ايها العبد المجتهد ماذا تراه في امر
هذه القلعة وما الذي عندك من الحيلة فقال دامس ايها الامير انها قلعة منيعة
شامخة حصينة تعجز الوافد وتمنع الطالب لا ينفع اهلها محاصرة ولا يضيق صدرهم
بقتال غير اني فكرت في حيلة احتالها وارجوا ان يتم ذلك عليهم فيكون فيه بوارهم
وتملك بمشية الله ديارهم فقال ابو عبيدة رضي الله عنه يا دامس وما هي فقال اصلح الله
الامير انت تعلم ما في اذاعة الاسرار من السوء والاضرار ومن يكتم سره كانت الخيرة في يده
ويقال ان دامسا اول من تكلم بهذه الكلمة فمرت مثلا فقال ابو عبيدة رضي الله عنه ما الذي
تشير به ونعتمد في امرك عليه قال ترحل بعسكرك وجملة من تعتمد باصحابك حتى تنزل
بازاء القلعة ليظهر لهم منك الحرص والهيبة واعمل ان في ذلك الحيلة وارجوا ان يتممها
الله عز وجل ان شا الله ولا قوة الا بالله العلي العظيم فامر ابو عبيدة رضي الله عنه مناديه
فنادى في عسكره بالرحيل فارتحلوا ونزلوا تحت القلعة وهللوا وكبروا واظهروا

سالمهم

سلاحهم وارهبوا على اعدا الله قال فاشرف عليهم جماعة من الروم فنظروا اليهم
فهالهم ذلك والقى الله الرعب في قلوبهم حتى انهم اضطربوا في قلعتهم وماجوا ومشا
الكبرا منهم الى بعض وجعلوا يتشاورون فيما بينهم فقال قوم نقاتلهم وقال قوم بل
نقعد في قلعتنا فانهم لا يقدرون علينا ثم اجتمع رايهم على القتال من فوق القلعة
فصعدوا على الابراج والابدان وجعلوا يرجمون المسلمين بالحجارة والسهام واقاموا
على ذلك يقاتلونهم ليلا ونهارا ثم كفوا عن قتالهم واقام المسلمون على المبارزة بازاي
القلعة سبعة واربعون يوما وابو عبيدة مع ذلك يعمل كل حيلة فيهم فما وصل اليهم بسو
فلما كان بعد سبعة واربعين اقبل دامس على ابي عبيدة رضي الله عنه فقال ايها الامير قد
اجتهدت واعملت فكري في كل حيلة على اعدا الله فما وجدت الى ذلك من سبيل وقد
فكرت في شي وانا ارجو من الله الظفر والظهور على اعدائنا فقال ابو عبيدة رضي الله عنه
ما الذي دبرت قال تضف لي من قومك من صناديدهم ثلاثين رجلا وتامرهم لي بالطاعة وترك
الخلاف علي والاعتراض في امرهم بما افعله واراه قال ابو عبيدة رضي الله عنه افعل ذلك ثم
ضم اليه ثلاثين رجلا من فرسان المسلمين وقاتليهم حتى اذا حضروا اقبل ابو عبيدة
رضي الله عنه عليهم وقال لهم معاشر المسلمين قد امرت دامسا عليكم وامرتكم بالسمع
والطاعة له والقبول لامره واعلموا رحمكم الله اني ما امرته عليكم لانه اجل منكم حسبا
ولا اعظم مركبا ولا اشد باسا ولا اكثر مراسا ولا يقول احدكم في نفسه اني امرت عليكم
عبد احتقارا وبالله احلف مجتهدا لولا ما يلزمني من تدبير هذا العسكر لكنت انا
اول من ينطلق معه في جمعكم وانا ارجو من الله ان يفتح على ايديكم فاقبلوا عليه باجمعهم
وقالوا اصلح الله الامير ما نشك في اعظامك لنا ومعرفتك بسابقتنا ولقد كان كلامك
الاول اثر في نفوسنا وها نحن لك وبين يديك لو امرت علينا علجا اقلفا لم نخرج له من
راي اذ علمنا انما تريد به نصحا للدين وحياطة للمسلمين فالسمع لله ثم لك ايها الامير
ولمن وليت علينا من بعدك كاين من كان من الناس ففرح ابو عبيدة رضي الله عنه بمقالهم
ووثق بكلامهم وجزاهم خيرا واوسعهم شكرا وقال لهم اعلموا رحمكم الله ان نفسي تحدثني
ان الله يفتح هذه القلعة على يدي هذا العبد لانه دقيق الحيلة حسن البصيرة فسيروا
معه وثقوا بالله وتوكلوا عليه وقد تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى موالاه
على سادات العرب من المسلمين والاشراف من عشيرته ثم اقبل على دامس وقال
يا دامس ما الذي تحب بعد هذا قال ترحل انت بجيشك من تحت هذا الحصن وتكون على
مسيرة فرسخ فتنزل باصحابك هنالك وتامر من معك من الناس بقلة الحركة والتخفي
ما استطاعوا ويكون لك رجلان تثق بهما تشاهد نيتهما ونصحهما للمسلمين فيتجسسان
عن اخبارنا واثارنا متغيران لا تعلم بهما احد ويكونا بغير سلاح الا الخناجر فاذا هما
عاينا منا الظهور على اعدائنا والظفر تريد منهما ان يلحقا بك جميعا فيبشرانك بذلك

لتلحق بنا ان شا الله وليكونا مفترقين ولا يكونا في موضع واحد فان ذلك اسلم لهما
والله المستعان في جميع الاحوال ثم ان العبد دامسا اقبل مع النفر الذين معه وقد
دل عليهم وقال يا فتيان العرب انهضوا بنا رحمكم الله حتى نكمن في بعض هذه الجبال
ما دام الناس منتشرين للرحيل ويشرف القوم فينظرون الى رحيلهم فلا يتفق لنا
ان نطلب مكمنا اذا اشرفوا من حصنهم وليكن مع كل واحد منكم سيفه وحجفته
ولا يكون معه رمحا ولا قوسا ففعلوا ذلك فلما تكاملوا بين يديه وثب ولبس
لامته وتقلد بخنجره تحت اثوابه واخذ مزاده وخرج بهم حتى اذا فارق العسكر
جعلوا يخفون اشخاصهم ويستترون حتى اتا مغارة فامرهم بالدخول الي المغاره فدخلوا
وجلس دامس علي باب المغاره قال الواقدي رحمه الله وان ابا عبيدة رضي الله
عنه امر الناس بالرحيل بعد ان رتب له الرجال كما وصف له العبد وارتحل المسلمون ولهم
همهمة عظيمة وزعقة هائلة فاشرف عليهم اهل القلعة فنظروا اليهم يرحلون وفرحوا بذلك
وتراطنوا بينهم وسروا سرورا عظيما وقالوا ان العرب قد ارتحلوا عنا واخذت المسلمين
الزعقات من كل ناحية وكان يهزون بهم ويعطعطون عليهم من ورايهم حتى لم يبق
احد من المسلمين الا رحل وسار ابو عبيدة رضي الله عنه واصحابه حتى غابوا عن حلب وفرحت
الروم بذلك فرحا شديدا واقبلوا الي بطريقهم وقالوا له ايها السيد افتح لنا الباب حتى نخرج
الى العرب فقد رحلوا فلعلنا نقتل منهم ونا سر فنهاهم عن ذلك ولم يزل القوم كذلك
الي بقية يومهم الي ان كانت صلاة العتمة اذ اقبل دامس علي اصحابه وقال من منكم ينهض
الي القلعة فلعله ياتينا بخبر منها او يقدر لنا علي رجل ياسره فياتينا به لناخذ منه
خبر فلم يجيبه من القوم احد فقال انا اعلم ان ما في الجماعة الا من هو مشفق بنفسه كارة
للموت وانا لكم الفدا فانظروا كيف تكونون ثم تركهم دامس ومضى فغاب عنهم ساعه
واذا به قد اتى ومعه علج فقال لهم يا فتيان العرب دونكم فسالوه فكلمه المسلمون فجعل
يكلمهم وهم لا يفهمون ما يقول فقال دامس علي رسلكم ثم غاب غير بعيد واتا ومعه
اربعة اخرى فلم يكن فيهم يفهم بلغة العرب فقال دامس لعن الله هولاء فما اوحشهم
واكثر طمطمتهم ثم تركهم وخرج وغاب الي ان مضى من الليل النصف ولم ياتي فقلق اصحابه
عليه قلقا عظيما ولغتموا عليه غمة عظيمة قال بعضهم لبعض انا نظن ان دامسا قد قتل
او اسر وحيروا في ذكروهم القوم ان يرجعوا الي عسكرهم وهم اينما كانوا اذ دخل
دامس عليهم وهو يقود رجلا من الروم فتواثبوا اليه فقبلوه وسالوه عن ابطائه
فقالوا له يا دامس لقد حدثتنا انفسنا بالعظايم وصعب علينا ابطاوك فما الذى اخرك
عنا فقال لهم دامس اعلموا رحمكم الله اني لما فارقتكم سرت حتى قربت من سور القوم فبركت
لهم فجعلوا يرمون وهم مطمطمون بلغتهم وانا لا اعرض للقوم كل ذلك اطلب من يتكلم
بالعربية فلم ار احدا حتى ايست وهممت بالرجوع خايبا اذ سمعت هذه شديدة وقد وقعت

من اعلا الصور فاسرعت اليها وتبادرت اليه فاخذته واتيت به اليكم فانظروا ما هو فدنوا
اليه وكلموه فلم يخاطبهم الا بلغته واذا به قد انفتل رجله وانفتحت جبهته فقال لهم اعلموا
ان له شان من الشان وليس فيهم من يفهم ما يقول ولكن علي برسلكم فانا اتيكم بمن
يتكلم بالعربيه واسرع دامس من عندهم فلم يكن الا قليل واذا به قد عاد اليهم ومعه
رجل قد نزلت عما منه في عنقه وهو يقوده حتى مثله بين يدي اصحابه فقالوا له من
المدينة انت او من القلعة قال بل من اهل القلعة فقال له دامس انت من الروم اذا
قال لا ولكني من العرب المتنصرة فقال يا هذا هل ان نطلعنا على عورة من عورات
هذه القلعة ونحن نطلق لك السبيل ولا يعرض لك احد منا بسوء فقال يا هؤلاء لست اعرف
لهذه القلعة عورة ولا طريقا ولو عرفت لما وسعني في ديني ولا رايت ان ادلكم عليها
لا وحق سيدي المسيح قال فاغتاظ دامس منه ومن قوله وقال له فسل هؤلاء الاسرى هل
فيهم احد من اهل الربض فان بيننا وبينهم صلحا قال فسالهم بالرومية ثم قال لدامس
ليس فيهم احد من اهل الربض بل هم من اهل القلعة وانا عارف بهم فقال له دامس فسل هذا
الرجل لم طرح نفسه من الصور وما دعاه الى ذلك قال فسأله ثم اقبل على دامس قال له انه
يقول ان الملك يوقنا غضب على اهل الربض لاجل صلحهم لكم وبعث يهددهم فلما انصرفت العرب
نزل يوقنا لجمع روساءنا واصعدنا الى القلعة وطلب منا من المال ما لا نقدر عليه فلما
نظرت الى ما نزل بنا هربت والقيت نفسي من القلعة اطلب الفرج والنجو من العقوبة فلم
اشعر الا وانت قبضت علي وانا من اهل الربض فان كنت من العرب فانا في ذمامكم
وامانكم فلا تنكثون ولا تغدرون وان كنتم من غيرهم فاطلبوا مني ما احببتم افدي
نفسي فقال له دامس قل له نحن من العرب ولا باس عليك ولا خوف ولا ينالك منا
سوء وانا دامس ان يرى للربض ما يفعل باعدائه فاخرج الروم والمتنصر فضرب رقابهم
ولم يدع غير الربضي ثم اطلقه وعمد دامس لمزوده واستخرج منه جلد ماعز فالقاه
على ظهره واستخرج عكازا يابسا وقال لاصحابه بسم الله واستعينوا بالله وتوكلوا عليه
واخفوا امركم وقدموا الخيرة في اموركم فاني معول على فتح هذه القلعة الليلة ان شاء الله تعالى
فقالوا يا دامس ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قام القوم مسرعين وبيدهم دامس
وبعث رجلين من اصحابه يعلما ابا عبيدة رضي الله عنه بشانهم ويقولا له يبعث لنا الخيل
عند طلوع الشمس قال فانطلق الرجلان وصعد دامس ومن معه يخفون امرهم تحت ظلام
الليل ودامس على المقدمة يتنسم لهم الاخبار وهو يمشي على اربع والجلد على ظهره فكلما
احس بحس فرط السكعكة كانه يقرط عظما والمسلمون من ورائه يختفون تارة ويمشون
تارة ويستترون بالحجارة فلم يزالوا كذلك حتى قاربوا القلعة فسمعوا اصوات الحرس
وزعقات الرجال من اعلاها فالحرس شديد فجعل دامس يدور بهم الى ان اتا بعض الابراج
فاذا هو بحارس البرج قد نام وليس في الصور اقصر من ذلك البرج فقال دامس لاصحابه

انتم ترون الي هذه القلعة وعلوها وتحصنها وليس فيها حيلة لشدة الحرس ويقظة الروم فما
الذي ترون اصنع بها وكيف الحيلة عندكم في الصعود اليها الي ان نحصل في وسطها فقال له القوم
يا دامس ان الامير قد امرك علينا وانت اخبرنا منا جميعا ونحن لك وبين يديك فما رايت فيه
صلاحا للمسلمين وفقد فلا نتاخر عنه ووالله ان قتل نفوسنا وارواحنا اهون علينا من الرجعة
بلا فائدة فمنك الامر ومنا السمع والطاعة فليس منا من يتاخر عنك ولا يموت الا تحت
ظلال السيوف بطاعة الله ورضا اخواننا المسلمين فقال دامس شكر الله لكم ورزقكم النصر علي عدوكم
فاذا كان هذا نيتكم فاطلبوا الصور والتزقوا به قال دامس وكنا ثمانية وعشرين رجلا فلما
صرنا عند الصور التزقنا به بالليل قال دامس فيكم من يقدر رجلي للصعود الي هذه القلعة
فقالوا يا ابا الهول وكيف لنا ان نرقا اليها وعلي اي شي نصل الي علاتها فقال علي رسلكم
ثم اختار منهم سبعة رجال كلاسود الضواري لو كلوا جمادا لك البرج علي مناكبهم
لما عظم ذلك عليهم ثم انه اخذ احدهم منكبيه وهو جالس وامر كل واحد منهم ان
يمسك الجدار بيده ويطرح قوته علي الجدار وامر الاخر فعلا علي منكب صاحبه ثم امر اخر ان
يفعل كذلك فلم يزل يجلس كل واحد علي منكب صاحبه ثم امر اخر ان يفعل كذلك فلم
يزل يجلس كل واحد علي منكب صاحبه حتي علم ان السبعة قد جلس كل واحد منهم علي
منكب صاحبه حتي علم ثم امر الاعلا منهم ان يقوم علي منكب صاحبه قايما ثم قام فطرح
حيلة علي جدار القلعة فلما قام الاول قام الثاني ثم قام الثالث ثم قام الرابع ثم قام
الخامس ثم قام السادس ثم قام السابع فكل واحد منهم قد طرح حيلة علي الجدار ثم
قام دامس اخرهم واذا العلاهم قد وصل الي شرفات الصور وتعلق بها ثم قفز فاستوي
علي الصور من داخله ونظر الي حارس ذلك البرج نايما وهو ثمل من الخمر فاخذ بيديه
ورجليه فرماه من اعلا الصور الي اسفله فلما وصل قطعه المسلمون قطعا واصاب
له صاحبين رقود وهما ثملان من الخمر فذبحهما بخنجره والقاهما الي اصحابه ثم القي عمامته
الي صاحبه الذي الذي كان هو قايما علي منكبيه فتعلق بها وجذبه اليه فاذا هو علي
الصور معه وجعلا يفعلان كذلك بامثالهما الي ان مضى الامر الي دامس فادلوا عمايمهم
وتعاونوا عليه حتي صار معهم علي الصور ثم قال انظروا علي متن الصور ولا يتحرك منكم
احد حتي اعرف لكم خبر القوم ثم اقبل منشرفا علي وسط القلعة فاذا هو بساداتهم
وروسايهم في مجلس لهم وبين ايديهم اواني الذهب والفضة ويوقنا جالس في اوساطهم
علي بساط من الديباج الاحمر منسوج بالذهب وعليه بدنه من اللولو الرطب متعصب
بعصابة من الجوهر والقوم ياكلون ويشربون والمسك ينثر عليهم فانزل دامس علي
اصحابه وقال ان القوم خلق كثير من المقاتله وان نحن هجمنا عليهم لم نامن الغلبه
من كثرتهم ولكنا نذرهم في اكلهم وشربهم فاذا كان وقت السحر هجمنا عليهم بسيوفنا
فان ظفرنا بهم واذلهم الله علي ايدينا فهو الذي نريد وان كان غير ذلك كنا قريب من

الصباح ولا شك ان الرجلين قد اعلما الامير ابا عبيدة بامرنا فيبعث لنا خيلا ورجالا
فقالوا ما نخالف لك امرا وقد حصلنا الله في قلعة هولاء الاعلاج ولن يحبينا والله
الا شدة العزم والحزم فلما سمع ذلك منهم قال لهم على رسلكم فلعل اقتل البواب وكان
للقلعة بابان بينهما دهليز يغلق البابان من داخله والرجال هناك بالعدة والسلاح
كل ليلة يبيت ثلاث رجال بالنوبة فلما اقبل دامس للباب اصابه مغلقا من داخله فعظم
عليه ذلك ثم قصد الى ركن الباب فاقتلع منه حجرا عظيما ودخل من موضع الحجر فاذا
هو بالقوم وهم رقود فعاجلهم بالذبح ثم فتح البابين جميعا الذي احدهما الى خارج
القلعة والاخر الذي الى داخلها ثم ترك البابين مردودين وخرج راجعا الى اصحابه
وقد سار سحرا فقال لاصحابه يا فتيان العرب الا اني قد فتحت لكم الباب وقتلت من
هناك من الرجال فدونكم والباب فاستقبلوا اليه وخذوه عليهم فان القوم حصيد
اسيافنا ان شاء الله وطعم خناجركم فقام القوم واخترطوا اسيافهم ثم تنكبوا
جحفهم وجعلوا يخفون اشخاصهم ويكتمون امورهم فلما وصلوا الى باب القلعة بادر
واحد كل واحد منهم مكانه يدرك بهم الروم فقصد بهم الابطال الاقيال وصاحت
الروم وا بماه وكيف تمت هذه الحيلة علينا وصرخ بهم بوقنا من كل جانب واخترطت
الروم لقوا بعض قال وعلى التكبير من المسلمين قال ابن اوس القرشي لقد قاتلت الرجال
وقاتلت الابطال فما رايت مقاتلا اشد باسا ولا اقوى مراسا ذلك اليوم من دامس
ولقد عددنا في يديه بعد انفصالنا من الوقعة ثلاثة وسبعين جرحا فبينما نحن في اشد
الحرب واعظم الكرب وقد جرحت رجالنا واشرفنا على الهلكات وكنا ننعى بعضنا بعضا
وايقنا انا نموت بدا واحده ونحن يومئذ ثمانية وعشرون رجلا فقتل منا اوس ابن عامر
الحربي وابو ملجد ابن سراقة الحميري والبارخ ابن مسيب التميمي ومرارة ابن مراد الغنوي
والربيع ابن ماجد العبدي من بني عبد الدار وهلال ابن يعرب الخثعمي وامية ابن قادح
والاسود ابن ملاعب ابن مقدام ابن عروة الحضرمي قال الواقدي رحمه الله ولقد
حدثني نوفل ابن سالم عن جده حويلة ابن خارج وكان ممن حضر مع دامس في قلعة حلب
قال قال لي نوفل عن جده يحدثه قال لما قتل ثمانية من اصحابنا وبقي منا عشرون
رجلا وتكاثرت الروم علينا اتى ازيد من اربعة الف فارس ونحن ايسر ما كنا اذا اشرف
علينا خالد ابن الوليد رضي الله عنه في الف فارس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك ان الامير ابا عبيدة رضي الله عنه كان قلقا علينا مشوقا لاخبارنا وكان قد ابقى
خالد رضي الله عنه بالقرب منا فاول من لقيه الرجلين فعرفناه صعودنا الى القلعة فاقبل
الينا مسرعا فوجدنا في القتال الشديد والحرب العتيد فلما وقع الصايح بقدوم
خالد رضي الله عنه نضا بحت الروم وانخلوا عنا وصعدوا على اسوار القلعة وشرفوا
على الخيل التي فيها خالد ابن الوليد رضي الله عنه قال اوس فلما سمعنا تكبير المسلمين

قويت قلوبنا واشتد باسنا على قتال عدونا وضربناهم ضربا وثيقا وصعدا
الينا خلقا كثيرا من المسلمين فلما نظرت الروم الى ذلك علموا انهم لا طاقة لهم بنا
فالقوا سلاحهم وصاحوا الغوث الغوث ثم كفوا انفسهم فكف المسلمون عنهم
القتال فبينما هم كذلك اذا اشرف عليهم ابو عبيدة رضي الله عنه في فرسان المسلمين
فاخبره جماعة ان الروم يطلبون الامان وان الناس رفعوا السيف عنهم الى ان
تاتي فترى رايك فيهم فقال ابو عبيدة رضي الله عنه وفقوا ورشدوا ثم امر
باحضار رجالهم ونسائهم واعرض عليهم الاسلام فكان اول من اجاب الى
الاسلام بطريقهم يوقنا رحمه الله وجماعة من ساداتهم فرد عليهم الامير اموالهم
واهليهم ثم استنقى منهم اكره وفلاحين وعفى عنهم واخذ عليهم العهود والمواثيق
الا يعرضوا لاحد من المسلمين الا بخير ثم اطلق شيوخهم وعجايزهم فانطلقوا
يريدون الدروب واخرج المسلمون من القلعة من الذهب والفضة واواني الذهب
والفضة ما لا يقع عليه عدد فاخرج منه الخمس وفرق الباقي على المسلمين واخذ الناس
في حديث دامس وحيلته وعلى الجوانب راحاته واقاموا في موضعهم ذلك حتى برى دامس
ومن كان معه جرحى ثم ان ابا عبيدة رضي الله عنه دعا المسلمين اليه وشاورهم في ذلك
وقال ان الله وله الحمد قد فتح هذه القلعة على ايدينا وما بقي لنا موضع نقصده الا انطاكية
وهي دار ملكهم وكرسي عزهم فيها ملوكهم عند الملك هرقل فما ترون من الراي الرشيد
فقام اليه البطريق يوقنا وهو صاحب حلب وقال بلسان عربي مبين ايها الامير ان الله
عز وجل ايدكم ونصركم وظفركم بعدوكم وما ذاك الا ان دينكم هو الدين القويم والصراط
المستقيم ونبيكم هو المشهور في الانجيل وهو لا محالة الذي بشر به عيسى ابن
مريم لا شك فيه وهو الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل فهو النبي اليتيم
الذي يموت ابوه وامه ويكفله جده او عمه فهل كان ذلك قال نعم هو نبينا فقال
ابو عبيدة والاديا يوقنا احزنني امرك بالامس تقاتلنا وتكبس عسكرنا وتقطع
الطريق علينا فتنا ثم تقول الان مثل هذه المقالة ولقد بلغني عنك انك قد
كنت لا تعرف بالعربية شيا فمن اين لك حفظها فقال لا اله الا الله محمد رسول الله
او تعجب من هذا ايها الامير قال نعم فقال يوقنا اني كنت البارحة متفكرا في
امركم وكيف نصرتم علينا ولم تكن امة اضعف منكم عندنا فلما توسوست
في امركم نمت فرايت شخصا ابها من القمر فسالت عنه فقيل لي هذا محمد فكاني
اقول ان كان نبيا صادقا فليسال ربه ان يعلمني العربية فكانه يشير علي
فاستيقظت وانا اتكلم بالعربية ثم قمت الى منزل اخي يوحنا وفتحت خزانة
كتبه فطالعت فيها فوجدت في بعض كتبه محمدا وما يكون من امره وان بعض
الناس اليه اليهود الا كان ذلك قال ابو عبيدة رضي الله عنه نعم كانت اليهود

تطلبه اشد الطلب حتى نصر عليهم واخذ حصونهم وقتل ابطالهم فقال يوقنا وجدت
في سيرته ان الله كان يوصيه على اصحابه وعلى من تبعه وكان يعنيه على اليتيم والمسكين
اكان ذلك قال ابو عبيدة رضي الله عنه نعم اما وصية الله على اصحابه فقد قال واخفض
جناحك لمن اتبعك من المومنين واما في المسكين واليتيم فاما اليتيم فلا تقهر واما
السايل فلا تنهر فقال يوقنا كيف يصفه بالضلالة وهو عنده معظم قال له معاذ
الله معناه ووجدك ضالا في شريعتنا فهديناك الى مشاهدتنا وايضا سهل لك
الوصول الى منازل المكاشفة ووقفك الموقوف في مقام المشاهدة وايضا وجدك ضالا
في بحار الطلب عن مراكب الطرب فاواك الى سواحل الحق وقربك الى ظل حقايق الصدق
وايضا انكرت تقلبك على عبيده الاغيار ونفث في قيعان الاستخبار طالحا بعيون
الاستار مستهيا ساعات الوصول والتلاق وليس لك مناحير ولا معك منا اثر حتى
لحنا الواجب الرضا وكشفنا لك عن واضح الفضا اما علمت يا عبد الله انه لا كنز عنده للمومن
ادنا من العلم ولا مال اربح من الحلم ولا حسد اوضح من الغضب ولا قرين ازين من الفضل
ولا رفيق اشر من الجهل ولا شرف اعز من التقوي ولا كرم اوفر من ترك الهوي ولا عمل
اوفر من الفكر ولا حسنه اعلا من الصبر ولا سيئة اجزى من الكبر ولا دوا الين من الرفق
ولا دا اوجع من الخوف ولا رسول اعدل من الحق ولا دليل انصح من الصدق ولا فقر
اذل من الطمع ولا غنا اشفى من الجمع ولا حياة اطمع من الصحة ولا معيشه اهنا
من العفه ولا عباده احسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس
احفظ من الصمت ولا غايب اقرب من الموت فلما سمع يوقنا هذا الكلام من
ابي عبيدة رضي الله عنه تهلل وجهه وقال هكذا والله قرات البارحة في كتاب
كان لاخي يوحنا وتذكرتها وجدت على عايشة التوراة والان قد رسخ دينكم
في قلبي وعلمت انه الحق وسا قاتل اعاديكم وامحوا ما سلف فقال ابو عبيده
رضي الله عنه يا عبد الله دلنا الى ابن تسير فقال يوقنا اعلم ان حصن اعزاز منيع قوي
بالرجال والعدد والزاد وعليه ابن عم لي اسمه دادريس وهو ذو شدة وباس
وقوة جليد في الحرب قوي في الضرب وان انتم تركتموه ومضيتم الى ناحية انطاكيه
اغار على حلب وقنسرين واذاقهم شرا قال ابو عبيدة رضي الله عنه وكيف الحيلة
عليه فقال يوقنا ايها الامير اني قد دبرت حيله عليه وارجوا من الله تعالى تمها
فقال ابو عبيدة رضي الله عنه قد انطق الله على لسانك بالصواب فقال يوقنا قد رايت
من الراي ان اركب جوادي وتضم لي مائة رجل من المسلمين ولكن عليهم زي الروم
ولباسهم وانقدم بهم ثم تنفذ اميرا من العرب معه الف فارس على عناق
الخيل وانا في المقدمة مع المائة فارس على مسيرة فرسخ كانا هاربين منكم واولئك
الف في طلبنا فاذا اشرفنا على اعزاز القا الصوت فاذا انظر الينا صاحبها دادريس

ابتدا ذكر فتح اعزاز

لا بد ان ينزل الينا ويلتقينا فان سالني اخبرته اني اسلمت زورًا ثم هربت وخرجت
العرب في طلبي فانه اذا سمع ذلك صعد بنا الي القلعة ويكن صاحبك مكمن بالقرب
منا في قرية اسمها ميره فاذا كان نصف الليل نزل الي وسط الحصن ونضع السيف
في اعدائنا فاذا كان عند صلاة الفجر يلحقنا صاحبك بمن معه فلما سمع ابو عبيدة
رضي الله عنه بذلك استشار خالدًا ومعاذًا رضي الله عنهما فقالا يا امين الامة
انه راي سديد ان لم يغدر هذا الرجل ويرجع الي دينه فقال ابو عبيدة رضي
الله عنه ان ربك لبالمرصاد فقال يوقنا ام والله ما رجعت من ديني الي دينكم
الا وقد ذهب ما كنت اعظم من الصور والصلبان وما بقي في قلبي سوى محبة
دين الله عز وجل الذي لا اله الا هو ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رايته
في النوم وعاينت معجزته فان كنتم تظنون في ظنا كاذبا فلا تتركوني لما ذكرت
فقال ابو عبيدة رضي الله عنه يا عبد الله ان كنت نصحت للمسلمين فلم تقدر كان
الله لك معينا في كل ما تحاوله فابلغ الصدق تجوا به فان ديننا ما بني الا على
الصدق بانتباع سنن اخوانك المسلمين ان المومن الصادق قوته ما وجده ولباسه
ما ستر ومسكنه اين ما وجد فلا يحزنك ما تركت من ملكك وزينتك وحكمك
وامارتك فان الذي تركت فاني والذي انت تطلبه باقي لان نعيم الدنيا يفنى والاخرة
خير وابقى واعلم انك في يومك هذا عار من الذنوب كيوم خرجت من بطن امك
واعلم ان الدنيا سجن المومن والفقر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكره
والقران حديثه والله انيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شانه
والحيا شعاره والجوع اِدامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى
زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة
حرفته والجنة داره واعلم يا يوقنا ان المسيح عليه السلام قال عجبت لثلاثة
عاقل وليس بمغفول عنه ومومل دنيا والموت يطلبه وباني قصرا والقبر مسكنه
وقد قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من اعطي اربعة اعطي اربعة وتفسير
ذلك في كتاب الله عز وجل من اعطي الذكر ذكره الله عز وجل يقول الله اذكروني
اذكركم ومن اعطي الدعاء اعطي الاجابة لان الله عز وجل يقول ادعوني استجب
لكم ومن اعطي الشكر اعطي الزيادة لان الله تعالى يقول لين شكرتم لازيدنكم
ومن اعطي الاستغفار اعطي المغفرة لان الله عز وجل قال استغفروا ربكم
انه كان غفارا قال حدثني عامر ابن قبيصة الشكري قال اخبرني يوقنا
ابن عبد الاعلى قراة عليه قال حدثني شهر ابن خوشب عن جده عامر ابن
اوس قال كنت ممن شهد فتوح قنسرين وحلب مع ابي عبيدة رضي الله عنه
وكنت كثيرا ما اصحب الروم الذين دخلوا في ديننا فلم نر فيهم اشد جهادا

ولا اخلص نية ولا ابلغ في الجهاد ولا اعظم في قتال الروم من يوقنا والله لقد نصح للمسلمين وجاهد
في المشركين وارضا رب العالمين ولقد فعل في الروم ما لم يفعله احد من ابنا جنسه رضي الله عنه
قال الواقدي رحمه الله ولما وعظ ابو عبيدة رضي الله عنه ليوقنا وفرغ منه ذلك ضم اليه مائة رجل من المسلمين
والبسهم دروع الروم وزيهم قال وكان كل عشرة منهم من قبيلة قال والقبايل لخم ونهد وخزاعة
وسنبس ونمير والحضارمة وحمير وباهله وتميم ومراد والقى على كل عشره نقيبا فاما نقيب طي
لخم على ابن عاصم وعلى نهد مرة ابن مزاحم وعلى خزاعة سالم ابن عدي وعلى سنبس مسروق
ابن سنان وعلى نمير اسد ابن دارم وعلى الحضارمة ماجد ابن عمير وعلى حمير ملكهم ذو الكلاع
الحميري وعلى باهلة سيف ابن قادح وعلى تميم سعيد ابن جبير وعلى مراد مالك ابن فياض
فلما رتب ابو عبيدة رضي الله عنه هذا الترتيب قال اعلموا رحمكم الله اني مرسلكم مع هذا العبد
الذي وهب نفسه لله ولرسوله وكل طايفة منكم عليها نقيب وقد وليته عليكم فاسمعوا له
واطيعوا ما دام على مرضات الله عز وجل قال فلبسوا وركبوا وساروا مع يوقنا على المقدمة على
زيهم فلما بعد بفرسخ انفذ ابو عبيدة رضي الله عنه مالك ابن الحارث الاشتر النخعي وضم اليه من
الفرسان الف فارس من قومه وقال يا ابن الحارث سر في اثر هذا العبد وانظر ما يوول من
امره فاذا قربت من اعزاز فاكمن الى وقت السحر ثم تظاهر لاخوانك وسر وفقك الله وارشدك
قال فسار مالك الاشتر على مقدمة الف فارس وساروا بقية يومهم اجمع وقد جن عليهم
الليل وهم في قرية مبره فوجدوها خالية من الساكن وكمنوا هنالك واما ما كان من يوقنا
فانه اخذ على غير طريق الجادة وسار مع المائة طالبا اعزاز قال الواقدي رحمه الله ولقد
حدثني الثريد ابن مازن عن جده خزعل ابن عاصم قال كنت في خيل يوقنا لما وجهنا ابو عبيدة
رضي الله عنه معه فلما اشرفنا اعزاز اقبل علينا يوقنا وقال يا فتيان العرب قد اشرفنا اعزاز
بلد العدو فاياكم ان يتكلم منكم احد فان لغتكم لا تخفى على الروم وانا المترجم عنكم وكونوا
على يقظة من امركم واذا رايتموني قد بطشت بصاحب هذه البلده فثوروا على اسم الله ثم
سار وليس عنده خبر من الغدر قال الواقدي رحمه الله حدثني سلمان ابن عبد الله اليشكري
قال حدثني يعمر ابن عبد الرحمن المزني وكان ممن يكتب فتوح الشام قال اخبرني الاكوع المازني
قال كنت مع مالك الاشتر النخعي في جملة الف حين سرنا في اثر يوقنا حتى اذا كنا بقرية مبره
واقمنا ننتظر الصباح واذا بحس من ورايتا قال فراينا مالك الاشتر وقد قصد الحس فغاب
عنا غير بعيد وعاد ومعه رجل من العرب وقد اقبل بين يديه فلما توسط به الكمين قال يا فتيان
العرب اسمعوا ما يقول هذا الرجل فقالوا وما الذي يقول قال اسالوه فانه يخبركم فسالوه
وقالوا ممن اي الناس انت قال من غسان من بني عم جبلة ابن الايهم فقال مالك الاشتر ما اسمك
قال اسمي طارق ابن سنان فقال يا طارق بحق ذمة العرب لا تكتمن امرا تعرفه من اعداينا
فقال والله لا اكتمنكم امرا اعرفه ولكن خذوا على انفسكم قبل قدوم عدوكم فقال مالك الاشتر
وكيف ذلك قال لانكم جيتم تريدون خديعة عدوكم وقد مكر بكم فقال له مالك الاشتر

وكيف ذلك قال لان البارحه ورد علينا جاسوسه من عندكم وهو عصمه ابن عرفطه التميمي
وقد كان يسمع ما تناجيتم به من الحيلة التي دبرها يوقنا على صاحب اعزاز فلما سمع الجاسوس
منكم ذلك كتب رقعة وربطها في ذنب حمام كان عنده في ظاهر عسكركم وارسله الي صاحب اعزاز
اليوم قبل صلاة ظهركم فلما قراه بعثني الي صاحب الراوندان لعوقا ابن ناموس يستنجد به عليكم
وقد مضيت اليه بالرساله وقد قدم في خمسمائة فارس فكانكم به قد اقبل فتاهبوا للقائه
قال الواقدي رحمه الله واما ما كان من يوقنا رحمه الله فانه سار حتى ورد حصن اعزاز فوجد صاحبها
قد اخذ على نفسه وحصن قلعته وجند اجناده والبسهم وصفهم خارج الحصن وكان اللعين
يركب في ثلثة الف فارس من الروم والف من العرب المتنصره سوى من جا اليه من سواد اهل بلده
فلما قدم يوقنا لم يوهمه شي من امره بل استقبله وترجل اليه واقبل كانه يقبل ركابه وكان
في يده سكينا امضا من القضا فقطع بها حزام السرج ثم نثر يوقنا نثره واذا به على ام
راسه واطبقت الاربعة الف على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يمهلوهم حتى اخذوهم
قبضا بالكف وشدوهم بالوثاق وبصق دادريس في وجه يوقنا وقال له لقد غضب عليك
الصليب اذ فارقت دينه ورجعت مع اعدايه فوحق المسيح لا بد لي ان ابعث بك الي الملك الرحيم
فيصلبك على باب انطاكيه بعد ان اضرب رقاب هولاء العرب ثم صعد بهم الي قلعته
قال الراوي ومن خيرة الله للمسلمين ان الجاسوس لم يكتب في مطالعته لصاحب اعزاز

ذكر فتوح اعزاز

بمسير مالك النخعي في الف فارس
واما ما كان من مالك الاشتر فانه لما سمع قول المتنصر طارق ابن سنان اخذ على نفسه
هو واصحابه واستوثقوا من المتنصر واقاموا ينظرون صاحب الراوندان
فلما مضى هزيع من الليل سمعوا قعقعة اللجم ودوي الخيل فلم يكلمهم مالك
حتى توسطوا الكمين فعندها اطبق عليهم وصار كل اثنين على فارس من الروم
فاخذوهم بالكف ثم اوثقوهم واخذوا ثيابهم ولباسهم فلبسوها ورفعوا راياتهم
وصلبانهم كما كانت والتفت مالك الاشتر اليه وقال له هل لك ان ترجع الي
دين الله عز وجل ودين نبيه ويمحى عنك ما سلف من الكفر بالايمان وتصبح
لنا من جملة الاخوان فقال والله ان قلبي عندكم وفي دينكم وانا كنت اول من اسلم
على يد عمر رضي الله عنه مع ملككا جبلة ابن الايهم وقد سمعنا عن محمد صلى الله عليه
وسلم انه قال من بدل دينه فاقتلوه فقال له مالك الاشتر لقد صدقت في قولك
ولكن نسخ هذا الحديث بقوله الا من تاب وامن ولقد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
توبة وحشي وقد قتل عمه حمزة رضي الله عنه وانزلت فيه الايات فلما سمع ذلك
الغساني قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قال مالك الاشتر
قبل الله توبتك وثبت ايمانك يا عبد الله انا نريد منك الان ان تذهب الي صاحب
اعزاز وتبشره بقدوم صاحب الراوندان الي نصرته فقال ذلك فان كنت في شك

ذكر فتوح اعزاز

من امري فتنفذ معي رجلا ممن تثق به ويسمع ما اقول فان الليل قد تنصف والحرس
شديد وابواب القلعه مغلقه وانا اخاطرهم من شفير الخندق قال فتقدم معه
مالك الاشتر بابن عمه راشد ابن قيس ووصاه ان يكون مستيقظا وسار معها
الي اعزاز فوجد الحرس شديدا والتيقظ والروم تضرب بقرونها وبوقاتها
والصوت عالي من وسط الحصن فقال طارق لراشد اما وحق اي ما هذه الاصوات
قتال وحرب ثم نهضنا واذا الامر علي ما قال طارق ابن سنان قال الواقدي
رحمه الله وكان الاصل في ذلك ان لصاحب اعزاز وكان اسمه لاون وكان ابوه دادريس
يبعثه في كل وقت الي يوقنا بالهدايا والتحف وكان يقيم عند يوقنا في القلعة الشهر
والاثنين وانه حضر عنده في بعض الكرات لتعبيد الصليب في البيعة التي هي اليوم
الجامع وكان يدخل علي زوجته فرا ابنة يوقنا في جوارها وخدمها فوقعت
بقلبه واحبها حبا شديدا وكتم امره حتى عاد الي اعزاز وشكا حاله الي امه
فقالت انا اخاطب اباك في ذلك وامره ان يبعث الي صاحب حلب فيزوجك بابنته
فاشتغلت قلوبهم بمسير العرب الي قنسرين وحلب فلما قدم يوقنا وكان من
امره ما كان وقبض عليه ما كان ابن عمه دادريس وعلي المائة من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فالقاهم في دار ولده لاون ووصاه عليهم قال الغلام وحق
ديني ان هذا البطريق يوقنا اعلم مني بالاديان ولولا انه راي الحق مع هولاء
العرب لما تبعهم وايضا ان الملوك ما قامت بهم وان الله نصرهم علي ضعفهم وقلبي متعلق
بابنته وما اري من الراي الرشيد الان احل هولاء القوم وارجع علي دينهم وهو
الحق وانال بذلك الفوز واتزوج بابنته فلما حدثته نفسه بذلك اقبل الي يوقنا وجلس
بين يديه وقال يا عماه اني قد عولت ان احلك من وثاقك واحل اصحابك هولاء وقد
اختبرتكم علي ابي وملكي وانت تعلم ان فراق الاهل صعب لكن الايمان اوثق من الكفر
وقد علمت ان هولاء القوم دينهم صحيح ولكن علي شرط تزوجني بابنتك والمهر
الذي تاخذه مني هو عتقك وعتق اصحابك فقال يوقنا يا بني ان كنت معولا
علي الاسلام فلا يكن لاحد غرض من اغراض الدنيا وليكن خالصا لله ان الله يثبتك
علي ما تفعله وانا ان شاء الله ابلغك ما تريد وتنال عز الدنيا والاخره فقال لاون
انا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وحل يوقنا واصحابه من الشد
وناولهم سلاحهم وقال ثوروا علي اسم الله وها انا امضي الي ابي فانه قد نام
وهو ثمل من الخمر فاقتله في رضا الله عز وجل ثم اسرع لاون الي دار امارة ابيه
فوجد اباه بلا راس ووجد امه واخوته عنده فقال من فعل هذا بابي فقلن نحن
فقال ولم ذلك فقلن اردنا بذلك وجه الله عز وجل وقد سمعنا ما تحدثت به
مع يوقنا واصحابه فخفنا علي نفسك ان لا يتم ما تريد وتتكاثر الجمع علي القوم

وبلغ خبرك لابيك فيقتلك فبطشنا قبلك ففرح لاون بذلك ورجع الى يوقنا والى اصحابه
واعلمهم بما جرا فرفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير وصلوا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ووضعوا السيف في الروم قال ووقع الصايح في الحصن وتبادرت الروم تقاتل
قتال الحجيم وفي تلك الساعة فتحتارف ابن سنان وابنه مالك الاشتر فلما نصتا وعلما
امر القتال عاد الي مالك الاشتر وحدثاه بما سمعا في اعزاز فقال لاصحابه اركضوا الخيل
ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال فركضوا الخيل الي ان وردوا باب اعزاز واحس بهم الغلام
لاون ابن دادريس فامر غلمانه ان يفتحوا باب السر ففعلوا ذلك بعد ان قال لهم هذا
صاحب الراوند ان قد اقبل لنصرتنا فلما حصل مالك الاشتر في اعزاز ومن معه اعتلوا
بالتهليل والتكبير ونظر اهل اعزاز الي ما حل بهم وانهم هلكا فرموا السلاح وصاحوا
الغوث الغوث فرفع مالك الاشتر السيف عنهم واخذ جميع ما في الحصن والاسرى وشكر
يوقنا ومن كان معه فقال اشكروا الله وهذا الغلام ثم حدثه بامره فقال مالك الاشتر
اذا اراد الله امرا هيا اسبابه قال الواقدي رحمه الله حدثني ابو عتبة عن صفوان
ابن عمران عن عبد الرحمن ابن جبير عن ابيه قال سالت ابا لبابه ابن المنذر وكان ممن حضر فتوح
الشام كيف كان قتل دادريس فان نفسي تاباه ذلك الحديث واريد صحته فقال لما وضعت
الحرب اوزارها وضم مالك الاشتر الاسرى والمال والثياب وانية الذهب والفضة وامر
باخراج ذلك كله الي ظاهر اعزاز ووكل به قيس ابن سعد وكان ممن حضر اليرموك واصابه
سهم فعور وكذلك ابو لبابه ابن المنذر وكلاهما حضر بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما لم يبق احد باعزاز قام مالك الاشتر يمشي في الحصن ويفتقده فراى دادريس مقتولا
فقال من قتل اللعين فقال لاون قتله اخي لوقا وهو اكبر مني سنا فامر مالك باحضاره
قال لم قتلته وهو ابوك وما سمعنا ان ابنا قتل اباه من الروم سواك فقال حملني على
ذلك محبة دينكم وذلك انني في بيعة هذا الحصن قسا من المعربين كنا نقرا عليه الانجيل
ويعلمنا بعلم الرومي واني في بعض الايام عنده في البيعة وليس عنده سواي فقلت له
يا ابانا الا ترى بلاد الشام كيف استولت عليها العرب وملكوا اكثرها وهزموا جيوش الملك
وما كنا نظن ان العرب تقدر على ذلك لانه ليس في الامم اضعف منهم وان الله قد نصرهم
على ضعفهم فهل قرات ذلك في كتب الروم وملاحم اليونانيين ام لا فقال يا بني نعم
قرانا ذلك ولقد اخبرنا الملك هرقل بذلك قبل وقوع هذا الامر وقد جمع اليه الملوك
والاساقفه والبطارقه واخبرهم ان العرب لا بد لهم ان يملكوا ما تحت سريره وقد
بلغنا عن نبي القوم انه قال زويت لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ
ملك امتي ما زوي لي منها فقلت له يا ابانا فما تقول في نبي القوم فقال يا بني في كتبنا
ان الله يبعث نبيا من الحجاز وقد بشر به المسيح ولا ندري هل هو هذا ام لا فعلمت
انه يكتم الامر مخافة ان اذيعه عنه فكتمت الامر الي البارحة فلما رايت يوقنا

واصحابه اسري قلت هذا يوقنا قد قتل اخيه وعاند العرب وقاتلهم ثم رجع
علي دينهم وماذا الا علم ان الحق مع هولاء العرب فقلت اقتل ابي واخلص يوقنا
ومن معه وارجع الي دين محمد فهو الحق الذي لا شك فيه فلما نام ابي وهو ثمل من الخمر
قتلته وسرت الي خلاص يوقنا ومن معه فوجدت اخي لاون قد سبقني الي ذلك
فقال له مالك الاشتر يا غلام لم فعلت ذلك فقال لمحبة لدينكم ونبيكم وانا اشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فقال له مالك قبلك
الله ووفقك ثم خرج مالك من الحصن وقد ولاه لسعيد ابن عمرو الغنوي ونزلت معه
المايه الذين كانوا مع يوقنا قال ابو عبد الله محمد ابن عمر الواقدي رحمه الله حدثني
عبد الملك ابن محمد عن ابيه عن حسان ابن كعب عن عبد الواحد ابن ابي عون عن موسى
ابن عمران الشكري عن حميد الطويل قال هكذا حدثني عبد الله ابن قرط الازدي ان اعزاز
كان فتحها كهذا والذي ذكر ان المراة وبناتها قتلن دادريس لم يصح ثم ان مالك
الاشتر بعد ان ولي علي اعزاز سعيد ابن عمرو الغنوي اراد ان يرحل الي حلب عن معه
من الغنايم ثم اعرض سبي اعزاز فكان الف رجل من شباب الروم ومائتي و
واربعون رجلا من الشيوخ والرهبان والف امراه من البنات وغيرهن ومائة
وثمانون عجوزا ونظر الي شيخ من الرهبان مليح الشيبه واضح الهيبة فقال ان صدق
زجري فهذا القس الذي حدثني به لوقا اخو لاون ثم دعا بلوقا وقال هذا
الذي حدثتني بحديثه قال نعم فقال للشيخ اذا كنت من علما اهل دينك فكيف
تكتم الحق فقال والله ما كتمته عن مستحقه ولكني خفت من الروم ان يقتلوني
لان الحق يقتل قال مالك افترجع الي ديننا فقال القس لست ارجع الي دينكم الا
ان اسالكم عن مسائل وجدتها في الانجيل لوقا فقال مالك الاشتر هات مسايلك
لاسمعها فلما اراد القس ان يتكلم وقع الصايح با علي القلعة فارتاع المسلمون لذلك
ووثب مالك الاشتر لينظر ما بالمسلمين وظن ان الروم قد غدرت بهم واذا بجماعة
من المسلمين يقولون خذوا علي انفسكم فانا نرى علي طريق منبج وبزاعه ولا ندري
ما تحتها قال فركب مالك الاشتر ومن معه فاقبلوا ينظرون ما الذي دهاهم
واذا بالغبرة قد لاحت واذا من تحتها خيول العرب وامامهم السبايا والاموال والرجال
مشدودين فنظر مالك الاشتر الي العسكر واذا هو الف فارس من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقدمهم الفضل ابن العباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
بعثه ابو عبيدة رضي الله عنهما حين غار علي منبج وجسرها وبزاعه ورستاقها
فوقع التكبير من الفيتين وسلم مالك علي الفضل ابن العباس وسلم المسلمون بعضهم
علي بعض وقال الفضل لمالك وساله عن قصته فحدثه ان الله اعزاز واذل كل
من فيها وحدثه بما كان من حديث للمسلمين ويوقنا وقال ما منعنا من الرحيل الي حلب

الا هذا القس وسواله فقال الفضل ايها القس قد مات قايله فقال اخبرني اي شي
خلقه الله من مخلوقاته قبل السموات والارض قال الفضل اول ما خلق الله اللوح والقلم
ويقال العرش والكرسي ويقال الوقت والزمان ويقال العدد والحساب ويقال خلق
اولا جوهرا فصيره ما ثم صير منه العرش لقوله تعالى وكان عرشه علي الما ويقال خلق
الاول العقل لانه اراد ان ينتفع الخلق بفعله وقيل اول ما خلق الله نورا وظلمة ثم دعاها
الي الاقرار به فانكرت الظلمة واقر النور فخلق الجنة من النور لرضاه عنه والنار من الظلمة
لسخطه عليها وخلق ارواح السعدا من النور وارواح الاشقيا من الظلمة ولاجل ذلك
ذلك يرجع كل واحد منهم الي مستقره ويقال اول ما خلق الله نقطة وخلق خلقه من نطفة
ثم عتقهم بقبضته ثم كحيهم نفخة فلما سمع القس ذلك من كلام الفضل قال اشهد هذا
هو العلم الذي استاثر الله انبياه به وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله فلما نظر اهل اعزاز الي قسهم قد اسلم اسلموا عن اخرهم الا القليل
قال الواقدي رحمه الله حدثني عامر ابن يحيي عن اسد ابن مسلم عن دارم ابن عباس
عن جده قال لما اسلم اهل اعزاز باسلام قسهم عول السفر ومالك ومن معهم بالمسير
الي حلب فقال يوقنا ام والله ما لي وجه اقابل به المسلمين لاني قلت قولا ودبرت حيلة
فلم تتم علي اعداء الله واني معول بالمسير الي انطاكيه لعل الله تعالى ينصرني وبالاعداء
يظفرني فقال له الفضل ان الله قال لنبينا ليس لك من الامر شي فلا تحمل علي
قلبك فقال والذي انا علي دينه لا رجعت الا بامر يسر الله به وجهي عن المسلمين
ثم نظروا اذ قد صحب الفضل ما ثني من بني عمه واهل بيته ممن رسخ الايمان في قلوبهم
ولهم الاطفال والعيال بحلب فاخذهم يوقنا رحمه الله وسار بهم برية انطاكيه
فلما كان من الليل سار بهم يوقنا فلما كان هزيع من الليل اختار اربعة من بني عمه
من الخيل وقال للباقين خذوا عليكم وارتاح كانكم قد هربتم من العرب وامضي
انا وهولا الاربعة علي هذا الطريق وهو الطريق الاقصر الي حارم ودير سمعان
المشرف علي البحر الاسود قال فسار فوجدهنا الدخيلة ورجالا فلما نظروا
الي يوقنا ومعه الاربعة بادروا اليهم واستخبروهم عن حالهم فقال يوقنا انا
صاحب حلب وقد هربت من العرب قال فوكل بهم صاحب البطريق فرسانا
من اصحابه وقال اوقفوهم بين يدي الملك قال فاخذتهم الخيل واتت بهم
الي الملك فوجدوه في كنيسه وهو يصلي فوقفوا حتي فرغ الملك من صلاته واوقفوهم
بين يديه وسلموا له وقالوا ان يوطس صاحب الحرس عند دير سمعان قد وجه بهولا
اليك وهذا يزعم انه صاحب حلب فلما سمع هرقل ذلك التفت اليه وقال انت
يوقنا قال نعم فقال ما الذي جا بك وقد بلغني عنك انك رجعت الي دين العرب فقال
ايها الملك لقد بلغك الحق في ذلك ولكني لم اسلم الا لاكيد القوم والتخلص من شرهم

امر

ومنكر بهئة مناظرهم ونتن روايحهم واني قلت لهم اسلم لكم اعزاز وافتل صاحبها
واخذت منهم مائة سيد من ساداتهم وسرت بهم وامرت اميرهم ان ينفذ الى الفا
منهم حتى اذا حصلت في اعزاز انصب عليهم واجعلهم في الحصن وانفذ الكل
اليك فحمل علينا دادريس ولم يدر ما اضمرنا ووثق بجاسوسه ولم يثق بنا فقبض
علينا ولما نصت العرب على حصن اعزاز ووضعوا السيف في اهلها وذلك ان لوقا
قتل اباه وحل العرب وحلنا في الجملة فلما اشتغلوا في القتال والنهب هربت
انا وهولاء الاربعة بديننا اليك ولولا محبة ديني ما كنت بالذي اقتل اخي يوحنا
واصبر على قتال العرب سنة كاملة قال واعانته البطارقة والملوك وقالوا
صدق يوقنا ولا فينا اخلص من قلبه ولا اصدق من نفسه وليس فينا مثله فقال
يوقنا ايها الملك سيظهر لك فعلي وعملي وجهاري قال فاهتدى الملك لقوله
وخلع عليه ما كان يلبسه من زي المملكة بسوره ومنطقته وتوجه وقال
ان كانت حلب اخذت منك فانا اوليك على انطاكية فانت سكندها ودمستقتها
يعني شحنتها ووليها قال فسجد له يوقنا ودعا له فبينما هم كذلك واذا
المواكل بالجسر الحديد قد وجه اليه يقول ايها الملك قد قدم علينا ماية بطريقا
من فرسان حلب يزعمون انهم من بيت واحد من الروسيه وهم من بني عم
يوقنا وقد هربوا من العرب فلما سمع الملك ذلك قال ليوقنا اركب ايها الملك السكند
الدمستق واشرف على هولاء القوم فان كانوا من بني عمك فاهلا بهم فضمهم اليك
وليكونوا في ركابك وان كان غيرهم فانبئني بهم لارى رايي فيهم واياك ان يكونوا
من قبل العرب ممن رجع الى دينهم من اهل شيزر وحماه والرستن وحمص وحسيه
وبعلبك ودمشق وحوران فقال يوقنا نعم ايها الملك ثم ركب وركبت معه
الهرقلية والسريريه ووصلوا الجسر الحديد فوقفوا هنالك وامر اناس
ان يعرضوا عليه فلما راهم يوقنا رحب بهم وقال كيف خلصتم من ايدي العرب
فقالوا انا خرجنا مع اميرهم وعيرنا على منبج وبزاعه فلما رجعنا نريد حلب
اخذنا طريقا على حصن اعزاز فوجدناها قد ملكت فلما كان من الكلام منا
قال وحجاب الملك يسمعون ذلك فامرهم يوقنا بالركوب فركبوا وسار بهم
الى الملك فخبروه بما سمعوا فخلع الملك عليهم وانزلهم واعطى ليوقنا دارا بازاي
قصره فقال يوقنا ايها الملك انت تعلم ان هذه الدنيا لا يدوم نعيمها وان المسيح
شبهها بالجيفة وطالبيها بمنزلة الكلاب يتجاذبونها كما روي ان المسيح راى طايرا
حسنا مزينا بكل زينة فنزع جلده فراه اقبح شي فقال له من انت فقال انا الدنيا
ظاهري مليح وباطني قبيح وانا ضربت لك ايها الملك هذا المثل لانه ما خلا احد
من حسد واذا اقبلت الدنيا على احد كثر حساده واخاف من الحساد ان يتكلموا

في عرضي ويرموني بما لا افعله من القبح فان كان قلب الملك ينفر مني فليوليغيري هذا
الامر ولست ابرح من ركابه فقال هرقل ايها الدمستق ما ولينك هذا الامر الا لثقتي
بك ومن تكلم فيك بشي سلمته اليك فافعل به ما تشا. قباس يوقنا الارض بين
يديه واراد الخروج الي خدمته التي ولي عليها واذا الانجيل البريه قد اقبلت الي الملك
هرقل من مرعش يذكرون انهم رسل من ابنته ريبون وانها خايفه من العرب
وانها تريد القدوم عليك لتري ما يكون من امرك وانها تسال ان تنجد جيشا تسيره
اليها فلما سمع الملك ذلك قال ليس لها غير الدمستق يوقنا فباس يد الملك
وقال السمع والطاعه لامرك وضم اليه الفي فارس من المذبحة والقياصرة
فسار يوقنا بالالفين ومايتين من اصحابه وقد رفع الصليب علي راسه وجنب الجنايب
وسار يجد ويتشمر الي ان اخذوا علي مرعش واخذ ريبون ابنة الملك وهي الصغيره
وكان الملك ولاها علي تلك الارض وزوجها بنسطورس وكانوا يسمونه سيف
النصرانيه لشجاعته وكان قد مات علي اليرموك بجراحة اصابته قال الواقدي
رحمه الله فلما اخذ يوقنا ابنة الملك وعاد يطلب انطاكيه فاخذ طريقه علي الجادة
العظما لعله يلتقي باحد من جواسيس المسلمين او باحد من المعاهدين فيبعث
معه الخبر الي ابي عبيدة رضي الله عنه وانه قد تمكن من انطاكيه فلما كان في بعض الليالي
وقد اشرف علي مرج الديباج وذلك في نصف الليل واذا بالخيول الذين علي الحلقة منه
اعني الطوالع قد عادت في سرعة كالبرق فقال يوقنا ما وراكم فقالوا ايها
الدمستق العظيم انا اشرفنا علي وسط المرج ونظرنا فاذا العسكر نازل
فتجسسنا عليهم واذا انهم عرب وهم نيام وخيلهم تاكل علا يقها ولسنا
نشك الا انهم من المسلمين فلما سمع يوقنا ذلك قال لاصحابه خذوا علي انفسكم
وايقضوا خواطركم وجاهدوا اعداكم وقاتلوا عن حرمة الملك ولا تسلموها
لاعدايها وكونوا اخير جند وقاتلوا عن نهبة صاحبكم واذا اشتبكت الحرب
بيننا وبينهم فاعتمدوا واعلوا الاسر واياكم القتل واعلموا ان العرب مع اميرها
لابد لهم من قصد الملك والمصاف فان اسرنا احد كان لنا من نفديه به وقد
وجد في كتاب بعض الحكما من نظر في عاقبة زمانه وشح بتوشيح امانه ومن
اهمل امره ضاق صدره ومن اكثر الغدر حل به الامر سبيرو اعلي بركة المسيح
قال فنزعوا الاسنة وارخوا الاعنه وقصدوا من في المرج فلما احس بهم اهل
الحرس ايقظوا اصحابهم وقالوا انا لنسمع قعقعة اللجم وذوي الخيل ولا ندري
ممن القوم قال فاستيقظوا القوم فركبوا خيولهم واستقبلوا يوقنا وصاحوا
من انتم اوجزوا واخبروا من قبل ان تحكم الصوارم في الجماجم فلما سمع يوقنا
قولهم قال من انتم قالوا نحن من اصحاب الملك الرحيم هرقل ورجال ملك العرب

جد

جبله ابن الايهم الغساني سيد اليمن ومقدمنا ولده الهايم فلما سمع يوقنا ذلك ترجل
اعظاما له وترجلت الفتى الذين معه والمائتين في يد واحد وسلم عليه وسمت
الروم على المتنصره فقال الهايم ابن جبله ليوقنا من اين طريقك قال من مرعش جيت ابنة
الملك فمن اين جيت انت قال جيت من الميره والهم حملت ميره الي اهلها فلما رجعت اريد
الملك عبرت بمرج دانق فالتقيت بكتيبة من الفرسان وهم زها على مايتي فارس وهم
يريدنا فلما شارفناهم بدوا الينا بعزم جليه وحرب شديد واذا مقدمهم لا يصطلى
بناره فلقد اباد منا رجالا وجندل ابطالا ونحن في الف فارس فما كان فينا الا كالنار في
الحطب فما زلنا نكر عليهم ويكروا علينا حتى اسرنا المائتين وبقي اميرهم اخر القوم
فقصدنا جواده بالسهام فقتلناه فلما وقع هاجمناه فاخذناه اسيرا واستخبرنا القوم
واذا هم من اصحاب محمد ومقدمهم ضرار ابن الازور ابن طارق وها هو معنا نسيره الى
هرقل قال فاورى يوقنا الفرح وقال وحق ديني لقد فزت بالفخر العميم باسرك لهذا
الغلام ولقد بلغني عنه ما فعل بابطال الشام وفرسان الروم ثم سار القوم يريدون
الملك هرقل قال الواقدي رحمه الله وحدثني شيبان ابن عوف عن صالح ابن عبد الله
عن جده مسروق قال الواقدي وحدثني بهذا الحديث عباد ابن مازن عن عمران ابن الحصين
قال فتح المسلمون اعزاز ونزل مالك الاشتر عليها سعيد ابن عمر الغنوي والتقانا الفضل
ابن العباس ورجع المسلمون بالغنايم الي حلب واستبشر ابو عبيدة رضي الله عنه بسلامة
الناس وفتوح اعزاز وسال عن يوقنا فحدثه مالك في السر بقصته وانه مضى الى انطاكيه
لينصب على كلب الروم ولم يكن له وجه يعود به اليك فقال ابو عبيدة رضي الله عنه
الله ينصره ويظفره ثم كتب الي عمر رضي الله عنه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من
ابي عبيدة عامر ابن الجراح الي امير المومنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سلام عليك فاني احمد
الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم اما بعد فان الله تعالى علينا منة يستوجب
الشكر والحمد من جميع المسلمين اذ فتح علينا ما استصعب من قلاع الكفار واذل لنا ملوكهم
واورثنا ارضهم وديارهم فان الله عز وجل قد فتح علينا قلعت حلب وارد فها باعزاز
وان البطريق يوقنا اسلم وحسن اسلامه وقد رجع عونا للمسلمين على الكافرين
وقد كتبت هذا الكتاب ونحن معولين بالمسير الي انطاكيه فقصر طاغية الروم فما
بقي سواه حصنا لاعدائنا ونحن طامعون باخذ سريره وكنوزه كما وعدنا نبينا صلوات
الله عليه وسلامه وزودنا بالدعا فانه سلاح المومنين ودمار الكافرين والسلام
عليك وعلى من معك ورحمة الله وبركاته ثم استخرج الخمس وسلمه الي رباح ابن غانم
الاشكري وضم اليه مائة فارس من الانصار فيهم قتادة ابن مهر وسلمه ابن الاكوع
وعدي ابن يشار وجابر ابن عبد الله ومثل هولا رضي الله عنهم فاخذوا الخمس وساروا
ثم ان ابا عبيدة رضي الله عنه دعا ضرار ابن الازور رضي الله عنه وضم اليه مايتي فارس

وامره ان يقصد شمالي الشام ويشن الغارة على الروم فركب ضرار والمائتين وسار
معهم سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل ضرار رضي الله عنه يسير هو ومن
معه وقد قدم رجل من المعاهدين يدلهم فلما وصلوا الى دانق قال لهم المعاهدي
علقوا على خيولكم واستريحوا ساعة فان بلد العدو قريب فاذا كان وقت السحر
غرتم عليهم قال ونزلوا هنالك وعلقوا على خيلهم وناموا فما شعروا الا والايهم
ابن جبلة قد كبسهم فلما وقع الصايح ركب ضرار رضي الله عنه جواده ومعه مائة كانوا
بالقرب منه واما المائة الاخرى فانهم ما استيقظوا الا وقد داستهم الخيل بسنابكها
ونفرت خيلهم في وقت الصايح فقاتلوا رجاله وما وصل اليهم عدوهم حتى قتل كل واحد
منهم خصمه ثم اسروا المائة واما ضرار رضي الله عنه صاح باصحابه وقال يا فتيان الحرب
هولاء اعداكم وقد هاجموكم على حين غفلة منكم وهم عرب مثلكم وهذه افضل الساعات
عند الله تعالى فقدموا عزمكم ولا تفشلوا فانتم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الجنة تحت ظلال السيوف وقال تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
والله مع الصابرين قال سمرة ابن عامر وكنت في جملة من حضر معنا في مرج دانق ربيعة
ابن معمر ابن ابي عون وكان يتكلم يشجع بنظم كلامه ويحسن نطقه قال فكان
اذا تكلم على البديهة يحير سامعه من حسن ما يتكلم به وكان يصغي الى سجعه
ويحفظ عنه فلما سمع ضرار رضي الله عنه وهو يحرضنا بدرمز اوساطنا وقال يا فتيان
ربيعة ومضر هذا يوم له ما بعده وقد علمتم قربه وبعده ولن ينال الجنة الا بالصبر
على المكاره والله ما يدخلها من هو في الجهاد كاره ولله في عرض السموات جنة ولكنها
محفوفة بالمكاره واعلا الدرجات درجات الشهادة فارضوا عالم الغيب
والشهادة بفقد الجهاد فقد قام على ساقه وبدا النفاق في اسواقه واختفا نفاقه
في انفاقه اما انتم اصحاب بني العصا فاستم من الثبات والنصر بشر وروح
المصطفى بثباتكم وقدموا العزم بصفاء نياتكم واياكم تولون الادبار فتستوجب
غضب الجبار واعلموا ان الصبر والثبات جندان منصوران فمن طلب دار البقاء هان
عليه ما يلقى فصححوا اطلبكم تنالوا جنة ربكم وحققوا حملتكم تنالوا بغيتكم
واطعنوا الصدور تنالوا الحور وشرعوا الاسنة تنالوا الجنة واعتمدوا الصبر
تنالوا النصر اياكم ان تتوافقوا الكفار في جهلهم واعدلوا عن طريق قولهم فان ك
العالم بفعلهم وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما
استخلف الذين من قبلهم ثم قال معلنا وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا ثم بين من يعلم السر المكنون يعبدونني لا يشركون
بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون سيروا فقد سبق المقدمون
واجتهدوا فقد فاز المجتهدون يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم

مسلمون قال ميسره ابن واله لقد نعشت انفسنا وحملنا على المتنصره وضرار يقدمها وهو يقول

الا فاحملوا نحو اللئام الكواذب ... واروا سيوفا من دماء الكتايب
وذبوا عن الدين المعظم في الورى ... وارضوا الاله الخلق رب المواهب
فمن منكم يبتغي عتق رقبته من النار ... يومه في يوم الجزاء والمآرب
فليحمل هذا اليوم حملة ضيغم ... ويرضي رسولا في الورى غير كاذب

ثم حمل ضرار رضي الله عنه ونحن من ورائه وبدلنا اسنتنا وسيوفنا في المتنصره وجرا لنا من الحرب ما لا يوصف وضرار رضي الله عنه كالنار في الحطب والتقا بم ابن جبله يعجب من حملاته وضرباته فامر القوم ان يقصد واجواده باسنتهم وسهامهم ففعلوا ذلك فانصرع الجواد ووقع ضرار رضي الله عنه من ظهره وتكاثرت عليه المتنصره فاخذوه وشدوه كتافا وقيدوه رباطا واخذ وبقية اصحابه وساروا يريدون انطاكيه فالتقو بتوفنا وابنة الملك كما ذكرنا قال الواقدي رحمه الله ولقد حدثني معمر ابن رواحه عن موسى ابن قاسم عن حزام ابن عمر عن ابن المنكدر ان سفينة مولا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في حزب ضرار ابن الازور رضي الله عنهما واسره فلما كان الليل انطلق هاربا يلتمس الوصول الى ابي عبيدة رضي الله عنه واذا هو باسد عظيم قد حارضه فقال له يا ابا الحارث انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من امري كيت وكيت فاقبل الاسد يبصبص بذنبه حتى قام الى جانبه ودار فسرت وهو معي الى جانبي حتى اتيت موضع صلحنا ثم تركني ومضى قال الواقدي رحمه الله وتوصل سفينة رضي الله عنه الى الجيش وحدث المسلمين باسر ضرار ابن الازور رضي الله عنه ومن معه فضعف ذلك على المسلمين وبكا ابو عبيدة وخالد رضي الله عنهما على اسر ضرار رضي الله عنه وقال ابو عبيده لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وبلغ الخبر لاخته خوله فقالت انا لله وانا اليه راجعون يا بن ام ليت شعري في السلاسل اوثقوك ام بالحديد قيدوك ثم قالت

الا مخبر بعد الفراق يقل لنا ... فماذا الذي يا قوم اشغلهم عنا
ولو كنت ادرى انها اخر النوى ... لكنا وقفنا للوداع وودعنا
الا يا غراب البين هل انت مخبري ... وهل بقدوم الغائبين تبشرنا
لقد كانت الايام تزهو بقربهم ... وكنا بهم نزهو وكانوا لنا كنا
الا قاتل الله النوى ما امره ... واقتله ماذا يريد النوى منا
ذكرت ليالينا ونحن جماعة ... ففرقنا ريب الزمان وشتتنا
لئن يرجعوا يوما الى دار عزهم ... لثمنا اخفافا المطلي وقبلنا
ولم انس اذ قالوا ضرار مطرح ... تركناه في ارض العدو وودعنا
فما هذه الايام الا معاره ... وما نحن الا مثل لفظ بلا معنا
ارى القلب لا يختار في الناس غيرهم ... اذا ما ذكرهم ذاكر حنوا وانا

سلام على الاحباب في كل ساعة وان بعد واعنا وان منعوا منا

قال الواقدي رحمه الله عن واحد ابن ابي عون انه قال اجتمعن النسا من اسر لها اسير مع ضرار ابن الازور رضي الله عنهم وفي جملتهن مزروعة ابنة مخلوف الحميريه وكانت افصح اهل زمانها وكان لها ولد اسمه ضرار ابن اوس في من اسر فجعلت تندب ولدها وتقول بعد الصلاة على الرسول

ايا ولدي قد زاد شوقي تلهبا	وقد حرقت مني الشئون المدامع
وقد اضرمت نار المصيبة شعلة	وقد حميت مني الحشا والاضالع
واسال عنك ان يخبروني بحالك	كيما يسكن المراضع
فلم يك فيهم مخبر عنك صادق	ولا فيهم من قال انك راجع
فيا ولدي مذ غبت كدرت عيشتي	فقلبي مصدوع وطرفي دامع
وفكري مقسوم وعقلي موله	ودمعي مسفوح وداري بلاقع
فان تك حيا مت لله حجة	فان تكن لاخوي فما الحوجازع

فقالت لهن سلما ابنة سعيد ابن زيد رضي الله عنهما وكانت من الزاهدات ايهذا امركن الله عز وجل انما امركن بالصبر ووعدكن على ذلك الاجر اما سمعتن ما قال الله عز وجل الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وفي ثواب الله عوض مما اصبتن به وفيما استقر عندكن من نفاد الدنيا عزا عما تجمعكن فيه قال فسكتن عن البكا والتعزي قال الواقدي رحمه الله ولما ورد الخمس على امير المومنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وكتاب ابي عبيده رضي الله عنه مع رياح ابن غانم اليشكري فلما قدم المدينة وقع الصايح بقدومه فاجتمع الناس الى المسجد ليسمعوا ما يجدد من امر حلب فلما قدم سلم على عمر رضي الله عنه وباس يده واعرض عليه الخمس وسلم اليه الكتاب فلما قراه على المسلمين ضجوا بالتهليل والتكبير وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب الى ابي عبيدة رضي الله عنهما يامره بالمسير الى انطاكيه ولا يصده عن ذلك شي فورد الجواب مع رياح ابن غانم قال الواقدي رحمه الله اخبرني مازن ابن عبد ربه عن مالك ابن اسيد عن جده مروان ابن الحريش ان الجواب لما ورد على ابي عبيدة رضي الله عنه سار من يومه يطلب انطاكيه واما ما كان من امر يوقنا رحمه الله والهام ابن جبله ومن تبعهم فانهم ساروا الى انطاكيه وسبق البشير الى الملك بقدوم ابنته والهام ابن جبله والمائتي اسير من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الملك بالبيع فزينت واظهرت الروم زينتها ووقعت الصدقات والخلع على فقرا الروم وخرج موكب الملك الى لقايهم مع ابن اخيه فورين ودخل القوم في زيهم وحشمتهم وقد ترجلت الملكيه بين يدي ابنة الملك وخرج كل من في انطاكيه وكان يوم مشهود

وفي سوا

وقدموا اصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم مشدودين والروم تشتمهم وقد
داربهم رجال الهايم ابن جبله وزفت ابنة الملك الى قصر ابيها ودخلوا على الملك
وسكعوا بين يديه فخلع على الهايم ابن جبله وعلى بوقنا وكبار اصحابه وامر
باصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمثلوا بين يديه وهم في الحبال فلما وقفوا
بين يديه صاحت بهم الحجاب والخدام للارض للملك فلم يلتفتوا اليهم ولا عبوا
بكلامهم فقال لهم الحاجب الكبير سرور زند ما لكم لا تعظموا بساط الملك بالسجود
بين يديه فقال ضرار ابن الازور رضي الله عنه لا نرى السجود لمخلوق وقد نهانا نبينا
عنه قال الواقدي رحمه الله وحدثني سهل ابن فادم عن سليل ابن حازم عن الحكم
ابن مازن قال لما وقف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من يدي هرقل
خاطبهم بغير ترجمان واراد بذلك ان يسمع بطارقته وحجابه ما كان قد حدثهم حين
بعث محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه جمعهم اليه وقال هذا هو النبي المبعوث
الذي بشر به المسيح وهو صاحب الوقت ولا بد لدينه ان يظهر حتى يملك المشرق
والمغرب ثم دعاهم الى اداء الجزية فارادوا قتله فاراد يومه ذلك ان يبين لهم حقيقة
قوله وانه ما اراد بذلك الا اصلاح حالهم فقال للصحابة من يخاطبني منكم
فاسأله من العلم فاشاروا الى قيس ابن عامر الانصاري رضي الله عنه وكان شيخا
ممن اشهد جميع احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته فلما اشاروا الصحابة اليه
قال له الملك قل ما انت قايله فقال هرقل كيف نزل عليه الوحي في مبتدا امره فقال قيس
ابن عامر سال عن هذا السوال لنبينا صلى الله عليه وسلم رجل من اهل مكة اسمه الحارث
ابن هشام فقال يا رسول الله كيف ياتيك الوحي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشد علي فينفصم عني وقد وعيت ما قال
واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت عايشة رضي الله عنها ولقد
ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فينفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا واول
ما بدا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصالحة في النوم وكان لا يرى
رويا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا وكان يخلو بغار حرا فجاءه الملك
فقال اقرا فقلت ما انا بقاري قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم
ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم
الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف
بوادره فدخل على خديجة ابنة خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى
ذهب عنه الروع فاخبر خديجة الخبر وقال لقد خشيت على نفسي فقالت
خديجة كلا والله ما يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدم
وتقري الضيف وذكر الحديث كله ولقد حدث صلى الله عليه وسلم قال بينما انا امشي

اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فاذا بالملك الذي جاني بحرا وهو جالس على
كرسي بين السماء والارض فرعبت منه فرجعت وقلت زملوني فانزل الله عز وجل
عليه يا ايها المدثر الي قوله والرجز فاهجر فحما الوحي وتتابع ولقد كنت يقول قيس ابن
عامر لملك الروم يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد اذا برجل جا على
جمل فاناخه في المسجد ثم عقله ثم قال ايكم محمد قال والنبي صلى الله عليه وسلم
حاضر في المسجد فقلنا هذا الرجل الابيض المتكي فقال له الرجل يا ابن عبد المطلب
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قد اجبتك فقال للنبي صلى الله عليه وسلم اني سايلك
فمشدد عليك في المسالة فلا تجد على نفسك فقال سل عما بدا لك فقال
اسالك بربك ورب من قبلك الله ارسلك الي الناس كلهم فقال اللهم نعم فقال انشدك
بالله الله امرك ان نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة قال اللهم نعم قال انشدك
بالله الله امرك ان نصوم هذا الشهر في السنة قال اللهم نعم قال اسالك بربك الله امرك
ان تاخذ من اغنيائنا هذه الصدقة فتقسمها على فقرائنا قال اللهم نعم قال الرجل
امنت بما جيت به وانا رسول من وراي من قومي وانا ضمام ابن ثعلبة احد بني سعد
ابن بكر قال هرقل بحق دينك ما الذي رايت من معجزاته قال كنت معه في سفر فاقبل
اعرابي فدنا منه فقال له المصطفى صلى الله عليه وسلم قل اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله قال ومن يشهد على ما تقول قال هذه السلمة يعني الشجرة
فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بشاطى الوادي فاقبلت تخد الارض حتى قامت
بين يديه فاستشهدها ثلاثا فقالت انت محمد رسول الله ثم رجعت الي منبتها فقال
له هرقل انا نجد في علمنا ان الرجل من امته اذا عمل سيئة كتبت عليه واحدة واذا عمل
حسنة كتبت له عشرة فقال قيس ابن عامر هذه صفة امة محمد نبينا صلى
الله عليه وسلم لان في كتابنا الذي هو القران منجا من جا بالحسنة فله عشر امثالها
فقال له الملك واعلم ان النبي الذي بشر به المسيح هو الشاهد في الدنيا والشاهد
على الناس يوم القيمة قال قيس ابن عامر هذه صفة نبينا صلى الله عليه وسلم
هو الشاهد في الدنيا لقول الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا واما شهادته في العقبة فقول ربنا في كتابه
وجينا بك على هولا شهيدا فقال هرقل ان الذي وصفت لك ان مصوا في حياته
اليه ويصلون في حياته وبعد موته عليه فقال قيس ابن عامر قال الله في كتابنا
ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
قال هرقل ان النبي الذي وصفه المسيح يعرج به الى السماء ويخاطب العلي الاعلى
فقال قيس هذه صفة نبينا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى قال الملك ان النبي الذي وصفه المسيح

فرض عليه صوم شهر في السنة قال فنبي هذه صفة نبينا صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل
شهر رمضان الذي انزل فيه القران قال ايها الملك الذي ذكرت لم يبعث بعد فقال
له ضرار ابن الازور رضي الله عنه كذبت هذه الحيلة الخنزيريه يا كلب الروم وانه هو
النبي المبعوث المشهور وهو نبينا صلى الله عليه وسلم يكن حجاب الكفر منعك من
معرفته فقال هرقل الفداسات الادب اذا خرقت بعهدة دينينا فمن انت قال
قيس ابن عامر هذا ضرار ابن الازور فقال الملك اهذا الذي يبلغني عنه انه يقاتل
مره راجلا ومره فارسا قال نعم قال الواقدي رحمه الله ولقد بلغني ان البطريق
لما سمع احراق ضرار رضي الله عنه به اوري الحرد والغضب وقام من حضرة الملك
فغضبت البطارقه والحجاب لغضب البطريق فلما نظر هرقل الي غضبهم خاف على
نفسه منهم فقال فقطعوه باسيافكم فلما نظر هرقل قال فاخذت السيوف من كل جانب
ونالته ضربات الكلاب فضربوه اربعة عشر ضربة الا انها غير قاتله لما يريد الله من
نجاته فلما راى البطريق ذلك جلس وقال اقطعوا لسانه فلما سمع يوقنا ذلك قال
اوله وكان في جملة الما به وقال والله لا تركت هذا اللعين يتمكن من رجل من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم وباس الارض وقال ايها الملك ليس
هذا بالصواب وان من الراي نترك هذا الغلام فان عاش صبيحة غد اخرجناه
الي باب المدينة وضربنا عنقه فتشتفي بذلك صدور الروم اذ على قلوبهم ما لا يوصف
من قتله لابائهم وابنائهم وايضا يبلغ الخبر الي العرب فنوهنهم بذلك وانما اراد يوقنا
بذلك خلاص ضرار ابن الازور رضي الله عنه وقال اذا بات ليلة انكسر عنه غضب
القوم قال فاستصوب الملك رايه وقال ليوقنا ولولده خذاه اليكما فحفظنه
الليله عليكما قال فاخذاه واتيا به الي دارهما فاعتبرا جسده واذا بالضربات
متسلطه لم تقطع عرقا ولا عصبا لطفا من الله تعالى فخيطا جراحه وطرحا فيها
الدوا واطعماه وسقياه الشراب ففتح ضرار رضي الله عنه عينيه ولم يكن له علم
بان يوقنا قد قدم ينتصب على الروم واعتاظ انه ارتد فقال ان كنتما كافرين
فقد سخركما الله لي حتي داويتماني ما نالني من بدني وان كنتما مومنين فمرحبا بكما
وهنيا بكما ولعل الله ببركتكما يجمع شملي بعجوزي الحجا فقد علمنا الصياح والبكا
ندعوا ليلا ونهارا ولقد كانت تحسب لي هذا الحساب لاني بقية من بقي لها من
الاحباب ولي اخت في عسكرنا ذلك خفا عليها امري وابدت عنها اسري فان قدرتما
تبلغا اختي سلامي واعلماها مقامي وكيف كان للكافرين كلامي فهي تعلم امي وتكاتبها بامري
ثم صبر الي الليل وقال اكتبا عني لاختي ثم مل عليهما وقال

الا ايها الشخصان بالله بلغا ... سلامي الي اطلال مكة والحجري
ولقيتما ما عشتما الف نعمة ... بعز واقبال يدوم مع الدهر

ولا ضاع عند الله ما تصنعانه   فقد خف عني ما وجدت من الضري
بصنعكما إلي لمن جبرا ورحمة   كذلك فعل الخير بين الورى يجري
وما بي وبيت الله موتي   وإنما تركت عجوزا في المهانة والفقري
ضعيفة حيل ليس فيها إفادة   على نائبات الحادثات التي تجري
معودة سكنى القفار مقيمة   على الشيح والقيصوم والعشب والزهري
وكنت لها ركنا بعيدا رجالها   وأكرمها جهدي وإن مسني الضري
وأطعمها من صيد كفي أرانبا   من الوحش واليربوع والضب والقمري
مع الضبا والغزلان والنيق بعده   مع البقر الوحشي المقيمة في البري
وأحمي حماها أن تضام ولم أزل   لها ناصرا في موقف السر والضري
وإني أردت الله لا غيره لها   وجاهدت في جيش الملاعين بالسمري
وأرضيت خير الخلق أعني محمدا   لعلي أنال الفوز في موقف الحشري
فمن خاف يوم الحشر رضا إلهه   وقاتل أبناء الصليب ذوي الكفري
كذلك أخي جاهدت كل كافر   وما برحت في الطعن بالكر والفري
تقول وقد حان الفراق بحرقة   ألا يا أخي ما لي على البين من صبري
ألا يا أخي هذا الفراق فمن لنا   بحسن رجوع قادم منك بالبشري
إذا سافر الإنسان عن أرض أهله   فإما هلاك أو رجوع إلى الدهري
ألا بلغاها عن أخيها تحية   وقولا غريب مات في قبضة الكفري
جريح طريح بالسيوف مضيع   على نصرة الإسلام والطاهر الطهري
ألا يا حمامات الأراك تحملي   رسالة صب لا يفيق من السكري
حمام بنجد بلغي قول شائق   إلى عسكر الإسلام والسادة الغري
وقولي ضرار في القيود مكبل   بعيد عن الأوطان في بلد وعري
حمام بنجد اسمعي قول مفرد   غريب كئيب وهو في ذلة الأسري
وإن سألت عني الأحبة خبري   بأن دموعي كالسحاب وكالقطري
حمام بنجد عدي عنه موطني   وقولي ضرار قد لحن إلى الوكري
حمام بنجد إن أتيت خيامنا   فقولي كذاك الدهر عسر على يسري
وقولي لهم إن الأسير بحرقة   له غلة بين الجوانح والصدري
له من عداد الهم عشر وسبعة   وواحدة عند الحساب بلا نكري
وفي خده خال لحنه مدامع   على فقد أوطان وكسر بلا جبري
مضى ساحبا سيفي الجهاد بنجدا   فوا آه أبناء اللئام على غدري
ألا فادفناني بارك الله فيكما   ألا واكتبا هذا الغريب على قبري
ألا يا حمامات الحطيم وزمزم   ألا خبري أمي وولدي على أمري

عسى

عسى تسمح الايام منها بزورة … لقبر غريب لا يزار من النكري

قال ولما كتب يوقنا عن ضرار الابيات ختم الكتاب وسلمه لرجل يثق به الى المسلمين
قال الواقدي رحمه الله حدثني جابر ابن عمران الدوسي قال كنا في عسكر ابي عبيدة
رضي الله عنه وكنا في ارض يقال لها البلاط اذ جاءنا معن ابن اوس من الخزوم وقد تركه
ابو عبيدة رضي الله عنه على المقدمة فجا برجل من الروم فقال لابي عبيدة رضي الله
عنه خذ هذا الكتاب فهو يزعم انه رسول فاستخبره ابو عبيدة فقال انا رسول
بكتاب اليك فقال ممن قال من اميركم يا بطالكم اسمه ضرار فاخذه ابو عبيدة
فقرا على الناس فبكوا وبلغ الخبر الى اخته خوله فاتت ابا عبيدة رضي الله عنهما فقالت
يا امين الامة اسمعني ابيات اخي فقرا عليها بعضها ولم يتمها قال فاسترجعت
وقالت لا حول ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والله لاخذن بثاره قال الواقدي
رحمه الله وحفظ الناس ابيات ضرار رضي الله عنه وتداولوها الناس بينهم وكانت اشد الخلق
عليه حزنا خالد ابن الوليد رضي الله عنه قال الواقدي رحمه الله حدثني عبد الملك
ابن عمر عن ابيه عن حسان ابن كعب عن عبد الواحد ابن ابي عون عن موسى ابن عمران
اليشكري عن عامر ابن يحيى عن اسد ابن مسلم عن دارم ابن عباس ان اهل
حارم والرازن وبجم وارتاج وماسوى ذلك فتح المسلمون حصونهم صلحا ولم يزل
ابو عبيدة رضي الله عنه بالمسلمين حتى نزل بهم جسر الحديد وبلغ الخبر الى هرقل فتمكن
الخوف من قلبه وامر بطارقته بالتاهب لقتال العدو ونصب سرادقه مما يلي
جسر الحديد وضربت الملوك خيامها وفساطيطها وفتح الملعون خزاين
السلاح وفرقها على رجاله وابطاله وخلع على يوقنا وقال ايها الدمستق
قد وليتك على جيشي هذا كله وكن مدبره ثم سلم اليه صليبا كان في كنيسة
القسان وكانوا لا يظهرونه الا في يوم عظيم وقال ايها الدمستق قدم هذا
الصليب بين يديك واعتمد عليه فهو ينصرك فاخذه يوقنا وسلمه الى ولده
وامره ان يحمله بين يديه ثم ان الملك هرقل لما خلع على يوقنا ركب الى كنيسة
القسان وركب معه الملوك والحجاب وامر الماسورين من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ياتوا بهم ليقربوهم قربانا فباس يوقنا يده وقال يا عظيم
الروم ما ولاك الله على العباد والبلاد الا وقد علم ان حلمك يحتمل ذلك وقال
دسقوروس الحكيم ان العقل مرقات جليل وصاحبه نبيل لانه عز الاجسام ومصباح
الانام واعلم ان العرب قد فقدتنا بعددها وعديدها ولا بد لنا من القتال
ولا ندري على من الدايرة فان قتلت هولاء العرب ووقع احد منا بايديهم لا يبقون
عليه والصواب تركهم الان نرى ما يوول من امرنا فان اسر من الملك احد وجدنا
بمن نفاديه وقال ايها الملك مر باخواجهم الى هذه الكنيسة فانها احسن كنايسنا

وقد اختلفت بالنسا والبنات ونوض التنصر عليهم فانهم اذا نظروا الى نسائنا
وحسنهن وجمالهن وطيب رائحتهن فلعلان تميل انفسهم الى الدنيا وزينتها فيرجعون
الى دينا ويكون ذلك وهنا للمسلمين فامر الملك باحضارهم فحضروا فلما توسطوا البيعة
رفعت الاقسة اصواتها بقراة الانجيل واطلقوا النحور والند واظهروا زينتهم وجمالهم
فرفع المسلمون اصواتهم بالتهليل والتكبير وقالوا كذب العادلون بالله وضلوا
ضلالا بعيدا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اوله وكان في الصحابه رجل من
اليمن من فصحايهم وعلمايهم ممن يعلم بكتب الحميريه واطلع على كتب السالفه
وكان اسمه رفاعه ابن زهير يقول الشعر وينظم القول وانه لما نظر الى الكنيسه
اهلها باهل الكفر وراهم يعظمون الصليب ويسجدون للمصور وقال الله اكبر
الله اكبر لا اله الا الله محمد رسول الله كذب اصحاب الشيطان ولا اله الا الله الرحمن
الذي ليس بعد د لحسوب وانه فرد لا الى شي منسوب ليس له ضد ولاند
ولا فقد ولاحد اوجد الموجودات وصور المصنوعات وخلق المخلوقات ودبر امر
الكاينات اول لا افتتاح لوجوده واخر لا عدم لشهوده لا يموت ولا يفنى
ولا يزول ولا يبلى لا شريك له ولا وزير له ولا صاحبة ولا مشير ليس كمثله
شي وهو السميع البصير قال فاضطربت الكنيسه لقوله ومالت القسوس
نعكا كبرها اليه فاشارت اصحاب الملك اليه ان يتركوه فافترقوا عنه فقال
الملك هرقل يا اخا العرب ما اسمك قال ايها الملك وما تريد من اسمي وليس
من جنسكم تستخبرني فقال البطريق صدق ايها الملك ليس هو من جنسنا
ولا له علم ولا اخبره بالحكمة فسله فانما هو بدوي بادي تعلم سكن القفار
وصحبة الاشرار والحكمة من بلاد نا ظهرت وفي حكمائنا اشتهرت نبعث من
اليونانيين واعاصد والسريانيين ومن اين العرب حكمة يتوارثونها وعلم
اعلم يتدارسونها وان الفضائل كلها في علمائنا والعدل في ملوكها منا
الاسكندر وبطليموس وارمويل وجرجس واسطالبس وفيثاغورس الوحيدي
وهو الذي بنا انطاكيه وطاطاعورس وهو الذي بنا الرها والمنبج وللبيس
وكان كاهنا وهو الذي احضره بكرامته انه قد ولد مولود يخاطب الرب ويكون
له شان عظيم وبهلك على يده افلاطون وهو فرعون وبنا قسطنطين حكيم
ومعناه بحر العلم ومنارمستوا وهو الذي بنا رومية الكبرى وباسمه
نفثت ومناسطالوس وهو واضع الكتاب الاول فيه صور الارض بجبالها وبحارها
وبنيانها ووصف امة كل اقليم بالعلم ووصف ما في كل اقليم من معدن ذهب وفضه
اوجوهر واحصاعون الارض جميعا باسمايها وكذلك جبالها واودينها
وشعبها وعيونها وعجايبها قال الواقدي رحمه الله وانما تكلم البطريق بهذا الكلام

بين

بين يدي هرقل طعنا على العرب ليسمع جبله ابن الايهم وكان حاضرا وكان سبب
العداوة بينهما ان البطريق كان بناد برا وجعل له عبد افي السنة تقصد اليه الروم
منكل مكان بالنذور والاموال والسنور والسمع وكان ذلك كله برسم البطريق
فاعطا الملك لجبله تلك الارض فتغلب على الدير وبنا حوله مدينه وسماها باسمه
وهي جبله قال وحدثني سليمان ابن عامر عن ابن منصور الخولي قال حدثني
حجاج ابن خديج قال اخبرني عم ابن يحيى عن عماره ابن ابي اسحق انه قال لما سمع رفاعه
ابن زهير قول البترك تبسم من كلامه وقال ايها البترك لقد مدحت قوما ليس لهم
الي الفضل من سبيل ولا فيهم فاضل ولا نبيل ولا من وحد الملك الجليل الذى
ليس له مثل ولا عديد وانما الفضل لولد اسمعيل ابن ابراهيم الخليل الذى له
البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر الحرام ومنهم التبابعه الاقيال والحماة
الاشبال الذين ملكوا الارض في الطول والعرض منهم الملك الصعب ذوا مراثد
وهو الاسكندر الاول الذي ملك قرني الدنيا ودخل الظلمات ودخل في طاعته
اهل الارض وبلغ مطلع الشمس ومغربها واذل ملوكها وجعل له منهم اعوانا وجندا
وسماه اسد والقرنين ومنهم سبا ابن يعرب وشداد ابن عاد وشديد ابن عاد
وعمرو ذوا النار ولقمن ابن عاد وا لهدهد ابن عاد وعمرو ذوا الاعاد
وهزار ابن سكسك وهزار ابن عيان وكان يتكلم بالحكمه ومنا سبا
ابن سخب وهو اول متوج منا ثم ولى من بعده ابن بصير ثم تبع وهو متوج
وواثل ابن حمير ثم منا نبي الله حنظلة ابن صفوان نبي اهل الرس ثم منا نفيله
ابن عبد المذ ار ابن حسوم عاش خمسمائة سنة وهو بنا المصانع واستخرج
الكنوز وقال البحيوني ورزقه الله علم نبيه حنظله ابن صفوان وختم
شرفنا ورفع قدرنا اذ جعل محمد منا صلى الله عليه وسلم فنحن السادة وانتم
العبيد قال حدثني سفيان ابن عبد ربه قال حدثني رحيم قال حدثني الوليد
ابن حكيم قال بلغني ان هذا الرجل رفاعه ابن زهير ابن زياد ابن عبيد الله
سريع الجرهمي كان عالما بانساب العرب واخبارهم وملوكهم وكان قد
طالع كتب هود وصالح وحنظله ابن صفوان عليهم السلام فلما تكلم بحضرة
الملك فلسطين فلبطس وهو قد بهذا الكلام اراد البترك ان يعجزه بسوال
يلقيه اليه فقال يا ايها العاليه والقرائح الزكيه تصل القلوب الى العمل
الروحاني نزقي في ملكوت الضيا والصور الخفيه الغايبة عن الابصار المحيطة
بالاقطار ونرقي في رياضات الالباب المصفاة من الادناس وبالافكار
النورانيه يصفوا كدر الاخلاق نعيش الارواح عيش الابد الذي لا يصل اليه
الخلل ولا اضمحلال الحسيه يخلق العنصر ويتخذ الصفو بالصفو ويرب

الكدر الى الكدر فقال رفاعه ابن زهير ما اصبت ايها البطريق في مقالتك قال ولم
قال رفاعه رحمة الله عليه كيف تركن القلوب الى عالم الغيوب وقد حجب عنها صواب
المصيب ام كيف يتخلص الصفو من الكدر ويفني تهذيب من الكفر وكيف يخلق الافكار
غوامض الاسرار وهي في حجب الاعتزار اذ تناهت الاهوا المفا رانها وقربت الهمم
الى مواضعها وعادت الفكر الى عناصرها ورجعت متحركات الفطن الى مساكنها وعاينا
الاذهان الى اماكنها وانحازت الاشكال بلطف ما يري المهوي فيها وتكنت مسرفه
على هيا كلها من اقطار عناصرها ثم قال ايها البتريك هذا كلام العرب الذي زعمت
ان الحكمة ليست من اخلاقهم ولا اتباع في اسواقهم ولقد كان ملك من ملوك اليمن اسمه
سيف ابن ذي يزن الذي بشر بنبينا صلى الله عليه وسلم يتكلم بغوامض العلم
ويجيرا في المنثور والمنظوم انطق الله لسانه بالحكمة ووشحه بوشايح الشكر وانعمه
من جملة من قال فصيح من فصحائنا اسمه قس ابن ساعده الايادي هذه الابيات
قال عبد العزيز ابن يحيي ابن يوسف ولقد ادعا فيها الحلاج وليست من قوله وانما استشهد
بها في بعض اصواته هذه الابيات الا انا من معشر سبقتهم ايادي من الحسني فهو فوق من الجهل

ولم ينظروا يوما الى ذات محرم ولا عرفوا الا التقيه والعقل
وفيهاش التوحيد والعقل شاهد عرفناه والتوحيد يعرف بالعقل
نغاين ما فوق السموات كلها معاينة الاشخاص بالجوهر المحل
ويعلم ما كنا ومن اين بدونا وما نحن بالتصوير في عالم الشكل
وانا وان كنا على مركز الثري فارواحنا في عالم النور تشتغل
وما صعدت كي تختبره وانما ارتقت دانها بالنور في العالم العقل
فلم ترض بالدنيا مقاما واثرت حقيقة محبوب وجلت عن المثل

قال حدثني الواقدي قال محمد ابن سعيد قال حدثني ابن ابي شيبه عن عبد الله ابن عيسي
عن اميه ابن هند عن عبد الله ابن ربيعه قال قلت لرفاعه ابن زهير لما تخلص من قبضة
الروم كيف كان البترك يفهم ما تقول قال يا بني ما رايت افصح من اللعين بكلام
العرب ولقد سالت عن ذلك ليوقفنا فقال اما علمت ان ملك الروم والبطارقه
لا تستفهم ملكهم الان يتعلموا كلام العرب اذهم يجاورون لهم بالحجاز قال
ولما حدث رفاعه المسلمين بمناظرته للبترك كتبها اكثر الناس قال ابو عبد الله
محمد ابن عمر الواقدي رحمه الله وكان لرفاعه ابن زهير ولد اعاقل فذا سر معه وكان
قلبه يميل الى الكفر وكان ابوه يدعوا عليه فلما حضر اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم كنيسه القسان واشتغل رفاعه مع البترك في المناظره فاولده عامر
يحدق بنظره الى البيعة والى زينتها وصورها وصلبانها وبنا مثل ال[illegible] الروم
وزينتهن فبادر الى تقبيل الصلبان واشرك بالله سبحانه فلما نظر اليه ابوه

رفاعه

رفاعه

بكا وقال يا ويلك اكفر بعد ايمان يا ويلك طردت من باب الرحمن يا ويلك كفرت بالملك
الديان يا طريد القدره يا من غرب عن الحضرة يا ويلك كفرت بصاحب القدره والله
ما بكاي من فراقك في الدنيا لان فراق الدنيا لابد منه وانما بكاي من فراقك في الاخرة
اذا سلكت انت طريق وانا طريق اذا امضيت الى دار الابالسه وحشرت مع هولا
الرهبان والقساسه وتكون في طبقة النار السادسه وانا امضي مع امه محمد صلى
الله عليه وسلم الى دار فيها الازواج يا بني لا تطلب الحياة الدنيا يا بني لا تختار على
الاخرة شهوات تفنا يا بني اخجلتني من فعالك اذا وقفت بين يدي العزيز المولى يا بني
لقد فضحت شيبة ابيك اذ كفرت بعالم السر والنجوى يا بني لقد خاب املي فيك
والرجا يا بني كيف طاب قلبك تتبرى من محمد المصطفى يا بني ممن تطلب الشفاعة غدا
ثم قال شعر بعد الصلاة على الرسول

ابني غرتك الحياة فصرت تكفر بالعليم — ابني ما تخشى العذاب اذا عبرت على الجحيم
ما تستحي من احمد يوم القيمة والخصوم — اما ابوك فقد غدا من اجل كفرك في هموم
ابن المفر اذا دعاك الله في اليوم العظيم — ويقول يا عبدي كفرت بواحد صمد قديم
اما ابوك فانه يبقى على نعش ذميم — اسالك يا ولدي بما كان في الزمن القديم
من حنني وتعطفي حال الرضاعة والعظيم — الا رجعت الى الذي عطاك بالستر العميم

فقال له ولده قد اسبل الحجاب وغلق الباب قال فامر به البترك فحل من الوثاق
وامر به الى ماء المعمودية ودارت به الاقسه ونصروه ووقعت عليه الخلع من كل
البطارقه والملوك ووهب له الملك مركوبا وجارية ومنزلا وضمه الى اصحاب
جبله ابن الايهم الغساني فقال البطريق يا هولاء العرب ما منعكم ان تعودوا
الى ديننا كما فعل صاحبكم فقالوا يمنعنا من ذلك ديننا وثبات يقيننا وما نحن
بالذي نبدل بالايمان كفرا ولو قتلتنا بالصوارم صبرا فقال لقد طردكم المسيح عن بابه
وابعدكم عن جنابه فقال رفاعه ابن زهير الله يعلم ايها المطرود فقال هرقل يا معاشر
العرب قد وصل الينا ان خليفتكم واميركم يلبس المرقعة وقد وصل من اموالنا وذخايرنا يرنا
ما يكل الوصف عنه فما منعه ان يتزيا بزي الملوك قال رفاعه ابن زهير يمنعه
من ذلك الاخرة والفرح من اخبار الجبابرة فقال هرقل فما صفة دار امارته
قال مبنيه بالطين قال فمن حجابه قال الفقراء والمساكين قال فما بساطه قال العدل
والتمكين قال فما سريره قال الفقه واليقين قال فما خزانته قال الثقة برب
العالمين قال فمن جنده قال ابطال الموحدين اما علمت ايها الملك ان جماعة قالوا
له يا عمر ملكت كنوز الاقاصره وذللت البطارقه والاكاسره فهلا لبست ثيابا
فاخره فقال انتم تريدون زينة ظاهره وانا اريد رضا رب الدنيا والاخرة لا جرم لما بدا بهذا
القول واضمر اشار اليه منادي القدر وبشر الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة

واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر قال فامر بهم الملك الى السجن ثم
خرج من كنيسته الى عسكره يشرف على الخيم والسرادقات فراى سرادقات البطارقة
قد ضربت ونوبيات الملوك قد نصبت وبازاء نوبتيه كنيسه من الخشب مدهونه
والاجراس على ابوابها قال وكان زي الروم ذلك وهذه البيع الخشب يتقاسون
فيها ومن صنعتها تكون معهم لاسفارهم وفي عساكرهم فطاف الملك عسكره
باجمعه واراد الدخول الى انطاكيه واذا بفوارس يركضون اليه فقال الحجاب
وراكم فقالوا قد ملك جسر الحديد وحصلت العربان معنا قال فايقن الملك
بزوال ملكه قال وكيف اخذت العرب البرجين وفيها ثلثمائة مقاتل قالو
ايها الملك المقدم هو الذي سلم اليهم ذلك البرجين واصحابه حتى ملكوه
المسلمين قال الواقدي رحمه الله وكان من حسن صنع الله بالمسلمين ان حاجب
الملك كان يمضي كل يوم في موكبه الى الجسر ويوصي من في البرجين بالحفظ والحرس
وانه مضى في بعض الايام على حسب عادته ليشرف عليهم فوجدهم يشربون
وليس عندهم حفظ ولا غيره فاخذهم وضرب كل واحد منهم خمسين مقرعة
وهم ان يقتل مقدمهم ثم امسك عنهم وعف خيفه من عتب الملك ثم تركهم
وعاد قال وحمل الحقد في قلوبهم فلما قدم ابو عبيدة رضي الله والمسلمون
اخذوا منه امانا وفتحوا لهم الباب فدخل جيش المسلمين فالزم الملك
ان يدخل سرادقه وامر اصحابه ان يلبسوا اسلحتهم ويتاهبوا للحرب
ففعلوا ذلك قال وحدثني بشر ابن عبد الرحمن قال اخبرني مبارك
الصيدلاني وكان احفظ الناس بفتوح الشام قال بلغني انه لما صار
والمسلمون ارض انطاكيه قال ابو عبيده رضي الله عنه لخالد رضي الله عنه
يا ابا سليمان قد صرنا في بلد كلب الروم والساعة تشرف على عسكرهم فما
ترى من الراي قال خالد رضي الله عنه

ذكر وقعة المسلمون مع الروم على انطاكيه وذكر فتوحها

يا امين الامة انت تعلم ان الله سبحانه وتعالى يقول واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة والان مر اصحابك ان يتاهبوا ويلبسوا ويظهروا زينة السلاح
وقوة الايمان ونفذ كل امير جيش ولتكن الكتائب تتلوا الكتائب والمواكب
تتلوا المواكب ولينشروا راياتهم ويظهروا اسلحتهم قال ففعل ابو عبيده
رضي الله عنه ذلك فاول من عقد راية السعيد ابن زيد ابن عمرو ابن نفيل العدوي
رضي الله عنه وضم اليه ثلاثة الف فارس فيهم من المهاجرين والانصار
وسيره على المقدمة ثم عقد رايه اخرى وسلمها الرافع ابن عميره الطاي
وضم اليه الفي فارس من طي وغيرها ثم بعثه في اثر سعيد ابن زيد رضي الله عنهما

ثم عقد رايه ثالثه وسلمها الى ميسره ابن مسروق العبسي وامره على ثلاثة الف فارس
من اليمن وبعثه في اثر رافع ابن عميرة ثم عقد راية رابعة وسلمها لمالك ابن الحارث
الاشتر النخعي وضم اليه ثلاثة الف فارس من النخع وغيرهم ثم بعثه في اثر
ميسره ابن مسروق العبسي ثم عقد رايه خامسه وسلمها الى خالد ابن الوليد
رضي الله عنه وهي العقاب التي عقدها له ابو بكر الصديق رضي الله عنه له بيده
حين بعثه الى الايله وبارز خالد رضي الله عنه بعسكر الزحف في اثر مالك الاشتر
فلما ابعد خالد رحل في اثره ابو عبيدة رضي الله عنهما ببقية الجيش فيهم عمرو
ابن معدي كرب الزبيدي وذو الكلاع الحميري وعبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق
رضي الله عنهما وعبد الله ابن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما وابان ابن عثمان ابن عفان
رضي الله عنهما والفضل ابن العباس رضي الله عنهما وابو سفيان صخر ابن حرب وراشد
ابن سعد ورافع ابن سهل وزيد ابن عامر وعبيد ابن اوس وعبد الله ابن طفر وابو لبابه
ابن المنذر وعوف ابن ساعده وجابر ابن قيس وعابد ابن عيفته ورافع ابن
عنجره وسمره ابن عامر وعبد الله ابن قرط الازدي واوجد ابن ابي عمر وصابر ابن
اوس وكعب ابن ضمره ومسعود ابن عوف ومثل هولا رضي الله عنهم اجمعين
وساروا من ورائه النسا اللاتي لهن وفيهن خوله ابنة الازور وعفيره بنت
عفار ومزرعه بنت مملوف الحميريه وام ابان ابنة عتبة وليس فيهن اشد
حزنا من خوله ابن الازور

وقال الواقدي

ومما بلغني انها قالت
في اسراحيتها شعر تقول بعد الصلاة على الرسول اليمني
بعد اخي يلذ الغمض عيني وكيف يلم مقروح الجفون سابكي ما حييت على شقيقي لعزعلي من عيون
فلو اني لحقت به قتيلا لهان واني غير المهين ...
وكنت الى السلوا راطريقا وعلو سنه بالجد المبين ...
وانا معشر من مات منا فليس يموت موت المسلمين ...
وانف ان نفا المضا مزاروالم يفهم عد الحرب الزبون ...
وقالوا كم بكا فقلت مهلا الا ابكي وقد قطعوا وتيني ...

قال وسار ابو عبيدة رضي الله عنه بموكبه كما ذكرنا فبينما الروم في خيامها
ومعسكرها اذا وقع الصايح بقدوم العرب فركبوا خيولهم وصفوا صفوفهم
فاول من اشرف عليهم برايته كان سعيد ابن زيد ابن عمرو ابن نفيل العدوي رضي
الله عنه ثم من بعده رافع ابن عميرة الطاي ثم طلع من بعده ميسرة ابن مسروق
العبسي ثم طلع من بعده خالد ابن الوليد المخزومي رضي الله عنه ثم طلع من بعده
ابو عبيدة رضي الله عنه في موكبه رضي الله عنهم اجمعين فتنزل كل امير بقومه فلما
نظر الملك هرقل الى جيش العرب وانهم نزلوا بفنايه نزل على جيشه حاجبه

الكبير بطاروس وكان شجاعا بطلا ثم دخل الي كنيسة الغسان وجمع الملوك اليه والبطارقة
والحجاب وقام فيهم خطيبا وقال يا اهل دين النصرانيه وبني المعموديه قد قرب ما
ما حذرتكم منه من زوال ملككم وذهاب عزكم من ارض سوريه وقد كنت حذرتكم
من هذا المقام فلم تقبلوا واردتم قتلي وهولاء القوم قد حلوا ابدا ار ملككم
وتاج عزكم فقاتلوا عن حريمكم واموالكم وانفسكم واياكم والفشل والا بالحقكم في
الجهاد كسل فقد جاهدت عنكم جهدي واتلفت مالي وخزاينى ورجالي وجندي تنكم
وملككم فلم تسعدوني سعادة ولا ابلغت منهولا القوم ازاده فان انتم فشلتم
وتقاعستم ولم تجردوا لهولاء العرب عن سيف العزم والا كان العار عليكم والاذيه
نصل اليكم ابن اباوكم ومن سلف ها نوا كراما عبر ايام سكنت ديارهم العرب العظام
فكنايسهم صيروها جوامع وخربوا البيع والصوامع واذلوا ملوككم واستعبدوا
اولادكم وملكوا معاقلكم واستولوا على حصونكم ومداينكم وقد مضا ما مضا
فاستانفوا الامر وقاتلوا فكم هلكت من الامم قبلكم علي حماية ملكهم وعلى
الغيره علي حريمهم ولقد كانت حكمتي قد نحت لكم ان تسمحوا وتمنوا للمصلحه
بينكم وبين هولاء العرب لكن ظلمة جهلكم لم تقبل ضو نور الحكمة اما علمتم انه
وجد لوح من الحجر الاخضر علي قبر بطليموس فيه مكتوب الحكمة سلم العالم الاعلى من
عدمها فقد عدم القرب الي باريه الحكمة حيات القلوب ونعيم الاذهان ونزهة
النفوس وانوار العقول من لم يكن حكيما لم يزل سقيما من تدبر نظر ومن نظر
عرف ومن عرف حمد لبج ذهنه وعقله ومن تهذب عقله صفت نفسه فقام
اليه جبله ابن الايهم وقال ايها الملك اغا فتا لهولاء العرب يكون صاحبهم
خليفتهم عمر بالمدينة فلو اذنت ابعث رجلا من الغسان فكان يقتله بالقتل
فلو سمعوا بقتله ولوعنا وكان سببا لفنايهم وانتزاع الشام من ايديهم
فقال هرقل هذا تمنى لا يبيح امله ولا تنقض عن احد اجله لان الاجال مقدره
والانفاس مفرده ولكن هذا اشي بطيب النفوس عند سماعه فافعل ما اردت قال
فبعث جبله رجلا من قومه يقال له واثق ابن مسافر الغساني وكان جريا مقداما
في الحرب وقال له انطلق الي يثرب فلعلك تقتل عمر وان انت فعلت ذلك اعطيتك
ذيتك قال فانطلق واثق ابن مسافر الي المدينة ودخلها مساء فلما كان
من الغد وصلى عمر رضي الله عنه بالناس صلاة الصبح وقرا ما اذن الله ثم خرج
الي ظاهر المدينة يتنسم اخبار المجاهدين بالشام فسبقه المتنصر وجلس
له على شجرة في طريقه بازا حديقة ابي الدحداح الانصاري واستتر باغصان
الشجره وورقها وان عمر رضي الله عنه اقام ظاهر المدينة حتى استعرت الرمضا
ثم عاد وحده وقرب من الشجرة ونام في حديقة ابي الدحداح فلما نام هم

المتنصر

المنتصر ان ينزل من الشجرة وجود خنجره واذا بالاسد قد اقبل فطاف حول عمر رضي
عنه والحس قدميه فاقام يحرسه حتى استيقظ عمر رضي الله عنه ثم مضا وتركه ونزل
المنتصر من الشجرة وقبل يده وقال يا عمر عدلت فامنت فنمت فامنت بابي وامي،
من الكائنات تحفظه والسباع تحرسه والملائكة تكتنفه والجن تغرفه ثم حدثه
بامره واسلم على يديه قال حدثني ابو محمد قال اخبرني ابي قال حدثني حبان
قال حدثني السدي ابن يحيى قال الواقدي رحمه الله وحدثني مسهر ابن عياس
اليربوعي عمن حدثه عن نزول ابي عبيدة رضي الله عنه بجيش المسلمين على انطاكية قال
ولما وعظ هرقل قومه بكنيسة القسيان واستحلفهم ان لا ينهزموا ويموتوا على
واحد تخلفوا له ثم خرج الملك الى معسكره ورفعت الصلبان وقرا القساقسة
والرهبان وارتفع الضجيج من اهل الكفر والطغيان وزحفوا للقتال فعندها
ركب ابو عبيدة رضي الله عنه والمسلمون واوقف كل امير في موكبه ونشرت رايات الاسلام
ووقف ابو عبيدة رضي الله عنه في موكبه كهيئة يوم قدومه واشار الى ربيعة ابن معمر
وهو ابو عامر ابن ربيعة الشاعر وكان فصيحا اديبا لا يتكلم الا بالكلام المنظم كما ذكرنا
من قبل فقال يا ربيعة فوق سهام وعظك الى قلوب المسلمين وحرض المجاهدين
على المشركين قال فتقدم ربيعة امام الصفوف وكان جهوري الصوت يسمعه
القريب والبعيد فقال ايها الناس الى متى هذه المهلة فتاهبوا للحملة فهذه
طيور الارواح قد علوت على فراق اقفاص الاشباح وقد ارتاحت الى باريها
واجابت صوت مناديها وهي تخاطب بصوت اشارتها عن نطق عبادتها ما هذا
التوقف عن بذل انفسكم وقد اشتراها مؤيدكم اخلدتم الى حب الحياة الفانية
والانفس الواهية فهذه اوقاتكم بالنصر مؤيدة وهممكم عن طلب زينة الدنيا الحيدة
والواعظ الصادق كلام الحق مفيده اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج
مشيده وهذه طوالع سعودنا بالاقبال طالعه وشجرة امالنا بالتايد يانعه فلله درهم
لقد زهرت نجوم المحبة في افلاك ارائهم وتبلج فجر الفتق في سما اشواقهم واشرقت
شموس المعرفة في مشارق نفوسهم فلما هموا بالحملة وحققوا وقدموا النفوس
الى رضاء القدوس واستبقوا وزاحم بعضهم بعضا ولم يرفقوا نودوا من صفا
سرائرهم من المؤمنين رجال صدقوا قال حدثني يزيد ابن اسمعيل قال حدثني
جعفر ابن عون قال اخبرني عباس ابن ابان عن صابر ابن اوس قال كنت حاضرا في
مصاف ابي عبيدة رضي الله عنه على انطاكية حين وعظنا ربيعة ابن معمر فكان
اول من خرج من شجعان الروم نسطورس ابن رهبيل للبراز وهو كانه برج
حديد فلما توسط الميدان طلب البراز فخرج اليه دامس ابو الهول مولى بني طريف
الفاتح لقلعة حلب وهو يومئذ فارس فحمل بعضهما على بعض فلما اشتغلت بينهما

نار الحرب عثر جواد دامس فسقط من ظهره فمال عليه نسطوريس فاخذه اسيرا وقاده
حقيرا الي سرادقه ثم رجع نسطوريس وطلب البراز فخرج اليه الضحاك ابن حسان
الطائي وكان يشبه خالد رضي الله عنهما في ركبته وصفته فلما برز قال قايل من الروم
ممن شاهد قتال خالد رضي الله عنه في المواطن وعرفه هذا فارس المسلمين الذي فتح بلادنا
فتطاول كل جيش انطاكيه ينتظر الي المبارزة وهم يظنون ان الضحاك ابن حسان
الطائي هو خالد رضي الله عنهما قال فازدحمت الخيل وقطعت حبال السرادق فانزوا
لنوبات وكان من جملة ما انقطع شرايط سرادق نسطوريس وسريره فخاف
الفراشون انه ان عاد وراي سرادقه علي تلك الحالة قتلهم فلم يجد واحدا
يعينهم علي رفع السرادق لان كل من في العسكر مشتغل بالنظر في نسطوريس
خصمه واتفق راي الفراشين وكانوا ثلاثة علي حل دامس ابو الهول فقالوا نحن
نحلك من وثاقك وتعيننا علي شيل عمود هذا السرادق واذا جاء البطريق سالناه
فيك فيخلي سبيلك علي شرط انا نردك الي الاسره فقال نعم فحلوه من وثاقه
فلما وجد الراحة من القدهم علي الاثنين واخذ الواحد بيمينه والاخر بشماله
وصفق بهما الثالث فدوخه ووقع من شدة الضربة وضرب احدهما بالاخر
فقتلهما وثم علي الثالث ثم فتح صندوقا من الصناديق واذا فيه ثياب نسطوريس
فلبسها وركب جوادا من خيل نسطوريس وتنكر وقصد عسكر المتنصرة ووقف بازاء
حازم ابن عبد يغوث الغساني وقد قدمه جبلة ابن الايهم علي عساكر المتنصرة
وجبلة واقف مع ولده الهايم ووجوه بني عمه عن يسار موكب الملك قال الواقدي
ولم يزل القتال بين نسطوريس وبين الضحاك ابن حسان الي ان تعب الجوادان من
الكر والفر فلم يقدر احد منهم علي خصمه وافترقا واذا نسطوريس اتى يطلب
سرادقه ليستريح من التعب فوجد سرادقه علي الارض مطروحا والفراشون
قتلوا ونظر فلم ير بديسا فعلم ان المصيبة من تحت راسه فمضى الي الملك
فاعلمه بذلك فقال وحق ديني ما هولاء العرب الا شياطين وماج العسكر بصنع
ابو الهول وقالوا ما قصد الا الجيش المتنصر لانه من جنسهم قال ونظر دامس
الي العسكر وتوجه فعلم ان ذلك من سببه فانتضى ابو الهول سيفه من غمده
علي حال غفلة القوم فكان اخذ السيف من سرادق نسطوريس وكان سيفا
ماضيا وضرب به حازم ابن عبد يغوث فابان راسه عن جسده قال وبهتت
المتنصرة من فعله وامسك الله ايدي غسان عنه ففي حال دهشة القوم
اطلق عنان جواده وقصد عسكر المسلمين فلما نظروه وقع التهليل والتكبير وو وقف
امام ابي عبيدة رضي الله عنه وسلم عليه وحدثه بحديثه مع القوم فقال
الا شك بذلك قال وسمع جبلة بقتل ابن عمه حازم ابن عبد يغوث

فقر

فنهض واقبل الي الملك وسلم له وقال يا عظيم الروم انا لا نقدر علي الصبر ولا بد لنا من الحمله
علي هولاء الذين تعدوا اطورهم وجهلوا اقدارهم ففهم الملك ان يامر بطارقته وحجابه
بالحملة واذا قد اقبل اليه خيل تركض قال ما وراكم قالوا قد قدم الي نصرتك قليطانوس
صاحب ارومة الكبري وباسم جده سميت وكان قد صنع بها هيكلا عظيما سمي اثاسوفيا
وصوره من نحاس مطلي بالذهب والفضة وله سبعه ابواب من ذهب وعلي كل باب
هيكل مدور وعلي راسه رجل بيده عدة الواح من ذهب في كل عام يعلوا احدهم
علي الهيكل بلقاء الشمس فينظر كاهن ذلك الهيكل في ذلك اللوح فيعلم به ما يجري
في اقليم المختص بذلك اللوح وكذلك كل هيكل من تلك السبعة فيعلمون اهل رومة
الكبري ما يجري في العالم بعلوم حكمائهم الاقدمون واوسط فلك الهياكل قبة
مسنة علي اعمدة من نحاس مطلية بالذهب الاحمر حولها سور بستانها
الاعظم علي راسها صورة من حجر لا يعلم ما هو بل هو اسود منقط بياض فاذا
كان استوي الزيتون في مشارق الارض ومغاربها سمعوا منه صوتا ها يلا تكاد
العقول تنقطر منه فاذا كان من غد تقبل من افاق الارض زرازير في مناقرها وارجلها
الزيتون فتلقيه علي راس ذلك الشخص فلا تزال كذلك حتي تملا ذلك البستان
العظيم فيعصرون منه بزيتهم ما يكفيهم لعامهم ذلك الي الاخر وكان في داخل
الهيكل الاعظم مقفل لم يفتح مدينة رومة الكبري ولما اراد قليطانوس الملك
النهوض الي نصرة هرقل احتاج الي المال لينفق في عسكره فاتا الي البيت وهم بفتحه
فقال له عماطوس وهو القيم بامر الهياكل والكنيسه ايها الملك ان لهذا البيت
من قفل سبعمائة سنة وذلك قبل ظهور المسيح عيسي عليه السلام بمائة
وسبعين سنة وما احد يلي هذه الهياكل الا ويوصي علي هذا البيت ان لا يفتح
فلا تزل حكمة قد استسنها من قبلك الحكماء والملوك ولقد بنا هذه المدينة
واستسن هذه الهياكل احدك رمينوا وهي في ملكه فيما بلغنا ثلثمائة
وسبعون سنة ثم وصا عليه كوصية ابيه ولك انت في هذا الملك مائة
سنة فلا تزل حكمة استسنوها وطلسما صنعوها قال فاخذه اللجاج
في فتحه فلما فتحوه لم يجد فيه شيا الا مادار بالبيت صورة بيت المقدس ومدن
الشام وصفة ملوكهم وعددهم وفي صورة قلبطس وهو هرقل وكانه ينظر
الي اللوح بين يديه وفي اللوح مكتوب باليونانية يا طالب العلم عليك بكثرة
القراءة فانه كلما تكرر مرور النكت علي انسان فيتعلمها فيكون ذلك اشد
لقوته واحكم لتصرفه اذ العلوم كلها انما استخرجت بالعقل والقياس انما
يكون بكثرة الرياضة فيه والعلم فطنة التدبير والتدبير موضع العلم والعلم
موضع العقل والعقل هو المنتهي لاشكال العلوم وقد رابنا في الحكم والاسرار الخفيه

ان سحاب العمايه وظل الظلاله اذا احميت على صفحة الارض خرج مصباح الهدايه من ارض
تهامه فيذهب بظلام الجهل المظلم للحين ويدعوا الناس لدينه بتوحيد الصانع
وهو صاحب الجمل الازرق فيذهب بالاديان الملك وتطبق دعوته السهل والجبل
فاذا غلبت لطافة تذكره على كل كثيف وانتقل روحه الي العالم الروحاني وولي
بعده رجل خفيف الصوره قلبه منور بنور الصدق فيشد ملته ويقيم شريعته
وويل للشام ماذا يحل بها من الرجل الاحور الذاهب بملك قيصر هو الرجل الكثيف
صولته المربعه صورته العدل صفته والحق منعه تزينه مرقعته وسيفه درته
وفي ايامه تذهب الدول وتضمحل الاكاسره وتزول واوان ذلك اذا فتح هذا البيت
المصور بصورة الحكمه المحيطه بحيط النعمه فطوبا لمن رسخت الحكمة في قلبه واشرقت
مصابيحها في صميم لبه واتبع الحق وجانب الباطل وخالفه قال فلما قرا فليطا
نوسما في اللوح اخذه التعجب وقال لعطاعطا وس صاحب الهياكل والقيم بامورها
ايها الاب الشفيق ما تقول ما هذه الحكمة قال ايها الملك وما عسى ان اقول
في حكمة وضعتها القدما وتكلمت بها الحكما وانما العلوم غامضه تصل الى الحس
للجوهر بنور العقل واني اري فليطرفد وهي عامود عزمه وانهدت قبة ملكه
من ارض سوريه وانتقل ملك الروم الي البيهون يعني القسطنطينيه وبذلك اخبر
فيراريس الحكيم في كتابه الذي صنفه وسماه اسلازوس يعني جواهر الحكمة ومن جملته
اذا ظهر نور النسمه المصفات من جبال تهامه فارتصفات الادهان المطلبه بنور
حكمته وصرفت الظلمه المتكاثفه في سماء الجهل بقوة عزمته ودعا الناس الي لطيف
دعوته وقادهم بازمة لطافته ويعلوا على الافلاك وويل لارض ايليا من صولة صاحبه
المتوشح بوشايح الهيبة المتوج بتاج الفضل صاحب فتوح الارض ومذل ملوكها العدل
قسطاسه والمرقعة لباسه في زمانه ينكس الصليب وتخرب الهياكل وتندرس
المذاهب وتذل بني ماء المعمودية فلا نجاة من صولة الابا تباع شريعة صاحبه
قال فلما سمع فليطا نوس ذلك من القيم باسر الهياكل قال لعطاوس ايها الاب
نحن علمت هذا فما الذي اعماك عن الحق ثم كتم الامر على نفسه وقال لابد من ان
انظر الى العرب والمسيره الى نصرة للملك هرقل وقد وصلني كتاب البطريق اسطولس
القيم بشريعة المسيح وقد ندبني الى نصرة الدين فان تاخرت حرمني ثم اختار
من جيش ارومة الكبرى ثلاثين الفا وهم الكراجيه وولي على منصبه ولده
اسفلوس المثلث للنعمة واستخرج من بيت الحكمة رايات الاسكندر اليوناني وكانت
منسوجه بالذهب واللولو وهي التي تنشرها يوم فتح الوحات من ارض بابليون
الا يومين في السنة بيعه ابا سوبقا وهو يوم عيد الصليب ويوم الشعانين
ولما رفعت على راس فليطا نوس وسار حتى ورد انطاكيه ونزل على باب اوس

معناه

معناه باب فارس فلما وليت العرب واستثقلوا هذه الكلمه فسالوا ما معناها فقيل
فارس فسموا الباب باب فارس قال وركب الملك هرقل في موكبه الي القابه وضرب سراد في
بازاء سرادق الملك وفرحت الروم وتفالت بالنصر وضربت الاجراس وخفقت النواقيس
ووقعت الضجه في جيوش الملك وارتفعت اصوات القوم واذا بعيون ابي عبيدة
رضي الله عنه وهم المعاهدين قد اقبلوا اليه من عسكر الروم يخبرونه بقدوم فليطانوس
ملك رومة فرفع ابو عبيدة رضي الله عنه كفيه وقال اللهم شتت كلمتهم ودمر جوشهم
وزلزل اقدامهم واجعل كلمتنا العليا وكلمتهم السفلي وانصرنا عليهم قال وامن
المسلمون علي دعائه قال حدثني ابراهيم ابن العلي قال اخبرني ابو يوسف الكندي
عن ابي جعفر الداودي عن الربيع ابن انس قال اخبرني حفص ابن ميسره ابن مسروق
العبسي قال لي يا عم لما قدم فليطانوس ملك ارومة بجنوده خاف المسلمون ولكن
الله ثبتهم وان ابا عبيدة رضي الله عنه بعث معاذ ابن جبل رضي الله عنه ومعه ثلاثة الف
من طي وغيرها وقال يا صاحب رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الروم قد جمعت من
سواحل الشام لنصرة دينها فانهض وشن الغاره علي بلاد الساحل واحتفظ
بالمسلمين ولا يؤتا الناس منك قال فسار معاذ رضي الله عنه وشن الغاره علي جبله
واللاذقيه واحتوش اموالها واخذ غنايمها ووجد علي باب جبله والها غسان
ابن جرهم الغساني ابن عم جبله ابن الايهم ومعه الف دابه محملة برًّا وشعيرًا
لعسكر الملك وقد جمعها من طرابلس وعكه وصور ومن بلاد قيساريه وقد
بعثها قسطنطين ابن هرقل مع حاجبه الي ابيه فلما وصلت الي مدينة جبلة سلمها
للمتنصر وعاد فوقع بها معاذ ابن جبل رضي الله عنه وهي علي باب المدينه وهم منتظرون
عسكر الملك ليسير بها الي انطاكيه فاخذها معاذ رضي الله عنه ورجع الي المعسكر ابو عبيده
رضي الله عنه بما معه من الاموال والبغال والميره فارتفع ضجيج المسلمين بالتهليل
والتكبير وسمع الملك ضجيج الوحده فنفذ جواسيسه ليجسسوا الخبر فغابوا
غير بعيد واتوه بالخبر فصعب عليه اخذ الميره التي كان يعتمد عليها العسكره وقال
لبطارقته ما بقي بيننا وبين هولاء القوم الا المصاف ويعطي الله النصر لمن يشاء
ثم نفذ الي اصحاب الرايات والعقود والبطارقه والهرقليه والقياصره والارمن
يامرهم بالتاهب وركب هرقل الي جانبه فليطانوس صاحب اروميه وصاحب مرعش
وصاحب قلعة اسكنارس وصاحب طرسوس والمصيصة وانطاكيه ودرساس
وصاحبه وافصيرا وقيسارية الشام الاقصر وقاعيه وماريه قال الواقدي
رحمه الله واقبل بوقنا يرتب الصفوف ويعبيها تعبية الحرب فلما وقف كل ملك بجيشه
وكل بطريق باصحابه فاراد فليطانوس صاحب اروميه ان يتقرب الي هرقل بمبارزته
للعرب فسجد علي قربوس سرجه للملك وقال له ما تركت ملكي واقبلت معك

الي خدمتك من مايتي فرسخ الا حرمة لك ورضا للمسيح وكل من بين يديك من الحجاب
وغيرهم قد قاتلوا وجاهدوا واريد ان ابرز اليوم الي هولا العرب واشفي فوادي
منهم فاراد الملك ان يطيب قلبه وقال الزم مكانك ولا تخرق حشيمة الملوك فا بت
اقدم في المملكة متى ودع غيرك يكون لهذا الامر فما بلغ من شان العرب ان تخرج
اليهم انت بنفسك قال فليطانوس واي حشيمة بقيت لنا مع هولا العرب
وقد اهانوا امرنا واذلوا اعزة ديننا والجهاد مفروض على الكبير والصغير اما
علمت ايها الملك انه من نظر الي الدنيا بعين المحبة جذبته همة الشهوات الي التعلق في
جنبها والعلو انوخا ربقها فاذا افعل ذلك ركب عليه كثافة الجهل على صفحة
صدره فمنعه ذلك عن طلب معاده ومن سارع الطاعة خالقه بترك شهواته
التقا الي دار دايرة القدس في محل الانس ولما علم القديم الازلي بركوب انفسكم
الحوبة نحجاب الغفلة الي المطلب ما نفنا سلط عليكم اضعف امم فخر حوكم عند بارك
وابعد وكم عن اوطانكم وما ذلك الا لخلودكم الي الاهوا الجاذبة اليهما ونكم في
المهالك لانكم حكمتم بغير الحق وجوزتم على الرعية بطلب ما ليس لكم بحق من الجور
في اخذ اموالهم وفساد احوالهم وكثرة الزنا واتباع الخنا فلا جل ذلك تنتصروا وكانت
دايرة السو عليكم فتكلم حاجب الملك وهو الحاجب الكبير وصاح عليه وقال ايها
السيد لا تحمل على قلب الملك من العتب ما لا يطيق فقد وعظه اكبر منك فلم يسمع قوله
قال الواقدي رحمه الله وصعب على فليطانوس صياح الحاجب عليه وكتم
الامر الي الليل فلما مضى ربع من الليل دعا بحاجبه وخواص قومه ممن يثق به ويموتون
دونه ويحيون بحياته وقال ارضيتم ان يترفع علي حاجب هرقل ويوبخني بين الملوك
وانتم تعلمون ان بيتي اعظم من بيته ونسبي اعلى من نسبه وملكي اقدم من ملكه ولقد
قال بلسليس الحكيم لا تسعى بقدميك لمن يزال دونه ولا تحمل عزة نفسك في مقابلة كبريا
عجبه فان عزة النفوس تتقابل تجاه الملوك ولا تضع صنيعتك في غير مستحقه فانها
تحلل عليك شرامن قبله فان الاحسان يربى عند ذوي العقول والاصول ويمحض
عند السفها الارذال فلا تصفوا ودك اليهم فانك تطلب منفعتهم وهم يريدون هوا
انفسهم باذيتك وقد جينا من مايتي فرسخ او اكثر من ذلك الي خدمة رجل يرانا
فضلة دار ملكه ونحن منجملة خدمه فان نور العقل المجوهر بجوهر الحس
يمنعني من اتباع الجهل المظلم للحواس وان نفسي تابي عن ذلك فالعز محله حلل
الذل وبذل وصاحبه قليل وقد عولت ان اسير الي هولا العرب وانتصر ملتهم فانها
الملة الواضحة بالحق المويدة بالصدق فمن كان عليها امن في معاده من الهول الاكبر
فما انتم قايلون فقالوا ايها الملك وكيف يطيب قلبك بترك دينك وملكك وتتبع
قوما لا فضل عندهم ولا حكمة تعرفهم فقال فليطانوس انما الحكمة البالغة عندهم

مقرها في انفسهم موطنها ووطنها لان نور التوحيد يصفي ادهانهم وينور ايمانهم
ببركة صاحبهم المنبا بعلم الغيوب لان مقناطيس حكمته الربانية جذب جوهر عقولهم
المنبا بعنه والاقتدا بشريعته فمن اراد ان يرقا الي اعلي عليين فلا يقعد علي الارض
ضجعة الجهل اما علمتم ان النور انور من الظلم والموت نهاية الحياة فلما سمعوا
قوله ايها الملك نحن تبعنا ان نطلب عزا اخره الذل ونهايته القتل فاذ كنت
تطلب بنا طريقا يودي الي البقا ويذهب بالشقا فالاحق اتباع الحق ونحن بك وبين
يديك قال تحذروا على انفسكم فاذا كان غدا رايتنا كانا نطوف بالجيش نحرسه
ونطلب عسكر العرب قال فقول القوم على ذلك فافترقوا واخذ فلسطانوس
من امواله وذخايره وعول على ما ذكرناه قال الواقدي اخبرني يونس
ابن عبد الاعلى قال اخبرني ابن وهب قال اخبرني معاويه ابن صالح عن موسى
السرعني قال لما عزم فلسطانوس على ان يسير الي الجيش الي عبيدة جاه
يوقنا برسالة من الملك هرقل فلما ادى الرسالة وهم بالقيام قال له فلسطانوس
من انت من حجاب الملك قال انا يوقنا صاحب حلب قال وكيف تركت ملكك واستولت
العرب فحدثه بحديثه فقال له فلسطانوس ما الذي ظهر لكم من هولا العرب
حتى دخلت في دينهم قال ايها الملك اني رجعت الي دينهم لما طالعت امرهم كشفت
سرهم فرايت القوم لا يتبعون الباطل ولا يحيدون عن الحق لا ينامون الليل لكثرة
اجتهادهم ولا ينكلون بعدو ذكر انهم ينصفون المظلوم من الظالم ويواسيهم
فقيرهم والامرا عندهم في زي المساكين والذليل والعزيز عندهم سوا فقال له
فلسطانوس فاذا وقفت على سرهم ورايت فضلهم فما منعك ان تقيم معهم
قال يوقنا منعني محبة ديني وصحبة قومي لاني لم ارد فراقهم فلسطانوس ان النفوس
الزكيه والالباب الغاليه اذا رات الحق حدتها جاذب اليقين الي حضرة الاخلا
من العيشة الذميمة الي ان ترقا الي عليين قال فخرج يوقنا وقد رسخ قول فلسطانوس
في قلبه وقال والله ما تكلم بشي الا وهو منقوش في صحيفة صدري فكلامه يشهد
بقبول عقلي لصحة دين الاسلام واقام على قلق من ذلك حتى جن الليل ثم
تثبت على حال الخفا ودخل على فلسطانوس فوجده على نية الركوب فلما وقف
بين يديه سلم قال له فلسطانوس ترى اي حجاب حجب المظلون عن الحق وهو
واضح لمن طلبه والباطل خفيف على من اتبعه فقال ايها الملك ما معنى الكلام
الذي اشرت به فقال له فلسطانوس لو اني رايت بعين البصيرة ما رايت انت
لما رجعت عن ملتهم ولا طلبت بدلا بغيرهم وانما طلبت انت نعيما يودي الى الزوال
ويفضي بصاحبه الي النكال قال فسكت يوقنا وخرج من عنده وهو يتحسر عليه
ووقف له على طريق المسلمين قال ولما ركب فلسطانوس وخرج من سرادقه

وجد بنو عمه قد اخذوا على انفسهم وهم وجوه قومه اربعة الف فارس وقد صمموا عزمهم
وساروا يدا واحدة يطلبون جيش الموحدين وقد فارقوا ملكهم وتركوا عزهم فلما ظهروا
من جيش المشركين ظهر لهم يوقنا ومعه بنو اعمه والمايتي فقال له يوقنا ايها الملك
عولت على انك تكبس على جيش المسلمين قال لا والقديم الازلي وانما انا قاصد
لدينهم حتى نكون في جملتهم فمن نظر الى الدنيا بعين الفنا عمل للاخرة فما الذي
يمنعك ان توافقنا على ما نحن عليه قد عولنا فقال يوقنا ايها الملك لقد جذبك جاذب
الحق عن طريق الضلالة ثم حدثه بحديثه وانه عازم على ان نغدر بالروم فقال
له فليطانوس وكيف تقدر على ذلك وما ارى معك الا نفرا يسيرا من قومك فقال
ايها الملك ان في داخل المدينة هذه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام عشرين
الفا من عسكر الروم وقد رايت ان تقود انت وقومك ولا تستعجل وننفذ رجالا
منا الى الامير ابي عبيدة رضي الله عنه ونخبره بما نحن عليه معولين فاذا كان غدا
تقف انت وجيشك حول هرقل وادخل انا الى المدينة واهل المايتي من اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم ونحن ولهم سلاحا يقوم بهم ونحمل جيش العرب كله ونحمل
انت بعسكرك على موكب هرقل وتقصده انت بنفسك وتقبض عليه فتكون قد جاهدت
والنور انا وبني عمي والمايتي من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم داخل المدينة فنملكها
ان شاء الله وان اردت ان ترجع الى ملكك ويكون امرك مكتوم عن الروم فولي امر جيشك
لمن تثق من قومك فقال فليطانوس ما فعلت هذا او لي نية في مملكة الدنيا واذا
انقضى هذا الامر ونصرنا الاسلام واهله قصدت بيت المقدس فاقمت فيه حتى اموت
فمن ينهض الى العرب برسالتنا ويخبرهم بما عليه عزمنا فقال يوقنا اعلم ان لهم عندنا
جواسيسا من اهل حلب ممن هو تحت الذمة وانا ابعثهم بالقصة ويعلمون ابا عبيدة بالامر
قال فبينما هما في المحاورة تحت ستر الليل واذا بشبح قد وصل اليهما فلما قرب نظره يوقنا
واذا هو عمرو ابن امية الضمري ساعي رسول الله صلى الله عليه فسلم على من مع يوقنا وسلم
عليه يوقنا وقال ان الامير ابا عبيدة يقول لك جزاك الله عن دينك خيرا وانه راى رسول
صلى الله عليه وسلم وهو يحدثه بما كان من امر صاحب رومه وما تحدث به مع يوقنا وما عزم
عليه وبشره ان غدا تفتح انطاكية ان شاء الله وتنزل منها ملوك الروم قال الواقدي
اخبرني ابو جعفر احمد ابن عبيد محمد ابن عمر السلمي قال حدثني محمد ابن عبد الله ابن مسلم الزهري
عن عبد الله ابن يزيد الهذلي واسامة ابن زيد وعبد الله ابن الحارث وكل حدث بما سمع
من اخبار الشام وقد زاد بعضهم على بعض في الرواية واختار اخرون وكل قد قرب
رواية صاحبه قال الواقدي وحدثني جابر ابن عامر عن جده عياض ابن مزاحم
ان ابا عبيدة رضي الله عنه راى ليلة الفتح كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم
عليه ويقول يا ابا عبيدة ابشر برضوان الله ورحمته لك وغدا فتح المدينة صلحا

على

علي يديك وان صاحب الرومة الكبري قد جري من امره كذا وكذا وهم بالقرب من جيشك
فتنفذ اليهم بنجاز الامر قال فاستيقظ ابو عبيدة رضي الله عنه وقص رؤياه على خالد
رضي الله عنه ونفذهم وابن امية الضمري بجا ذكرنا فلما سمع فليطانوس ذلك اقشعر بدنه
وارتعدت فرايصه وقال اشهد ان هذا الدين القويم ثم عاد افطاقوا بجيش
الملك كانهم يحرسونه فبينما يوقنا قد انفصل باصحابه من فليطانوس وقد
قوي عزمهم علي ما ذكرنا من امر كبسهم علي الملك وجيشه واذا الحاجب الملك قد
التقياه والمشاعل بين يديه وقد خرج من انطاكيه وامامه ضرار ابن الازور
ورفاعه ابن زهير والمائتين وقد عول الملك على قتلهم تلك الليلة فلما راهم يوقنا
قال للحاجب ما عول الملك أن يصنع بهم قال قد عول على قتلهم وبطرح
روسهم الي المسلمين فلما سمع يوقنا ذلك اظلمت الدنيا في عينيه وقال ايها الحاجب
الكبير انت تعلم ان المصاف غدا واقع بيننا وبين العرب فاذا انتم قتلتم هولاي
وطرحتم بروسهم اليهم فلا يقعون باحد منا الا قتلوه فاتقي الله ولا تعجل وراجع
الملك في امرهم ودعهم عندي الي ان نري ما يوول من امرهم وامرنا قال فترك الحاجب
الاسري عند يوقنا ومضي الي الملك وتحدث معه في معناه فقال له دعهم في يد الدمستق
فرجع اليه برسالة الملك وقال له احتفظ بهم وانت القيم بحفظهم فاخذهم يوقنا
وسار بهم الي خيمته وصعب عليه اخراجهم من انطاكيه لانه كان قد عول ان يملك
بهم المدينة فلما حصلوا عنده حلهم من وثاقهم وسلم لهم لامة الحرب واخبرهم
بما عزم عليه فليطانوس من القبض علي الملك فقال ضرار رضي الله عنه والله لو ضيق
الرب غدا الجهاد نافي سبيله قال ولم يدعهم يوقنا في سرادقه بل فرقهم علي بني
عمه لكل رجل منهم رجلا قال ابو محمد حدثني سعيد ابن ابي مريم قال اخبرني يحيي
ابن ايوب قال حدثني ابن عبد الله ابن مسعود ان الذي امر باخراج اصحاب رسول الله
صلي الله عليه وسلم من سجن انطاكيه وقتلهم لم يكن هرقل وكان قد اخذهم يوقنا
والقاهم في سجنه وانما امر باخراجهم للقتل انا بلس ابن رسوس مملوك الملك وكان
الملك تلك الليلة قد راي في منامه شخصا نزل من السما فاقلبه عن سريره وكان
تاجه قد طار من راسه وكان شخصا يقول له قد قرب ما بعد من زوال ملكك
من سوريه وقد ذهبت دولة الشقاق وقد جاء الله بمذهب الوفاق وكان الشخص
نفخ في عسكره فاشعله نارا فاستيقظ مرعوبا وفسر ذلك بزوال ملكه وكان
قد عبا خزائنه وذخايره وجميع ما يعتمد عليه والقي الكل في المراكب قبل نزول
المسلمين اليه واكثر من الزاد والعده للبحر فلما راي تلك الليلة ما راي في نومه
بعث بابنته الي المراكب وجميع حرمه في السر من ارباب دولته ودعا باهل بيته
وامرهم بالخروج معه ثم دعا بمملوكه الخاص بالسبين وكان اشبه الخلق به

والبسه زيه ومنطقته وتوجه وقال كن غدا في موضعي فاني اريد اكيد العرب واكمن خلفهم
ثم خرج وركب مع اهل بيته بعد ان البس المملوك زيه ومنطقته وتوجه وسار الملك
جهة البحر فعندها امر بالسبي باخراج اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتقاهم
يوقنا وكان من امرهم ما ذكرناه قال الحدثني سليمان ابن عبد الواحد عن صفوان
ابن بشير عن عروة ابن مسعود قال وحدثني محمد ابن ابي عدي عن سعيد عن قتاده
عن ابي الصديق الباجي عن ابي سعيد قال ما خرج هرقل من انطاكيه الا وهو مسلم وذلك
انه كتب الى عمر رضي الله عنه في السر من قومه ان لي صداعا لا يسكن فنفذ اليه عمر رضي الله
عنه قلنسوه فكان اذا وضعها على راسه سكن ما به واذا رفعها عن راسه عاد الصداع
فتعجب من ذلك وامر بنقضها واذا فيها رقعة مكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم فقال
ما اكرم هذا الدين واعزه حيث شفاني الله تعالى باية واحدة منه قال ولما كان من
الغد ركب جيش المسلمين وتقدم خالد رضي الله عنه ومعه جيش الزحف وركب يوقنا
ومعه بنو اعمه المائتان واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم متنكرون
تحت السلاح في موكب مفرد ليس معهم سواهم وكان اول من حمل خالد رضي الله عنه بجيش
الزحف واتبعه سعيد ابن زيد ابن عمرو ابن نفيل العدوي رضي الله عنه وحمل من بعده
ميسره ابن مسروق العبسي رضي الله عنه باصحابه وحمل من بعده عبد الرحمن ابن ابي
بكر الصديق رضي الله عنهما وحمل من بعده ذو الكلاع الحميري وحمل الفضل ابن العباس
ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنه وحمل مالك الاشتر النخعي رضي الله عنه
وحمل عمرو ابن معدي كرب رضي الله عنه وحمل ابو عبيدة رضي الله عنه ببقية الجيش والتقى
الناس بعضهم على بعض فلما اشتبكت الحرب حمل يوقنا وبنو عمه وحمل ضرار ابن
الازور باصحابه رضي الله عنهم فلله دره لقد اعطى السيف حقه واخذ ثاره من
الروم فكلما قتل قتيلا صاح واثاراه ضرار وكان قصده لعسكر المتنصره واصحاب
المسلمون لا يفارقونه ورفاعه ابن زهير الجرهمي يعظهم ويشجعهم ويقول
احملوا واياكم ان تفشلوا واعلموا ان الجنة قد زخرفت قصورها وزينت صورها
واشرفت حورها ومرح ولدانها وتجلى دبابها ثم صاح يا فتيان العرب ايكم يرغب
في ازواج الحور ويجعل بذل نفسه المهور من يريد عروسا في الجنان منتخب
ان يقوم على راسه الولدان من يرغب فيما قال الديان متكئين على رفرف خضر
وعبقري حسان ايكم يوافق همته من شهد بدرا او حنين فبينما ضرار في الاعدا
يديق لهم شراب الردا اذ التقا بفارس يتخطى الكتائب وهو يزعق واثاراه
ضرار ابن الازور فتامل الفارس فاذا بها اخته خوله فقال لله درك يا ابنة الازور
انا والله اخوك فاقبلت تسلم عليه وتترامى عليه فقال لها البكي عني فان قتالي
للكفار افضل من كلامك يا ابنة ام اجعلي عنانك مع عناني وسنانك مع سناني

بجاهدي

رجل هدي في سبيل الله فان مات احدنا النقي به الاخر في المحشر عند سيد البشر قال
فبينما هو يخاطبها واذا بجيوش الروم قد تقهقرت وكنا بيها قد انهزمت
وكان الاصل في ذلك فليطانوس لانه لما راى الحرب قد اضرمت نارها وعاي
فتام دخانها حمل باصحابه وقبض علي بالسين وهو يظن انه الملك وصاح
الصايح قد قبض علي الملك فليطس وغدره صاحبه فولت الروم الادبار
وقتلت المسلمون فيهم مقتله عظيمه لم يقتل مثلها الا باجنادين واليرموك
وقتل من المتنصره زها على اثنى عشر الفا وطلب جبلة ابن الايهم وابنه الهام
فلم ير لهما خبر قال الرواه وانهما انهزما وكبرا قومهما الي جانب البحر
وركبوا في مراكب الملك فليطس وجملة من هرب من المتنصره مع جبلة بن الايهم
خمسمائة رجل من ساداتهم من جملتهم عرفطه ابن عكمه وعروة ابن وانف
ومرهف ابن وافد وحجام ابن سالم ومثل هولا ومن نسلهم الافرنج واخذت السرادقات
والخيام والثياب واسر ثلاثون الفا وقتل سبعون الفا وولت الروم والمتنصره فمنهم
من اخذ نحو درب انطاكيه ومنهم من طلب قيساريه الي قسطنطين ابن الملك هرقل
فلما وضعت الحرب اوزارها وخمدت نارها وجمعت الاموال والاحوال والاساري بين يدي
ابي عبيدة رضي الله عنه فلما نظر الي ذلك سجد لله شكرا وبشر المسلمون بعضهم بعضا
وجا ضرار رضي الله عنه واصحابه ويوقنا وبنو عمه فسلم المسلمون عليهم وفرحوا
بخلاصهم من ايدي اعدايهم وجا فليطانوس واصحابه فقام المسلمون للقايهم
فتقدلهم السلام عليهم وسلم عليهم كبار اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا سمعنا
نبينا صلى الله عليه وسلم يقول اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وسلموا عليهم ونظر
فليطانوس الى تواضعهم وحسن سيرتهم فقال والله ان هاؤلاء القوم والله الذي
بشر بهم ثم اسلموا ونظر ابو عبيده رضي الله عنه الى حصن انطاكيه ومن فيها من
الامم فقال اللهم اجعل لنا اليها سبيلا وافتح لنا فتحا مبينا قال محمد ابن عمر الواقدي
رحمه الله وكان على انطاكيه من قبل الملك وال اسمه صليبا ابن قبطس وكان جاهلا
في قومه فعزم على القتال من باطن السور فاجتمع الكبراء بالبلد الي البترك وقالوا
اخرج الي هولاء العرب وصالح بيننا وبينهم على ما قدرت فخرج البطريق الي ابي
عبيدة رضي الله عنه وتحدث معه في الصلح فاجابه الي ذلك على ثلثمائة الف
دينار فلما انقرر الصلح قال ابو عبيدة رضي الله عنه يا هذا احلف لنا يمينا لا تغدروا
بنا فان امدكم ينكم ما نعه كثيره الجبال والوعر ثم قال قل والله والذي
البعض مرة والا قطعت زناري وكسرت صليبي ولعنت الشماس والرهبون
وخلعت من دين النصرانيه وتحملت في ما المعموديه وجسنها بسول
مولود وقتلت كل الشهود والاحرقت شداد مريم وغصبت بها راهبي

والاذبحت القسوس وصبغت بدمهم ثوب عروس والاجعلت في المذبح زعفران
وكذبت مافي الانجيل من البيان والاجعلت المسيح ميتا لايقوم والاجعلت
مريم زانيه به والاتركت علي المذبح حيضته يهوديه والاطفيت قناديل كنيسة
جرجس والاتزوجت يهوديه طمثه حتي والاغسلت اثوابي صبيحة يوم
الجمعة والاهدمت الكنايس والبيع واحييت الاعياد والجمع والاعبدت اللاهوت
وجحدت الناسوت والااكلت لحم الجمل في عيد الشعانين والاصمت رمضان عاطشا
واكلت اللحم ناهشا والاصليت في ثياب اليهود وقلت ان عيسي ذابح الجلود
لاغدرنا بمن معك قال وكان دخول ابو عبيدة رضي الله عنه انطاكية لخمسة ايام
خلون من شعبان من سنة سبع عشرة من الهجرة فدخلها وبين يديه اللوي
الذي عقدها له ابو بكر الصديق رضي الله عنهما وعن يمينه خالد ابن الوليد رضي الله عنه
وعن يساره ميسرة ابن مسروق العبسي ودخل اليها والقاري يقرا بين يديه
سورة الفتح ولم يزل يسير حتي وصل الي باب الجنان فنزل هنالك وبنا في مكانه مسجد
وبه يعرف الي وقتنا هذا واخذوا اليها صلبتا فقتله قال ميسرة ابن مسروق
ابن عمر الخزاعي فنظرنا الي بلد طيب كثير الما والخيرات فما احد من المسلمين الا
استطابه وقدنا الوا اقمنا ثلثة ايام ثم كتب الي عمر ابن الخطاب كتاب رضي الله عنهما
الفتح بسم الله الرحمن الرحيم من ابي عبيدة عامر ابن الجراح سلام عليك فاني احمد
الله الذي لا اله الا هو واصلي علي نبيه صلي الله عليه وسلم اما بعد فلله الشكر علي
ما رزقنا من الفتح والغنيمة والنصر اعلمك يا امير المومنين ان الله عز وجل فتح علي المسلمين
كرسي النصرانيه ومدينة الطاغية العظما وقتلت واليها وكسرت عساكرهم ونصرنا
الله عليهم وهرب هرقل في البحر واني لم اقم بها لطيبها واني خشيت علي المسلمين
ان يوافقهم حسن هواها وان يغلب حب الدنيا علي قلوبهم فيقطعهم ذلك عن طاعة
ربهم واني معول علي المسير الي حلب وانا منتظر امرك فان امرتني ان اسير الي داخل
الدروب فعلت وان امرتني بالقيام اقمت واعلم يا امير المومنين ان العرب الطغاه
قد نظروا الي اولاد الروم فدعتهم انفسهم الي التزويج فمنعتهم من ذلك واني
اخشي عليهم الفتنة الا من عصمه الله وشرح صدره فعجل بامرك والسلام عليك
وعلي جميع المسلمين ثم طوي الكتاب وختمه وقال معاشر المسلمين من يسرع بهذا
الكتاب الي امير المومنين عمر ابن الخطاب فاسرع بالاجابه زيد ابن وهب مولي لعمر ابن
ابن سعيد مولي عمرو ابن عوف وقال ايها الامين انا اوصله ان شا الله فقال ابو
عبيدة رضي الله عنه باي يد انك لست مالك امرك وانما انت مملوك فان اردت
المسير فمر مولاك عمير حتي ياذن لك قال فاسرع زيد الي مولاه عمير وانكب علي
راسه فقبله فمنعه عمير ان يفعل ذلك وذلك ان عمير كان رجلا زاهدا اما يملك

من

من الدنيا الا سيفا ورمحا وفرسا وبعيرا ومزاده وقصعه ومصحفا وكان الذي
يصيبه من المغنم لا يدخر منه شيا ولا ياخذ منه الا ما يتقوتون به وكان يفرقه
على اهله وقرابته ويبعث بالباقي الى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ويقول فرقه
على فقرا المهاجرين والانصار فلما اقبل زيد ابن وهب ليقبل راسه منعه من
ذلك وقال له ما الذي تريد قال يا مولاي ائذن لي اذ اكون رسول المسلمين بالبشارة
الى عمر رضي الله عنه فقال عمير ابن سعيد اتريد ان تكون بشير المسلمين وامنعك من
ذلك اني اذا اللئيم اذهب حيث شيت فانت حر لوجه الله العظيم وارجو بعتقك ان
يحرمني ربي على النار ففرح زيد ابن وهب مولى عمير ابن سعيد واخذ الكتاب من ابي عبيده
رضي الله عنه بعد ان حدثه بامر سيده ثم استوى على ظهر نجيب دفعه له ابو عبيده
رضي الله عنه من نجب اليمن وكان سابقا وجعل زيد يسير ويطلب اقرب الطريق
قال زيد ابن وهب فقدمت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد من ذي القعدة
خمسة ايام قال زيد فاتيت المدينة واذا في المدينة ضجة وضوضاء وهم يهرعون
الى باب البقيع فقلت لهم امر وخبر لعلي لا انظر شانهم وانا اقدر انهم يريدون حربا
او قتالا فاقبلت على رجل من المسلمين لاساله فرد علي السلام ونظر الي فعرفني وقال
زيد ابن وهب قلت نعم قال الله اكبر ما وراك يا زيد من الاخبار قال زيد البشارة
والغنيمة فما فعل امير المومنين عمر ابن الخطاب قال ان امير المومنين خارجا من
المدينة عول ان يحج الى بيت الله الحرام وقد اخرج ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يحج بهن
والناس له يشيعون قال زيد ابن وهب فنزلت على النجيب وعقلته بفاضل
زمامه واسرعت مهرولا حتى وقفت بين يدي عمر ابن الخطاب وهو يمشي راجلا
ومن ورايه مولاه اوفا يسوق بعيره وقد رحله بعباه قطوانيه وزاده وحقيبته
عليه والهوادج بين يديه سايره عن يمينه علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وعن شماله
العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه ومن ورايه جماعة من المهاجرين والانصار وهو
يوصيهم بالمدينه قال زيد ابن وهب فلما وقفت بين يديه ناديت السلام عليك يا امير المومنين
ورحمة الله وبركاته قال وعليك السلام اين اقبلت ومن انت فقلت يا امير المومنين انا زيد ابن
وهب مولى عمير ابن سعيد اتيت بشيرا قال عمر رضي الله عنه بشرك الله بالخير ما بشارتك
قلت هذا الكتاب من عاملك ابي عبيده رضي الله عنه يخبرك ان الله تعالى قد فتح انطاكيه
قال زيد ابن وهب فلما سمع بذكر انطاكيه وفتحها خر لله ساجدا يمرغ وجهه في التراب
وشيبته بالتراب وهو يقول اللهم لك الحمد والشكر على نعمك المتتابعه ثم قال هلم
الكتاب يرحمك الله قال فسلمت اليه الكتاب فلما ما فيه بكا فقال له علي رضي الله عنه يا امير
المومنين مم بكاوك قال له مما صنع ابو عبيده بالمسلمين وان النفس لامارة بالسو ثم دفع
الكتاب الى علي رضي الله عنهما فقراه الى اخره قال زيد ابن وهب ثم رايت عمر رضي الله عنه بعد

ان هذا من بركاته قد زاد فرحة ثم اقبل علي وقال يا زيد ارعدت وامعنت في تبينها واعنابها
فاحمد الله تعالى كثيرا فقلت يا امير المومنين ليسرهذا زمانه قال فجلس عمر رضي الله عنه
علي التراب فدعا بدواة وبيضا وكتب الي ابي عبيدة رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد
الله عمر الي عامله بالشام ابي عبيدة سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي
علي نبيه صلى الله عليه وسلم واشكره علي ما وهب من النصر للمسلمين وجعل العاقبة للمتقين
ولم يزل معينا واما قولك انك لم تقم بانطاكية لطيبها فان الله عز وجل لم يحرم الطيبات
علي المتقين الذين يعملون الصالحات فقال في كتابه يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا
واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وكان يجب عليك ان تريح المسلمين من تعبهم وتدعهم يرغدون
في مطعمهم ويريحون الابدان النصبة في قتال من كفر بالله واما قولك انك تنتظر امري الذي امرتك
به ان تدخل خلف العدو او تقتحم الدروب فانك الشاهد وانا الغايب وقد يرى الشاهد
ما لا يرى الغايب وانت بحضرة عدوك وعيونك ياتونك بالاخبار فان رايت ان دخولك
الى الدروب صوابا فابعث اليهم بالسرايا وادخل معهم بلادهم وضيق عليهم المسالك
وان طلبوا منك الصلح فصالحهم واوف لهم بما تقدم واما قولك ان العرب ابصرت
نساء الروم فرغبت في التزويج فمن احب ذلك فدعه ان لم يكن له بالحجاز اهل ومن
اراد ان يشتري الاما فدعه فذلك اصون لفروجهم والسلام عليك وعلى جميع من معك
من المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودفعه الي زيد ابن وهب وقال انطلق يرحمك الله واشرك عمر في ثوابك فاخذ زيد الكتاب
من يد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وهم ان يسير فاقبل اليه عمر رضي الله عنه وقال
على رسلك حتى يزود لعمر من قوته ثم ان عمر رضي الله عنه اناخ بعيره واخرج له
من تمره صاعا وقال خذه واعذر عمر فهذا ما املكه ثم قبل راس زيد ابن وهب فبكا
زيد وقال يا امير المومنين بلغ من قدري ان تقبل راسي وانت امير المومنين وصاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ختم بك الاربعين فبكا عمر رضي الله عنه وقال ارجوا
ان يغفر لعمر بشهادتك قال زيد ابن وهب فاستويت علي ظهر ناقتي وهممت بالمسير
فسمعته يقول اللهم احمله عليها واطو له البعيد وسهل له القريب انك على كل شي قدير
قال زيد ابن وهب ففرحت بدعوة عمر رضي الله عنه لان الله لا يرد دعوته اذا كان له
طايعا ولنبيه طايعا وجعلت اسير والارض تطوي تحت اخفاف مطيتي وكنت في
اليوم الثالث عند ابي عبيدة رضي الله عنه وكان قد رحل عن انطاكية ونزل علي حارم
قال زيد ابن وهب فلما اتيت عسكر المسلمين من اليمين وسالت ما هذه الضجة فقيل
له فرحا بما فتح الله على المسلمين وهذا خالد ابن الوليد سار الى شاطي الفراه وقد غار
بخيله ورجاله على منبج وبزاعه وبالس واخذ اموالها وغنايمها وقد صالحوهم
على ان يردا اموالهم وغنايمهم و[illegible]الهم وقد رد عليهم ذلك وقد فتحها صلحا

وكان

وكان فتح منبج وبزاعه وبالس وقلعة نجم وهو جسر منبج

في العشر الاوسط من المحرم سنة ثمان عشره من الهجرة وصالح اهلها بعد رد
اموالهم على مائة الف وخمسين الفا ونزل صاحبها مرقياس يسير باموالهم
واثقاله وغيره وخيوله الى بلد الروم وولي على منبج عباد ابن رافع التميمي
وعلى الجسر نجم ابن مفرج الفهري وباسمه سمي وولي على بزاعه اوس ابن جابر
الربعي وعلى بالس ثاذر ابن عون الحميري وبناله قلعة وسماها باسمه ودعا خالد
رضي الله عنه بالاموال يوم قدوم زيد ابن وهب قال فاتيت قبة ابي عبيدة رضي الله عنه
فاذا هو جالس والى جنبه خالد ابن الوليد رضي الله عنهم وقد قدم مال الصلح فانخت
الناقة وتقدمت الى ابي عبيده وسلمت عليه وعلى خالد وسلمت الى ابو عبيدة كتاب امير
المومنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه واخبره بمقالته ففض الكتاب فقراه ثم اعاد
قراته على المسلمين قال ابو عبيدة رضي الله عنه معاشر المسلمين ان امير المؤمنين قد
ترك امر دخول هذه الدروب الي وقال انت الشاهد وانا الغايب وانا لا اعمل
شيا الا عن رايكم فما تشيرون رحمكم الله فسكت المسلمون ولم يخبروا جوابا فاعاد
ابو عبيدة رضي الله عنه الكلام وقال معاشر المسلمين ان هذا الشام قد ملككم الله اياه واخرج
عدوكم منه بالذلة والهوان واورثكم ارضهم وديارهم كما ضمن لنا نبينا صلى الله عليه وسلم
فما تشيرون به ان تدخلون في هذه الدروب الى عدوكم فسكت الناس ولم يجيبوا جوابا
فاعاد ابو عبيدة رضي الله عنه الكلام ثالثه وقال ما هذا السكوت افشل لحقكم بعد
الشجاعة ام كسل بعد النشاط ام قد اكتفيتم من الحسنات ولم يبق عليكم سيات
وان الحسنات لكثير لكم ويبسر عليكم خطيته فالرغبة الى الله عز وجل ان يعينكم على
الجهاد فهو خير لكم من الدنيا وما فيها فكان اول من تكلم ميسره ابن مسروق العبسي
رضي الله عنه وقال ايها الامير لم يسكتنا الجوع لحقنا ولا الفزع ارهقنا وانما بعضنا
واعلم ايها الامير انه ما لنا تجارة ولا عمل الا الجهاد لاعداء الله وطلب ما عند الله ونحن بين
يديك فما امرتنا به فمنك الامر ومنا الطاعة لله ورسوله واما انا فما املك الا نفسي
فوجهني حيث شيت تجدني طايعا مسارعا فقال ابو عبيدة رضي الله عنه معاشر المسلمين
من له راي وعنده مشوره فيلقيها ويظهر ما عنده فقال خالد لابي عبيدة رضي الله
عنهما ايها الشيخ والله ان اقامتنا عن طلب القوم وهن وعجز علينا وطمع في دينشا
وطلبهم هي الغنيمة والنصر والذي اشير عليك ايها الامير ان تبعث الجيوش الى كل درب
من هذه الدروب فذلك توهن قلب عدوك وتقر به اعين الناس فجزاه ابو عبيدة رضي
الله عنهما خيرا وقال يا ابا سليمان اني قد رايت ان اعقد لميسره عقدا واسير معه رجال
من اليمن لانه اول من سارع في هذا الامر واشار به فيقتحم بهم الدروب ويعبر على ما قرب
من بلاد العدو او يرجع الينا ان شاء الله فيخبرنا بخبر البلاد فنعمل على حسب ذلك قال

خالد رضي الله عنه اصبت الراي رحمك الله فاخذ ابو عبيدة رضي الله عنه قناة تامه وعقد علي
راسها راية علي مثال سوادا مكتوب عليها ببياض لا اله الا الله محمد رسول الله وهز
الرايه في كفه وسلمها الي ميسره ابن مسروق رضي الله عنه وقال يا ميسره انت كنت اول
متبرع علي المسلمين بالمسير الي بلد الروم واقتحام الدروب اليهم فخذ هذه الرايه وكن انت
المتولي لذلك وافتح فتحا يكون لك في الدنيا والاخرة ذخرا فانتخب ابو عبيدة رضي الله
عنه من قبايل اليمن وفتيان العرب ثلاثة الف رجل من الشجعان والف من العبيد فاما
الفتيان من اليمن كنده وكهلان ومذحج ونبهان وسنبس والازد ومذحج وذبيان
واحمس وخولان وعك وهمدان ولخم وجذام فيهم الروسا والنجبا قد لبسوا اكمل
سلاحهم واشتهروا بزيهم المعروف في القبايل عليهم الابراد الادهمية والعمايم العدنية
واوساطهم فيها حزم الادم واما العبيد فقد لبسوا الصبايغ الحمر وعلي روسهم
العمايم الصفر متوشحين بالسيوف وبايديهم الحراب اللامعه وكل عبد منهم يقول
انه يحمل علي كتيبه فجعل ابو عبيدة رضي الله عنه دامسا ابو الهول علي العبيد اميرا
وجعل ابو الهول تحت راية ميسره ابن مسروق رضي الله عنه وقال لا تخالفه فيما اشار
به عليك فانه مبارك المشوره ميمون العزه رشيد الامر قال دامس حبا وكرامه
وسمعا وطاعه واعتزل ابو الهول ومعه العبيد واجابت العرب مقالة ابي عبيدة رضي
الله عنه الا رجالا من طي فانهم كرهوا المسير تحت راية ميسره ابن مسروق رضي الله عنهما
اجمعين فقال بعضهم لبعض كيف عقد ابو عبيدة راية لرجل من عبس وتركنا سادات
طي وملوك اليمن **قال الواقدي** رحمه الله وبلغ الخبر لابي عبيدة رضي الله عنه فدعاهم
وقال يا آل طي انكم مشكورون عند المسلمين وقتالكم ما هو عن المسلمين فلا يداخلكم الكبر
فتهلكون واعلموا انه لا نصر بكثرة عدد ولا بشدة وجلد وانما نغلب بنصر الله وذلك
قوله عز وجل ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان اكرمنا عند الله اتقانا والله ان ميسره
اقدم منكم سبقا الي الاسلام وهجرة الي دار السلام وصحبة لرسول الله صلي الله عليه
فسكت طي عند ذلك واسرعوا حتي وقفوا تحت راية ميسرة ابن مسروق رضي الله
عنهم اجمعين فلما تكاملوا للمسير اقبل ميسرة علي ابي عبيدة رضي الله عنهما وقال ايها
الامير اني جاهل بالطريق وبهذه الديار غير خبير وما اعرف والله اين ادخل ولا اين اتوجه
والارض قاتلة لمن جهلها وان امير المومنين عمر ابن الخطاب امرك في كتابه ان تبعث
معنا الادلا ولا بد لنا من دليل يدل بنا ويرشدنا الي طريق نسلكه قال ابو عبيدة رضي الله
عنه لقد ذكرتني كنت ناسيا ولا بد لكم من الادلا ثم اعرض عليه ابو عبيدة رضي الله عنه
المعاهدين من كل مكان ممن كان في الذمة وعرف خيره وشره فاختار منهم اربعة فضمن
لهم الجعل وطرح عنهم الجزية واستشارهم في اي درب نكون دخول المسلمين في طلب
العدو فكل اشار عليه بالدرب الاعظم من بلد قورص وقالوا ايها الامير هذا الدرب ليس

[illegible]

كمثل البلاد التي فتحتموها وهو بلد شديد البرد كثير الهير عظيم الحجر وهي في مضايق
وشعاب وكهوف واوديه فقالوا اهل اليمن سر انت امامنا فانك ترا منا عجبا فعند ذلك
هز ميسرة ابن مسروق الراية بيده موسى ربها اوايل قومه بعدان سلم على ابي عبيده وعلى
المسلمين رضي الله عنهم اجمعين وهم يضجون بالتكبير والقران قال عطا ابن جعده الغساني
وسرنا نجد السير والدليل امامنا حتى اتى بقعة جند راس ثم سرنا حتى عبرنا
نهر الشاحور واقلنا الى فورص فنزلنا بها وبتنا فلما اصبح سرنا الى الدروب ولم
نزل نسير في طرف وحشة وعرة واشجار مشتبكه ومياة جارية ومضايق تحبس
للفارس فيها الجاد فقلت في نفسي ان طال علينا مدا هذه الاودية خشيت على
المسلمين ان يظفر بهم عدوهم وسارت الادلا امام المسلمين وتعلقوا بهم في
جبال شاهقة الطول صعب على خيل المسلمين الصعود اليها قال فلم يبقى احد
من الناس الا ترجل عن فرسه وقاده من ورائه قال عبد الله ابن ميسره ابن عبيد كنت
مع ميسرة ابن مسروق في سريته وقد اخترق بنا الدروب فنظرت الى جبال شاهقه وشجر
متكاثف ودوح متشبك قال عبد الرحمن وكان لي خفين من ادم اليمن فلما نزلت عن الجواد
لبستهما وسرت فوالله ما كان الا قليلا حتى طار نعليه وبقيت رجلي يتشخب دما من
صعوبة الطريق وشدته ولم تزل الادلا بنا ونحن في اثرهم ثلاثة ايام وما من يوم
نشرف فيه الا والدليل يقول للمسلمين كونوا على حذر من عدوكم فانه ان اخذ عليكم
المجاز والطريق هلكتم فلما كان في اليوم الرابع خرجنا الى زهوه واسعه وكان خروجنا
الى بلد الروم في اول الصيف وما احد من المسلمين الا وقد نزع فروته عن جسده قال
فلما خرجنا الى تلك الارض رجع كل رجل من المسلمين يلبس ما كان يلبسه في الشتا وانه
يطلب الدفا ونحن ننظر الى الثلج يلوح عن ايماننا وشمائلنا قال وكان دامس ابو الهول
قد دخل معنا وليس عليه لامة حرب ولم ياخذ معه الا خفنا نا وبردتين احمتين فلما دخل
ارض الزهوه سفقه البرد الشديد فاصابه البرد ولم يكن معه ما يكفيه للدفا فقال
قبح الله هولاء العلوج اذهب الفرق بلدهم في الصيف فكيف يكون في الشتا اما تقتلهم
الله بهذا الثلج والبرد الشديد ثم جعل ينتفض ويرعد فنظر اليه رجل من المسلمين فقال يا ابو
الهول ما لك تقفقف فقال ما اجد في الفرق فقال ما لك لا تدفا فقال ليس معي غير ما على
وما يجزي ذلك فاخبر ميسره ابن مسروق بذلك فدفع اليه فروة كانت على جسده
فلما لبسها ابو الهول ودفا جسده قال يا مالك يا ميسرة كساك الله من قطف الجنة قال تحلت
علي بالحلل وهي احسن من القطف

ذكر وقعة مرج القبايل

قال ابو عبيدة ان الواقدي رحمه الله وسار بهم الدليل والمسلمون في اثره ولم يزل الناس يسيرون
في بلد الروم الى ان وصلوا الى ارض طيبة كثيرة المياه قليلة الشجر فامر ميسره الجيش
بالنزول وذلك انا لم نرا احد من الروم في طريقنا فنزل الناس هنالك حتى تكمل الجيش

فلما تكامل الجيش والراية بيده ونحن لا نرجوا ان احدا من الروم اخذ حذره منا
قال سعيد ابن عامر فوالله ما رءينا احدا منهم فلما كان اليوم الخامس ونحن سايرون
اذ لاح للمسلمين سواد في لحف الجبل فاسرعت خيل المسلمين نحو السواد فلما قربوا
منه واذا هي قرية من قرايا الروم في لحف جبل فلما وصلوا اليها واذا هي فارغة من
الناس ليس فيها من اهلها احد الا انهم سمعوا اصوات ونغا الغنم وليس فيها دافع
ولا مانع قال سعيد ابن عامر فلما نظر ذلك علمنا انهم قد هربوا فصاح ميسره
بنا وقال احذروا على انفسكم فاني اظن ان القوم قد علموا بنا فولوا هاربين قال
وابتدرت المسلمون الى القرية واخذوا ما كان فيها من طعام واثاث وغير ذلك
قال سعيد ابن عامر ونظرت الى الهول وهو يحمل على عاتقه ثلاثة اكسية
وقطيفتين فقلت له يا ابا الهول ما هذا امقتك قال يا سعيد لبرد هذه البلدة
فما انساه ابدا واخذ المسلمون ما كان في القرية من طعام وغيره ثم سار ميسره
والمسلمون معه حتى اشرف بنا الدليل على مرج يقال له مرج القبايل وكان مرجا
هايلا كثير الطول فلما اشرفنا على المرج انبثت خيل المسلمين فيه يمينا وشمالا فنزل ميسرة
رضي الله عنه هنالك وهو امر نفسه في الرجوع الى ابي عبيدة رضي الله عنه وذلك ان ابا عبيدة رضي الله عنه
امره انه لا يبطي عنه ولا يتوغل في البلد وان يكون حذرا فهو كذلك والخيل منبثة والناس امنون
متعدوا بدهم اذ اقبل رجل من المسلمين ومعه علج يسوقه من ورايه دابة حتى مثل بين يدي
ميسره رضي الله عنه فقال ميسره ابن مسروق العبسي رضي الله عنه ما شان هذا العلج ومن
اين اخذته فقال ايها الامير اني سبقت اصحابي في المسير فنظرت الى شخص يلوح مره ويختفي مره
فاسرعت اليه فاخذته فدعا ميسره ابن مسروق رضي الله عنه رجلا من المعاهدين
ممن صحبه فلما وقف بين يديه قال له سل هذا العلج ايش عنده من اخبار الروم قال
فاقبل المعاهدي يسال الرومي واطال معه الكلام والناس سكوت فلما اطال المعاهدي
الكلام مع الرومي قال له ميسره ابن مسروق رضي الله عنه يا ويلك ما الذي يقول هذا
العلج قال ايها الامير يقول لك ان الملك لما ركب في البحر وقصد انطاكية وبلغه الخبر ان انطاكية
قد فتحت صلحا وقتل البطاصليبا فعظم عليه ذلك وبكا وقال السلام عليك
يا ارض سورية الى يوم القيمة ثم جمع بطارقته واصحابه وقال اني اخاف من العرب
ان ترحل في طلبنا ثم جهز ثلاثين الف مع ثلاثة من البطارقة يحفظون له
الدروب فقال ميسره ابن مسروق رضي الله عنه كم بيننا وبينهم فقال يذكر هذا
الرومي ان بينكم وبينهم فرسخين قال فلما سمع ميسره ابن مسروق رضي الله عنه
ذلك اطرق الى الارض لا يجيب جوابا ولا يبدي خطابا فقال له رجل من الناس
يقال له عبد الله ابن حذافة رضي الله عنه وكان من ابطال المسلمين وشجعانهم له
عمود من حديد يقاتل به في الحرب لا يقله سواه وكان ذميم الخلقة فقال لميسره

ابن مسروق رضي الله عنهما اني اراك مطرقا الي الارض كالمراق الحصان لصلصلة
اللجام والرجل منا يقاتل الفا من الروم فقال والله يا عبد الله ما اطرقت خوفا ولا جزعا
ولكني اخاف علي المسلمين ان يصابوا تحت رايتي وهي اول راية دخلت الدروب فلومني
عمر ابن الخطاب وكل راع مسئول عن رعيته فقال المسلمون والله ما نبالي بالموت ولا نفكر
في الفوت لانا قد بعنا انفسنا ومن يعلم انه منتقل من دار الفنا الي دار البقا فلا يبالي
بما وصل اليه من الكفار ثم قال ايها الناس اترون انا نلقاهم في موضعنا هذا او نسير
اليهم فقالوا اسل هذا العلج ان كان موضعنا افسح من موضع القوم تبتنا فسال
المعاهدي للرومي فقال ليس بعد مرج عموريه اوسع من هذا المرج فان عولتم علي
لعيش فاثبتوا وان تعديتم الي ورائكم كان خيرا لكم من قبل ان يشرف عليكم العدوا
فلعرض عليه ميسره ابن مسروق رضي الله عنه الاسلام فابا فامر بضرب عنقه فبينما الناس
كذلك اذا اشرفت عليهم صلبان الروم وراياتهم فنزلوا بالقرب من المسلمين فكانوا
كالجراد المنتشر وضربوا نيرانهم بالليل فلما كان من الغد صلي ميسره ابن مسروق رضي الله
عنه بالناس صلاة الصبح فلما انفتل قام فيهم خطيبا وقال ايها الناس هذا يوم له ما بعده
لان رايتكم هذه اول راية دخلت الدروب واعلموا ان جيش اخوانكم منتظر لفعلكم
واعلموا ان الدنيا دار ممر والاخره دار مستقر واسمعوا ما قال نبينا صلي الله عليه وسلم
الجنة تحت ظلال السيوف فلا تنظرون الي قلتكم وكثرة اعدائكم قال الله عز وجل كم
من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فقال المسلمون يا
ميسرة اركب بنا الي لقائهم فانا نرجوا النصر عليهم قال فاستبشر بقولهم وركب بوقته
وركب الجيش بركوبه وانفصلت العبيد من العرب ووقفت تحت راية ابو الهول
دامس وانحازت العرب تحت راية ميسرة ابن مسروق رضي الله عنه وقد اخذوا
علي انفسهم لقتال عدوهم واستنصروا بالله عز وجل فقال ميسرة رضي الله عنه
فيل حملته ايها الناس اني اوصيكم بتقوي الله وحده لا شريك له وكونوا كقوم
اشرف عليهم الموت فلم يجدوا منه مهربا ولاحت لهم الجنة بحذافيرها
وابصروا ما اعد الله لهم فيها واحبوا السرعة للدخول اليها وهذه الجنة امامكم
وانتم اليوم جيش الاسلام ثم عباهم ميمنة وميسره وقلبا فجعل علي الميمنة
عبد الله ابن حذافة رضي الله عنه وجعل علي الميسرة سفيان ابن زيد الحنفي
وقدم العبيد وهم الف بالصبايغ الحمر وبايديهم الحراب والسيوف واوقفهم
امام القلب والراية بيد ابو الهول فلم يسمع منه كلمة بل صمت فلم ينطق
قال وركب جيش الروم ومدوا صفوفهم ثلاثة صفوف في كل صف عشرة الف
الصلبان وعليهم الحديد القسطنطيني وهم في عدة حسنة فلما استوت
خرج رجل من القوم يفهم بالكلام العربيه وكان من متنصرة العرب من غسان

فقرب من عسكر المسلمين وقال ان الباغي ابا يزدربه بغيه اما كفاكم ما ملكتموه
من الشام العظيم حتى اقتحمتم الدروب وهذه الجبال الينا اغاسا فكم الاجال وهذه
ثلاثون الفا عنانا نحن قد حلف بالصليب انه لا ينهزم ابدا او يقع مينا فان
اردتم ان نبقي عليكم فاستسلموا للاسر فنحملكم الى الملك هرقل فيحكم فيكم بما
يريد فخرج نحوه ابو الهول والراية بيده فهزها وقال اصدقت في قولك الباغي له مصرع
واما قولك ان نلقي بايدينا اليكم تتقوا علينا فانت اذا الباغي بقولك اذ نطقت بغير تجربة
لنا وانا عبد من بعض عبيد العرب لا قدر لي عند ذوي الرتب واقرب منهم حتى اجندلك
صريعا تخور في دمك ثم ان دامس قدم سنانه والراية بيده فطعنه بها طعنة
ارداه عن جواده قتيلا ثم ان دامس اهز الراية وقال الله اكبر فتح الله ونصر واخذل
من كفر ثم جال بقنانه ولوح برايته فلما نظرت الروم الى ابي الهول وقد قتل صاحبهم
وفارسهم غضبوا لذلك فخرج اليه اخر من علوج الروم فما تركه يقرب حتى اخذه
بالسنان فهال الروم امره ونظروا اليه وقالوا هذا عبد من عبيد القوم قد فعل
ما ترون فلم يجسر احد يبارزه فعندها حمل ابو الهول بالراية راجلا فقتل واحدا
من القلب ورجع قال فنخت الروم بعضها بعضا وعزموا بالحملة على المسلمين
والمسلمون ايضا قد عجبوا من فعل دامس فبينما هو يجول بين الصفين ويدعوا
البراز ويخوف ويرعب اذ حمل عليه صليب من الروم تحته عشرة الاف فارس قد جهوه
بالخيول ونظر المسلمون الى المشركين وقد حملوا على دامس فصاح ميسرة بالمسلمين
وقال الحملة الحملة فحملوا على المشركين والتقا القوم قال ميسرة فلله در العبيد
لقد صدقوا وصبروا واصبروا احسنا واستنقذوا ابو الهول دامس من عين الهلكة واخذوه
المجز بهم وهم يقولون ∴ نحن عبيد لعباد الله ∴ وصرنا مثل الحريق في الله ∴∴∴
∴ نقتل جمعا يكفرون بالله ∴ خوفا من الله وحبا به ∴∴∴

قال الواقدي ولم يزل الحرب بينهم يومهم اجمع لا نفترق بعضهم عن بعض
حتى قامت الشمس في قبة الفلك وحمي الحرب واشتد الكرب ومع ذلك المسلمون يوقنون
بالنصر والكفار موقنون بالخذلان وافترق الجمعان عن تعب شديد وقتل من الكفار
خلق كثير واسر من المسلمين عشره منهم عامر ابن ظفر وراشد بن زهير ومالك
ابن حاتم وسالم بن مفرج ودارم بن صابر وعون بن مازن وسعد ابن حسان ومفرج
بن عاصم ونبهان بن مره وعدي بن شهاب وقتل خمسون من جملتهم الحارث بن
يربوع وابن جابر وعبد الله بن صاعد وجرير بن صباح والاعيد بن باهر والنعمان
ابن بجير وزيد بن راقم بن حاتم ورواحة بن سهيل ومثل هؤلاء رضي الله عنهم قال
واسروا من الروم تسع مائة رجل وقتل الف ومائة قال فلما افترقا الجمعان
افتقدوا دامس فلم يروه فحزنوا لذلك حزنا عظيما وبقي المسلمون في قلق

من

من اجل غنيمة وافتقدوه في القتلى فلم يروه فانكر المسلمون ذلك فقال ميسرة ان كان
دامس قتل او اسر فقد اصيب المسلمون فيه والى الله اشكو ما اصابنا من فقد ابي الهول
ومن اسر من المسلمين ثم قال من منكم ينطلق فيطلب دامس ومن اخذ معه من
المسلمين فلم يجبه احد قال الواقدي واعاد الروم الحملة على المسلمين
فاقتتلوا قتالا عظيما حتى كاد الرجل من المسلمين يجتمع عليه العشرة والمائة
فيقتلوه او ياسروه وكان ميسره في اربعة الاف من العرب ومواليهم وعسكر
الروم في ثلاثين الف ولقد جاهد المسلمون في الله حق جهاده وجعل الامير يصيح
في خلال ذلك ايها الناس اذكروا الله والدار الاخرة واعلموا انها اقرب من احدكم
من رجوعه الجاهلة فاستقبلوا الاخرة استقبال الوالده لولدها ولا تزبروا عنها
وكونوا كما تولى المعز من فزع الاسد فان اصابوا القوم منا خشية ان يكون ذلك
وهنا منا وجراة منهم علينا ثم نادى بصوت عال حطموا جفون سيوفكم واقبضوا
على نصالها بايمانكم فذلك طريق النجاة قال زيد ابن وهب فلم يبق احد من المسلمين
حتى سمع كلام اميره فكسر كل رجل جفن سيفه فلما نظرت القوم فعل المسلمين فعلوا
كفعلهم فسميت تلك الوقعة باسمين وقعة مرج القبايل ووقعة الحطمة لاجل
حطم المسلمين اغماد السيوف وكذلك الروم قال الواقدي رحمه الله واقتتلوا
بالسيوف حتى ظنوا انها لا تنقطع والمسلمون متوكلون على الله والروم تضج بكلمة
الكفر ويقولون مع ذلك يا غلب الصليب والمسلمون يطلبون فرجا بايديهم والسودان
تقاتل قتال الموت وكان شعار المسلمين المنصر النصر والعبيد شعارهم يا محمد يا محمد
قال عطية بن ثابت فلقي والله قد اصابني من الهول علي وعلى المسلمين في كرب عظيم
فبينما نحن كذلك اذ سمعت ضجة هايلة فالتفت واذا انا بغبرة عظيمة هايله
فتاملتها واذا بها قد انقشعت وهي تجانسنا وصارت من وراء عسكرهم فقلت
جيش قد اقبل اليهم قال عطية فانطلقت من وقتي واقتحمت الغبره لانظر ما هي
واذا بالروم في قتال عظيم مع طايفة من المسلمين وهم في وسط عسكرهم والزعقات
قد علت وقايل يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فقلت هذه اصوات الملايكة
فتتبعت الصوت واذا به صوت دامس ابو الهول وهو بارك في جحفته ومن
خلفه عشرون من المسلمين قد حشوا الروم وهم منكبة عليهم وهم لا يفكرون
في قتالهم وابو الهول يحادهم وحده ويمنع عن اصحابه وكلما حملت عليه كتيبه
يضرب فيهم الضربه والضربتين ويفرق ادهم قال عطية ابن ثابت وسمعته يقول هذه
الابيات ۞ سنتقي الاعداء في الحديد ۞ وناصري وسيدي عنيد ۞ مهلك عاد وبني ثمود ۞ رب النبي
الطاهر الرشيد ۞ ذاك رسول الملك المجيد ۞ صلى عليه الله المجيد ۞ قال فناديته
يا دامس ما وراك واين كانت غيبتك فقد اغتم بك الامير ميسرة فقال يا اخي ما كنت

العب انا كنت اسيرا وكنت آيسًا من نفسي وليس هذا وقت السوال فاسرعت الي
ميسره وانا هو قد خضب الراية من دما المشركين فناديته ايها الامير البشارة
وما بشارتك رحمك الله هل اتتنا نجدة من اصحابك فقلت لا ولكن جاتنا النجده
من عند نبينا محمد صلي الله عليه وسلم وخلصوا امس ابو الهول من وثاقه قال
عطية فبينما انا اخاطب ميسرة واذا بابي الهول قد اقبل واصحابه وهم كانهم
قد سبحوا في بحر من الدم قال وافترق الجيشان فوالله ما قتل منا اكثر من
الخمسين رجلا او اقل باثنين وقتل من المشركين ثلاثة الاف ونيف سوي ما قتل
ابو الهول من الكتيبه الذي احدقت به فلما نظر اليه ميسرة هم ان يترجل عن
فرسه ليسلم عليه فاقسم عليه الا يفعل واقبل اليه وصافحه وقبل يده وقال
يا دامس حدثني كيف كان اسرك قال اعلم ايها الامير سلمك الله أن الروم كانت
اسرتني وقيدتني بالقيود لي ولاصحابي فايسنا من انفسنا فلما جن علينا
الليل نمت فرايت رسول الله صلي الله عليه وسلم كانه يقول لا باس عليك يا دمس واعلم
ان منزلتك عند الله عظيمة ثم جر بيده الكريمة علي القيود والاغلال فزالت
وكذلك فعل باصحابي وقال ابشروا بنصر الله فانا محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم
ثم غاب عنا فاخذنا سيوفنا وجدناها من بين الروم ووجدنا طوارق فاخذناها
وحملنا علي القوم ونصرنا الله ببركة رسول الله صلي الله عليه وسلم وهذا حديثنا قال
فضج الناس بالتكبير والتهليل قال الواقدي رحمه الله وكان اسم بطريق الروم جارس
بن موريق فانه لما راي ما حل باصحابه جمعهم اليه وقال وحق المسيح لقد خاب
حمي من انتم حماته وان لم تقاتلوا بشدة وعزم والا قتلتكم قبلهم واخبرت بحرمكم
قال فتحالفوا الروم الا ينهزموا ابدا فلما استوثق منهم امر بالنيران فاضرمت
طول الليل علي الجبال والمراقب وبعث يستنفر اهل تلك البلاد باسرها قال وجعلت
الروم تاتي من كل ناحية وكانوا كالجراد فما مر من ذلك الوقت يوما حتي جاء من
الروم والارمن عشرة الاف قال والمسلمون يرون ما جاءهم من المدد ولم يكترثوا بهم
ثقة منهم بنصر الله لهم وتصديقا بقول نبيهم صلي الله عليه وسلم ابشروا بنصر الله قال
الواقدي ولما كان من غداة غد صلي ميسرة بالمسلمين صلاة الخوف وهو اول
امير صلي باصحابه صلاة الخوف قاطع الدروب فلما فرغ من صلاته قام في الناس
خطيبا ليزيدهم يقينا ثم قال وان الامير ابا عبيدة كان قد امرني ان لا ابعد بكم
بيننا وبين الجيش سبعة ايام وما ظن الامير ابا عبيدة انا نلتقي مثل هذا الجيش
العرمرم فقال له سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي يا ميسرة ما الذي تريد
بهذا القول ان كنت تريد ان تحرضنا فنحن اشوق الي لقاء الله من الظمآن
الي الماء فقال ميسرة ما اردت بذلك الا امتحانكم وقد رايت ان انفذ الي الامير

ابي

ابي عبيدة لعله ينجدنا قال سعيد بن زيد نعم ما قلت فدعا برجل من اهل الذمة
ووعده بكل خير وقال امض الي الامير ميسرة وحدثه ان النفير من العدو وقد
لحقنا من الحصون والضياع وساير بلادهم وقد نزلوا بازائنا وحدثه بحديثنا
قال فلبس المعاهدي ثوبا من ثياب الروم وتزايا بزيهم وانخلس من عسكر
المسلمين علي حين غفلة وسار يطلب عسكر ابي عبيدة واجهد نفسه في المسير ولم يلوي
للمراحة الي ان وصل الي الجيش وكان الامير ابي عبيدة نازلا علي حلب فقصد خيمته
وما احد يمنعه حتي وقف بين يديه فلما عاينه سقط بين يديه كالبغل الهرم
مما اصابه من التعب وشدة السير قال ولما راه ابو عبيدة علي تلك الحالة علم
ان له امر فدعا له بما فشرب وطعام فاكل وقال ما وراك يا اخا الذمة اهلكت
الكتيبة قال لا والله ايها الامير ولكن قد نفر عليهم العدو من كل قلعة وبلد
واحاطت بهم الجيوش من كل جانب ثم اخبره بما كان لهم من الحرب والقتال وكيف
اسروا ابو الهول وبعض المسلمين وكيف خلاصهم قال الواقدي فقلق ابو عبيدة
عند ما سمع من المعاهدي وقام مسرعا حتي اتا قبة خالد بن الوليد رضي الله عنه
فوجده يصلح درعه ويتفقد زرده فلما عاينه قام اليه وسلم عليه ورحب به
فقال خيرا ايها الامير قال خيرا ان شاء الله واخذ بيده وسار الي رحله وقال للمعاهدي
فحدثه بما عاينت فقام المعاهدي واقبل يحدث خالد الي ان اتي علي اخر حديثه
فقال خالد رضي الله عنه ان الله سبحانه وتعالي قد نصرنا وما اخذلنا فلله الحمد علي
ذلك وقد امرنا بالصبر علي الشدايد وقال يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا
ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون واما انا فقد جعلت نفسي حبسا في الجهاد ولا
ابخل بنفسي فلعله ان يمنحني جنته وعسي يرزقني الشهادة ثم اسرع
الي خيمته ولبس لامته والقا القلنسوة المباركة علي راسه وتقلد بسيفه وركب
جواده واعتقل برمحه وانتدب الامير ابو عبيدة له الخيل ووقع النفير في المسلمين
واقبلوا اسراعا يهرعون من كل جانب طوعا لله ورسوله فلولا منعهم الامير
ابو عبيدة من النفير لكانوا نفروا كلهم فانتخب منهم ثلاثة الاف فارس واردفه
بعياض ابن غنم في الف فارس قال الواقدي حدثني احمد ابن هاشم قال لما سار
خالد ابن الوليد رضي الله عنه بالجيش الي معونة ميسرة بن مسروق قال اللهم اجعل
لنا اليهم سبيلا واطوي لنا البعيد ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال ولجوا الدرو
واما ميسرة فان الروم دارت به من كل جانب وكانوا يلتقون كل يوم ولا
يفرون ولا يفترون الي ان يقبل الظلام فاذا حال بينهم افترقوا وكل يوم يزيد
عدد الروم والمسلمون يضعفون مما يلحقهم من التعب والجراح من غير قتل
يقع بهم فكانهم قوم حجب عنهم الموت قال الواقدي حدثني معمر ابن راشد

عن الزهري قال لما سار خالد ليلحق ميسرة سجد ابو عبيدة سجدة اطال فيها
السجود وقال اللهم اني اسئلك بمن جعلت اسمه مع اسمك وعرفت فضله لانبيائك
ورسلك الا طويت لهم البعيد وسهلت عليهم الصعب الشديد والحقتهم باصحابنا
يا اله العالمين قال وميسرة ومن معه ينتظرون فرجا ياتيهم ونصرا ينزل عليهم
قال عبد الله ابن الوليد الانصاري قال كنت مع ميسرة في وقعة مرج القبايل يوم
حطمنا اغماد سيوفنا والروم تقتل من كل مكان الي المسلمين ونحن نباكر
القتال ونروح رواحا قال سليمان ابن عامر فخرج في يوم من الايام الي القتال
بطريق من بطارقة الروم وقد لبس درعين وعلي ساعده حديد وعلي راسه
بيضة كانها الذهب تلمع من فوقها صليب من جوهر وبيده العمود الحديد كانه
ذراع البعير فجال بين الصفين ودعا الي البراز بلسانه وكان ذلك احد البطارقة
الذي بعث بهم هرقل فجال بفرسه وجعل يدعو الي البراز ويلطم بكلامه فقال ميسرة
للترجمان ما يقول هذا العلج قال انه يذكر انه يريد البراز وهو بطريق كبير لا يخرج
اليه الا اشجع شجعانكم واقوى ابطالكم فقال ميسرة معاشر المسلمين من يبرز
اليه ويكفي المسلمين امره فاسرع بالاجابة رجل من المسلمين نخعي عليه درع من
دروع الروم وثياب من ثيابهم فلما برز الي البطريق ظن انه من متنصرة العرب وقد
عاد الي الاسلام وقد خرج يريد القتال فجعل العلج يكلمه يظن انه يفهم كلامه
فلما راه ضربه بالعمود الذي في يده فتراجع لها النخعي وقمع الجواد الي ورائه
فاخطاه ووقع العمود علي راس الجواد فانصرع الجواد براكبه ووثب النخعي
علي قدميه وهم ان يداخل العلج بضربة قال بضربة فاشفق ميسرة علي
النخعي فناداه يا اخا النخع ارجع الي ورائك ولا تلقي بيدك الي التهلكة فرجع
بالقهقرا علي عقبه والعلج يريد ان يتبعه ليضربه والنخعي راجلا والعلج
فارسا فلما هم ان يضربه صاح عليه عبد الله بن حذافة السهمي وصاح بهم
صيحة عظيمة ادهش العلج فالتفت اليه وسلم منه النخعي حتي وصل الي
عسكر المسلمين وحمل عبد الله بن حذافة السهمي علي البطريق وحمل البطريق
عليه في ميدان الحرب واختلف بينهما الطعن والضرب وصعب بينهما المجال
والحرب والبراز وكان عبد الله بن حذافة اذا ضرب العلج لا يعمل في سلاحه
شيا وكان العلج اذا ضرب عبد الله ياخذ الضربة في حجفته فيوهنه من ثقل
الحديد وعظم ساعده قال وكان بينهما القتال فالتقيا بضربتين بادره
عبد الله بن حذافة بالضربة تحت لحيته وطلب بها منحره فلحقه بسيفه
ملحقا من الزرد الصغار ووصل الي عنقه فاحتز راسه عن بدنه فنزل عبد الله
واخذ سلبه وفرسه ورجع الي المسلمين فعظم ذلك علي الروم وخرج بطريق

ثاني

ثاني وقال هذا صاحب الملك قد قتل ولا بد لي ان اخذ بثاره فلا يبرز اليّ الا قاتله
فلما سمع عبد الله هم بالخروج فمنعه ميسره من البراز وهم ان يفديه بنفسه
فقال عبد الله ايها الامير اشفق علي من التعب في الدنيا والعلج يدعوا باسمي واتخلف
عن الخروج انني اذا العاجز غير حازم وعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اخرج
اليه غيري ثم خرج وتحته فرس البطريق المقتول فنظر اليه ونظر الى فرس صاحبه
تحته فعلم انه القاتل فما امهله ان يجول معه حتى قفز جواده وحمل على عبد
الله بن حذافة وكانه جمل خلص من عقاله وتشبث به وجذبه اليه فاقتلعه من
سرجه فاخذه اسيرا فاتى به قومه فسلمه اليهم ودعا برجال من قومه وقال
لهم اوثقوه بالحديد واحملوه الى الملك هرقل واعلموه ان هذا قاتل قلنص بن جرجس
قال الواقدي فكبلوه بالحديد وحملوه على خيل البريد الى القسطنطينية
وعاد البطريق الى مكانه طالب الحرب في ميدانه وهو يفتخر بما صنع وعاد الى البراز
فخرج اليه الامير ميسره فقال ميسرة والبطريق يسمعه هذه الابيات

قد علم المهيمن الجبار ... بان قلبي قد كوي بالنار
على الفتى القائم في الاسحار ... سيعلم العلج من الاسرار
ان المهوى فاخذ بالثار ... بعون رب سيد غفار

قال ثم حمل ميسرة على البطريق وحمل البطريق عليه وجالا طويلا وعظم الامر بينهما
ثم تدانيا وتقاربا وتحاربا وغابا تحت الغبرة وكل فرقة تنظر الى ما يكون من صاحبها
وتدعوا له بالنصر ثم انهما انكشفا من تحت الغبرة واراد البطريق ان يخدع ميسرة
فقال له يا مسلم بحق دينك اخبرني ما هذه الراية التي قد طلعت من وراء عسكرك
فقال ميسرة وما ذلك على الله بعزيز فقال وحق ديني ما قلت لك الا الحق قال
الواقدي وهو يكذب فالتفت ميسرة لحرصه ان ياتي الله المسلمين بالفرج
وينظر تحقيق ما قال البطريق فحمل البطريق عليه ومكن يده منه لياخذه
واذا بالراية قد طلعت وهي مشرفة بالنور في يد خالد ابن الوليد رضي الله عنه
ونظر اليها المسلمون وكبروا باجمعهم فلعظم تكبيرهم استرخت يد البطريق
عن ميسرة والتفت ينظر ما حالهم فقبض عليه ميسرة ابن مسروق وهم
ان يقتلعه من سرجه فلم يجد اليه سبيلا لانه مزرفن بالحديد فجعل يجذب
يده يروم ان يطرحه ونظر العلج الى راية خالد بن الوليد تقرب منه وهو
قاصد اليه فعلم انه هالك لا محالة فرفع السيف يريد ان يضرب به ميسرة
فيطلقه فاخذ ميسرة عليه السيف فوقع على يد البطريق فقطعها
وارجع ميسرة ~~فيطلقه فاخذ ميسرة~~ وانثنى البطريق راجعا الى اصحابه
ويده الشمال مقطوعة فالتقاه حجابه وغلمانه فاخذوه على اعناقهم فاتوا

به مضاربه وكووا يده واما خالد بن الوليد فالتقاه ميسره رضي الله عنهما
وسلم بعضهما على بعض وحدثه ميسرة بما جري له مع الروم من الوقايع وكيف
اسر عبد الله بن حذافة فضرب خالد يداً على يد وقال يوسر مثل عبد الله بن حذافة
والله لافارقنهم خالدا او يخلصه الله واقام خالد بقية يومه ولما اصبح نظروا
واذا شيخ قد خرج من جيش الروم وعليه المسوح فاقبل حتى وقف بازايهم
واوما بالسجود لخالد فمنعه خالد من ذلك وقال ما الذي تريد فقال ان البطريق
الذي للجيش يدعوكم بالطاعة لما راى هذا الجيش الذي قد اقبل عليكم علم
انه لا طاقة له بكم ولا بقيا لكم وانه يقول هل لكم الى صلحنا ونحن نخلي اسيركم
وندفع لكم ما تريدون من الاموال وترجعون من بلدنا قال خالد اما ان نرجع
عنكم فما نبرح الارض عن فصال واما الاسير فان اطلقتموه طوعا والا فكرها قال الشيخ انت
امير العرب قال نعم ان رايت فاخرنا يومنا وليلتنا فافعل لندبر الراي بيننا ويهدي
هذا البطريق من وجوه ويخرج اليكم فيجيبكم الى ما تريدون قال خالد قد اجبناكم
الى ما تريدون فرجع الشيخ الى قومه وقال للبطريق انه قد اجاب ووضعت الحرب اوزارها
ونزل خالد والمسلمون في اماكنهم فلما كان من الليل امر البطريق اصحابه ان يضرموا
النيران على ابواب الخيام وتزيد وافي وقودها ففعل القوم ذلك وحملوا اثقالهم
ورحالهم وتركوا الخيام على حالها والنيران تشتعل على ابوابها وساروا من ليلتهم
فما اصبح الصباح ولهم خبر يعرف فلما كان من الغد ركب المسلمون وانتظروا
ان يخرج اليهم احد من الروم فلم يروا احدا فعلموا ان الروم قد ولت هربا
فعض خالد انامله غيضا عليهم وقال انا لله وانا اليه راجعون وهم ان يسير
في طلبهم فمنعه ميسرة من ذلك وقال انها بلاد وعره شاسعه والصواب
ان نرجع الى عسكر المسلمين قال الواقدي فاخذوا الخيام وما بقي من رجال
القوم ورجع الجيش منصورا وهم حزانا على عبد الله ابن حذافة حتى وصلوا
الى ابي عبيدة فالتقاهم وفرح بسلامتهم فاقبل ميسرة عليه فعانقه ورحب
به وحدثه بامره وما كان من الروم وما قتل من المسلمين الاخمسون رجلا
فلما سمع ابو عبيده باسر عبد الله بن حذافة صعب عليه ذلك وقال اللهم
اجعل له من امره فرجا ومخرجا ثم كتب الى امير المومنين عمر كتابا يخبره بخبر
السيره التي دخلت الدروب وما كان من المسلمين وحدثه باسر عبد الله ابن حذافة
السهمي وبعث اليه الكتاب فلما وصل اليه وقراه وفرح بما كان من المسلمين
ونصرهم على عدوهم الا انه اغتم على اسر عبد الله ابن حذافة لانه كان يحبه
حبا شديدا والله لاكتبن الى هرقل كتابا حتى ينفذ الي بعبد الله ابن حذافة فان
لم يفعل والا سيرت اليه الجيوش والعساكر ثم كتب بسم الله الرحمن الرحيم والحمد

لله رب العالمين الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وصلى الله على نبيه محمد رسوله
المويد من عمر بن الخطاب امير المومنين اما بعد فاذا وصل اليك كتابي فابعث
الي بالاسير الذي في يديك وهو عبد الله ابن حذافة فان فعلت ذلك رجوت لك
الهدايه وان ابيت ذلك بعثت اليك رجالا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
والسلام على من اتبع الهدي فطوى الكتاب وبعث به الي ابي عبيدة وامره ان ينفذه
الي هرقل ملك الروم قال فلما وصل الكتاب الي ابي عبيدة بعثه مع رجل من المعاهدين
وضمن له جعلا ودفع اليه الكتاب فسار به المعاهدي الى هرقل وكان بالقسطنطينيه
فوقف على باب الملك واعلم الحجاب ان معه كتابا الى الملك من ملك المسلمين قال
فاعلم الحاجب الملك بالرسول والكتاب فقال اكرموه قال الواقدي ثم دعا
الملك بالرسول اليه وقرا الكتاب كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما اتى على
اخره وفهم ما فيه عند ذلك ادعا الملك بعبد الله بن حذافة اليه قال عبد الله
فدخلت اليه والتاج على راسه والبطارقة والاساقفة حوله فلما وقفت
بين يديه قال لي من انت قلت انا رجل من قريش فقال انت من بيت نبيك
فقلت له لا بل انا ابن عمه قال فهل لك ان تتبع ديننا وازوجك واجعلك
اكبر اصحابي فقلت لا افارق دين الاسلام وما جاء به محمد عليه السلام فقال الملك
ارجع الى ديني حتى اعطيك من المال كذا وكذا ومن الغلمان كذا وكذا قال عبد الله
ودعا بسفط مملوء من الجوهر وقال ان دخلت في ديني اعطيتك اياه قلت والله لا افارق
ديني ولو اعطيتني كلما تملك فقال ان لم ترجع الى ديني والا قتلتك اشر قتلة قلت
لست افعل ذلك ابدا فاصنع ما انت صانع قال فغضب من كلامي وقال اسجد
لهذا الصليب سجدة اخليك فقلت لست افعل قال فكل لحم الخنزير واخليك
فقلت لست افعل قال فاشرب من هذا الخمر كاسا واخليك قلت لا والله لا اذوقه
فقال وحق ديني لتاكلن اللحم ولتشربن هذه الخمرة ثم قال لغلمانه
اجعلوه وعنده لحم خنزير وخمر فانه اذا اصابه الجوع اكله واذا عطش شرب
الخمر قال ففعلوا ذلك وافردوه في بيت ومعه لحم خنزير وخمر وغلقوا عليه
وتركوه قال حدثنا عامر بن سهل قال حدثنا يونس بن عمران التنوخي قال
حدثنا سفيان بن خالد عن من يثق به قال قليطس وهو هرقل مات بعد ما هرب
من انطاكيه حماه حلب وبقلته من ارض سوريه ويقال انه مات مسلم والذي فعل
بعبد الله بن حذافة فهو ولده يوسطنوس ولقبه هرقل يلقب باسم ابيه فلما
كان في اليوم الرابع قال هرقل ما فعل الاسير قالوا ايها الملك على حاله فقال
وزيره ايها الملك هذا الرجل شريف في قومه ولا يرى بالذل وكلما تفعل بهذا
الاسير تفعل المسلمون بكل من يقع في ايديهم منا قال فاستدعا به فقال ما فعل اللحم والخمر

قال على حاله قال الملك فما منعك ان تاكله قال فزعا من الله ورسوله وايضا
فانه اخرلي بعد ثلاث ولكن تركته لئلا تشمت بالمسلمين قال الواقدي فلما
ورد عليه كتاب امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقراه عند ذلك اعطا
لعبد الله مالا كثيرا وثيابا حسانا وخلا سبيله واعطاه لولوا كثيرا هدية الى
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووصل عبد الله الى ابي عبيدة ففرح بقدومه وبعث
معه خيلا الى المدينة فلما وصل الى عمر رضي الله عنه سجد لله شكرا وهنا عبد الله بالسلامة
واعطاه عبد الله اللولو فلما راه اعرضه على التجار بالمدينة فلم يعرفوا له قيمة
وقالوا يا امير المومنين ان الله تعالى قد حباك به فامر الناس ان يجتمعون اليه
حتى غص المسجد بالناس ثم رقا المنبر خطيبا وقال في اخر خطبته وقد اتاني
بهدية وهي هذا اللولو وقل هذه وقد جعل المسلمون منها في حل فما تقولون قالوا
بارك الله لك فيها او فيه يا عمر فقال لا اله الا الله محمد رسول الله حين كنتم جعلتموني
منها في حل وكيف اصنع بما غاب من المسلمين وعن في البطون والاصلاب من اولاد
المهاجرين والانصار والمجاهدين في سبيل الله ولا طاقة لعمر بما لتبتهم يوم
القيامة ثم باعها وجعل ذلك في بيت مال المسلمين قال عمر بن سالم اخبرنا عبد الله
قالوا جميعا انما فتح ابو عبيدة انطاكيه صلحا وكان من امر ميسرة بن مسروق
ما كان فاقام ابو عبيده ينتظر ما يكون من امر عمرو بن العاص على قيسارية
قال الواقدي ونقد بلغني من الثقات ان اهل المعرة وكفرطاب وفاميه وجبل
ابا قبيس وما والاه من الحصون فتح المسلمون حصونهم ومدائنهم صلحا
وكان في جملة ما سار مع عمرو بن العاص الى قيسارية خمسة الاف فارس من
المسلمين منهم عبادة ابن الصامت وعمرو بن ربيعة وبلال بن حمامه وربيعة
بن عامر قال سبيع ابن حميرة الخزاعي كنت مع عمرو بن العاص فارتحل بنا حتى نزل
بموضع يقال له نخل وبلغ الخبر قسطنطين بن هرقل وكان كلما من انهزم من
عسكر الروم ومن جيش ابيه اتا اليه فاجتمع عنده من البطارقه والمدعه والسريه
حتى صار جيشه ثمانين الف فدعا برجل من المنتصره وقال له امض وتجسس
خبر العرب وكم جيشهم واتيني بالخبر فمضى الجاسوس حتى دخل جيش عمرو
وتجسس اوله واخره الى ان مر بقوم من اليمن وهو يصطلون حول النار فاوى
اليهم وجلس بينهم يسمع حديثهم فلما اراد القيام عثر بذيله فقال كلمة زلت
عن لسانه فلما سمعوا قوله علموا انه متنصر وجاسوس الروم فوثبوا اليه
فقتلوه ووقع الصايح في العسكر حتى سمع عمرو وضجة هايلة قال ما الخبر قيل
ان قوما من عرب اليمن وقفوا بجاسوس من الروم فقتلوه فغضب عمرو لاجل
ذلك فاستدعاهم اليه وقال يا هولاء القوم ما حملكم على قتله هلا اتيتموني

به لا نستخبره فكم من عين يكون علينا ثم يرجع لنا لان القلوب بيد الله يقلبها
كيف يشا، ثم نادى في جيشه من وقع بجاسوس فليات به الي قال الراوي وان
قسطنطين استبطا جاسوسه فعلم انه قتل فنفذ غيره لياتيه بالخبر فاشرف
الجاسوس على تل وعاين جيش المسلمين وحرره وعاد للملك وقال هو خمسة
الف فارس الا انهم اسد ضراغم ونسور قشاعم يرون الموت مغنما والحياة جيه
مغرما فلما سمع قسطنطين ذلك قال لا بد لي من قتالهم ثم جمع البطارقه والارا
والمدعه واختار منهم عشرة الف فارس وعقد راية على قصبة براسها
صليب ذهب وسلمها الى بطريق اسمه مكلاوكدرو وقال له قد وليتك على هولاء
فسر بهم فانت طليعة لجيشي فاخذ البطريق الراية وخرج بالعشرة الف
وسار يومه ثم ان قسطنطين عقد صليبا اخر على قصبة ذهب وسلمها
الى دمشق العسكر اسمه حرتناوس وضم اليه عشرة الف وامره ان يلحق
بالبطريق الاول فخرج بالعشرة الف في اثره فلما كان في اليوم الثاني خرج قسطنطين
في بقية العسكر وترك على حفظ قيساريه قسطابيل وهو ابن عمه وترك عنده
عشرين الفا قال يسار ابن عوف فبينما نحن اذ اشرف علينا البطريق الاول في
عشرة الف قال فقرحنا بذلك وقلنا نحن في خمسة الف وهولاء عشرة الف كل واحد
منا يقاتل اثنين من الروم فبينما نحن كذلك وقد استبشرنا اذ طلع الثاني
ومعه عشرة الف فقال عمرو بن العاص اعلموا ان ٢من اراد الله واليوم الاخر
فلا نرتاع من كثرة العدو وتزايد المدد ثم جمع اليه الابطال وقال قد رايت
ان انفذ الى الامير ابي عبيده يمدنا بالخيل والرجال فان هذا جيش عظيم ثم امر
الناس بالتاهب الى لقا العدو فركبوا الخيول ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير
فاجابتهم البلاد والجبال والتلال والاوعار وسكان تلك الارض من العمار قال
وارتاعت المشركون عند سماع اصواتهم ونظر قسطنطين الى جيش المسلمين
فزاد في عينه فقال وحق ديني لما اشرفت على القوم ما كانوا في اكثر من خمسة
الف فارس وقد زاد الان عددهم وتزايد مددهم ثم ادعا بقس قيساريه
وقال له اركب الى هولاء القوم وكلمهم بالتي هي احسن وقل لهم ان ابن الملك يريد
ان تنفذوا له افصحكم لسانا واجراكم جنانا قال فركب القس وعليه ثوب
ديباج اسود وبرنس شعر وركب على بغلة شهبا واخذ بيده صليبا من الجوهر
وسار حتى اشرف على عسكر المسلمين فوقف بحيث يسمعون كلامه وقال يا معاشر العرب
اني رسول الملك اليكم فانه يريد صلحكم ولا يبغي قتالكم لانه عالم بدينه بصير
بامره وليس يحب سفك الدما، ولا افساد الصور فلا تبغون علينا فالباغي
مقهور والمبغا عليه منصور وان الملك يريد ان تنفذوا اليه رجلا افصحكم

لساناته سكت فلما سمع عمرو بن العاص كلامه قال ايها الناس قد سمعتم ما قال
هذا الاقلف فمن منكم يبادر في مرضات الله ورسوله وينظر ما يتكلم به كلب الروم
فقال بلال بن حمامه موذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجل اسود طويل
كالنخلة السحوق يصاص السواد عيناه حمر كانها العلق جوهري الصوت فقال
يا عمرو انا اسير اليه فخرج بلال نحوهم وهو عظيم المنكبين كانه من رجال شنوه
وكان من عظم خلقته اذا نظر اليه احد خاف منه وهابه وكان يلبس قميصا
من كرابيس الشام وعلى راسه عمامة صوف متقلد بسيفه ومزوده على عاتقه
وبيده عصاة فلما برز بلال من عسكر المسلمين ونظر اليه قس الروم انكره وقال
ان القوم قد هنا عليهم فبعثوا الينا بعبدهم لصغرنا عندهم في اعينهم ثم
قال له ايها العبد ابلغ مولاك وقل له ان الملك يريد اميرا منكم حتى يخاطبه بما
يريد فقال له بلال ايها الرجل انا بلال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولست
بعاجز عن جوابك وجواب صاحبك فقال له القس قف مكانك حتى اعلم الملك
بامرك ثم عاد القس ووقف بين يدي قسطنطين وقال ايها الملك ان القوم
قد بعثوا اليك بعبد من عبيدهم ليخاطبك فقال له قسطنطين ارجع اليهم وقل
لهم يبعث اليكم ملك النصرانيه يريد منكم من يخاطبه تبعثون له بعبد من
عبيدكم فرجع القس الى بلال وقال يا اسود ان الملك ينفر ذلك لسنا نريد ان
نخاطب العبيد بل نخاطب صاحب جيشكم فرجع بلال وهو منكس الراس
فاخبر عمرو بذلك فسمع شرحبيل بن حسنه ما قاله بلال فقال لعمرو انا امضي
اليه فقال عمرو ابا يعني دعاني وانا امضي اليه ثم خرج عمرو وعليه من فوق
ذرعه جبة صوف وعلى راسه عمامة من صنعا اليمن صفرا ادارها على راسه
كورا وارخا لها عذبه وفي وسطه منطقة سيور وتقلد سيفه وسار حتى
وقف بازا الترجمان فلما راه ضحك فقال عمرو ما ضحكك يا اخا النصرانيه فقال
من فاقة زيك وحملك السلاح ما الذي تصنع به تحمله معك وما تريد حربا فقال
عمرو ان العرب شعارهم حمل السلاح وهو غطاوهم ودثارهم فقال له القس انا
لسنا من اهل الغدر فكن مطمئن القلب ثم رجع القس الى الملك وقال ايها
الملك ان امير العرب قد قدم وعليه من آلة الحرب كذا وكذا فتبسم الملك من قوله
وقال قل له تقدم على ما هو ثم اخذ الملك في التاهب لقدوم عمرو وعليه وزين
ملكه واوقف البطارقة والمذهبه عن يمينه وشماله والحجاب بين يديه واقبل
القس على عمرو وقال له يا اخا العرب سر فقد اذن لك الملك فسار عمرو على جواده
وعسكر قيساريه تتعجب من لبسه وزيه الى ان وقف على باب قبة الملك فسلم
بتحية العرب فقربه الملك وادناه ورحب به وبشر في وجهه وقال مرحبا بامير

فتوح

فومه ووسع له واراد ان يجلسه علي السرير فامتنع عمرو من الجلوس وقال
بساط الله اطيب من بساطك ثم جلس علي الارض باركا وترك رمحه علي كتفه
وسيفه علي فخذه ثم قال للملك قل ما تشا يا عظيم قومه وسال عما تريد قال
له ما اسمك قال اسمي عمرو وانا من العرب الكرام فقال يا عمرو ان كنت من العرب
فنحن من الروم وبيننا قرابة ورحم ونحن وانتم في النسب متصلون ممن
يكونوا متصلون في النسب ما لهم يسفك دما بعضهم بعضا قال عمرو ان انسا بنا
لاحقة من ابائنا ونسبنا الاعلا هو دين الاسلام واما اذا كان الاخ مع اخيه واختلفا
في دين كان حلال له ان يقتل اخاه وانقطع النسب بينهما وقد ذكرت ان نسبك
لاحق بنا كيف يكون نسبنا ونسبك واحد ونحن من قريش الكرام وانتم من الروم
فقال الملك يا عمرو وابونا ادم ثم امنا حوي ثم ابراهيم الخليل ابونا العيص ابن
اسحاق واسحاق اخو اسمعيل وكلاهما اولاد ابراهيم ولا يجب علي الاخ ان يبغي
علي اخيه ويجور عليه في قسمته قال عمرو انك لصادق في قولك الذي قلته وان
العيص ولد اسحاق واسمعيل عم العيص ونحن بنو اب واحد ابونا نوح فان
كان نوح قسم الارض فانه قسم لها شططا حين غضب علي ولده حام واعلم ان ولد
نوح لم يرضوا بها فاقتتلوا عليها زمانا وغلب بعضهم علي بعض وهذه الارض
التي انتم عليها ليست لكم بل هي ارض العمالقة من قبلكم فلما سمع قسطنطين كلامه
قال صدقت الا ان القسمة قد جرت وان لم ترضوا بها وكنتم باغين علينا ونعلم انما
حملكم واخرجكم من بلادكم الجهد العظيم فقال له عمرو ايها الملك اما زعمت ان
الضر اخرجنا من بلادنا فنعم كنا ناكل خبز الشعير والذرا فلما سرنا الي هذه البلاد
ورايناها طعامكم واكلناه استحسنا ذلك واستطبناه فلن نبارحكم حتي ناخذ
البلاد منكم ونصيركم لنا عبيدا فاحجم قسطنطين عن جوابه ورفع راسه الي
قومه وقال لهم وحق المسيح ما لنا معهم ثبات قال عمرو فوجدت السبيل الي
وعظهم فقلت اعلموا يا معاشر الروم ان الله سبحانه قد قرب عليكم ما
تطلبون ان كنتم تريدون بلدكم نزوم لكم فادخلوا في ديننا وصدقوا قولنا
وان الدين عند الله الاسلام فقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله قال قسطنطين يا عمرو انا لا نفارق ديننا وعليه مات اباؤنا
واجدادنا قال عمرو فان كرهت الاسلام فاعطنا الجزية منك ومن قومك وانتم
صاغرون قال قسطنطين ما اجب الي ذلك الان الروم لا تطاوعني ولقد قال
لهم ابي من قبل فارادوا قتله قال عمرو وهذا ما عندي من الاعذار والانذار وقد حذرتكم
ما استطعت ولم يبق بيننا الا السيف حكما والله يعلم اني دعوتكم الي امر فيه النجاة
فعصيتم عنه كما عصي ابوكم عيص علي اخيه قال فرجفت قلوبهم ودخلت الهيبة

قال قسطنطين حين سمع كلام عمرو وقال فاخبرني هل في اصحابك هولاء مثلك
تبين الكلام اذا تكلم كاسراع جوابك اذا اسيل قال عمرو بلي والله فان احب الملك انت
بهم على صحة كلامي ثم وثب وسار الي جواده فركبه واتا جيشه بحمد المسلمون الله على
سلامته وباتوا يحرسون فلما اصبح عمرو وصلي بالمسلمين صلاة الصبح وامرهم بالركوب
الي قتال عدوهم قال فاسرعوا الي ذلك واستووا في متون خيولهم واصطفوا للحرب والقتال
قال الواقدي رحمه الله حدثني عروة بن زيد عن موسي مولي الحضرمين عن موسي
بن عمران قال لما كان يوم الحرب صف قسطنطين جيشه ثلاث صفوف وقدم
الرماه وعدل الميمنة والميسره ورفع الصليب وتقدم امام الجيش فنظر عمرو
الي قسطنطين وقد رتب عساكره وعزم علي الحرب فعبا المسلمين وصفهم
صفا واحدا وجعل في الميمنة الحماة من الصحابة فبينما الناس كذلك اذ خرج
بطريق الي بين الصفين وعليه ديباجة حمرا وتحتها درع حصين ومن تحت الدرع
جوشن منيع وفي عنقه صليب من الجوهر ومعه غلام يخب من ورايه جنيبه
وعليه سيفه ودرقته فخرج حتي وقف وقف بين الصفين وجعل يسال
القتال فلما نظر المسلمون اليه اقبلوا ينظرون حوله ولا يخرج اليه احد فقال
عمرو من يخرج اليه ويهب نفسه لله عز وجل فخرج اليه رجل من العرب وهو يقول
اكون انا ذلك الرجل وحمل مصمما عليه فاستقبله البطريق وجعلا يتجاولان
ساعة وهما يتسابقان بالسيوف الي ان حفت لهما ضربتان فسبقه البطريق
بالضربه فاشتهاها بدرقته فقدها نصفين وكانت جلد بعير فلم يصل اليه من
الضربة شي وضربه المسلم في اثرها علي راسه فانقطعت البيضه وهتكها
فتقهقر الي ورايه ولم يصل اليه اذا فلما رجع روعه اليه حمل علي المسلم
فضربه ضربة جرحه جرحا واضحا فرجع المسلم الي المسلمين فصاح به
رجل من العرب من قومه وقال يا ويلك من يهب نفسه لله يرجع من بين يدي
عدوه فقال له الرجل ما كفي هذه الضربة حتي ترجمني ان الله لم يامرني ان القي
بيدي الي التهلكة ثم شد جرحه واصلح موضع الضربة ورجع الي الحرب وقد
عظم عليه ما قاله ابن عمه فلما خرج قال له صاحبه الذي خاطبه ارجع فخذ
هذه البيضه فانزلها علي راسك فقال له مه تقتني بالله العظيم اعظم من تقتي
بجديدك ثم رجع نحو البطريق وهو يتحزن ويقول هذه الابيات

يقول لي عند الخروج للقا ... دونك هذا البيض فاجعله وقا
من علج سو قد بغا وقد طغا ... اقسمت بالله عمنا صادقا
لا اترك البيضة فوق المرفقا ... واحسن الظن برب خلقا
داخل الجنة دار المتقا ... مجاورا لاحمد في الرفقا

بلغ

قال الواقدي فدعا المسلمون له بالنصر وقالوا اللهم اعطه مناه وحمل على المشركين
وضربه ضربة هايلة وقعت على عاتقه اخرجت علايقه ثم حمل في جيش المشركين
فقتل رجالا ولم يزل كذلك حتى قتل رحمه الله تعالى فقال عمرو هذا رجل قد اشترى الجنة
بنفسه من الله اللهم بلغه ما تمنى وقتل انه طلب من بين القتلى فلم يوجد قال الواقدي
وكان هرقل لما نفذ ولده قسطنطين الى قيسارية نفذ معه بطريقا يقال له قيدمون
وكان خال الملك وهو من افرس الروم واشدهم وكان قد لقي عسكر الفرس وعسكر
الجرامقة وعسكر الترك وكان يحفظ ساير اللغات فقال قيدمون لقسطنطين
لا بد لي من قتال هولاء العرب ولجهاد فلم يقدر على منعه فقال له افعل ما تشاء
فخرج مبادرا الى الميدان فلما راه والمسلمون كانه جبل وكلما عليه يلمع من الجوهر
والذهب ضج المسلمون يقول لا اله الا الله محمد رسول الله واقبل قيدمون يطمطم
بلغته ويطلب البراز فاقبلت العرب يهرعون اليه كل يريد قتله لاجل ما عليه
فقال ايها الناس لا يحملكم الطمع فيما على البطريق من اللباس وليكن خروجكم
اليه لوجه الله تعالى خالصا قال فخرج غلام من اليمن ومعه امه واخته يريدون
الشام يقول له يا بني امر جد السير حتى نصل الى بلاد الخصب والخير ونا كل من
خيرات الشام فقال والله لا اريد المسير الى الشام لاجل خيره ولا ولكثرة نعمه لان
نعيم الدنيا يفنى ونعيم الاخرة يبقى وانما قصدي الجهاد طلبا لرضى رب العباد
فلما كان يوم قتال جيش قيسارية خرج الغلام الى القتال بعد ان ودع امه واخته
وداع الموت وقال لهما اجتماعنا عند حوض المصطفى ثم خرج الغلام الى القتال وحمل
على البطريق وجالا وطعنه بسنانه فانتشب السنان في درع البطريق ولم
يقدر الغلام على انتزاعه منه فضرب البطريق بسيفه قناة الغلام فقطعها
وحمل عليه وضربه على هامته فشطرها ووقع الغلام ميتا رحمه الله وجال
قيدموم على مصرعه وطلب البراز فخرج اليه بشر البربوعي فجاوله فقتله البطريق
وحمل عليه اسامة بن رقيم فقتله البطريق فلما نظر ذلك شرحبيل بن حسنة
فبرز والراية بيده وجعل المسلمون يدعوا له بالنصر على عدوه فلما راه البطريق
وتامله ضحك من زيه وبرجم وكان ضخم من الرجال يرى على سرجه كالبرج وكان
شرحبيل نحيف الجسم من كثرة صيامه فلما ساوي البطريق في ميدانه حمل كل واحد
منهما على صاحبه واستقابضربتين فكان السابق بالضربة شرحبيل فلم يعمل
سيفه في لامة قيدمون شيا ونبا السيف ووقع سيف قيدمون على شرحبيل فشجه
ثم تواخذا على الجوادين قال سعيد بن زوح وكان ذلك اليوم كثير البرد والسحاب
فبينما هما كذلك اذ نزل المطر كافواه القرب قال وسقطا عن الخيل الى الارض
وجعلا يصطرعان في وسط الطريق غيران عدو الله استطال على شرحبيل وضرب

بيده علي مراق بطنه فاقتلعه من الارض ودحي به علي ظهره ثم استوي علي
ظهره صدره وهم ان ينحره فنادي شرحبيل يا غياث المستغيثين فما استتم
الكلمه حتي خرج فارس من عسكر الروم عليه لامة مذهبة وتحته جواد من
الخيل وقصد موضع البطريق وشرحبيل فظن الكافر انه انما خرج اليه ليعطي
البطريق فرس شرحبيل ويعينه فلما قرب منهما ترجل عن جواده ومال علي
وسحبه برجله عن صدر شرحبيل وقال له يا عبد الله قم فقد اتاك الغوث
من غياث المستغيثين فوثب شرحبيل ينظر اليه متعجبا من قوله واذا بالرجل
متلثم وقد جرد سيفه وضرب قيدمون ضربة فقطع راسه وقال يا عبد الله
خذ سلبه فقال له شرحبيل ما رايت اعجب من امرك لاني رايتك قد جيت من
نحو جيش المشركين فمن انت قال انا الشقي المبعود المطرود انا طليحة الاسدي
الذي ادعيت النبوة بعد النبي صلي الله عليه وسلم وكذبت علي الله وزعمت ان
الوحي كان ينزل علي من السما فقال له شرحبيل يا اخي ان رحمة الله وسعت كل
شي فمن تاب واقلع واناب قبل الله توبته وغفر له ما كان منه فان النبي صلي الله
عليه وسلم قال التوبة تمحوا ما قبلها فتوب وثق برحمة الله قال والله ما لي وجه
ارجع الي الاسلام وهم ان يهج ويسير علي وجهه فمنعه شرحبيل وقال يا طلحة
لست ادعك او ترجع معي الي العسكر ويراك المسلمون ويحمدوك علي فعلك فقال
ما يمنعني عن المسير معك الا ملاقاتي الفظ الغليظ خالد بن الوليد واني اخاف
ان يقتلني فقال يا اخي انه ليس وهذا الجيش لعمرو بن العاص فرجع معه فلما
قربا من الجيش بادروا اليهما وقالوا لشرحبيل ما هذا معك فلقد صنع معك
جميلا قال شرحبيل ولم يعرفوه لانه كان متلثم بفاضل عمامته فقلت هذا طليحة
بن خويلد الاسدي قالوا او تاب ورجع الي الله قال طليحة انا تايب الي الله تعالى
مما كان مني فقال شرحبيل امض بنا الي عمرو بن العاص فاتا به اليه فسلم عليه
ورحب به حدثني سالم بن عامر الربعي عن جده قال بلغني ان طليحة بن
خويلد لما كان منه ما كان وادعي النبوة وقاتل الاسود العبسي لانه قال انه
نبي فخاف طليحة علي نفسه وهرب في الليل مع زوجته الي الشام واستجار
برجل من كلب وكان مومنا فاجاره وجلس عنده الي ان استخبروه عن حاله
فحدثه طليحة بجميع امره مع خالد بن الوليد ووقايعه معه وكيف ادعا
النبوه فغضب الكلبي من كلامه وقال والله ما فعلت ذلك الا شحا علي الاموال
فسلبك الله اياها والواجب علي الاغنيا ان يواسوا مما رزقهم الله للفقرا فان
ذلك من مكارم الاخلاق قم عني لا جوار لك عندي ثم طرده من جواره فمضي
من عنده مخزيا نجلا نادما الا ان فعله بنفسه ندما نادبا علي الله وخرج من

عنه

عند الكلبي ومضى الى الشام وقد تاب من صنيعه فاقام بها فلما بلغه ان
الصديق رضي الله عنه قد قبض قال اذهب من جردت في وجهه السيف فمن
ولي بعده قالوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ذلك الفظ الغليظ وهابه ان
يمضي اليه فزعا من خالد ومنه فلما بلغ ان خالدا تمكن من الشام خاف ان يسمع
به فيطلبه او يراه في الشام فيقتله فقصد قيسارية ليركب في مركب ويطرح
نفسه في جزيرة من جزاير البحر وقد كان يتحسر حسرات وكان يتوقع اخباره
ويكثر من السوال عنه وعن مستقره فمضى طليحة وقصد قيسارية وعزم
على ان يركب في مركب ويسير ويطرح نفسه في بعض الجزاير فلما نظر الى
جيش قسطنطين قد خرج الى قتال المسلمين حدث نفسه وقال لو انني اسير مع
هذا الجيش فلعلي انكبه نكبة اغسل بها اوزاري ويكون لي قربة الى الله
والى المسلمين فلما وقف في صف المشركين وفي قلبه ما فيه ونظر الى البطريق قد مر
وقد برز وصنع ما صنع ونظر الى شرحبيل وقد بارزه وقهره ورماه واراد ذبحه
وقد اشرف على الهلكة لم يصبر بنفسه عنه وقفز اليه كما ذكرنا وجرى له
ما وصفنا قال الواقدي ولما وقف طليحة بين يدي عمرو بن العاص شكر
له فعله وبشره بالتوبة وقال جاهد مع المسلمين فغفر الله لك ما سلف من
قبيح العمل قال ايها الامير اني اخاف من خالد بن الوليد ان يراني فيقتلني فان في
قلبه ما لا يخرجه الا قتلي فقال له عمرو انا اشير عليك بشي تصنعه وتامن به على
نفسك في الدنيا والاخرة ان شاء الله قال اكتب معك كتابا الى امير المومنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه اذكر فيه ما صنعت واخذ لك خط المسلمين بما شاهدوا
من فعلك ونصحك لله والدين وترفع الكتاب اليه واظهر له التوبة فانه يقبلها
منك ويستنجد بك في الجهاد وقتال المشركين فتمحوا به عنك ما سلف من خطاياك
فاجابه طليحة الى ذلك قال فكتب عمرو بن العاص كتابا الى عمر بن الخطاب رضي
الله عنه بما صنع طليحة وبما اراد عمرو واخذ له شهادة المسلمين ودفعه له فاخذه
طليحة ومضى به الى المدينة فلم يجده بها فقيل له انه بمكة فمضى حتى
وردها فاغتسل وتطهر وقصد الكعبة فتعلق به وقال يا امير المومنين انا تائب
الى الله مما كان مني فقال عمر ومن انت قال انا طليحة بن خويلد ففر منه عمر وقال
يا ويلك ان انا عفوت عنك فكيف تصنع غدا بين يدي الله بدم عكاشة بن محصن
الاسدي قال طليحة يا امير المومنين عكاشة رجل اسعده الله على يدي وشقيت انا
بسببه وارجوا ان يغفر الله لي بما عملته قال عمر وما عملت فاخرج اليه الكتاب
من عمرو بن العاص فلما قراه وفهم ما فيه فرح وقال ابشر فان الله غفور رحيم وامره
عمر ان يقيم معه بمكة فاقام معه اياما فلما رجع عمر الى المدينة وجهه الى قتال اهل فارس

قال الواقدي رحمه الله ورجعنا الي الحديث وذلك انه لما قتل الله قيدمون علي يد
طليحة بن خويلد و نجا شرحبيل ابن حسنه ورجعا جميعا الي عمرو بن العاص وكان
المطر شديد والبرد عظيم فقطع الناس عن القتال ولحق المسلمون منه الاذي
لانه كان اكثرهم بلا جبة فالتجوا الي الجابيه واستنو ابجدرانها وكان من رحمة
الله للمسلمين ان وقع في قلب قسطنطين الفزع والرعب في قلوبهن لما قتل
قيدمون فانه كان ركنه ودعامته فشاروا عليه اصحابه بالرجوع الي
قيساريه وقال يا معاشر الروم انتم تعلمون ان جيوش اليرموك ما ثبتت
لهولاء القوم وان ابي قد هرب الي القسطنطينيه من خوفهم وقد ملكوا
الشام جميعه وما بقي لهم غير هذا الساحل واني اخاف ان ياخذها من قبلهم
ويملكون قيساريه والرحيل لنا ارفق من المقام هاهنا فاجابوه الي ذلك فلما
كان الليل ارتحل القوم والمطر ينزل عليهم قال سعيد بن جابر الاوسي وكان ذلك
كله رحمة من الله لنا قال سعيد بن جابر فلما كان في اليوم الرابع ارتفع المطر
وطلعت الشمس فخرجنا من الجابيه نطلب قتال الروم فلم نر لهم خبرا فوالله
لقد فرحنا بطلوع الشمس اكثر من رحيل القوم عنا كتب عمرو بن العاص بذلك
كتابا الي ابي عبيده الي حلب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص الي ابي عبيدة ابن
الجراح امير جيش المسلمين بالشام سلام عليكم فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واشكره
علي ما منحنا من نصره اما بعد يا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قسطنطين
ابن هرقل قد خرج الي لقائنا في ثمانين الفا وكان لقاؤنا معهم علي تخل وخرج الينا
منهم بطريقا اسمه قيدمون فنزل اليه شرحبيل بن حسنه فاسر شرحبيل وطرنه قيدمون
خال الهرقل وقد خلصه الله علي يد طليحة بن خويلد وقد وجهته الي عمر بن الخطاب
وقد انهزم عدو الله قسطنطين وانا منتظر جوابك والسلام وطوي الكتاب وبعثه
مع جابر بن سعيد وامره بالرجوع فاخذه وسار به ثم رحل عمرو بالمسلمين ونزل علي
قيساريه ومسك ابوابها قال فلما وصل كتاب عمرو بن العاص الي ابي عبيدة وقراه علي
المسلمين ففرحوا بذلك ثم كتب جواب كتاب عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فقد
وصل كتابك الي وقد حمدت الله علي سلامة المسلمين واذا قرات الكتاب فعول علي المسير
الي طرابلس وصيدا وبيروت وعكه والسلام ثم طوي الكتاب ودفعه الي جابر ابن
سعيد وامره بالرجوع ثم عول علي الرحيل الي الساحل فقام اليه عبد الله يوقنا وقال
اعلم ايها الامير ان الله تعالى قد اباد المشركين وخذلهم ورفع علم الموحدين واني اريد ان
اسير قبلك الي الساحل فلعلي افوز من القوم بفرصة فقال له ابو عبيدة يا عبد الله ان انت
فعلت شيا يقربك الي الله تعالى فانت تجده بين يدي الله عز وجل قال فوثب يوقنا وجمع اليه
اصحابه قال وكان قد انضاف اليه من كان يخدمه بحلب لما كان صاحبها وكلهم رجعوا

بد

الي دين الاسلام وكانوا يقاتلون بهم وعزم وكانوا اربعة الاف وكان في عسكر المسلمين
من البطارقه ممن اسلم ورسخ الاسلام في قلبه اربعة من ثلاثة الاف عبيد اصحاب يوقنا قال
حدثنا جعفر عن عبيد بن ناصح عن ابي عبيد بن محمد بن عمر الاسلمي قال حدثني ابو عبد الله انه لما
انهزم قسطنطين بن الهرقل ودخل في قيساريه وتحصن بها وبعث له صاحب طرابلس
يطلب نجده منه فبعث له بطريق اسمه جرفاس ومعه ثلاثة الاف فارس فسار بهم جرفاس
نحو طرابلس قال فلما وصلوا بالقرب منها نزل بهم وامرهم ان يلبسوا السلاح الكامل
لي يظهر وان يفتتهم اهل طرابلس قال فبينما هم كذلك اذ اشرف عليهم يوقنا ومعه
نال فلما راهم جرفاس ركب وسار اليهم بنفسه ليستخبرهم عن امرهم قال فلما قرب
منهم سلم عليهم ورحب بهم وقال من انتم فقال يوقنا نحن الذين لجانا الي هولاء العرب
واستكفينا شرهم وظننا انهم علي شي واذا هم لا دين لهم فهربنا بدينناً نحن
واصحاب قنسرين وحلب وحماه ومعنا ناس من اعزاز والعمق وانطاكيه فنحن قاصدين
الي الملك قسطنطين ابن الهرقل لنكون في جنابه قال فلما سمع جرفاس ذلك من القوم
آنس اليهم واطمان بهم وقال انزلوا عندنا لكي تستريحوا من التعب لانكم تسيرون الليل
والنهار خيفة علي انفسكم من العرب فقال له يوقنا وانتم اين تريدون فقال ان
الملك قسطنطين قد بعثنا نجده لاهل طرابلس فقال يوقنا كونوا علي حذر وكونوا
متيقظين فان امير العرب الذي يقال له ابو عبيدة قد تركناه في نية القدوم الي ارض
الساحل فقال جرفاس وما الذي ينفع من حذرنا ودولتنا قد ولت قال ونزل يوقنا
واصحابه ساعة وقد قدم لهم جرفاس الاكل فاكلوا من الزاد ثم ودعهم يوقنا
وركب وركب جيشه معه ثم قال له يوقنا اشتغل باصحابك والبسهم لبس الحرب وزينتهم
واحسنها فان ذلك ما يطرح الرعب في قلوبهم ويشتد قلوب اهل طرابلس قال
حدثنا سليم بن عامر انه قال ما دخل يوقنا الي الساحل حتي اتفق الحيله وذلك
انه اخذ في طريقه علي وادي الاحمر وكان في صلح المسلمين وكان قد نزل فيه الحارث بن
سليم ومعه بنو عمه وهم مايتي بيت وهم يرعون ابلهم واغنامهم في تلك الوادي
فغار عليهم يوقنا وقد اخذهم وشدهم وثاقا ودخل بهم الي بلاد الساحل فلما
جن عليهم الليل جمعهم اليه في السر وقال لهم لا تظنوا اني رجعت عن الاسلام ولما
فعلت بكم هذا الا حتي يسمع الروم اني غزوت علي العرب واخذت اموالهم واسرتهم
فيطمينوا الي فقالوا ان كنت تريد بذلك اقامة دين الله فالله ينصرك قال وكان رجالا
من قومه يسوقون الاموال قال وانما اطمان جرفاس الي يوقنا واصحابه لما راي معهم
الاساري من العرب والجمال والاغنام قال فلما ركب يوقنا وقومه اروا هم انه طالب
ساحل البحر وانما طلبوا طريق طرابلس ونوي علي غدر القوم فلما كان الليل اكمن
في طريق القوم قال وان جرفاس فوق الخزانة التي كانت معه علي اصحابه وصبروا الليل

وقطعوا الخيل عليهما وركب وسار على طريق طرابلس قال فلما توسط بينهم جوفاس خرجوا
عليه ولم يمهلوهم للقتال حتى اخذوهم اسارى ولم ينج منهم احد وانتشرت الخيل في تلك الارض
لئلا يكون قد انفلت احد من القوم قال فلما حصلوا في قبضتهم وبخت وثاقهم اسروهم وارادوا
ان يطلقوا الحارث ابن اسلم واصحابه قال لهم الحارث اني ارى لكم من الراي ان تتركونا
على حالنا فان ثواب الله قد حصل واصبحوا ابنا بلاد العدو فانكم ان اشرفتم على بلد
من بلاد السواحل فان الله يفتحها لكم فقال يوقنا لقد اصبت الراي ثم امر يوقنا لاصحابه
ان يستوثقوا الاسارى وامكن الفين من اصحابه عند الاسارى ثم لبس اصحابه زي
الروم من ثياب اصحاب جوفاس ولبس هو ما كان على جوفاس وهم ثلاثة الاف وكتب
وامرهم ان يحملوا راية جوفاس وسار بعد ان وصى اصحابه الالفين على الاسارى وقال
لهم لا تبرحوا من مكانكم حتى ارسل لكم رسولا ثم سار نحو طرابلس قال وكان كتاب
قسطنطين قد ورد عليهم يعلمهم باني قد نجدتكم بجوفاس البطريق ومعه ثلاثة الاف
فارس قال فلما وصل يوقنا الى طرابلس ظنوا انه جوفاس وقومه فخرجوا الى لقائه
وسلموا عليه القوم وساروا بين يديه حتى نزل بدار الامارة ثم استدعى ببطارقتها
فلما حصلوا عنده قبض عليهم وقال لهم يا اهل طرابلس اعلموا ان الله سبحانه وتعالى قد
نصر الاسلام واهله وقد كنا نخطى في عشواتنا ونسجد للصلبان حتى بعث الله لنا
هولاء القوم وهدانا الله بهم ولحقنا بهم وببركة نبيهم وهو النبي المبعوث بالحق
الذي ذكره في الانجيل وبشر به المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وان الاسلام قول
حق وصدق يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويوتون الزكاة وينطقون
بالحق ويتبعون الصدق ويوحدون الله ويصلون على نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ويجاهدون
في سبيل الله باموالهم وانفسهم وهذا الدين الذي امر الله به انبياءه ورسله وهذا معتقدي
فاما ان ترجعوا الى دين الاسلام واما ان تودوا الجزية والا بعثت بكم الى العرب ليروا فيكم
رايهم وهذا ما عندي والسلام قال فلما سمعوا القوم كلام يوقنا علموا انه قد
احتال عليهم واخذ صاحب الملك جوفاس واصحابه في الطريق ثم قالوا ايها الامير نحن
نفعل ما امرتنا به قال فمنهم من اسلم ومنهم من رضي باداء الجزية قال واعد يوقنا
بينهم ثم بعث الى اصحابه ان ياتوا فقدموا القوم ومعهم جوفاس واصحابه الثلاثة الاف
وهم موثقون بالحبال حتى وقفوا بين يديه فامر ان يحلوا الحارث واصحابه من
وثاقهم يحلوهم وعرض الاسلام على جوفاس واصحابه فابوا فامر بحبسهم ثم كتب
الى ابي عبيدة يعلمه بخبره وما جرى له من اوله الى اخره وطوى الكتاب وبعثه
مع الحارث الذي كان اخذه من وادي الاحمر كما تقدم وقال له يا عبد الله كن البشير
الى الامير ابي عبيدة بهذا الفتوح فقال سافعل ذلك ان شاء الله تعالى ثم سار من وقته حتى
وصل الى ابي عبيدة وناوله الكتاب فاخذه وقراه على المسلمين قال فلما قراه فتح

بذلك

بذلك ثم قال للحارث المرتسنا دن مني ان تسيرانت وبنو عمك الي وادي بني الاحمر
فمن وصلك بالطرابلس قال اوصلني القضاء والقدر وذلك ان يوقنا غار علينا
واخذنا اساري وحدثه بما جري له مع يوقنا قال فتعجب من ذلك ابو عبيدة وقال
اللهم ثبته وايده بالنصر قال واما ما كان من امر يوقنا فانه لما ملك طرابلس واحتوى
عليها واستوثق من صورها وابوابها وترك اصحابه على الابواب وقال لهم لا تدعوا
احدا يخرج من المدينة وكان في مينا انها مراكب كثيرة فاخذهم ورفع انتهاليه قال
وكل ذلك حتى لا يدري احد من اهل السواحل بما صنعوه من الحيلة قال فلما صنع ذلك
وهو منتظر كتاب الامير ابو عبيدة اذا اقبل عليه مراكب كثيرة وهي زهاء عن خمسين
مركبا فاراهم الفرح وتركهم ثم استخبرهم عن احوالهم وقال لهم من اين جيتم قالوا جينا
من جزيرة قبرص من عند افريطش قال فما معكم قالوا معنا الطعام والعدد والسلاح
خدمة للملك قسطنطين قال ففرح بهم يوقنا وخلع عليهم ورحب بهم وامر بهم
الي دار الضيافة وبعث الي من في المراكب فانزلهم وقدم لهم السماط قال فلما اكلوا
قال لهم يوقنا اني عازم على المسير معكم بزاد وسلاح المخدمة قسطنطين ابن الملك
هرقل ولكن اقيموا عندي ثلاثة ايام فقالوا ايها الملك انا على عجل من امرنا نخاف
من عتب الملك ولسنا نقدر على ذلك قال فلم يزال بهم حتى انعموا له بالاقامة ثم
قال لهم اني اريد منكم ان تنزلوا الي الشراعات والمقاذيف تكون عندي في المدينة حتى
تطيب نفسي بذلك قال ففعلوا القوم ذلك ولم يخلوا في المراكب شيا من الة البحر الا
اخذها عنده قال فلما دبر الحيلة عليهم احضرهم عنده فقبض على الجميع وقيدهم
كتافا وامر بهم الي السجن قال ثم سلم طرابلس لبني عم الحارث ابن سليم ولفليطانوس
ملك الرومية وقومه ثم عمر المراكب برجاله وهم بالطلوع فيها واذا هم بغبرة قد لاحت
لهم فبعث فليطانوس خيلا تكشفه واذا هو خالد بن الوليد رضي الله عنه في الف فارس
من اصحابه قال فلاقاهم يوقنا وفليطانوس وسلموا على خالد ومن معه وحدثه
بما جرى له وما قد عزم عليه فقال له خالد نصرك الله وايدك ثم ركب يوقنا في المراكب
وقومه وهم في اربعة الاف وسار الي ان وصل الي صور قال وكان على صور بطريق من قبل
قسطنطين ومعه جيش كثير لكن مع يوقنا في المراكب اكثر من جيشه قال فلما ان حصل
يوقنا في المينا امر اصحابه ان يضربوا البوقات فضربوا البوقا ونشروا الرايات ووقف
البطريق واصحابه على باب البحر وحصن المدينة وصف الرجال على السور وعزموا على
القتال وبعث الي صاحب البحر يستخبرهم من اين اقبلوا فقال لنجاه صاحب البحر واخبره ان
هولاء اهل جزيرة قبرص من عند فريطش ومعهم السلاح والعدد والطعام والعلوفا
خدمة للملك قسطنطين ففرح بذلك وفرحوا اهل صور وامرهم بالنزول فنزل يوقنا
واخذ معه من اصحابه تسع مائة وترك القوم في المراكب وامرهم ان يكونوا مستيقظين

علي انفسهم قال فنزلوا وترجل البطريق وسلم عليهم وترحب بهم وقدم لهم طعاما
ومد لهم سماطا عظيما وخلع عليهم قال وان يوقنا منتظر الليل حتي يثور باصحابه
في المدينة ويرسل الي من في المراكب ثم قال لاصحابه ان لم تتم لنا هذه الحيلة والا ارسلت
الي خالد يأتي الينا سرعة قال الواقدي رحمه الله ولم نسمع اعجب من هذه الحيلة ١٩٣
ولقد حدثني بها ناصر بن مزاحم عن ابن عامر قال ولما دخل يوقنا واصحابه التسعمائة
الي صور واكلوا سماط البطريق وخلع علي كبرائهم اقبل اليه رجل من اصحاب يوقنا ممن
تحكمت الضلالة علي قلبه وعلي الكفر قائم جسده وحدث البطريق بامر يوقنا وما
قد عزم عليه وانه مسلم وهذا يوقنا صاحب حلب وقص عليه قصته من اولها الي
اخرها وانه يقاتلكم مع العرب وهو الذي فتح طرابلس واخذ البطريق جرفاس صاحب
الملك وقومه وسجنهم في طرابلس وقبض علي اصحاب هذه المراكب وان قومه داخل
البحر في المراكب وان ما لكم طاقة بهم وهم مستيقظون علي انفسهم قال فلما سمع
البطريق ذلك من الرجل لم يكذب خبرا دون انه ركب هو واصحابه وقبض علي يوقنا
وعلي اصحابه وقد علا الصياح وكثر الضجيج قال فسمعوا اصحاب يوقنا وعلموا
ان ذلك امرا اصابهم وانه قد قبض علي يوقنا ومن معه فاغتنموا لذلك واخذوا علي انفسهم
وابعدوا عن الميناء ولم يقدر احد يقرب اليهم قال فلما قبض عليهم البطريق اوثقهم
بالحديد ووكل بهم الف فارس وامرهم ان يسيروا بهم الي الملك قسطنطين ليفعل
بهم ما يريد ثم اقبل اللعين يعنف يوقنا ويقول له ما الذي رايت في دين العرب حتي
تتبعهم وتركت دينكم ودين ابائكم لقد طردكم المسيح عن بابه وابعدكم عن جنابه فلم
يجبه يوقنا قال فبينما هم كذلك وهو يريد ان يرسلهم واذا باهل الضياع والقرى
الذي حول المدينة قد اقبلوا يهرعون وهم يصيحون فسالوهم من اعلا السور
عن خبرهم فقالوا ان العرب قد قدموا عليكم قال وان عمرو بن العاص لما نزل علي
قيسارية وحاصرها وسمع ابن هرقل ان يوقنا وفلبطانوس صاحب الرومية
قد اخذ واجر قاس وجيشه وفتحوا طرابلس خاف علي نفسه فنزل في البحر
ولحق ابوه وخرج اهلها اليه وصالحوه عن انفسهم وبعث يزيد ابن ابي سفيان
ومعه الفين فارس الي صور ليحاصرها قال فلما قرب منها وهربوا منهم اهل
البلاد يريدون ان يتحصنوا في صور وقد دخلوا اليها واعلموا بطريقها بذلك
فخاف علي نفسه فامر ان يغلقوا الابواب فغلقوا الابواب وصعدوا علي الاسوار
وسلكوا الابراج ونصبوا المنجنيقات ودخل البطريق يوقنا واصحابه الي السجن
واستوثق منهم وبات القوم ليلتهم يتحارسون وقد اضرموا النيران علي الاسوار
واقبل القوم يشربون الخمر وياكلون الخبز ويرقصون طوال ليلتهم الي الصباح
قال فلما كان الصباح اشرف عليهم جيش يزيد ونزل بهم فاشرف عليهم البطريق

فراهم

فراهم قليلا وقد استحقرهم في عينه وطمع فيهم وقال وحق المسيح لابد لي من
الخروج اليهم وابذل السيف فيهم واهلك هذه الشرذمة اليسيره ثم لبس لامة حربه وامر
قومه ان يتاهبوا لقتال العرب ثم ركب وترك على حفظ يوقنا واصحابه ابن عمه باسيل
وبرز البطريق خارج المدينة بجيشه قال وكان الذي توكل على يوقنا واصحابه شيخ
عارف بامور دينه وكان قرا الكتب السالفة والاخبار الماضية وكان قد راي سيدنا
محمد صلي الله عليه وسلم في دير بحيرة الراهب وكان هذا اباسيل قد مضي ليزور بحير
الراهب وكان بحيرا كثيرا اقامته ببصره قال فلما قدمت عير قريش باحمالها وفيها
المصطفي صلي الله عليه وسلم نظر بحير الراهب الي القافلة والنبي صلي الله عليه وسلم
في وسطها والسحابة علي راسه تظلله من حر الشمس فقال بحير الراهب هذا
والله صفة النبي الذي يبعث في تهامه ثم نظر واذا بالقفل قد نزل النبي صلي الله عليه وسلم
وحده تحت شجرة يابسه ثم اسند اليها ظهره فاخضرت تلك الشجرة واورقت في
الحال من بركته قال فلما عاين بحيرة ذلك صنع طعاما للقريشي واستدعاهم اليه
فاقبلوا ودخلوا الي الدير وبقي محمد صلي الله عليه وسلم عند الابل يرعاها قال
فنظر اليهم بحيرة فلم يراه في جملتهم فقال لهم يا قريش ابقي منكم احدا قالوا نعم
بقي منا فتي وهو يحفظ القافله ويرعي ابله قال بحيرة ما اسمه قالوا اسمه
محمد بن عبد الله قال هل مات ابوه وامه قالوا نعم فقال بحيرة يا قريش مجدوه
وعظموه فهو والله سيدكم وبه يعظم قدركم في الدنيا والاخرة قالوا من اين لك علم
بذلك قال لما اشرفتم علي من البريه رايت الغمامة علي راسه تظلله من حر
الشمس واستند الي الشجرة اليابسه اورقت في الحال واومت اليه ساجده
وستري ن ليعلون شانه علي المشرق والمغرب قال فخرجوا قريش من الدير
وبقي في قلب باسيل وجل من امره وعلم ان بحيره لا يتكلم الا بالحق قال واما ما كان
من امر البطريق لما خرج الي قتال يزيد ابن ابي سفيان ووكل باسيل بيوقنا واصحابه
فقال باسيل في نفسه والله ان الاسلام هو الحق وقد بشر به بحير الراهب فلعل الله
ان يغفر لي اذا خليت هولاء القوم قال وكان من حسن لطف الله بالمسلمين لما
خرج البطريق الي قتال يزيد ابن ابي سفيان لم يدع احد من اهل الحرب في المدينة ولم
يبق في المدينة الا الشيوخ يحفظون الصور والباب وهم ينتظرون ما يكون من البطريق
ومن العرب قال فلما نظر باسيل الي خلو المدينة من اهلها اجمع رايه علي خلاص
يوقنا ومن معه قال فلما اقبل الليل سار الي الباب وقفله واستوثق من الباب
واخذ المفاتيح ودخل علي يوقنا وجلس عنده وقال له ايها البطريق الكبير كيف
تركت دين ابايك واجدادك من قبلك وعدت الي دين هولاء العرب وما الذي رايت
من الحق حتي تبعتهم وقد كانت الروم تتخذك عونا لها ثم قال له يوقنا يا باسيل

ظهر لمعاظم لك من الحق فعرفته وقد هتف بي هاتف وهو يقول لي ان الله تعالى قد
هداك الى دينه وبشرني ان خلاصي على يديك قال فلما سمع بذلك باسيل ازداد
يقينا وتحقق ايمانه ثم قال يا يوقنا لقد انطق الله على لسانك الحق ولقد
تبعت طريق الصدق وان الله تعالى كشف حجاب الغفلة عن قلبي مذ رايت محمد بين
هولاء القوم بدير بحيرا الراهب وهو في قافلة اهل مكة ورايت من دلايله
انه لا يسير على الارض الا والشجر تسجد له والسحابة على راسه تظلله
من حر الشمس ولقد استند الى شجرة يابسة فاورقت اغصانها الا لحمه
وتعجب من ذلك واني سمعت بحيرا يقول هذا والله الذي بشر به المسيح فطوبى لمن
تبعه وامن به وصدقه فلما رجعت من زيارة بحيرا الراهب سافرت الى القسطنطينية
بتجارة لي واقمت هناك ما شاء الله ثم رجعت الى قيسارية فرايت الروم في هرج
ومرج فسالت عن احوالهم فقيل لي قد ظهر نبي في الحجاز الذي اسمه محمد ابن عبد
الله ابن عبد المطلب وقد اخرجوه قومه من مكة وقد وصل الى المدينة التي بناها
تبع وقد ظهر على قومه ونصره الله عليهم فما زلت اسال عن اخباره وهي كل يوم
تزيد وتنمو حتى قيل لي انه قد قبض ثم ولي صاحبه ابا بكر ونفذ الجيوش الى الشام
فلم يلبث الا يسيرا ثم مات وولي بعده هذا الرجل الذي اسمه عمر بن الخطاب
وقد فتح بلادنا وهزم ملوكنا وانا مع ذلك كله ارتقب قدومهم الى هذا
الساحل حتى اتى الله بهم ثم قال له يوقنا وما الذي عزمت عليه قال عزمت
والله على ان افارق دين قومي واتبعكم فان الحق معكم ثم حل يوقنا واصحابه
وسلم اليهم عدتهم وقال ليوقنا اعلم ان المفاتيح جميعها معي وان العسكر جميعه
بالمدينة مشتغلين بقتال العرب وليس في المدينة من تخافه فانهض على اسم
الله فقال يوقنا جزاك الله عنا كل خير فلقد هداك الله الى دينه وسلكت طريق
النجاة وختم لك بالخير ونحن الان قد استظهرنا لانفسنا وتبعث الى من في
المراكب حتى ينزلوا الينا ونكون نحن واياهم يد واحدة قال باسيل سافعل
ذلك ثم انه خرج في حال الخفا وقد اخذ معه رجل من بني عم يوقنا وركب معه
في زورق وسار حتى وصل الى المراكب وحدثهم بما كان من امر يوقنا فنزلوا
من المراكب واوثقوها برجال تحفظونها وقد دخل بهم باسيل الى داخل المدينة
قال فلما حصلوا من داخل المدينة قال يوقنا لاصحابه من فيكم يهب نفسه لله
ولرسوله ويخفي امره ويخرج من باب المدينة ويسير الى عسكر المسلمين ويتصل
الى اميرهم ويعلمه بما كان من امرنا ويكون على اهبة فاذا سمعوا صياحنا وعلا
تكبيرنا لا يمهلوا العدو ويقصدوا اجيشهم فقال رجل من القوم انا اكون ذلك
ثم خرج وهو منكر وغلق باسيل الباب خلفه وسار الرجل حتى وصل الى يزيد

ابن ابي سفيان وحدثه بما كان من امر يوقنا فسجد شكرا لله ثم اعلم المسلمين
من ساعته فاخذوا علي انفسهم للكبسه علي القوم ورجع رسول يوقنا اليه
قال المعلم يوقنا ان الخبر وصل الي المسلمين حمد الله وشكره ثم قال لاصحابه اصعدوا
الي الصور وايدلوا فيمن عليه السيف فقال يا سبيل ليس هذا راي فان القوم
لا اعتبار بهم ولعل الله ان يهديهم للاسلام ولكن مر اصحابك ان يلزموا
مطالع الصور حتي لا ينزل منهم احدا ويزعقون بالامان قال فاستصوب
رايه يوقنا ثم وكل رجالا بالمطالع ثم زحف يوقنا واصحابه ورفعوا اصواتهم
يقول لا اله الا الله محمد رسول الله قال فسمعهم كل من في المدينة وعلموا ان يوقنا
واصحابه قد خلصوا من ياسرهم وقد ثاروا في المدينة فارتجفت قلوبهم
وانزعجت اسرارهم علي اولادهم واهاليهم ولم يتجرى احد منهم ان يخرج وسمع
اصواتهم يزيد ابن ابي سفيان فعلم ان المسلمين قد ثارت علي اسم الله فركب
وكبر وكبر المسلمون فسمع البطريق الضجة من المدينة فعلم ان يوقنا قد انفلت
من الاسر هو واصحابه وهم الذين فعلوا ذلك فوقع الرعب في قلوبهم ونظروا
الي النيران قد اشتعلت في عسكر المسلمين وقد تاهبوا للحملة عليهم فلم يكن لهم
صبر الان قلوبهم قد تعلقت واحتاروا في امرهم لان اموالهم واولادهم داخل
المدينة وقيساريه محاصره وليس لهم مدد يصل اليهم من قسطنطين وان الملك
هرقل قد هرب فما امكنهم الا انهم ولوا الادبار وركنوا الي الفرار وقد تبعتهم
المسلمين ووضعوا السيف فيهم الي الصباح وملكوا احبامهم وما كان معهم قال فلما
اصبح الصباح فتح يوقنا الباب ودخل يزيد ومن معه من المسلمين واحتوا واعلى
اموالهم ونادي كل من كان فوق الصور الفون الفون يعني الامان الامان فامنوهم
المسلمين ونزلوا باجمعهم فقال لهم يزيد اعلموا ان الله سبحانه وتعالى قد فتح علينا
بلادكم ومدنكم وحصونكم عنوة وانتم الان عبيدنا فما شينا حكمنا فيكم لكن نحن
قوم اذا عاهدنا وثقنا واذا قلنا صدقنا وقد اعطيناكم الذمام من انفسنا
ولكن الجزية علي من لا يدخل في ديننا ومن اسلم منكم كان له ما لنا وعليه
ما علينا قال فاجاب القوم الي ذلك واسلم اكثرهم وبلغ الخبر الي قسطنطين
ان صور قد اخذت فعلم انه لا طاقة له بالعرب فاخذ خزاينه وامواله وذخايره
وحريمه واولاده وركب في الليل في المراكب وسار الي القسطنطينيه قال فلما نظر
اهل قيساريه الي ذلك خرجوا الي عمرو بن العاص وصالحوه فصالحهم ودخل قيساريه
واخذ بقية ما ترك الملك من خزاينه ورجاله واحتاط علي جميع ماله ثم ضرب
الجزية عليهم من السنة الاتيه علي كل رجل اربعة دنانير وبذلك امر عمر ابن
الخطاب رضي الله عنه وولي عمرو ابن العاص علي صور عون بن سلمه وكان شيخا

كبيرا قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر والنظير وقتل اخيه يوم خيبر قتله
مالك ابن عون وامره على مائة رجل من قومه وقال له كن على صور اميرها قال
الواقدي رحمه الله تعالى حدثني زياد بن عامر قال لما فتح الله قيسارية على يد عمرو بن العاص
وكتب لهم كتاب الصلح على مائتي الف درهم وما ترك قسطنطين من بقية امواله
ورجاله ودخلها يوم الاربعا سادس العشر الاوسط من رجب سنة ستة عشر من الهجرة النبوية
ولعمر ابن الخطاب رضي الله عنه في الخلافة اربعة سنين وستة اشهر قال وبلغ الخبر
الى اهل عكا والرمله ونابلس وغزة وعسقلان وطبريه وصفد وبيروت والى جبيع
جميع جيرة البحر فركبوا جميعهم ومشايخهم وبطارقتهم ورهبانهم واقبلوا الى عمرو
بن العاص ومعهم الهدايا والتحف والاموال وسالوه في الصلح فصالحهم وكتب
صلحهم ورجعوا الى بلادهم وقد امنوا على اموالهم وضرب عليهم الجزية ومنهم
من اسلم قال ومن الله على المسلمين بفتوح الشام وبلادها وقلاعها وحصونها
واخرج الروم منها وذلك كله ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلله در
رجالا قاتلوا وقتلوا وصبروا وجاهدوا وابذلوا انفوسهم في سبيل الله قال
الواقدي ولقد سمعت من جميع الثقاة ممن شهد فتوح الشام والوقايع كلها
قالوا جميعا ان عمرو بن العاص لما انفصل من الساحل بعد ان ملك جميع بلاده وصالحهم
وضرب عليهم الجزية سار الى مصر وقال اريد اداهم اهل مصر على حين غفله
منهم لان ثواب الله عظيم وقد حصل وان الدنيا باسرها ما تسا وي عند الله عقال
بعير فاجتهد واي خلاص منها قال فتقدم يوقنا الى عمرو قال انا اريد اسير الى مصر
فلعل الله تعالى ان يظفرني بهم بالحيلة فان التدبير في الحيلة خير من الطعن والضرب
فقال عمرو بن العاص فاعزم على بركة الله قال فاخذ يوقنا اصحابه وسار
يطلب مصر واخذ على طريق البر والقفار وسار حتى وصل بلادها والعمار فوجد
هناك خيام منصوبه ورماح مغروزه وكان هناك واليا من قبل الملك المقوقس
وكانت الاخبار تتصل اليهم في كل يوم بما يصنعون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان ابن هرقل قسطنطين قد تزوج ابنة الملك المقوقس واسمها ارمانوسه
وكان ابوها قد جهزها بالاموال والتحف والجوار والعبيد وامرها ان تسير
اليه فلما ان بلغها الخبر ان العرب نزلوا على الساحل وهم قد حاصروا قيسارية
وبلاد الساحل رجعت ونزلت في بلبيس وارسلت حاجبها الكبير ومعه الف
فارس ليحفظ لها الطريق فلقيه يوقنا هناك ولم يعرف به احد قال فلما
نظره الحاجب ركب للقايه فلما نظر الى جيش يوقنا هابه وكان يوقنا رضي الله عنه
ما نزل على حصن ولا بلد الا هابه اهل تلك الارض وتلقوه بالخدمه قال
فلما التقاه الحاجب ترجل وسلم عليه وساله عن حاله فقال يوقنا ان

الملك

الملك قسطنطين قد ارسلني حتى اخذ له زوجته بنت الملك المقوقس فقال
له ان ابنة الملك نازلة في بلبيس فقال يوقنا ما الذي منعها عن المسير اليه فقال
قال منعها عن ذلك هزيمة الملك قسطنطين من قيسارية ثم سار معه يوما
كاملا حتى وصل الى بلبيس ثم سار الحاجب الى ابنة الملك واخبرها بما قال يوقنا
فقالت علي به فجاء عسكر ارمنونه واذا هم اكثر من عشرة الاف فارس قال فترجل
يوقنا واصحابه عند مضرب الملكة ثم استاذنوا له في الدخول فدخل وو قف
بين يديها وسجد لها ووقف هو واصحابه فترجبت بهم واذنت لهم في الجلوس
فقال يوقنا ايها الملكة ان شرفنا الوقوف بين يديك فاقسمت عليهم فجلسوا
ثم قالت الملكة ليوقنا من غير ترجمان كم لك عن الملك قسطنطين فقال يوقنا ان
لي عنه شهر وقد ذكر انه يريد يا خذ امواله وخزاينه وذخايره ويركب في المراكب ويسير
الى عند ابيه الى القسطنطينيه وقد وجهني اليك حتى تسيري اليه وتركبي معه
في المراكب فقالت اني لا اقدر افعل شيا الا باذن ابي واني مرسلة اليه بالخبر قال
فقبل يوقنا الارض بين يديها وخرج من عندها فوجد غلمانه قد ضربوا
الخيام وقد اتت اليه الاقامة والعلوفات من عند الملكة ارمنونه فجلس
يوقنا قال وكان قد سبق اليها الخبر من جاسوسها ان زوجها قد هرب في
البحر وان عمرو بن العاص قد فتح قيسارية وبلاد الساحل وقد توجه الى
مصر وان يوقنا صاحب حلب كان من امره كذا وكذا وقد انفصل من العرب
وسبقهم يريد مصر قال فلما ورد عليها يوقنا ما عرفته وقد جاز عليها
امره وحيلته قال فبينما هم كذلك وقد ارسلت تعلم ابوها اذ ورد عليها
بعض جواسيسها واخبرها ان يوقنا قد توجه نحوكم ليحتال عليكي وعلى
ابيك كما احتال على الملك هرقل وعلى طرابلس وصور وفتحهم قال فلما
سمعت ذلك من جاسوسها دخل الرعب في قلبها ثم دعت بالحاجب الكبير
وقد امرت غلمانها ورجالها ان يقفوا خارج المضرب ثم حدثت الحاجب الكبير
بما سمعت من الجاسوس ثم دعت بمماليكها وقالت لهم اني قد سمعت كذا وكذا
وكونوا مستيقظين على نفوسكم فاذا اقبل هذا الرجل يعني يوقنا وخواص
اصحابه الينا فاقبضوا عليهم فاذا وتقتلوهم اخذنا في اصحابهم فاجابوا
بالطاعة ثم ارسلت خادمها الى يوقنا واستادت بالدخول عليه فدخل
ووقف بين يديه وسجد له ثم قال ايها البطريق الكبير ان الملكة تستدعيك
لشغل عرض لها فقال له يوقنا ارجع اليها وقل لها سمعا وطاعة واني ساير
الى خدمتها فمضى الخادم ثم ان يوقنا استدعى بجميع اصحابه اليه وقال لهم
اعلموا ان الملك قد ارسلت الينا وانها تريد قبضنا في هذا اليوم فان وقفنا في

ايديهم قتلونا عن اخرنا حتي تقع الهيبة في قلوب اصحابنا فموتوا كراما ولا تموتوا
لياما وما يغني عنا ما نرجوه في هذه الدنيا الدنيه التي لا تنفعوا الا حزن الكدر
وقد رايتم ما كنا فيه من الامر والنهي ثم زال ذلك عنكم فجاهدوا في هولاء القوم
لعلكم تفلحون قال فاسرعت القوم ولبسوا سلاحهم واخذوا على نفوسهم وركبوا
علي خيولهم وتوكلوا علي خالقهم قال وان الملكه في انتظارهم فابطا عليها
قدمهم فارسلت رسولا اخرا اليهم فقال له يوقنا ارجع اليها وقل لها ما جرت
بذلك عادة الملوك ان يحضر والرسل في الليل فرجع الرسول واخبرها بما قال يوقنا
فصدقت الجاسوس انه جا يختال عليها فركبت من وقتها وساعتها وركب
الجيش معها ودار وا بيوقنا واصحابه ولم يجدوا احرباالي ان اقبل النهار قال فلما
اقبل النهار رجع اليهم الحاجب الكبير وقال لهم ويلكم كيف تركتم دين اباكم
واجدادكم ورجعتم الي دين العرب لقد غضب عليكم المسيح فقال له يوقنا يا ويلك
ان المسيح عبد من عبيد الله لا يقدر لنفسه علي نفع ولا ضر وقد قال الله عز وجل
اخبارا عنه واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا الي حيا فمن يوصي لنفسه
بالموت كيف يكون اله وانما هو مخلوق وقد قال الله تعالى ومن يبتغي غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين ونحن جينا نجاهدكم حتي تقولوا لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال فلما سمع الحاجب ذلك من
يوقنا قال للقوم دونك وهولا القوم الذين اقبلوا يكيدونكم وياخذون
بلادكم واموالكم قال فحملوا القوم باجمعهم علي يوقنا واصحابه فالتقاهم
يوقنا بقلب اقوى من الجبل ورفعوا اصواتهم بقول لا اله الا الله محمد رسول الله وقتلوا
قتالا شديدا الي ان اقبل الليل وانفصل البعض من البعض وباتوا ليلتهم يتحارسوا
الي الصباح فلما اقبل الصباح ركب يوقنا واصحابه وخرجوا الي القتال الكفار والتقي
الجمعان ووقع القتال بينهم وعلا عليهم الغبار وحمل عليهم يوقنا وجندل
ابطالهم وفرق كتايبهم وزعقت عليهم اصحاب يوقنا وقالوا والله لا نسلمها
او نقتل عن اخرنا في سبيل الله تعالى وقد وقع لنا ما كنا نطلبه قال وان الملكه
لما اخبرها الجاسوس بامر يوقنا ارسلت الي ابيها تخبره بذلك وانها قد عولت
علي حربهم وقتالهم وان العرب قد سار وا الينا صحبة رجل اسمه عمرو بن
العاص قال فلما وصل الكتاب الي الملك ابيها وقراه جمع اليه ارباب دولته
وقال لهم قد جرى من الامر كذا وكذا فما تشيرون علي فقالوا ايها الملك
انا نرى من الراي انك ترسل الي الملكه جيشا ينصرها علي عدوها قال لهم
ما رايتم ثم ارسل الي جميع الاقاليم يستنفرهم بالعساكر والجيوش ثم قال لارباب
دولته اعلموا ان الملك يحتاج الي تدبير فمن ملك عقله ملك رايه وامن

من

من حوادث زمانه وليس الكثرة تغلب القدرة ولقد كان ملك قيصر اوسع من ملكي
ولقد استنجد بالروم واليونان والارمن واندلس الي لقا هولاء فلم يردوا
عنه من القضا شيا وانكم تعلموا ان محمد جا بايام حياته قد ارسل الينا ودعانا
الي الاسلام فاستدلينا بكتابه علي صدقه وما جا به من الحق وقد بلغكم ان القمر
انشق له وقد كلمه الضب والحجر والشجر والجمل وقد عرج به الي السما، واول من عاين
ذلك قومه وعشيرته فانكروا عليه وجهلوا فضله فنصره الله عليهم ثم بين لهم الحق
فاتبعوه ونصروه وهم هولاء الذين فتحوا الشام واذلوا القياصره وهزموا ملوكهم
وقد بلغكم ما بلغكم وانهم يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون حدود الله
كما امرهم في كتابه وقد قال نبينا المسيح من خاف الوعيد ضاق درعه عليه قال فلما
سمعوا القوم كلام الملك نظر بعضهم الي بعض ثم اطرقوا وسهموا الي الارض غيظا على
الملك وقالوا ما تكلم الملك بهذا الكلام الا خوفا واتقا بالعرب وتحدثوا مع الحاجب قال
ان الملك ما تحدث بهذا الكلام حتى وقف علي راسه اربعة الاف مملوك بالسلاح
الكامل لانه كان قد سمع ما جرى للملك هرقل مع بطارقته وارباب دولته حين نصحهم
ووعظهم وامرهم باداء الجزية فارادوا ان يقتلوه فاستوثق الملك بنفسه حتى
لا يخالفه احد منهم قال فاقبل عليه وزيره وقال ايها الملك انك ناصح لقومك فيما تامرهم
به فقال الملك ايها الوزير اكتب الي ابنتي ارمنونه وامرها ان تكف القتال عن القوم وتعطيهم
الامان وترسلهم الينا حتى تكونوا معنا عونا على العرب قال وما اراد الملك بذلك
الاسلامة يوقنا واصحابه لما علم انهم علي الحق ثم كتب الوزير الي الملكه بما امره
الملك المقوقس وارسله الي ارمنونه بنت الملك المقوقس قال فلما وصل الكتاب اليها امرت
اصحابها ان يكفوا عن قتال القوم ثم ارسلت الي يوقنا كتاب ابيها الذي جاءها قال
فلما قراه يوقنا قال للرسول ارجع الي الملكه وقل لها متى نشا وربنا فرجع الرسول
اليها واعلمها قال فلما رجع الرسول جمع يوقنا اصحابه اليه وقال لهم اعلموا ان الله عز
وجل قد كشف حجاب الغفلة عن قلب الملك صاحب مصر وقد ظهر له من الحق ما
ظهر لنا فما ترون من الراي فقالوا نحن مستمعين لك وتحت امرك قال يوقنا قد
رايت ان افتكر في هذه الليله قال فلما جن عليه الليل قام يوقنا وتوضا وصلى ركعتين
واذا هو بشخص قد دخل عليه فتميزه يوقنا واذا انه عمرو ابن امية الضمري ساعي رسول
الله صلي الله عليه وسلم ففرح به وقال له يا عمرو من اين اقبلت فقال من عند عمرو بن العاص
وكان قد ارسلني عمر بن الخطاب اليه بكتاب يامره بالمسير الي مصر وقد جيت معه الي هاهنا
فقال يوقنا واين عمرو فقال بينك وبينه ثلاثة فراسخ وقد ارسلني اليك لاكشف خبرك
فقال يوقنا امضي اليه وحدثه على المسير الينا حتى نرى ما يصنع بها ولا القوم ثم
حدثه بما جرى له مع ابنة الملك المقوقس قال فسار عمرو الي عمرو بن العاص وحدثه

بخبر يوقنا وما جري له مع القوم قال فلما سمع عمرو ذلك وثب وركب ونزل
الف فارس عند الاثقال والرجال والمواشي واخذ بقية الجيش وسار تحت سيره
فكان عند طلوع الشمس مقبلا علي يوقنا فركب يوقنا واصحابه واسرعوا الي
لقا عمرو بن العاص وقد رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير وسلم علي عمرو و
وحدثه فامر عمرو المسلمين بالحملة علي جيوش ارمنونه فحملوا عليهم ووضعوا
السيف فيهم فما ارتفعت الشمس حتي قتل من عسكر ارمنونه الف فارس واسر ثلاثة
الاف وقبضت ارمنونه في جملتهم ورجع الباقون منهزمين الي مصر فاحتووا علي
احمال ارمنونه وبركها وما كان معها ثم قال عمرو لاصحاب رسول الله صلي الله عليه
وسلم اعلموا ان هذا الملك قد اهدي الينا هدية وهو مومن بالله ورسوله وقد
قال الله تعالي هل جزآء الاحسان الا الاحسان وقد علمتم ان هذا الملك كاتب رسول
الله صلي الله عليه وسلم وبعث اليه بهدية سنية ونحن احق من كافا عن نبيه
وقد رايت من الراي ان ارسل ابنة الملك الي ابيها بما معها فان الله عز وجل اكرمنا
بالاسلام وهدانا بمحمد عليه افضل الصلاة والسلام وكان النبي صلي الله عليه وسلم
اوصانا وقال ارحموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر فاجابوا القوم الي ذلك
ثم ارسلها الي ابيها مكرومة واعطاها جميع ما كان معها وارسل معها قيس بن سعد
قال واما ما كان من امر الملك فانه لما جاءه بقية الجيش المنهزمين واخبروه بما جري
عليهم من العرب وقد اسروا ارمنونه ابنته فغضب غضبا شديدا وجعل يفتكر
فيما يصنع وليس له بنية ان يقاتل المسلمين قال فبينما هو مفتكر واذا به وقد جاءه
البشير بقدوم ابنته فزال عنه ما كان لحقه من الغضب قال فلما وصل قيس بن سعد
اليه قال له الملك يا اخا العرب ما اسمك قال قيس بن سعد فقال له الملك يا قيس اخبرني
عن نبيكم ما كان يركب من الخيل فقال قيس كان يركب من الخيل الاشقر المحجل فقال الاقبط
قد بلغنا انه ما كان يركب الا الجمل واراد ان يزول قيس بين يدي الملك لانه كان يبغض
الجمل فقال قيس بن سعد ان الله اكرم الابل بناقة صالح نبيه وخص بها العرب
لشدة جلدها علي الحمل الثقيل والسير الشديد ولقد قال سبحانه تعالي وعلي ضامر
ياتين من كل فج عميق والبدن جعلناها لكم من شعاير الله لكم فيها خير وان رسول الله
صلي الله عليه وسلم قد غزا يوم بدر ومعه من الابل وسبعه فرسين والتقينا قريشا في
حدها وحديدها فهزمهم الله ونصرنا عليهم وكان النبي صلي الله عليه وسلم يركب الحمار
الذي اهديته اليه ويردف خلفه صاحبه معاذ بن جبل وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم
يلبس الصوف وكان يخصف نعله بيده ويرقع الثوب ويقول من رغب عن سنتي
فليس مني وكان اذا نهض فانما يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقال الملك المقوقس هذه الاخلاق الانبيا فقط

لمن تبعه وقد اخبرنا المسيح في الانجيل بصفاته قال سمعوا القبط ذلك قالوا ايها
الملك ما يكون عند الله امة خيرا منا قال فغضب الملك من قولهم وقال لهم باي شي لهم
افضل باكلكم الحرام وارتكابكم الاثام وطلبكم للرغبه وميلكم الي الدنيا بالضلا
واين انتم من قوم ليس لهم قاضي ولا امير وان الغني والفقير عندهم سوي ثم قال قيس
ابن سعيد ايها الملك اعلم ان العادل مسرور في الاخره واما الظالم فانه نزمان حيران
علي فعله فاعمل للاخرة تجد المكافاة قبل فصل القضا ايها الملك قد ملكت النواصي
والاقدام في الداني والقاصي وقد استخلفك الله في الارض بقيام سُنّته وفريضته فاذكر
مضجعك ورمسك ثم قال له قيس ايها الملك واتدري ما قيل لك قال لا وحق المسيح
ما ادري تفسير هذا الكلام فقال له قيس هم قوم موسي عليه السلام قال في حقهم
ومن قوم موسي امة يهدون بالحق وبه يعدلون فقال الملك لسعيد يا اخا العرب ارجع
الي صاحبك وقل له اني مقر بنبوة محمد صلي الله عليه وسلم فقال قيس ايها الملك لبي يجيك
منا الا الاسلام قال ساعرض ذلك علي قومي واني اعلم انهم لا يجيبوني الي ذلك
لان قلوبهم قد قست من اكل الحرام قال وكان الملك المقوقس اذا قدم شهر رمضان
لا يظهر للناس حتي يظهر بفرح وكان مخاطبته لقيس بن سعيد في اخر شعبان سنة
تسع وعشرين من الهجرة قال وخرج قيس من عند الملك المقوقس وسار الي عند
عمرو بن العاص واخبره بما جري له وبما تحدث به للمقوقس قال وكان الملك المقوقس
اذا اختلي يجلس ابنه مكانه وكان اسمه اسطواس وكان اللعين جبارا عنيدا
وانه لما سمع ما تكلم به ابوه مع قيس بن سعيد عظم عليه وعلم ان اباه ما يقاتل
المسلمين وربما يسلم اليهم ملكه فصبر حتي دخل ابوه الخلوة التي ينحجب فيها فجمع
اليه ارباب الدولة من القبط وغيرهم ثم قال لهم اعلموا ان ابي المقوقس قد وال
ملك مصر بغير العزيز وهو يريد ان يسلمها لهولا العرب فما انتم قايلون فقالوا
ايها الملك انت تعلم ان صاحب هذا الامر مشتغل وانت ولي عهده من بعده فافعل ما تريد
ونعلم انه يعود صلاحه عليك وعلي رعيتك ثم خرجوا من عنده قال فاستدعي اسطواس
بصاحب الشراب الذي لابيه ودفع له عشرة الاف دينار واقطعه اقطاعا وكتبه باسمه
وحلف له علي ذلك وامره ان يسقي ابوه سمّا قال فمضي الساقي وجعل للملك في شرابه
سمّا فلما كان المغرب دعا بالشراب فشرب منه فمات الملك لساعته واقبل الساقي الي
اسطواس بن الملك المقوقس واخبره بذلك وان الملك قد مات فمضي اسطواس الي
ابيه فراه ميتا قال فلما راه علي تلك الحالة بكا بكا شديدا وامر الخدام ان يكفنوه
ويدفنوه ثم نقتل الساقي ففعلوا ذلك ثم خرج وظهر للناس وجلس علي سرير ملكه
مثل عادته في ايام ابيه اذا غاب في خلوته ولبس عليهم ان احوانه الملك مات قالوا واما
ما كان من امر عمرو وابن العاص فانه ارتحل من بلبيس وسار حتي نزل علي قليوب

وطيب قلوب اهلها واعطاهم الامان ثم رحل عنهم ونزل علي مرج الحصا بالقرب
من المدينة قال وان الناس اقبلوا الي مصر يهرعون من كل جانب ووقع الصياح في داخل
المدينة وغلقوا الابواب ودربوا الدروب بالحجار وتاهبوا للقتال والضرب والطعن
وجعلوا يحرسون انفسهم قال ونزل عمرو علي مرج الحصا وامر العبيد والناس
ان يحفروا خندقا ففعلوا ذلك وقبلت اهل القري تاتي المسلمين من الذين اخذوا
الامان ثم ارسل الي صاحب مصر واراد ان يكتب اليه كتابا قال فبينما هم كذلك واذا
برسول لصاحب مصر قد اقبل وقال يا معاشر المسلمين انه ولي عهد الملك المقوقس ابنه
وهو يريد ان تبعثوا اليه رسولا منكم ليخاطبه بما في نفسه فلعل ان يقع بينكم وبين
الملك صلحا فان الملك المقوقس في خلوته قال فلما سمع عمرو بن العاص كلام الرسول
استدعي عمرو بن العاص بابي سفيان صخر بن حرب وهاشم بن سعد وعبد الله بن جعفر
الطيار والنعمان وقال لهم اعلموا اني مستطرف علي خطاب ملك الروم ولست اري
احدق من كلامي وقد عولت علي ان المسير اليهم لانظر حالهم فلا تخافوا علي من امرهم
شيا فقالوا يا صاحب رسول الله صلي الله عليه وسلم قوي عزمك وافعل ما شيت
قال فاستدعي بشرحبيل بن حسنه وقال له كن مكاني قال فوقف شرحبيل مكان
عمرو ثم ان عمرو بن العاص لبس ثوبا من كرابيس الشام وفوقه جبة حسنه وعمامة
سودا وسار وغلامه وردان يسير امامه وساروا يريدون مصر وليس بل
هي محصنة بالدروب قال فلما قربوا وردان غلام عمرو وخاطبهم بلغة القبط
هذا رسول العرب قد اتاكم ليخاطب من الدخول وقالوا له انا لا ندع امر الملك قال فبينما هم
كذلك واذا هو الذي جاء يطلب رسول العرب فوجد عمرو بن العاص وغلامه
وردان واقفين يخاطبوا القوم فسلم عليهما وامرهم ان يفتحوا لهم الباب ففتحوا
القوم الباب ودخلوا وساروا الثلاثة حتي وصلوا الي قرب الملك فنظر عمرو الي
المراكب وقد احدقت بالبلد من كل جانب ومكان والعساكر واقفه بالعدة الكاملة
والزينة الحسنة وقد تظاهر عسكر مصر بما امكنه من القوة فدخل الحاجب واعلم
الملك انطوا سران العرب قد ارسلوا اليه رسولهم فامر باحضاره فامروه
ان ينزل عن جواده وان يرح سلاحه عندهم فقال عمرو بن العاص ما كنت بالذي
انزل عن جوادي فان امر صاحبكم ان ادخل عليه هكذا والا رجعت من حيث
اتيت فانا قوم اعزنا الله وفضلنا بالاسلام والايمان وانتم الذين طلبتمونا قال
فلما سمع القوم ذلك اعلموا الملك بما قال فقال دعوه يدخل كيف شا قال
فرجعوا اليه وقالوا له ادخل كيف شيت يا اخا العرب قال فدخل عمرو وسار حتي
الملك وهو جالس علي سريره والحجاب قيام بين يديه قال فلما نظر عمرو ذلك
وقف وقال قوله تعا وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقي

ثم ترجل عن جواده وتعدى الى حيث امكنه الجلوس فجلس وهو ماسك عنان
جواده بيده الشمال وقابض على سيفه بيده اليمنى وهو ينظر الى الملك والى
قصره وما قد ظهر له من الزينة ثم قرا قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة
واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون
ثم قال عمرو لمن حوله من القبط اما سمعتم ما كان عليه نبيكم من الزهد والعبادة
وانه كان يلبس الشعر وكان يتوسد الحجر وسراجه القمر وقد سمعنا نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل قد اوحى الى عيسى بن مريم يا عيسى ابك
على نفسك بكاء من ودع الاهل والاولاد وكن يقظانا اذا نامت العيون
فاذا كان روح الله وكلمته وقد خوف بهذا التخويف فكيف يكون حال المكلف
الضعيف وان عيسى عليه السلام اول من تكلم في المهد فقال اني عبد الله اتاني الكتاب
وجعلني نبيا وجعلني مباركا الى حيا فمن يقر بالعبودية فكيف يعتقدون
فيه بالربوبية قال الواقدي فلما سمعوا كلام عمرو بن العاص تعجبوا من
قوله ثم قال له وزير الملك ما تقول في علم النجوم وتسييرها وتاثيرها
فقال عمرو اما النجوم فليس لها تدبير ولا حكم في امرها الا انها مامورة وما لها
امر في نفسها فكيف تامر لغيرها ولا بد لها من بعد المنازل لقوله تعالى والقمر
قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم فمن قال بالقطع والبيان فقد
خرج من شريعتنا ومعنى القطع والتاثير ان يقول ان الغيث ينزل بنوء ولذي
وان يكون الغلاء والرخص وقد قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من صدق كاهنا
فقد كذب ابا القاسم وقد قال صلى الله عليه وسلم اصبح في الناس مومنا وكافر فمن
قال مطرنا برحمة الله فهو مومن بالله عز وجل كافر بالكواكب قال فلما سمعوا القوم
ذلك من عمرو بن العاص قال الوزير ايها الملك اعلم ان هذا البدوي فصيح اللسان
ثابت الجنان وقد اخبرني انه امير هذا الجيش الذي نازل على بلادنا فاذا قبضت
عليه انهزموا اصحابه قال وكان وردان غلام عمرو يسمع كلام الوزير وكان يعرف
بلسان القبط ثم قال لعمرو فانك بين الاسلام وغلبت عليك الشقاوة فالجزية
عن يد وانتم صاغرون قال فتقدم وردان الى عمرو واعلمه بما قال الوزير للملك انه
يريد ان يقبض عليك ثم قال اسطواس يا اخا العرب ما اجرى لسانك وما اثبت
جنانك وما اظن في اصحابك هولاء افصح منك فقال عمرو ايها الملك ان في اصحابي
من هو افصح مني لسانا واجرى جنانا وكل رجل منهم يلتقي في الحرب زهاء عن الف
غلام فان احب الملك ان احضرهم ويسمع كلامهم فعلت ذلك فقال الملك افعل
ما تريد يا اخي العرب ثم التفت الملك الى وزيره وقال له بلسان القبط اذا كان القبض
على هذا وحده فيكون القبض على الجميع اصوب ثم قال الملك يا اخا العرب ابعث اليهم

حتى يا تون اليك فقال عمرو ايها الملك انهم لا يحضرون مع الرسول فان اراد احضارهم
فانا امضي اليهم واتي بهم ليسمع الملك كلامهم ثم قال الملك امضي على عجل
منك لينفصل امرنا عاجلا قال فوثب عمرو رضي الله عنه وخرج من عنده واستوى
على جواده وسار الى اصحابه قال فلما وثب عمرو قال الملك لارباب دولته وحق
المسيح اذا اتوا هولاء الينا لاقتلنهم عن اذن الملك فقال وردان غلام عمرو في
نفسه لا عدت الى مثلها ابدا ثم ساروا الى ان وصلوا الى عسكر المسلمين فاقبلوا
يسلموا عليه وقالوا ايها الامير لقد ساءت الظنون فيك فلا تحدثهم بامره
وكيف اراد الملك ان يقبض عليه فحمدوا الله وشكروه على سلامته وكان قد
انفرك النهار فقام عمرو الى الصباح وصلى بالمسلمين صلاة الفجر ثم امر المسلمين
ان يتاهبوا للقتال فتاهبوا الناس واخذوا على انفسهم واذا برسول الملك
قد اقبل الى عمرو بن العاص ووقف بين يديه وسلم عليه وقال ايها الامير ان
الملك في انتظارك انت واصحابك فقال عمرو يا ويلك ان البغي مهلك لاهله
وان على الباغي تدور الدوائر وانك تطلبنا وتتكلم بهذا الكلام يا ويلك من
يمنعنا من القبض عليك اليوم وقتلك ولكن امضي الى صاحبك وقل له قد بلغني
ما اردت ان تفعله في حقي وحق اصحابي شغلت من العوده اليه قال اخبرنا محمد
ابن اسحق قال فلما رجع رسول الملك ابن المقوقس واعلمه بما قال عمرو بن العاص
ندم على انفلاته وقال نوى من اعلمه بذلك ويكون يحفظ كلام القبط فقال الوزير
ايها الملك ان هولاء العرب مستيقظين على انفسهم وما يقدر احد ان يصل اليهم
من كثرة عقلهم وقد بلغني ان للقوم يوم يعظمونه يقال له يوم الجمعة مثل
تعظيمنا نحن يوم الاحد والراي عندي ان نكمن لهم كمينا مما يلي الجبل المقطم
فاذا اخذوا في صلاتهم يخرج الكمين عليهم ويضع السيف فيهم قال فاجابه
الملك الى ذلك واقاموا ينتظرون يوم الجمعة قال واما ما كان من عمرو بن العاص
فانه لما خلص من يد الملك ووصل الى عسكر المسلمين ادعى بيوقنا وقال له يا عبد
الله اعلم ان نحن صنعنا هذا الخندق حولنا ونحن ننتظر الحرب مع اعدائنا
وليس عندنا زاد نرجع اليه واني اريد ان تاخذ بني عمك ورجالك وتسير الى القرى
الذي امامهم وتشتري لنا منها الزاد والعلوفات فاذا قاتلنا القوم يكون
عندنا ما يقوم بنا فقال يوقنا سمعا وطاعة ثم وثب يوقنا واستدعى باصحابه
وامرهم بالركوب فركبوا واخذوا معهم الدواب وساروا الى الشر والزاد والعلف
قال وكان للملك في عسكر المسلمين جواسيسا وقد سمعوا اما تحدث به عمرو مع
يوقنا فعادوا على حين غفلة من المسلمين ورجعوا الى الملك واعلموه بذلك قال
ففرح بذلك فرحا شديدا ثم امرهم الملك ان يتاهبوا ويكمنون عند الجبل المقطم

وحملوا لهم دربا الي عسكر المسلمين قال فلما كان ليلة الجمعة امرهم الملك
ان يسيروا فساروا من وراء الجبل وهم مستخفون وقد اخذوا معهم الدواب
والابغال وحملوها احمالا وقال لهم الملك اذا اشرفتم علي عسكر العرب فقدموا هذه
الدواب بما عليها من الاحمال بين ايديكم حتي يظنون انكم اصحاب البطريق يوقنا
قال فساروا واكمنوا ولم يكن عند المسلمين خبر من ذلك فلما كان صباح الجمعة وقرب
الصلاة فنادي عمرو الصلاة فاقبلت الناس تاتي من رحالها وقد اجتمعوا للصلاة
فتكلموا في امر القتال فقال سعيد يا ابا عامر وما الذي يمنعنا عن قتال عدو الله وان
الله ما فتح علينا بلاد الشام الا بعزم الكافوي وما جينا حتي نشرف ولا نتفرج
علي مصر ونيلها وما جينا الا للجهاد في سبيل الله عز وجل ومرضاته فقال
عمرو بن العاص والله ما تاخرت عن القتال الا لاشاوركم واري اموركم وان كل
راع مسئول عن رعيته وقد علمت قصد هذا الملك وما عليه من العقل والدين
وهو مقر بنبوة نبينا محمد صلي الله عليه وسلم وهو مختلي يخلونه الذي اراد بها لنفسه
في هذا الشهر العظيم وقد بقي منه خمسة ايام ويظهر علي سرير ملكه ونبعث
اليه رسولا وننظر ما يكون الجواب اما الصلح واما القتال قال فبينما هم
كذلك واذا برسول الملك قد اقبل عليهم ووقف علي جنب الخندق واستاذن
بالدخول فاذنوا له فدخل وسلم وقال يا معاشر العرب ان ابن الملك الذي مولى
عهد ابيه يسلم عليك ويقول لكم قد علمتم انه لا بقدر يحدث امرا الا بامر
الملك وان الملك في خلونه وقد بقي له خمسة ايام ويظهر الي سرير ملكه ويدبر
اموركم فقال عمرو بن العاص قد فعلنا ذلك ولولا ما نعلم من فصحة بقي لك
لما صبرنا عليكم طرفة عين فارجع الي صاحبك واخبره بذلك قال فرجع الرسول
الي الملك واخبره بذلك قال وانما بعث ابن الملك رسوله ليقضي الله امرا كان
مفعولا واذا جاء القضا والقدر لم ينفع الحذر فلما اتي وقت الصلاة قام
عمرو وعلي حبله وخطب خطبة بليغة وحذر من النار وشوق الي الجنة قال فلما
فرغ من خطبته قام الصلاة وتقدم وصلي بالمسلمين صلاة الجمعة وقد امر
العبيدان يقعدوا علي الطريق مخافة من العدو وقال صابر بن اوس ونحن
لا نري احدا يظهر من طريق مقفر لا فارسا ولا راجلا ثم استوينا خلف عمرو في
الصلاة واخذ عمرو في قراءة القران فلما اومينا للسجود واذا اشرف علينا دواب
القوم والبغال وعليها الاحمال والعسكر من ورائها الذي اكمنه اعداء الله وكان
يوقنا وجيشه من وراء الاحمال قال صابر بن اوس فلما نظروهم عبيدنا ظنوا
انهم اصحاب يوقنا فما كلموهم حتي وصلوا اليهم وداروا حولهم وقبضوا
علي العبيد واطبقوا علي المسلمين بجملة وهم في الصلاة ووضعوا السيف فيهم

وهم ساجدون بين يدي رب العالمين وذلك في اخر صفوف المسلمين قال عباده بن عنبه
كنت ممن شهد وقايع الشام فلم ار مثل وقعة مرج الصفا وما منا من حول وجهه
عن الصلاة وقد ايقنا بالهلاك عن بكرة ابينا قال فبينما نحن علي تلك الحالة
واذا قد اشرف علينا يوقنا واصحابه فلما رايي ما حل بنا رغى علي الصحابة
وبني عمه وقال والله من قصر منكم اليوم في القتال ولم يرض الملك المتعال لا
طالبته غدا بين يدي الله عز وجل فان عدو الله قد غدر باصحاب رسول الله
ثم ركب وكبر وكت راسه في قربوص سرجه وحمل علي المشركين حملة الرجال
ووقع بينهما قتالا شديدا ما عليه من مزيد وفرغ عمرو من صلاة الجمعة
وركب جواده وركبت المسلمين معه وحملوا علي اعداء الله حملة عظيمة وحصدوهم
حصد الحصيد قال جابر بن اوس وحملنا عليهم بخيولنا ورجالنا وحلنا
بينهم وبين المدينة فما نجا منهم احد وكانهم طيور وقعت في شبكة فلم
ينفلت منها احد قال فلما وضعت الحرب اوزارها اقبلت المسلمين يهنوا
بعضهم بعضا بالسلامه وشكروا الله عز وجل علي نصرتهم واقبل عمرو
والمسلمين يسلموا علي يوقنا وشكروا له فعاله وفعال اصحابه وافتقدوا
المسلمين فوجدوا قد قتل من المسلمين اربعمائة وستة وثلاثون رجلا ختم
الله لهم بالشهادة وجمعوهم عمرو بن العاص والمسلمين ودفنوهم في مواضعهم
قال ووصل الخبر الي بعد الله بن المقوقس بان اصحابه الذي اكمنهم لم ينفلت
منهم احد فصعب عليه قتل رجاله وابطاله وتيقن بزوال ملكه ثم استدعى
اليه بطارقته وارباب دولته وشاورهم في امره فقالوا له يا ملك ان الدنيا
ما دامت لاحد ممن كان قبلك حتى تدوم لك وما زالت الملوك تنكسر ثم
تعود الي القتال وما انت اول من انكسر له الجيوش وقتل له الرجال فاخرج
بنا الي العرب لنقاتلهم ونصافقهم ولا نايس من النصر قال فعول
علي القتال وفتح خزاينه ونفق الاموال والسلاح والعدد علي جميع عسكره
وامرهم بالخروج الي المسلمين قال واما ما كان من امر عمرو بن العاص لما جرى علي
المسلمين الامر المقدر من كمين المشركين وقد نصرهم الله تعالى عليهم وكتب كتابا الي
عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص السهمي
الي امير المومنين عمر بن الخطاب السلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي
علي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واخبرك يا امير المومنين اني وصلت الي مصر
وجرى لي مع القوم كذا وكذا ونصرنا الله عليهم بعد ان قتل من المسلمين اربعمائة
وستة وثلاثون رجلا ختم الله لهم بالشهادة ونحن في بلاد منصوبه وان العدو
كثير فانجدنا يا امير المومنين وتفذ لنا رجالا من المسلمين يعينونا علي قتال المشركين

والسلام

153

والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ثم طوى الكتاب ودفعه الى عبد الله
بن قرط الازدي فاخذه وسار به وجعل يجد في سيره في الليل والنهار فوصل الى يثرب
في اليوم العاشر ودخل على عمر بن الخطاب وسلم على قبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم ناول عمر الكتاب فاخذه وقراه على المسلمين واقام ينتظر خبر ابا عبيدة
بن الجراح قال الواقدي وان ابن الملك المقوقس لما قتلت رجاله وتواتر
جيش المسلمين وبلغه الخبر وكان قد بعث ابن عمه امير الكمين فقتل مع اصحابه
وبلغ الخبر الى ابن الملك ان ابن عمه قد قتل فبكا وحلف بالمسيح والانجيل لابد له
من اخذ ثاره من المسلمين ثم امر حجابه ورجاله وارباب دولته ان يجتمعوا اليه
قال فلما اجتمعوا اليه قام فيهم خطيبا وقال يا معاشر اهل دين النصرانية
وبنيماء المعمودية اعلموا ان ملككم قديم وبلدكم عظيم وقد ملكوا مصر جماعة
من الملوك بعد الريان وما احد من الملوك الا وقد حسد على ملك مصر وان هؤلاء
يطمعون فيكم وليس امة اطمع منهم وانتم قد فشلتم عن قتالهم وقد طمعوا في
ملككم كما طمعوا في ملك غيركم فقاتلوا عن بلادكم وعن اموالكم وحريمكم
فقالوا ايها الملك اما نحن فاننا عبيد لهذه الدولة لانك استعبدت رقابنا
بنعمتك ونحن نقاتل او نموت عن اخرنا قال فشكر الملك قولهم وامرهم بالخروج
الى قتال المسلمين وقال لهم قاتلوا العرب الى ان تاتينا النجده من البحر بالجيوش
والعساكر فاجابوه بالسمع والطاعه ثم خرجوا من جميع الابواب قال وكان
بعث يستنجد الجيوش الى حد بلاد النوبه فبينما هم كذلك واذا بالرسول قد اقبل
الى ابن الملك واخبر معلما ان قد وقع بين ملك البجه وملك النوبة وهم قد
اشتغلوا عنكم بالقتال قال فخرجوا القبط والعساكر الى قتال المسلمين قال
وكان عمرو بن العاص يطوف حول المسلمين اول الليل ومعاذ بن جبل نصف الليل
وابي سفيان اخر الليل قال الواقدي وان عمر بن الخطاب كتب الى ابي عبيدة
وامره ان ينجد عمرو بن العاص قال فلما وصل كتاب عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة
وقراه قال لخالد بن الوليد ما ترى من الراي يا ابا سليمان وان طريق مصر بعيده
وان ارسلت العسكر اخاف عليهم فقال خالد ايها الامير ولمن في عزمك تبعث
فقال اربعة الاف فارس فقال ان الله قد كفاكم ما تخافوه فقال ابو عبيدة
وكيف ذلك فقال خالد وانا اسير في اوايلهم ومعي المقداد بن الاسود الكندي وعامر
بن ياسر العبسي ومالك بن الحارث النخعي قال فلما سمع ذلك ابو عبيدة تهلل
وجهه فرحا وقال افعل ذلك يا ابا سليمان قال فدعى بهم خالد واعلمهم بذلك فقالوا
سمعا وطاعة الله ولرسوله ولك يا امين الامة قال ومضوا الى رحالهم واخذوا
عابي انفسهم واقبلوا الى ابي عبيدة فودعهم وزودهم وساروا وجعلوا يقطعون

المنازل ويجدوا في سيرهم الى ان وصلوا بالقرب من بلاد مصر واذا بجيد زها عن
الف فارس فاسرعوا اليهم فوجدوهم من عند عمر بن الخطاب وقد وجههم نجده
الي عمرو بن العاص قال ففرحوا بهم وسلموا عليهم وساروا جميعا قال واما ما كان
من عمرو بن العاص لما خرجوا اليه القبط صف الصفوف وعبا المسلمين للحرب
فبينماهم كذلك واذا بخالد بن الوليد قد اقبل والراية في يده تشرق بالنور قال
فلما نظروه المشركين انقطع قلوبهم وايقنوا بزوال ملكهم وكان اللعين لما
خرج الي قتال المسلمين اوصى عمه ان يكون مكانه قال وان خالد لما اقبل وسلموا
عليه المسلمين وحدثه عمرو بما جري من القوم فكبر وحمل عليهم حملة عظيمة
وحملوا المسلمين معه وقد وضعوا السيف فيهم من كل جانب وحالوا بينهم وبين
المدينة قال وكان اخ المقوقس عالما بدينه وكان قد قرا الكتب السالفه
واخبار الامم الماضية وهو مثل اخيه مومن بمحمد صلى الله عليه وسلم قال فلما خرج
ابن اخيه الي المسلمين فقاتل المسلمون وراي خالدا قد اقبل وجمع اليه ارباب دولته
وقال لهم اعلموا ان هذا الدين لا بد له ان يظهر ويملي ما بين مشارق الارض
ومغاربها والصواب اني اسلم هذه المدينة لهاولاي القوم ونعاهدهم فانا
نعلم انهم منصورون فاجابوا القوم الي ذلك قال فعندها قد نصب علي مكان
من جهة ابن اخيه وقد وقع الصياح من داخل المدينة فسمع ابن الملك الفضحه
فسال عنها فقيل له ان عمك قد ملك قصرك وقبض علي قومك وقد عول علي ان
يسلم المدينة للعرب قال فلما سمع ذلك خاف علي نفسه فولي الادبار وركن
الي الفرار وطلب نحو اسكندريه وتبعوه المسلمين ووضعوا السيف فيهم الي ان
اقبل الليل قال وجمعوا الغنايم فلما اصبحوا المسلمين ركبوا وساروا الي ان وصلوا
المدينة واذا قد اشرف عليهم اخ الملك المقوقس واسمه ارجانوس وقال لهم
يا معاشر المسلمين اعلموا ان الله تعالى قد ايدكم بالنصر وقد فعلت في حقكم كذا وكذا
ولولا ذلك ما انهزم ولد اخي ونحن نسلم لكم هذه المدينة علي شرط انكم لا تؤذون
احد من اهلها فما جزا الاحسان الا الاحسان فقال له خالد من بقي منكم علي
دينه فلا نكرهه ومن دخل في ديننا كان له ما لنا وعليه ما علينا قال فلما سمع
ارجانوس اخ الملك المقوقس نزل اليهم المفاتيح ففتحوا مصر ودخلوا واعطوا اهلها
الامان ثم جمع عمرو بن العاص مشايخ مصر وروساهم وقال لهم اعلموا ان
الله عز وجل قد نصرنا عليكم وانتم الان في قبضتنا فمن اسلم منكم قبلناه
ومن ابي عن الاسلام قبلنا منه الجزية فقالوا ايها الامير هذا بلغنا عنكم وعن
حسن سيرتكم وانتم تعلمون انا ما اتينا اليكم ولا ردنا لكم حربا ولا قتالا فقال
عمرو بن العاص يا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترون في امر هولاي القوم

فقال

فقال شرحبيل اصنع بهم كما امرك الله تعالى فقال خالد بن الوليد والمقداد نعم الراي يا صاحب
رسول الله فقال لهم عمرو بن العاص يا اهل مصر انا قد اعطيناكم الامان في هذه السنة
وفي السنة الاتية ناخذ منكم الجزية ومن اسلم فهو منا قال فلما سمع اخ الملك
ذلك قال انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله واشهدكم ان جميع
ما ترك ابن اخي هدية مني الى المسلمين قال فلما نظروا اهل مصر الى اخ الملك وقد اسلم
ضج اكثرهم بصوت واحد ونحن نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال ففرح
المسلمون باسلام القوم ثم ان عمرو بن العاص خرب الكنيسة التي لهم وبناها جامعا
وهو الجامع المعروف بجامع عمرو بن العاص ثم عولوا المسلمين على ان يتبعوا ابن الملك ثم
جمع عمرو بن العاص الاموال واخرج منها الخمس الذي لبيت مال المسلمين وبعث معه مائة
فارس من المسلمين الى امير المومنين عمر بن الخطاب فساروا حتى وصلوا المدينة وسلموا
على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اعطوا اليه الكتاب والخمس فاخذ الكتاب وقراه
على الناس ففرحوا فرحا شديدا ثم قال الذي اوصل الكتاب والخمس الى عمر بن الخطاب
يا امير المومنين ان عمرو بن العاص يسلم عليك ويقول لك ان اهل مصر قالوا اذا توقف
نيلهم فعادتهم ان ياخذوا جارية ويزينوها بالحلل الفاخره ويدرجوها ويكفنوها ويرمونها
في عرض النيل فياتي النيل المبارك مثل البحر وقد توقف في هذه السنة قال فكتب امير المومنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتابا الى نيل مصر يقول في اوله بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن
الخطاب الى نيل مصر اما بعد فانك مخلوق ومامور فان كنت تجري بامرك فلا تجري وان
كنت تجري بامر الله وقدرته فاجري على بركة الله وعونه ثم كتب الى عمرو بن العاص كتابا
يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم
وقد وصل الي كتابك تنشاور في الامر وانا امرتك ان تطلب اعداء الله حيث سلكوا
واعدل في الرعية واطلب العفو من الله عز وجل والسلام عليك وعلى جميع المسلمين
ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب لعمرو بن العاص فاخذه وقراه وفرح به فرحا
شديدا ثم ارمى كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه في النيل فاقبل النيل يسير من وقته
كالبحر قال الواقدي رحمه الله ولقد بلغني ان عمرو بن العاص لما فتح مصر واخرب
الكنيسه وجد في المذبح بابا مقفولا ففتحه فوجد فيه صورة من الفضة وامام الصورة
شخص اخر وفي يده اقلام وفي يده الاخرى شي عليه هيئة الصورة التي وجدها
النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح مكه قال فلما وجد عمرو ذلك ادعا بالقس وقال
له ما هذه الصوره فقال القس هذه صفة ابراهيم الخليل عليه السلام قال فتبسم عمرو
بن العاص ثم قرا ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان
من المشركين فقال معاذ بن جبل لما قدمت من اليمن سمعت ابا هريرة رضي الله عنه
يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بلغني ابراهيم عليه السلام ابيه ازر يوم

القتمة وعلي وجهه قتره وغبره فيقول له ابراهيم عليه السلام الم اقل لك لا تعصيني
فيقول له ابوه اليوم لا اعصيك فيقول ابراهيم يا رب وعدتني انك لا تخزني يوم يبعثون
فاي خزي من هذا فيقول الله عز وجل اني حرمت الجنة علي الكافرين ثم يقول الله
يا ابراهيم انظر ما تحت رجليك فاذا انظر فيوخذ بقوايم ابيه ويلقي في النار قال
واما ما كان من عمرو بن العاص لما ورد عليه كتاب عمر بن الخطاب وامره ان يتبع اعدا الله
حيث سلكوا فامر لجيش المسلمين ان يسير وامر خالد بن الوليد الي مدن مصر وقدم
امام المسلمين عبد الله يوقنا وقومه ثم ساروا وهم لابسين بزي الروم لباسا حسنا
وكانوا يسيرون علي المقدمة يوما كاملا قال ودخل يوقنا وجيشه ونزل علي المدينة
الذي اسمها منفلوط واقام ينتظر قدوم خالد والمسلمين قال فما كان الا قليلا وورد
خالد والمسلمين ونزلوا فلما استقر مكانهم بعث خالد يوقنا رسولا فاخذ معه
عشرة من بني عمه وسار حتي وقف بازا منفلوط فقال السائل من هذا الذي جاكم
فقالوا ان العرب قد بعثوا يوقنا اليكم رسولا ليري الملك ما يكون فيه المصلحة
لنا ولكم ثم ابعثوا اهل المدينة بيوقنا واصحابه الي الملك فقال له يوقنا ان المسلمين
قد بعثوني اليك رسولا حتي تعمل في خلاص نفسك وخلاص قومك وتسلم المدينة اليهم وتكون
انت وقومك في امان الله قال فلما سمع كلام يوقنا غضب وقال وحق المسيح لا افلح
من امن اليكم ثم انكم يا معاشر العرب قد كفرتم بدين المسيح وخرجتم عن ملة الحواريون
ثم صاح برجاله وقبض علي يوقنا واصحابه واوثقهم بالحديد وطرحهم في السجن
وقد وكل علي حفظهم اخت ماريه القبطية وسلم اليها المفاتيح وقال لها تفقديهم
بالقوت كل يوم قال فلما جن الليل واشتغل عدو الله بالطعام والشراب فاقبلت
اخت ماريه الي السجن وفتحته وقالت ليوقنا لا تخف فان اختي ماريه زوجة
نبيكم وانما اريد اطلقكم علي شرط ان تحملوني الي عند اختي ماريه القبطيه فقال
لها يوقنا نحن نفعل ذلك ان شا الله ثم قال لها كيف تعملين بنا قالت اعلم ان
عدو الله قد سكر ونام ثم اقبلت بهم الي الباب وفتحته فقال لها يوقنا هل
تعلمين لنا مخرجا الي عسكرنا فقالت نعم فدلتهم علي مغر هناك وكان منعها حكيما
اسمه لقمان بن عاد ثم ارتهم من اين يخرجوا ثم هجم علي الملك وقتله علي
فرشه وخرجوا الي العسكر وحدث خالد بما كان من امره ففرحوا المسلمون
لسلامة يوقنا واصحابه وزعق النفير في المسلمين فركبوا واحتاطوا بمنفلوط
فاقبل الكفار الي الملك فوجدوا الضحية منذ دخل قصر الملك فسالوا عنها فقيل
لهم ان الملك اصبح مقتولا علي فراشه فارتعبت قلوبهم ومضوا يتفقدوا يوقنا
واصحابه العشرة فلم يجدوهم فعلموا ان المصيبة منهم وان لا طاقة لهم بالمسلمين
فصاحوا بالامان فاعطوهم المسلمين الامان فنزلوا الي خالد بن الوليد وصالحوه

عن

عن بلادهم واسلم اكثرهم ومن بقي علي دينه ضربوا عليه الجزية واتصل الخبر
الي ملك البجه صاحب الفضر وهي الاشمونين فركب واستدعي بجميع الملوك الذي حوله
فركبوا واتوه من اخرهو واسيه وقوص وصاحب البرمه وصاحب طيروط واجتمعوا
الي ملك الفضر وتشاوروا علي القتال فمنهم من ابي القتال وقال ما انتم اكثر من
جيوش وردان ملك الارمن ولا اكثر من جمع الهرقل ملك سورية وقد هزموهم
العرب وملكوا بلادهم وحصونهم وسبوا حريمهم واستعبدوا اولادهم وقد
اتوكم الي بلادكم واخذ واكراسي ملككم وكل الملوك كانت تحسدكم علي ملك
مصر ومن اشار علينا بقتال القوم فيكون طالب خراب بلادنا وهلاكنا وان ملك
النوبة معاديكم فاذا انهزمتم الي اين تتوجهوا فاستصوبوا القوم راي من تكلم
بهذا الكلام فجمعوا الاموال والعلوفات والهدايا والتحف وساروا الي خالد
فوجدوا المسلمون يقرون القران ولا فيهم من يتكبر عن صاحبه وان الغني والفقير
والامير عندهم سواء فدخلوا الي مضرب خالد فوجدوه جالسا علي الارض ولا في
مضربه سوي الة حربه فقام لهم واكرمهم واجلسهم فقالوا في بعضهم لبعض
والله بهذا انتصرت العرب علينا ثم طلبوا الامان والصلح من خالد فقال لهم من دخل
في ديننا كان له ما لنا وعليه ما علينا ومن اقام منكم علي دينه كان عليه الجزية
والخراج قال فلما سمع القوم بذلك اجاب اكثرهم للاسلام وقالوا والله قد بلغنا
حسن سيرتكم وما انتم عليه وبهذا انتصرتم علينا فاسلم اكثرهم وقبل خالد
منهم الهدية الذي اتوا بها اليهم وصالحهم وارسل معهم من يعلمهم القران وامور
دينهم وامرهم ان يخربوا الكنايس ويعمروها مساجد فاجابوا القوم الي ذلك
ورجعوا الي بلادهم وفعلوا جميع ما شرط عليهم خالد قال الواقدي وكان
ابو عبيدة لما ان ارسل خالد بن الوليد الي مصر نجدة الي عمرو بن العاص ارسل ضرار بن
الازور ومعه من المسلمين نحو اكثر من الف فارس باولادهم وحريمهم وما لهم
الي الساحل فساروا ونزلوا علي ارض يقال لها الجلتة واقاموا هناك وهم
مطمئنون من عدوهم وان جميع تلك الارض في صلحهم قال واما ما كان من امر
ابن المقوقس لما انهزم من مصر ودخل الي اسكندريه وارسل الي الجزاير والي ملك
البرقه يستنجدهم وان العرب ملكوا مصر وبلادها وما بقي عليهم الا الاسكندرية
وان ملكوها ساروا اليكم قال فلما بلغ الخبر الي ملك الجزاير قال وحق المسيح
لاكيدن العرب مكيدة تصل اليهم ثم جمع عشرين مركبا واوسقها بالرجالة والعدد
والسلاح وارسلهم نجدة الي اسكندريه وان يكشفوا السواحل فساروا وبعثوا
الزوارق تكشف لهم الاخبار فنظروا اصحاب ضرار نزول في مواضعهم وقد
اضرموا نيرانهم وغفلوا عن الحرس لانهم امنون من عدوهم فرجع الجاسوس

واخبر من كان في المراكب فنزلوا جميعهم واحتاطوا بالمسلمين واخذوهم اسارى وقتلوا
منهم جماعة كثيرة واخذوا ضرار واخته خوله ومعهم الف ومائة اسير وكان ضرار ضعيفا
ولم يقدر علي القتال وقد وثقوهم من ساعتهم وجعلوهم في المراكب وساروا بهم يريدوا
اسكندريه قال فلما بلغ الخبر الي ابو عبيدة ان ضرار ضعيفا ضاق صدره لاجله لانه
كان يحبه كثيرا فقال اني اريد ابعث رجلا الي ضرار ليكشف لنا خبره فقال ابو هريرة
انا اكون ذلك الرجل الي ضرار وقد نويت علي زيارته ايضا قال فسار ابو هريرة وصحبته
رجال من المسلمين الي ان وصلوا المحلة فوجدوا الرجال مطرحه قتلي ووجدوا عندهم
ناس من اهل تلك الارض فسالوهم من الذي فعل هذا فقالوا لا علم لنا وقد وجدوا
من اصحاب ضرار وهم مجرحين فقال لهم ابو هريرة من فعل بكم هذا فقالوا لا علم
لنا بالقوم الذي وقعوا علينا منهم ولا من اين اقبلوا وما شعرنا بهم الا والسيف
قد اخذنا واخذوا الحي من فيه فقال ابو هريرة لا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم وسار ابو هريرة الي البحر فلم ير احد بلوح فعزم علي الرجوع واذا الشبح في
البحر بلوح فوقف ابو هريرة الي ان قرب الشبح اليه واذا هو رجل راكب علي لوح فلما
قرب من البر نزل الرجل فسار اليه ابو هريرة فعرفه واذا به امير دوس ابن عم ابو هريرة
فسلم عليه وفرح به وقال له يا ابن العم ما وراك فقال يا صاحب رسول الله
صلي الله عليه وسلم ان العدو هجم علينا ليلا واخذونا اسري وجعلونا في المراكب
وساروا بنا في البحر فلما توسطنا في لجة البحر بعث الله تعالي علي المراكب ريحا عاصفا
فوقف مركبين وما كان فيهما من الاسري غيري وجميع المسلمين في تلك المراكب التي سلمت
وقد سخر الله لي هذا اللوح لما يريد من سلامتي فركبته كاثر اني حتي بلغ بي الي هاهنا
فلله الحمد والشكر فقال ابو هريرة يا ابن العم ومن العدو فقال من الروم ومعهم
ناس من قبط مصر وقد سمعت منهم ممن يعرف بلسان العرب وهم يعرضوكا لامنا
قال ثم رجع ابو هريرة ومن معه واخذ المجرحين وحملوا الابل والخيل والبيوت
وما فضل من القوم وحملوا المجرحين وساروا الي ان اتوا الامير ابو عبيدة وحدثوه
بما جري علي اصحاب رسول الله واخبروه بمن قتل ومن اسر فاسترجع وقال
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون قال الواقدي
فكتب ابو عبيدة كتابا الي عمرو بن العاص يخبر بما جري علي المسلمين من صاحب
الجزاير وصاحب اسكندريه وانه قد اسر ضرار ومن معه وانك تجتهد في خلاص
المسلمين وان كان في بدلك اخذ من القبط ففادي بهم اصحاب رسول الله وبعث الكتاب
مع زيد وكان عارفا بطرق مصر فجعل يجد السير الي ان دخل مصر وحضر علي عمرو بن العاص
وناوله الكتاب الي خالد وبعث له بجده من المسلمين ايضا وامره ان يجتهد علي
خلاص المسلمين فساروا الي خالد فوجدوه قد فتح بلاد الصعيد ورجع طالب بلاد

فاخذه معه وقراه ثم استرجع وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون

اسكندريه

اسكندريه وقد صالح اكثرها فدخلوا عليه وسلموا عليه وعلى المسلمين ونا ولوه كتاب
ابو عبيدة فاخذ وقراه قال فلما قراه وفهم ما فيه عظم عليه ذلك وضاق صدره
لاجل اسرى المسلمين ولاجل ضرار واخته خوله وبكا بكا شديدا وقال لا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم قال حدثنا عامر بن منصور قال لما اخذوا المشركون ضرار
واخته خوله واصحابه وحملوهم في المراكب وغرق منها مركبين ووصل الباقي الى اسكندريه
واخبروا ابن الملك اسطواس بذلك فرح فرحا شديدا ثم امر باحضارهم فاحضروهم
بين ايديهم فهم بقتلهم فقالوا له اكابر دولته ايها الملك لا تعجل عليهم واعلم
ان العرب قد توجهت الينا ولا بد لنا من قتالهم فان اسر منا احد كان عندنا ما
نفادي بهم ولعلهم ايضا ان نصالح العرب بسببهم قال فاستصوب الملك
رايهم ثم بعث بالاسارى الى دير يعرف بدير الزجاج ونفذ معهم الفين فارس
من القبط ليوصلوهم الى الدير قال وكان لخالد جواسيس من المعاهدين ياتوه
بالاخبار وكان قد سبق منهم جماعة الى مدينة اسكندريه قال فلما راوا الاسارى
ووقفوا على خبرهم وقد امر بهم الملك الى دير الزجاج فرجعوا مسرعين الى خالد
واعلموه بخبر الاسارى وان الملك قد بعث بهم الى دير الزجاج قال فلما علم
خالد بذلك فرح فرحا شديدا وقال ارجوا من الله تعالى ان يكون خلاصهم
على يدي ثم قال للمسلمين عجلوا في السير لعلنا ان نصل الى الدير من القبط
فجعلوا يجدوا السير الى ان اشرفوا على الدير ودار وابه من كل جانب فاشرف
عليهم راهبا من الدير كبير السن مليح الشيبه اسمه فيماح قال وكان ذلك
الراهب تلميذا لبحير الراهب قال فلما اشرف على خالد قال له خالد ما لك ايها
الراهب قال الراهب من نال منها شيا انفعته ومن فاته منها شيا خسرته فقال
خالد ما خير الاصحاب فيها قال العمل الصالح والتقى فقال خالد فما اشر الاصحاب
فيها قال اتباع النفس والهوى فقال خالد ما احسن هذا لو كان في دين الاسلام
والتوحيد فقال الراهب عرفت شيا غيره فقال خالد فما تقول في محمد صلى الله
عليه وسلم فقال الراهب سيد البشر وخاتم النبيين فقال له خالد ايها الراهب
عندك خبر من اسرى نفذ بهم الملك ارسطواس اليك قال لا والله ولكن
مر بي البارحة بطريق واستسقى من هذا الدير وسالناه من اين قدومه فذكر
لنا انه رسول من عند الملك كيما ونش صاحب ارض برقا الى الملك ارسطواس ارسله
اليه ليبعث له من يباري العرب رجالا ليستخبرهم عن دينهم وعن امرهم وقد
انعم له بذلك ورجع الى صاحبه بالجواب ولم يخبرنا شيا عن هذا ثم قال الراهب
الاسارى هم من الذين فتحوا الشام قال خالد نعم نحن واياهم فقال الراهب
ان اخباركم عندنا يوم بعد يوم ولقد رايت نبيكم وانا عند بحير الراهب وذكر لهم

الشجرة الذي استظهره الكريم اليها فاورقت لساعتها فلما مات بحيرا الراهب انتبت
الي هذا الدير واعلم يا هذا انه ما بقي بارض الكنايس ولا ارض العقبة ولا ارض
الرماده قس ولا راهب الا وياتي الي زيارتي ويسا لني عن نبيكم ويقولوا انت
كنت علي طريقه في دير بحيرا الراهب وقد رايته فاشرح لنا حاله وقص علينا صفته..
فشرحت لهم امر نبيكم واخبرتهم بما رايت من معجزاته وجري بيني وبينهم مجادلا
وكلام وجري بيني وبين مسار الراهب وهو بالقرب مني وقال لي ان النبي الذي
بشر به المسيح عليه السلام انه يظهر من الحجاز يعرج به الي السماء وما سمعنا
ان هذا اعرج به الي السماء، فقال خالد بلي والله عرج به الي السماء، وخاطبه ربه
تبارك وتعالي وقد قال الله في كتابه العزيز سبحانه الذي اسري بعبده ليلا من
المسجد الحرام الي المسجد الاقصي الذي باركنا حوله قال وان خالد ذكر للراهب
جميع ما جري للنبي صلي الله عليه وسلم ليلة اسري به فتعجب الراهب من كلام خالد وعلم
انه صادق وكلما تكلم به فهو حق ثم قال الراهب يا اخا العرب اعلم انني اعلا هذا
التل دير يسمي دير المسيح وقد سكنه بطريق من بطارقة القبط وهو جبار عنيد
وعنده رجل من العرب قد اسره وقد بلغني انه من اصحاب نبيكم وانه جا بتجارة
الي مصر في ايام الملك المقوقس وقد باع تجارته واشتري غيرها وتوجه من مصر
الي اسكندريه فباع ايضا واشتري وقد خرج مع قافلة كثيرة فلما قربوا من
هذا التل خرج عليهم هذا البطريق وغلمانه واخذوا جميع القافلة واحمالها
وخلوا اهلها فلما نظر الي صاحبكم وعليه زي العرب اخذه اسيرا وهو مربوط
الي شجرة عند الدير وقد نبت حوله العشب من دموعه وان البطريق كل يوم
يضربه ويقول له ليس لك من يدي خلاص الا ان ترجع عن دينك وتعود الي ديني
وتقول ثالث ثلاثة ثلاثة لا اله الا الله وقد بلغني انه صار كالخلال والبطريق
لا يفتر عن ضربه ولا يمل من عذابه والرجل يقول مناجيا لربه يا الله يا الله قد بليت
جسمي من اجلك فانزل علي رحمتك فاذا فرغ البطريق من ضربه ياتيه بصورة
من نحاس وعلي راس الصورة حمامة سوداء، وعلي صدر الصورة مكتوب هذا
النبي العربي محمد ثم يشرب الخمر ويلقي فضلة الكاس علي تلك الصورة ويقول
للرجل هذا نبيك العربي محمد اساله ان يخلصك مني وان الرجل يستجير بالله
من كفره قال فلما سمع ذلك خالد عظم عليه وغضب غضبا شديدا ثم اختار
من اصحابه عشرة مثل شرحبيل وعامر بن ربيعة ورافع بن قيس ومثل هولاء
رضي الله عنهم اجمعين وامر الجيش ان ينزلوا عند الدير وامرهم ان يكونوا علي
يقظة حتي يرجع اليهم ثم سار ومعه العشرة من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم
الي ان علا علي تلك التل فنظر الي الدير والشجرة عنده قال وكان اللعين عدو الله

ثم خرج ذلك اليوم ليصطاد فوقع علي حمار من الوحش فاصطاده واتي به
الي الدير فنزل تحت الشجرة التي علي باب الدير وامر غلمانه ان ينزلوا تلك الوحش
فانزلوه واضرموا النيران وجعل يقطع من تلك الوحش ويشوي علي النار وياكله
ثم دعا بالخمر فاحضرت فجعل يكرع منها حتي استوثق سكرا ثم صاح علي غلمانه
وقال هاتوا الحميري فجاوا به غلمانه وقد ركبه الذل وفي عنقه غل من حديد
فقال له البطريق يا مسلم جهدك فوحق ديني ما ارفع عنك العقوبة حتي تدخل
في ديني والا انا قاتلك لا محاله فقال له اصنع ما شيت فاني اعلم ان الاسباب بامره
ومشيته والعباد في قبضته والسموات مرفوعة بقدرته والارض مبسوطة
بحكمته الخفية ليس له شريك ولا وزير جل جلاله وتقدست اسمائه قال فلما
سمع البطريق كلامه غضب غضبا شديدا ثم قبض علي سيفه وهم ان يسحبه
من غمده ويضرب به المسلم واذا بخالد واصحابه قد اقبلوا عليه وهو قابض
علي سيفه فصاح به خالد رضي الله عنه صيحة الغضب المعروفة له في قبايل العرب
وقال له ويحك يا عدو الله ثم صاح الله اكبر الله اكبر فتح ونصر وحبانا بالظفر
ومكنا سيوفنا في رقاب من كفر وهجم علي البطريق قال فلما راي البطريق الي خالد
وقد هجم عليه وثب قايما وسحب سيفه وهجم علي خالد فما امهله ان يقرب منه حتي
طعنه طعنة صادفة في صدره خرج السنان يلمع من ظهره وهجموا اصحاب خالد
علي غلمان البطريق فقتلوهم عن اخرهم ثم نزل خالد علي الدير يريد حصاره
فاقبل عليه الراهب وقال نحن قوم رهبان وما نحن من اصحاب الحرب حتي
نقاتلكم وقد نهي نبيكم عن قتل الرهبان فقال لهم خالد ادفعوا الينا ما كان
عندكم من مال البطريق واثاثه وعياله واولاده فاجابوا بالسمع والطاعة
واخرجوا من الدير جميع ما كان للبطريق وعياله واولاده فاحتوي عليهم خالد
واصحابه ثم اقبل الي المسلم وحله من وثاقه وقال له من انت من العرب قال انا امية
ابن حاتم الطاي وكنت اتيت ببضاعة من اسكندريه وبعتها وقد اخذت غيرها
وخرجت منها مع جماعة كثيرة فخرج علينا هذا البطريق وانتهب اموالنا واخذ جميع
القافلة واطلق اهلها ولم يكن اسر من القافلة غيري وكان امر الله مفعولا
قال فهنوه المسلمين بالسلامه وبشروه من الله بالكرامة ثم رجع خالد يريد برزنجا
ومال البطريق واثاثه وحريمه وسار الي ان اشرف علي الدير الذي عند المسلمين قال
فلما نظر المسلمون الي خالد وقد اقبل عليهم بمال البطريق وعياله واولاده ففرحوا بسلامة
خالد واصحابه ورفعوا اصواتهم يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله وسلموا عليهم وهنوا الاسير بالسلامه والخلاص وفرح الراهب
بذلك وسر سرورا عظيما بخلاص المسلم ودمار اللعين قال فبينما خالد يحدث

المسلمين ما جري له مع الراهب والبطريق الراهب يسمع كلامه واذا بصهيل الخيل
وقعقعة اللجم وصياح النسوان وضجيج الاطفال بين الرجال تضج من ورايهم
وتشتمهم وخوله بنت الازور امام الاساري وضرار اخوها يسير بين يديها اذا شوف
من ورايهم رايات القوم وصلبانهم والمسلمين بين ايديهم يستغيثون لربهم
قال فلما راهم خالد علي تلك الحالة ما تمالك عقله دون انه زعق عليهم زعقة المعروفه
وقال جاكم الفرج من رب كريم لم يزل انا خالد بن الوليد ثم كبر وحمل علي القبط
وحملت المسلمون معه حملة رجل واحد وداروا بالقبط من كل جانب ووضعوا السيف
فيهم ولم يلقوا لهم نجاة فما كان غير بعيد حتي اهلك الله القبط واسروا من
بقي منهم واقبلوا الي المسلمين وخلصوهم من وثاقهم وهنوهم بالسلامة واقبل ضرار
الي خالد وسلم عليه وشكر له فعاله فاعتنقه خالد وسلم عليه وهناه بالسلامه
واعطاهم خالد خيل القبط وسلاحهم ثم كتب خالد كتابا الي عمرو بن العاص يبشره
بسلامة المسلمين وبخلاص ضرار واصحابه وما جرا له من اوله الي اخره وارسل
الكتاب قال فلما وصل الكتاب اليه فرح بذلك وارسله الي الامير ابو عبيدة قال
وسار خالد من ساعته بالمسلمين الي اسكندريه والقبط امامه موثقون بالحبال
وهم يضجون الي ان وصل الي الاسكندريه ونزل عليهم بجيشه ووقع الضجيج والصياح
من داخل المدينة وقد وقعت الرجفة في قلوبهم وضاق صدر الملك ارسطواسر
ثم امر ان ينادي في عسكره بالركوب والخروج الي باب اسكندريه وقد اقبل الحجاب
وارباب دولته اليه وقالوا ايها الملك ما الذي تراه من الراي في امر هولاء العرب
قال وما عسي ان يكون الراي وانتم قد وجد بكم الخوف وسكن في قلوبكم وقد طمعوا
في ملككم لقلة جهادكم وقد استنذلوكم وعلموا انكم لا تحامون عن حريمكم
واولادكم وان قاتلتم كان هواكم متفرق ورايكم غير متفق لاجل ذلك قتلوا
ابطالكم وهزموا ملوككم وها هم قد نزلوا بساحتكم وهم معولين علي خراب
دياركم ونهب اموالكم وسبي حريمكم وبيع اولادكم ولقد شرت عليكم وقد وقع التفريط
في الاساري الذي بعثت بهم الي دير الزجاج وابضا في الالفين فارسا الذي معهم
وما بقي لهم وصول الينا ولو انهم عندنا نفعونا في هذه الخوفه وربما كنت
صالحت العرب بالاساري فقال الوزير ايها الملك هذا لك ان تبعث لهم رسولا
يحدثهم في امر الصلح وانا نسلم اسراهم الذي نفذناهم الي الدير فقال الملك
ان هولاء العرب ما يقفوا علينا ولا يقبلوا منا رسولا لاني اعتديت عليهم ونصبت
عليهم وغدرتهم فقال له الوزير وما يضر الملك اذ يرسل اليهم رسولا قال فهم
الملك ان ينفذ لهم رسولا وجعل يشاور نفسه في ذلك علي انه يصالحهم ويسلم
اليهم اصحابهم الذي بعث بهم الي دير الزجاج اذ اقبل عليهم صاحب الحرس الموكل

بالدير

بالدير واخبروه بما كان من امر العرب وما نعرف من اين اقبلوا الينا وانهم قتلوا
الالفين وخلصوا الاسارى الذي معهم وقد اقبل مراكب كثيرة وما نعرف من
اين قدومهم قال فلما سمع ذلك تغير لونه وبطل ما كان عزم عليه واخذ اهبة
القتال مع العرب وظن المراكب من صاحب برقا كماوش فما كان بعيد اذا رست
المراكب في مينات اسكندريه ونزل منها شيخ كبير من الاقسه ومعه عشرة من
القسوس قال فلما نزلوا من المراكب بعث لهم الملك الخيل بسروج الذهب مفصصه
بالجواهر وخرج الي لقايهم الامير والحجاب واقبلوا عليهم يجلوا قدرهم وساروا
بين ايديهم الى قصر الملك وباتوا تلك الليلة في اسرحال قال فلما اصبح الصباح
وقد ركب الملك وخرج الي برا اقبل عليه القس واصحابه فقام لهم وعظم شانهم
واجلسهم معه علي سريره قال محمد بن اسحق ولقد بلغني عن الرواة الثقاة ان الملك
ارسطواس ابن الملك المقوقس ارسل هدية سنية الي الملك كماوش صاحب برقا وكان
كثير الخيل والتوابع وكان المقوقس قد ولاه علي جزاير قرطانه فبعث له كتابا
يخوفه من العرب ويقول له ايها الملك ان الدنيا دار زوال وانتقال وما وهبت لاحد شيا
الا استردد ته ولا نصرت ملكا الا اذلته اما ترى ايها الملك العظيم الي صاحب سوريه
الملك قليطن وهرقل صاحب الشام وارض سوريه قد هزموه العرب الي ارض
القسطنطينيه واخذ بلاده وانصرم عنه ملكه وغلمانه بعد ان كان الملوك والفلك
تنقاد اليه وان الفلك دوار ولعلم ايها الملك انما ضربت لك هذا المثل الا ان الدنيا
مصيرها الي الزوال وهولاء المحمديون قد ساروا علي البلاد واستولوا علي العباد
وهزموا العساكر وقد اخذوا الشام من القياصره وقد جاءت طايفة منهم
الينا وقد ملكوا بعض بلادنا وحكموا فيها وهم ينازعوننا فيما بقي لنا منها وقد
اجتهدوا في اخراجنا عنها والان اذا فرغوا منا لا غنا لهم عنكم والصواب ان تشمر
لهم عن ساق الهمم وتنصر برجال منك علي من طغي وتمرد وتنجدنا فنحن جيرانك
وكلنا جنودك ولعوانك قال فلما وصل كتاب ابن المقوقس الي صاحب برقا الملك
كماوش فقراه وعلم معناه جمع اليه ارباب دولته واكابر عسكره وقرا الكتاب عليهم
ثم قال لهم ما تقولون في كتاب الملك اسطواس وما الذي ترون من الراي فقالوا
ايها الملك ما دامت الملوك تنجد الملوك والذي اشار به صاحب اسكندريه هو الصواب
واعلم ايها الملك ان العرب اذا اخذت ملك مصر وهزموا القبط منها لا بد لهم منا والعبور
الي بلادنا فابعث لهم منا نجده تساعدهم علي عدوهم والمسيح ينصرنا قال فلما
سمع الملك كماوش قول امارته وحجابه استصوب رايهم وخلع عليهم وقدم الملك اخوه اسطفا نوس
وجرد معه اربعة الاف فارس من ابطال قومه وشجعانهم وامرهم بالمسير الي الملك اسطوا
وارسل معهم بترك الكبير ليكشف له اخبار العرب وما هم عليه وكان اسمه شطيشر

وكان مقامه بدير الكنايس وكان راس دينهم وكان عالم بشريعتهم وقرا في الكتب
السالفه والاخبار الماضية وكان عمره مائة وعشرون سنة وكان تلميذ المرقش تلميذا
ليوحنا ويوحنا راى عيسى بن مريم وكان هذا البترك مومن بالله تعالى وكان عارفا
بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يرصد بعثه صلى الله عليه وسلم وظهور ايا ته
ومعجزاته فلما بلغه انه قد توفي وكان قد عزم على زيارته فما لبث الا قليلا حتى بلغه
وفات رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكا بكاء شديدا ولزم زاوية الحزن ولم يظهر لاحد
سره ثم بنا الصومعة على قارعة الطريق فكان كلما مر عليه قافله يستخبرها عن
جيوش المسلمين وباى ارضهم ويسال عن الخليفة من هو بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقيل له ابا بكر الصديق وقد بلغه ان ابا بكر قد مات وولي بعده عمر بن الخطاب
ثم بلغه الخبر بان الصحابة قد فتحوا الشام وتوجهوا الى مصر قال فلما بعث
كماوش صاحب ارض برقا يجده الى الملك ارسطواس مع اخ الملك كماوش اربعة الاف فارس
توجه صحبتهم فلما حضر بين يدي الملك اسطواس وحدثه بما كان من العرب وما فعلوه
معه ففرح بذلك واستبشر في نفسه ثم قال للملك ايها الملك ارسل الى هولاء
العرب برسالتي ونجسس لي اخبارهم ولننظر ما هم عليه عازمين فان كان
غرضهم القتال او الصلح فقال الملك سافعل ذلك واني ارسل اليهم رسولا لعلنا
نعطيهم شيا من المال وينصرفوا عن بلادنا ولا يعودوا ويرجعوا الينا ولا يتعرضوا
الى بلادنا ثم قال البترك امرك الذي تامر به ولكن اعلم ايها الملك اني قد قرات
في الكتب السالفه وسمعت في الاخبار الماضية ان الله تبارك وتعالى يبعث في اخر
الزمان عربيا من ارض تهامه وانه يعرض عليه كنوز الارض جميعا فلا يلتفت
اليها ويختار الفقر على الغنى واصحابه ايضا يتبعون سبيله وقد رايت ان اختبرهم
فقال الملك وكاد اختبرهم قال ايها الملك تامر لغلمانك ان يسرجوا بغلة من خيار
مراكيب الملك ويجعلوا عليها سرجا من الذهب المرصع بانواع المعادن ونجعل في
رقبتها القلايد والجوهر وزينها بانواع اللولو وما في دخاير الملك من زينة الخيول
وتطلقها نحو عسكر المسلمين فان اخذوها علمنا انهم يحبون الدنيا وان قالهم
عليها ولا يطلبون الاخرة وانهم ردوها علينا فنعلم انهم يطلبون الاخرة
وما عندهم الا الله تعالى قال ثم ان الملك امر لغلمانه ان يسرجوا بغلته الخاص بسرج
من الذهب الاحمر ويقلدها بالجواهر والمعادن ويطلقوها نحو عسكر المسلمين
ففعلوا ذلك قال وكان تلك الليلة متولي على حرس المسلمين شرجبيل قال فلما
قربت البغله من عسكر المسلمين نظر اليها شرجبيل ونظر ما عليها من الحلي والجواهر
تبسم ضاحكا وقال ان اعداء الله يريدون بذلك اختبارنا ان كنا نريد الدنيا
او الاخرة فوالله ما منا من يميل الى ما يفنى ويترك ما يبقى ثم قرا قوله تعالى انما

للحيوة الدنيا لعب ولهو الاية ثم مسك البغلة بزمامها وقادها الي عسكر القبط ثم ارسلها
اليهم قال فلما نظر الملك اسطواس الي ذلك ضرب علي وجهه وقال والله بهذا نصروا
علينا وخذلنا ولقد كان اي علي بصيرة منهم ثم امر للبترك ان يسير اليهم فسار
اليهم راجلا قال فلما قرب من عسكر المسلمين اقبل اليه شرحبيل وساله عن امره
فقال انا رسول من عند الملك ابن المقوقس الي امير العرب قال فاخذه شرحبيل
وسار به الي خيمة خالد رضي الله عنه قال وجعل البترك ينظر يمينا وشمالا الي المسلمين
وقد راي قوما قد هجروا الدنيا منهم القاري ومنهم الذاكر ومنهم المصلي وراي عليهم
الوقار والانوار لايحة عليهم حتى قرب من خيمة خالد فاستاذن عليه شرحبيل
فاذن له فدخل قال فلما دخل البترك الي خيمة خالد فوجده جالسا علي التراب وليس
له حاجب ولا بواب وبين يديه جماعة من الصحابة فسلم عليهم فردوا عليه السلام
فقال ايكم الامير فاشاروا الي خالد فقال البترك انت امير القوم قال كذلك يزعمون
اني اميرهم ما دمت علي الحق واتباع العدل فقال البترك والله انتم القوم الذين بشر بكم
المسيح وان الحق معكم لا يفارقكم فامره خالد في الجلوس فجلس وقال يا معاشر العرب
اخبروني عن نبيكم وعرفوني بحسبه ونسبه فقال له خالد ان الله اختار من ولد ادم العرب واختار من العرب مضر
واختار من مضر كنانة واختار من كنانة قريشا واختار من قريش هاشم واختار من هاشم
عبد المطلب واختار من عبد المطلب عبد الله واختار من عبد الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال خالد ولقد سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نبوته فقال كنت وادم بين الماء
والطين وكنت نبيا ولا ادم ولا ماء ولا طين وقال عليه السلام اول ما خلق الله نوري
ولما خلق الله عز وجل العرش كتب عليه بالنور لا اله الا الله محمد رسول الله ولما خرج ادم عليه
السلام من الجنة نظر الي العرش فاذا عليه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فقال ادم عليه
السلام يا رب محمد من هو فقال الله تبارك وتعالى يا ادم هو ولدك الذي لولاه ما خلقتك
فقال ادم عليه السلام يا رب بحرمة هذا الولد اغفر للوالد فنودي يا ادم لو تشفعت الينا
بمحمد في اهل السموات والارض لشفعناك وهي قوله تعالى فتلقى ادم [illegible] من ربه
كلمات فتاب عليه ثم ان الله تبارك وتعالى قال لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز
عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين روف رحيم وقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع
الله وقال ايضا في حقه يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان الله رفع قدره
وعظمه وقال تعالى ورفعنا لك ذكرك يا محمد ثم قال خالد ايها البترك من شرف نبينا
صلى الله عليه وسلم علي جميع المخلوقات اذ يقول الله في كتابه العزيز يا نوح انه لن يومن
يا ابراهيم اعرض يا موسى انك بالوادي وقال لنبينا صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي
يا ايها الرسول يا ايها المزمل يا ايها المدثر قال فلما سمع البترك ذلك من خالد فرح
فرحا شديدا وقال والله لقد نجا من تبعه وخسر من فارقه ثم جدد اسلامه على

خالد وحدثه بامره من اوله الي اخره وكيف امن بالله وصدق برسالة محمد صلي الله عليه وسلم
ففرح خالد باسلامه والمسلمون وقال له خالد فيما اتيت من عند اسطواس فحدث خالد
بما كان من امر الملك وهديته وكتابه الي صاحب برقا كماوش وقد نجده باربعة الاف
فارس مع اخوه اصطفانوس وان الملك يريد صلحكم ولا يبغي قتالكم وانه يريد يدفع
لكم شيا من المال ثم قام البترك بعد ان اسلم علي يد خالد وعلي المسلمين واعرضوا
عليه الاساري الذي اخذوهم من دير الزجاج فوجدهم البترك الف ومائة بشير وقتل
تسع مائة ورجع البترك الي اسطواس وقال له اعلم ايها الملك ان هولاء العرب لا تغلك
اثارهم وانهم حذرون ثم عرفه بقصة اصحابه والاساري الذي بعث بهم الي دير
الزجاج قال فلما سمع الملك ذلك وقع ما كان في يده وتيقن بزوال ملكه ثم قال لارباب
دولته خذوا علي انفسكم لقتال العرب فكانكم بعسكر الملك كماوش صاحب برقا وقد
قدم عليكم فقاتلوا بقلوب قويه واسرار نقيه فان المسيح ينصركم قال وعزم
علي حرب اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم قال وبات الملك ليلته وهو مهموم
فلما غرق في بحر النوم راي في منامه كانه قد اقبل عليه رجل بهي الصوره عريض اللحية
والي جانبه رجل اخر ظاهر اللون كثير الانوار مليح الوجه زايد الوقار عليه الهيبة
ثم قال له الرجل يا اسطواس انا المسيح عيسي بن مريم وهذا الذي الي جانبي هو
النبي العربي الذي بشرت به قبل بعثته فمن امن به فقد اهتدي ومن جحد نبوته فقد
ضل وغوي وقد جينا لننصر اصحابه ومقامنا في القبلة التي علي البرج قال وكانت
القبلة علي برج عالي مما يلي الباب الاخضر الي البحر فان كنت من السعداء فامن به
وبرسالته قال وكان الاسكندر لما بني هذه المدينة سماها علي اسمه فلما بني هذا
البرج عقد عليه هذه القبلة وكان الخضر عليه السلام يسكنها وبني الباب وسماه الباب
الاخضر حيث كان في اصل البرج وذلك هو مشهور الي يومنا هذا قال وان الملك استيقظ
من منامه وهو مرعوبا من الرويا التي راها فلما اصبح الصباح قص منامه علي اصحابه
وارباب دولته فقالوا له ايها الملك انما هو اضغاث احلام وكان المسيح ممن يماشي النبي
العربي وهو عدوه قال فصغي الملك الي قولهم ثم ركب وضرب كوساته وزعق بوقاته
ونشرت اعلامه ورتب صفوفه وركبوا ايضا المسلمين ورتبوا صفوفهم وجعل خالد
بن الوليد يطوف عليهم ويحرضهم علي الجهاد قال وكان مصافهم مما يلي الباب الاخضر
والبحر وا وكب الملك تحت صلبانه وجعل ينظر الي القبلة واذا النور يلمع عليها ويفتكر
الملك في الرويا التي راها في نومه ويقول والله ان الرويا الذي رايتها في نومي حقا ولا اشك
فيها قال حدثنا عبد الله بن بشير ممن يثق بهم قال كنت في خيل خالد يوم
قتال اسكندريه وقد صففنا صفوفنا وعباهم خالد حتي لا يخرج عنان عن عنان
ولا ركاب عن ركاب كانهن بنيان مرصوص ونحن منتظرون الي الحمله ولقد همنا بها اذ خرج

ابن

اليناء من عسكر القبط بطريق عظيم الخلقة وعليه درع مصفح بصفايح الذهب مرصع بمعادن
الجواهر وهو راكب علي جواد من جنود العرب وجال بين الصفوف ثم وقف وقال بلسان
فصيح يا معاشر العرب انصرفوا عنا فانا لا نريد قتالكم ولقد ملكتم مصرنا والصعيد
واكثر بلادنا وما بقي لنا من ملكنا الا ما قل ولسنا ننازعكم فيما اخذتم منا ونحن نقلدكم
البغي فان صالحتمونا صالحناكم صلحا يعود علينا وعليكم صلاحه واعدلوا فينا
ولا تجوروا علينا في الصلح فان ابيتم ذلك لقيناكم باسرار نقية وقلوب قوية فنردكم
علي اعقابكم منهزمين وفي ادبار لكم هاربين لان ما عاند اهل هذا الدين احد الا
وانهزم فما عندكم ايها العرب من الجواب قال وكان الملك اسطواس المتكلم بهذا
الكلام قال فلما فرغ من كلامه برز اليه شرحبيل وقال له يا ويلك لقد
افتخرت بما يرديك ونحن اهل التقى والايمان والفوز والرضوان والقبلة والقران
والصلاة والصيام وديننا اخر الاديان ونبينا المبعوث في التورية والانجيل
والقران المبعوث بالمعجزات والايات والبرهان من تبعه نال العفو والغفران ويلك
كيف طاب لك الكفر عن الايمان ثم قرا ويوم يحشر اعداء الله الي النار فهم يوزعون ثم
قال شرحبيل ان لله عبادا اذا اقسموا علي الله تعالي ان يزول هذا السور لفعله واشار
بيده الي سور المدينة فما استتم كلامه حتي سقط السور الي الارض وظهر المنازل والديار
قال فارتعدت فرايص الملك عندما عاين ذلك من عظم القدرة ثم الوي راس جواده
نحو عسكره والافيدة منه قد طارت والقبط من عظم ما رات قد حارت ورجعوا الي
خيامهم ولم يتعرضوا القتال المسلمين وكذلك المسلمين رجعوا الي اماكنهم وانقضا النهار
قال فلما كان الليل اخذ الملك خزاينه وذخايره وحريمه وما يعز عليه وركب في
البحر وسار بليلته يطلب جزيرة قريطش قال فلما اصبح الصباح وقع الصياح
في المدينة بهروب الملك فاجتمع الاكابر بعضهم الي بعض وقالوا ان الملك قد انهزم
وولي عنا وما بقي لنا من يدافع عنا وقد امسكوا القوم عنا ولو ارادوا الدخول
لدخلوا علينا وملكوا مدينتنا وانما بقي يخلصنا منهم الا الصلح علي ما ارادوا
منا قال فاتفقوا الكبار والشيوخ وخرجوا الي المسلمين وطلبوا الحضور بين يدي
الامير خالد فاستاذنوا لهم فاذن لهم فدخلوا علي خالد وسلم من كان يعرف بلسان
العربية منهم عليهم السلام وقال لهم ما الذي تريدون فقالوا ايها الامير لقد نصركم
الله علينا بصدق قلوبكم وصفا نياتكم لانكم قوم قد اسكن الله في قلوبكم الرحمة
وانا نريد منكم ان تعاملونا بالنصفة وتنظروا الينا بعين الرافة وتحكموا فينا بالعدل
مثل من كان قبلنا معكم من الروم فقال خالد نعم نحن قوم قد سكن الله في قلوبنا
الرحمة ونصرنا بمعالم ديننا وايدنا علي اعدائنا ونحن نجزيكم علي ما جرت به
العاده مع ساير من فتحنا بلادهم والان فانا نريد منكم علي صلحكم ماية الف دينار

من طيب اموالكم صلحا عن انفسكم واهاليكم وحريمكم واولادكم وبعد ذلك ندعوكم الى الاسلام
وتوحيد الله تعالى والتصديق بشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اجاب منكم الى الاسلام
كان له ما لنا وعليه ما علينا ومن ابى الاسلام اخذنا منه الجزية من السنة الثانية على
كل راس منكم وعلى من بلغ الحلم اربعة دنانير ونشرط عليكم شرطا تقبلوه وان لا تركبوا
دابة ولا تعلوا دوركم على دور المسلمين ولا ترفعوا اصواتكم عليهم ولا تبنوا ديرا
ولا بيعة في الاسلام وتلتقوا المسلمين بالذل والخضوع وتسارعوا في قضاء حوائجهم
وما يريدونه من اصلاح شانهم وتعظموا الاسلام واهله ومن اذنب منكم ذنبا
جلدناه ومن ارتد عن قولنا قتلناه وان تشدوا الزنانير على اوساطكم ولا تضربوا
ناقوسا ولا ترفعوا صليبا ولا تتظاهروا بين المسلمين بشيء من اموركم وكفركم واذا
صليتم في بيعتكم لا ترفعوا اصواتكم بقراءة انجيلكم ثم قالوا ايها الامير صعب علينا
ترك ديننا وما كان عليه اباؤنا من قبلنا قال فتبسم خالد ثم قرا قوله تعالى واذا قيل
لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباؤنا ولو كان اباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون قال فلما سمعوا ذلك قالوا ايها الامير قد اجبناك الى ذلك والى
كل ما قلته ونريد منك ان تولي علينا رجلا من اصحابك حتى يجمع المال الذي طلبته
منا فقال خالد انا لا نعرف اسوار اصحابكم ولا نعرف القوي منهم ولا الضعيف فانظروا
من اكابركم من تختاروه عليكم بجمع المال فنوليه عليكم ويكون معه رجل من اصحابنا
يساعده على ذلك قال فاشاروا الى رجل منهم اسمه شعيا بن شامس وكان مقدما
على القبط فولوه عليهم بامر خالد ونفذ معهم قيس بن سعيد وامرهم بجمع المال
ثم قال لهم من كان معسرا ضعيفا فاتركوه وخذوا من كل رجل ما يحمل حاله واعلموا
ان الله يحب المحسنين ولا تظلموا فقيرا ولا ارملة ولا يتيما قال ودخلوا المدينة
واخذوا بجمع الاموال وكانا ياخذان من كل رجل ما يحمل حاله ومن كان فقيرا ضعيفا
تركوه وامتثلوا امر خالد قال حدثني جرير بن عاصم قال كنت حاضرا حين دخل
شعيا بن شامس وقيس بن سعيد المدينة ليجمعان المال واجتمعا في قصر الملك المقوقس
مما يلي باب رشيد وقد بعث شعيا بن شامس غلمانه حتى يجمعون الناس فاجتمعوا
اليه قال وكنت حاضرا عندهما وقد قسط المال على اهل المدينة وكان الاكابر منهم
يزن الواحد ما يامره شعيا قال فاتوا برجل منهم تاجرا اسمه بولص بن مقوقس
وما فيهم اكثر من ماله وغنمه وابله وكان ابخل اهل زمانه فقال له شعيا قد وجب
عليك من هذا القسط دينارا فقال وحق المسيح ما كنت بالذي اعطيه ولو من صدقت
علي لكنا بسوا افضل من عطيتم العرب فقال له قيس بن سعيد يا ويلك ان الذي ناخذه
منك حلالا لا حراما يا ويلكم احببت ان دخلنا مدينتكم عنوة بالسيف السيف لكنت
مقتولا وما لك او لا منهوبا فقال شعيا جزاك الله خيرا ولقد بلغ كل هذا المال من

اسكندرية

اسكندريه وكان صعلوكا لا يقدر علي شي من امر الدنيا وقد اتاك الله من فضله واوسع
عليك من رزقه فقال له اللعين البيس قد ورثته عن اباي كرام واجداد عظام وما لله
علي من فضل قال فغضب قيس من قوله ووثب اليه وضربه بمخصرة كانت في يده
وقال له كذبت يا عدو الله ورسوله بل الفضل والمنة لله تعالى لانه رزقنا من فضله واسبغ
علينا نعمته ثم تلي قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم قال قيس اللهم انه
قد جحد نعمتك وكفر بها فازلها عنه قال فوالله ما مضي نهاره ذلك حتي جاء الخبر
ان ابله قد نفقت وغنمه قد هلكت وبساتينه قد يبست وساير امواله قد مضت
ورد الي ما كان عليه من الفقر والفقر فقال قيس الله اكبر الله اكبر حديث سمعته من
رسول الله صلي الله عليه وسلم وابو هريرة جالس الي جانبه ثم ذكر الثلاثة النفر من بني
اسرايل الاعمي والاقرع والابرص وما جري لهم مع الملك الذي ارسله الله اليهم قال
وجمعوا المال جميعه وخرجوا به الي خالد بن الوليد فقبض المال منهم ودخل المدينة واخرب
كنيستهم العظمي وبناها جامعا وكتب الي عمرو بن العاص كتابا وارسله اليه قال فلما وصل
كتاب خالد الي عمرو وقراه فرح بذلك ثم ولي علي مصر ابا ذر الغفاري رضي الله عنه وجعل
عنده جماعة من المسلمين وسار عمرو بن العاص رضي الله عنه الي اسكندرية ودخل اليها وبنا بها
جامعا في الربط وهو يعرف بجامع عمرو بن العاص الي يومنا هذا قال وان الاخبار وصلت
الي البلاد فاقبلوا اهل رشيد واهل الفوه والمحلة وسمنود والنحراريه واهل الكراسي
الي عمرو بن العاص وعقد وا معه صلحا فصالحهم علي ما اتفقوا عليه وكتب لهم كتاب
الصلح ورجعوا الي بلادهم ليجمعوا المال ثم ان عمرو بن العاص انتخب من المسلمين اربعين
رجلا وبعثهم الي دمياط منهم المقداد بن الاسود وضرار بن الازور ورافع بن عميرة الطاي
ومثل هولاء الصحابة قال وساروا الي ان وصلوا الي دمياط ونزلوا عليها قال وكان
متولي علي دمياط الهاموك خال الملك المقوقس وكان عدة جيشه اثني عشر الف
وكان له اثني عشر ولدا وكان يركب كل واحد منهم في خمسماية فارس من ابطال القبط
وشجعانهم وشجعانهم وكان قد حصن دمياط بالرجال والعدد والزاد قال
فلما اشرفوا عليه المسلمين ونظر الي قلتهم ضحك وقال ان القوم نفذوا الينا
اربعين رجلا منهم ليملكوا البلد نا منا انهم لفي عجز من رايهم وقلة عقلهم قال
وكان ولده الكبير فارسا مشهورا في بلاد النيل اسمه هزبر وكان ابوه يدل بشجاعته
وبراعته وليس في عينه من الفرسان شيا قال فلما نظر الي قلة الصحابة
طمع فيهم ثم لبس لبسه وركب جواده وخرج في قومه الي ميدان الحرب وقد صفا صحابه
صفوفا وركبت ايضا المسلمين ووقفوا امامهم قال فخرج بن الهاموك هزبر
وجال علي جواده وطلب البراز قال فنزل اليه ضرار بن الازور وحمل عليه وما امهله
فطعنه في صدره خرج السنان يلمع من ظهره فاخرجه صريعا من ظهر جواده الي الارض

يخور في دمه ثم حمل ضرار على عسكر الهاموك وصنع فيهم كما تصنع النار في الحطب حتى الجاهم الى سور
المدينة قال فاستغاث الهاموك من صولة ضرار وحملاته ووقع الخوف في قلبه وقلب عسكره
وضاق صدره على ولده وتاسف عليه وعطف راجعا الى المدينة باولاده وبكا ثم دخل
الى قصره وجمع اكابر دولته وقد ضاق صدرهم من الصحابه وقال لهم ما تريدون
من الراي في امر هولاء القوم اشيروا علي فقالوا ايها الملك الراي ما تراه انت فقال
لا بد لنا من الراي والمشوره قال وكان عندهم حكيما يعتمدون عليه في الراي
والمشوره وكان اعقل اهل زمانه فامر الملك باحضاره فحضر بين يديه ثم قال
له ايها الحكيم العالم ما الذي تشير علينا في امر هولاء العرب فقال الحكيم اعلم ايها
الملك ان جوهرة العقل لا قيمة لها ومن استضا بها هدته الى سبيل نجاته
وتادته الى معالم صلاحه وهولاء القوم لا بد لهم رايه ولا ينال منهم غايه وقد
فتحوا البلاد واذلوا العباد واشتهر امرهم وعلا ذكرهم وانتشرت اخبارهم وان
الراي عندي ان تعقد معهم صلحا فتنال بذلك الامن وحقن الدما وصون الحرم
والاولاد وتدفع لهم شيا من المال تداريهم عنك قال فلما سمع الهاموك ذلك
من الحكيم غضب غضبا شديدا وقال ويلك يقتل ولدي وتشير علي بتسليم بلدي
ثم امر بضرب عنقه قال فلما نظر الحكيم الى المنيه وقد غشيته قال اللهم اني بري
مما يشركون لا شريك لك ولا صاحبة لك ولا ولد لك وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
عبده ورسوله قال فلما سمع الهاموك ذلك وثب قايما وجذب سيفه وضرب الحكيم
ارمى راسه عن جثته فلما نظروا ارباب دولته الى فعله مع الحكيم سكتوا عن خطابه
ولم يتكلم منهم احد ثم امرهم ان يركبوا ويخرجوا الى ظاهر المدينة ويضربوا خيامهم
ففعلوا ذلك وانقضا النهار ولم يكن فيه حربا قال وكان للحكيم الديرجان ولدا
عارفا بقضايا ابيه قال فلما نظر الى الهاموك وقد قتل ابيه اظهر الفرح وقال
للملك لقد ارحتني منه ومن شره فطيب الملك قلبه وخلع عليه قال فلما جن الليل
قام ابن الحكيم ونقب من داره نقبا واسعا وخرج منه ولم يعلم احد من الناس وقصد
نحو العرب فلما نظروه اقبلوا اليه وقالوا له من انت قال انا ابن الحكيم وحدثهم بامره
وما عزم عليه فقال له ضرار ويلك ان الذي حدثك بهذه الحيله انما اراد قتلك اما
علمت ان الحذر شعارنا والتيقظ وهم به ان يقتله فقال له المقداد بن الاسود
مهلا يا ضرار لا تعجل عليه فاني في هذه الليله رايت في منامي رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد اقبل الينا وهو لنا مبشر وان هذا الغلام بين يديه وهو يقول لنا هذا الغلام والنبي
صلى الله عليه وسلم يشير بيده الكريمة ثلاث مرار وتاملته هذا الغلام فانه على ما هو
عليه ورايت ايضا على وسطه منطقة من الاديم ولها حلق من الفضة ثم قال له المقداد
يا غلام اكشف لنا عن وسطك قال فرفع الغلام ثوبه واذا المنطقة على وسطه ثم

قال الغلام اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فاقبلوا عليه الصحابة
وصافحوه وسروا به سرورا عظيما ثم ركبوا خيولهم وساروا تحت الظلام والغلام
بين ايديهم الى ان اقبلوا الى البرج الذي نقبه فوسعوه ودخلوا منه خيولهم ثم سدوا
النقب بحجارته ولم يراهم احد من المدينة بلطف الله ثم دخلوا الى دار الحكيم واختفوا
فيها قال وسار ابن الحكيم الى بني عمه واقاربه واعلمهم بما صنع وما قد عزم عليه
وكانوا قد اغضبوا لقتل الحكيم فاحذروا على انفسهم وساروا معه الى داره واقبلوا
الى الصحابة وسلموا عليهم وجلسوا عندهم الى الصباح قال فلما اصبح الصباح فتحت
المدينة وخرجوا القوم لقتال العرب وركب الهاموك وجيشه وقصدوا موضع العرب
فلم يجدوهم ولا علموا لهم بخبر فوقع الصياح بان العرب قد انهزموا قال فعند
ذلك بادر ابن الحكيم وبنو عمه وغلقوا الباب ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير
وملكوا المدينة الصحابة ثم سلموها الى ابن الحكيم وبنو عمه وكانوا ثمانون رجلا
ثم خرجوا الصحابة من باب التراجيم وهو يعرف بباب الجهاد الى يومنا هذا قال
فلما نظر الهاموك الى الصحابة وقد خرجوا من المدينة علم ان المدينة قد ملكت
وما يحيله وصول اليها وقد خرجت من يديه فصعب عليهم ذلك وحاروا في امرهم
ثم رتب الهاموك واصحابه وعزم على قتال المسلمين ووقف تحت صليبه ووقف
ابنه سد شطا عن يمينه لانه كان يحبه حبا شديدا دون اخوته لعقله واجتهاده
في دينه وكان غلاما عاقلا كثير التنقط يتبع اثر الرهبان ويجالس علماء دينهم
ولا اكل في عمره لحم الخنزير ولا شرب خمرا ولا سجد لصورة ولا قبل صليبا ولا ارتكب
حراما وكان قد عزم على ان يبني له صومعة وينفرد فيها فمنعه ابوه ولم يمكنه من
ذلك لفرط محبته فيه وكان كثير السوال عن اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فلما وصلوا الصحابة الى مدينتهم وكان من امرهم ما تقدم ذكره وخرجوا الصحابة
من المدينة جعل سد شطا ينظر الى الصحابة وقلبه مايل اليهم فكشف الله تعالى عن بصره لما
اراد من هدايته فنظر نور الايمان يلوح عليهم ثم شخص ببصره الى السماء فكشف
عن بصره فراى ما راى ثم صاح صيحة عظيمة ووضع وجهه على قربوس سرجه
مغشيا عليه فارتاع ابوه لذلك واقبل عليه ومسكه خوفا عليه ان لا يسقط الى الارض
قال فلما افاق قال له ابوه ما بك يا ولدي وما الذي اصابك قال يا ابت ظهر لي والله
الحق وبان لي علم حقيقة الايمان ولقد رايت على هولاء العرب نورا عظيما ومعهم
رجال عليهم ثياب خضر وبايديهم رايات صفر وهم على خيول شهب ثم نظرت الى الجو
فرايت قبابا معلقة بلا علايق من فوقها ولا دعايم من تحتها وفيها رجال لم ار احسن
منهم والانوار تنشر عليهم وتطلع من وجوههم فقلت من هولاء واذا بقايل يقول
هولاء الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله تعالى ثم رايت قبة عظيمة زايدة الانوار فجعلت

انظر اليها فرايت فيها حوريه زايدة الحسن لو بدت لاهل الارض لماتوا من شوقها واعلم يا ابت
ان الله تعالى ما كشف عن بصري ورايت ما رايت الا لهدايتي واراد بي خيرا وما بعد هذا الرويا
ان اكون على الظلاله وانبع سبيل من كفر بالله تعالى وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ثم حرك على جواده وقال لغلمانه ولرجاله من احبني
فليتبعني قال فتبعه من القوم الف فارس ولحق بالمسلمين وقد اقبل عليهم رحمة الله
عليه ومعه اصحابه واعلنوا بقول لا اله الا الله محمد رسول الله فاقبلوا عليهم الصحابه
وفرحوا بهم وسروا سرورا عظيما وهنوهم بالاسلام وبشروهم من الله بالقبول
والكرامه قال فلما نظروا اولاده وامارته واكابره ولته الى الملك وقد اسلم ولحق
بولده شطا قالوا لولا ظهر لهم من الحق ما ظهر ما اسلموا فاسلم الجميع ولحقوا
بملكهم ففرح الصحابه بذلك واقبلوا على الهاموك ورفعوا قدره وقدروا اولاده
وقربوهم وهنوهم بالاسلام وبشروهم من الله بالمغفرة والرضوان قال ثم جددوا
اسلامهم على يدي الصحابه ودخلوا المدينة فمن اسلم تركوه ومن اقام
على دينه ضربوا عليه الجزية واخرجوهم من المدينة الى الارياف والجزاير قال
وفتح المقداد الباب الذي دخلوا منه الصحابة وامر فبني بابا وسماه باب النعم
وهو ابن الحكيم وترك عندهم المقداد رجلا من اصحابه وهو يزيد ابن عامر يعلمهم
امور دينهم وشرايع الاسلام ورجع المقداد واصحابه من دمياط الى الاسكندريه
وحدث عمرو وخالد بما جرى لهم مع الهاموك وما كان من امر شطا وكيف جرى لهم
من اوله الى اخره ففرحوا بذلك وكتب كتابا الى امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله
عنه يبشره بفتوح اسكندريه ودمياط والجزاير وجميع ما تقدم ذكره وبعث
الكتاب مع عامر قال حدثنا ابن الصامت عن ميسرة بن مسروق العبسي قال
لما فتحت دمياط وكان من امرها ما ذكرناه ورجعت الصحابه الى الاسكندريه
قال الهاموك لولده شطا يا بني الله قد انقذنا من نار الجحيم وهدانا الى الصراط المستقيم
وذلك فضلا من الله تعالى لما سبق في القدم لنا وهذه جزيرة تنيس بالقرب منا وهي لا يصل
اليها احد الا بالمراكب والصواب انا نكاتب صاحبها ابو ثوب وندعوه الى الله تعالى
والى دين نبينا فان اجاب والا سرنا اليه والله تعالى ينصرنا عليه فقال شطا نعم الراى
وانا اكون الرسول اليه بنفسي فقال اعزم على بركة الله تعالى قال فركب شطا واخذ معه
اربعة من غلمانه فقال له يزيد بن عامر يا شطا اما اسير معك الى صاحب الجزيرة
فانه لو سالك عن امر دينا لم يكن لك خبر برد الجواب ونحن نحمد الله نعلم معالم
ديننا ونرد جواب من يسالنا ولا فينا من يتكبر لان طلبنا الاخرة فقال شطا اذا
كان الامر كذلك فسر معنا قال فسار شطا ويزيد بن عامر ومعهم اربعة من غلمان
شطا ولم يزالوا سايرين الى ان اقبلوا الى الجزيرة واذا فيها المراكب على ساحلها من

في

ثم ان الهاموك لما راى ولده شطا
اسلم وبعثه اصحابه فاقر وبعثه
لهم ما ظهر لهم الحق ما تدعوه فاسلم
الاخ وقر واولاده شطا

قبل صاحبها وفيها رجالا يحفظون العيرلما باتي من قبل دمياط فلما نظروا اهل المراكب
الي شطا ابن الملك الهاموس صاحب دمياط اقبلوا عليهم وقالوا من انتم فذكر لهم شطا
امرهم وما قد عزموا عليه قال فبعثوا القوم رجالا الي صاحب الجزيره واسمه
ابو ثوب يخبروه بامرهم وما عزموا عليه فامرهم ان ياتوا بهم فرجع الرسول اليهم
وامرهم بامر صاحب الجزيرة ابو ثوب ثم قدموا لهم زورق فركبوا فيه وساروا
حتي اتوا الي المينا ونزلوا من الزورق وقد بعث لهم ابو ثوب الخيل واراد شطا ان يركب
معهم علي الخيل فامتنع يزيد من الركوب فوافقه شطا علي ذلك وساروا رجالا حتي
اتوا الي قصر ابو ثوب فاستاذنوا عليه فاذن لهم بالدخول فدخلوا حتي توسطوا
القصر ونظروا الي ابو ثوب في عظم حجبته وكثرة زينته وحجابه بين يديه قيام علي
اقدامهم والغلمان والعبيد في خدمته قال فلما دخلوا عليه بادرهم ابو ثوب بالسلام
فقال له يزيد بن عامر السلام علي من اتبع الهدي انا قد اوحي الينا ان العذاب علي من
كذب وتولي قال وكان هذا ابو ثوب من العرب المتنصره المقيمين بالعريش من بني
غسان وكان يقرب لجبلة بن الايهم وكان صاحب مال لا كثيرا فلما راح جبلة الي هرقل
اقبل ابو ثوب الي الملك المقوقس صاحب مصر فخلع عليه واقطعه تلك الجزيره قال
فلما دخلوا عليه وكلمه يزيد ما ذكرناه اظهر لهم العجب والتكبر ولم يرفع راسه اليهم
ولم يحر احد من حجابه ان ياذن لهم بالجلوس قال فلما نظر يزيد الي ذلك قرا
قوله تعالي ان الارض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين ثم جلس وجلسوا الي
جانبه شطا قال فنظر يزيد الي السرير ابو ثوب واذا هو من الذهب وفيه صورة
النخلة ومن تحتها صورة مريم والمسيح عليهما السلام في حجرها فقرا يزيد قوله
تعالي فناداها من تحتها ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة
تساقط عليك رطبا جنيا الاية قال ولم يزل يقرا الي قوله تعالي ويوم ابعث حيا
قال فلما قرا يزيد هذه الاية تغيرلون ابو ثوب وغضب غضبا شديدا وقال ما معني
هذا الكلام الذي نطقت به وما تفسيره قال يزيد هذا الكلام من يعز ويذل
ويغني ويفقر انزله علي نبيه محمد صلي الله عليه وسلم فاخبر الله عن نبيه عيسي
عليه السلام انه عالم الحق ونطق به علي نفسه انه عبد الله ليس بولد حي
الواحد الاحد الفرد الصمد واما قوله تعالي واوصاني بالصلاة والزكاة اي مامور
بالطاعة والخدمة مثلكم واما قوله والسلام عليه يوم ولدت ويوم اموت
ويوم ابعث حيا اعلم الناس انه مولود لا يستحق ان يكون معبود قال فلما سمع
ابو ثوب ذلك من يزيد بن عامر قال تمسكتم يا هولاء بالباطل وغرقتم في بحر
الاضاليل فقال له يزيد الله اعلم من الذي هو تايه في سفينة المحال المشرك بالملك
المتعال الاله القادر اما فيكم من يعظ نفسه بذهاب النهار المضي واقبال الليل

الذي ما لكم لا تعبدوه وتوحدوه وتقروا له بالوحدانية ولنبيه بالرسالة أما انشق
له القمر أما كلمه الضب والحجر أما خاطبه البعير والشجر أما هو اطيب بني مضر قال
فلم يقدر ابو ثوب على رد الجواب ولم يكن له شي يريد به الحجة الا ان قال ليزيد قد
وصل الينا ما فعل لكنه سحر مستمر وان كان قولك هذا حقا فاسئل الله تعالى وتوسل
اليه بمحمد نبيه ان يسقينا الغيث فان جاء الغيث علمنا ان كلامك حقا وليس فيه شك
ونومن بالله تعالى ونصدق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فقال يزيد ان الله تعالى قادر على ما
ذكرت وهو على كل شي قدير وان العبد المخلص اذا دعاه اجابه والله يفعل ما يشاء ثم
قام يزيد وعزم على الخروج فقال له الى اين يا يزيد قال ادعوا الله تبارك وتعالى
الذي لو شاء انزل عليكم من السماء رجزا ثم قرا قوله تعالى بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم
بغير علم فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين قال الراوي انما طلب ابو ثوب الغيث
الا انه كان له بستانا كبيرا وكان بعيدا عن النيل وما يشرب الا من المطر وكان
قد صنع له مصانع يجتمع فيها من ماء المطر ما يكفيه من العام الى العام فاذا كان
ايام الصيف يسقيه من تلك المصانع وكان قد غرس في ذلك البستان من ساير
الثمار والفواكه وكانت تلك السنه الذي حضر عنده يزيد وكان من امره ما ذكرناه ولم
ذلك اوان مطر وكان في الصيف قال وخرج يزيد بن عامر رضي الله عنه وقصد نحو البحر ثم توضى
وصلى ركعتين ورفع راسه الى السماء وفتح كفيه وقال اللهم انك امرتنا بالدعا ووعدتنا
بالاجابه وانت اصدق الصادقين اللهم انت قلت وقولك الحق واذا سالك عبادي عني
فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان وقد دعوتك كما امرتني فاستجب لي كما وعدتني
يا ذا المعروف الذي لا ينقضي ولا يحصيه غيرك احدا اسقنا غيثك بحق محمد المصطفى
واله الشرفا واصحابه اهل الوفا انك على كل شي قدير قال حدثنا وقاصر قال لقد
بلغني ممن اثق به ان يزيد كان يدعو اذا ارتفع السحاب في الجو واقبل الرعد يصول
عليه ويضرب البرق ضارب بقدرة من سبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو
يبير ويبرح فنادى منادي القدرة بصوتها فانظر الى اثر رحمة الله كيف يحيي
الارض بعد موتها قال صاحب الحديث ونزل المطر يسكب بقية يومهم وليلتهم
حتى سقوا ارضهم وملاوا مصانعهم قال فلما كان من الغد حضر يزيد بن عامر في
مجلس ابو ثوب وقال له كيف رايت صنع الله تعالى الصانع المتكفل بارزاق العباد
قال فضحك ابو ثوب وقال ان سحركم لعظيم وان مكركم لجسيم وان السحر
ليفعل اكثر من ذلك فقال يزيد انما الرحمة من الله تعالى لانه ابر قسم من اقسمت
به عليه قال فسكت ابو ثوب عن رد الجواب لما راى من قدرة الله عز وجل وما ظهر
له من بركات صاحب رسول الله ثم قال الان ظهر لي الحق وانا مومن بالله ومصدق
برسوله واريد ان اعرض الاسلام على اهل الجواير واصحابي واهدم الكنايس واجعلها

مساجد

مساجد او امر بالمعروف وانهي عن المنكر فقال له يزيد ان انت فعلت ذلك رشدت
وان انت نافقت فان ربك لبالمرصاد ثم خرج من عنده يزيد ومعه شطا وغلمانه وساروا
الي ان وصلوا الي دمياط وحدثوا الهاموك بما كان من امر ابو ثوب فقال الهاموك
والله لقد خدعكم بخديعته ورماكم بسهم مكيدة قال فقرا يزيد قوله تعالى ومكروا
ومكر الله والله خير الماكرين قال فما لبثوا الا ايام قلايل حتى جا هم الخبر ان ابو
ثوب قد جمع العساكر من ساير الجزاير والبلاد وهو بعد ايام يكون عندكم قال فلما
سمع الهاموك ذلك قال ليزيد بن عامر ما تقول في امر هولا وما عندك قال
نستعين بالله تعالى ونتوكل عليه قال ~~ليزيد بن عامر ما تقول في امرهولا~~ فبعث الهاموك
ولده شطا الي جميع البلاد الذي تحت حكمه يدعوهم الي الجهاد فاقبلوا اليه القوم
من كل جانب ومكان في عددهم وعديدهم وضربوا خيامهم مما يلي المشرق القبلي
من دمياط وكتب يزيد بن عامر ايضا كتابا الي عمرو بن العاص يخبره بامر ابو ثوب
وما جرى له معه وجمع الجيوش فانجدنا برجال من ابطال المسلمين قال فلما وصل
الكتاب الي عمرو وقراه نفذ اليه بهلال بن اوس وسعيد بن ربيعة وضم اليهم الف
فارس من ابطال المسلمين وامرهم بالمسير الي دمياط قال وان ابو ثوب لما جمع اليه
الجموع اعرضهم ظاهر الجزيرة على نفسه واذا هم عشرون الف فارس خرج بهم
في المراكب وساروا الي قرب دمياط وخرجوا من المراكب ونزلوا بالقرب من المسلمين
وصفوا صفوفهم وعزموا على الحرب وكذلك فعل المسلمون وحمل بعضهم على بعض
والتحم الفريقان وحمل عليهم شطا وزعق فيهم واخترق صفوفهم وقتل رجالا
وجندل ابطالا ولم يزالوا يقتتلون القتال الشديد الي ان اقبل الليل وافترق الجمعان
ورجع شطا الي خيمته ولم يزل يصلي طول ليلته قايما على قدميه الي الصباح فلما
اصبحوا عدوا القتلا فوجدوا قد قتل من الفريقان ثمانية الاف فارس لاكن من
عسكر ابو ثوب اكثرهم فاقبل الهاموك على ولده شطا فوجده باكي العين منذعرا
فقال له ابوه ما الذي يبكيك يا بني قال اعلم يا ابتي اني رايت في منامي هذه
الليلة قايلا ابصرته وسمعت كلاما سمعته وان الدنيا مني طالق فقال له ابوه
اعوذ بالله من هذا الكلام ولعله اضغاث احلام فقال والله اضغاث احلام
ولكنه قربا من الملك العلام الذي اجرى الاقلام وخلق الضيا والظلام وبعث
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الي ساير الانام واني رايت البارحة كان ابواب
السما قد فتحت ونور الهداية قد سطعت ورايت ملايكة سما الدنيا ومنهم
سجود لا يقومون ومنهم راكعون لا ينتصبون ومنهم لا يفترون وهم من خشية
من خشية ربهم مشفقون لا تنشغلهم عيون ورايت كذلك سما بعد سما الي
السما السابعه ثم رايت في السما السابعة قبة من الزمرد الاخضر وفيها قناديل

من الجوهر الابيض وهو تزهو بالانوار وفيها اربعون حوريه عليهم حلل ما رايتهن
قط ولاروي في الدنيا مثلهم ولا شكلهم ووجوههم له نور يكشف الشمس وفي ارجلهن
نعال من اليا قوت الاحمر متكيين علي فرش الاستبرق وقد صاحت احداهن وجعلت
تقول يا مفتون بدار الغرور اما آن لك تذكرنا وترغب في قربنا اما علمت ان لاجلك
خلقنا ربنا وجعل مهرنا منك الجهاد فما هذا الهجر والبعاد الفت الجفا فما هذا
صنع اهل الوفا الان فقد نفذ الميقات وانقضت الساعات فتيقظ من المنام
وبادر الي الرحيل واقصد دار السلام وارفع راسك ترى ما اعد الله تعالى لقوام
الليل وصوام النهار والمجاهدين الابرار فرفعت راسي فرايت قبابا معلقات
لا يدرك لها نهاية بعدد النجوم وقطرات الغيوم في كل قبة منها مثل ما رايت
في تلك القبة الاوله من الحور عليهم الحلي والحلل تشرق منهن الانوار لو نظرت الواحده
منهن علي اهل الارض لماتوا من شوقهم اليها قال فلما سمع الهاموك ما قص عليه ولده شطا
من المنام قال له يا ولدي لتعلم ان من المنام ما يصدق ومنه ما يكذب ويكون اضغاث
احلام بل هو كرامات من الملك العلام فلا تشغل قلبك بما رايت في منامك قال لا والله
يا ابتي ما هو اضغاث احلام بل هو كرامات من الملك العلام وما بقي لي في الدنيا طمع قال
فركب شطا جواده بعد ان ودع ابوه واهله قال فتعلق ابوه به وقال له يا بني
بحقي عليك لا تقتلني بفراقك فقال له شطا دع عنك العتاب فقد قرب لقا
الاحباب فعندها فاضت المدامع والعبرات من كل عين وودع الهاموك ولده
شطا وقال له يا بني ان صح منامك وصرت في دار الاسلام خيامك فاذكرني بحسن
طريقة الوفا واقري سلامنا علي محمد المصطفي قال وبرز شطا رحمه الله ونفعنا ببركته
الي ميدان الحرب وجال علي جواده وطلب البراز فخرج اليه من عسكر ابوثوب فارس فحمل
عليه شطا وطعنه فجندله عن جواده الي الارض يخور في دمه فبرز اليه الثاني فقتله
ونزل اليه الثالث ارداه عن جواده قتيلا والرابع والخامس ولم يزل يقتل فارسا
بعد فارس حتى قتل اثنا عشر فارسا من عسكر ابوثوب ~~فارسا فحمل عليه شطا وطعنه~~
~~فجندله عن جواده الي الارض يخور في دمه فبرز اليه الثاني فقتله~~ قال فلما نظر ابوثوب
الي ما صنع الغلام شطا بفرسانه ضاق صدره وخرج من عسكره الي قتال شطا
وكان من الفرسان المذكوره قال فلما ساوى شطا في حومة الميدان قال يا غلام
كيف تركت الدين المستقيم وتبعت هولاء العرب ودخلت معهم في دين الاسلام
قد عمل في قلبك سحرهم وان الدين الصحيح دين سيدنا المسيح قال فلما سمع
شطا كلام ابوثوب غضب ثم قال له يا لعين ان الدين المستقيم ما كان عليه ابراهيم
الخليل والكليم وقد انكشف لي ما اعد الله تعالى من الخير النعيم قال فلما سمع كلام
شطا غضب وحمل عليه فالتقاه شطا بقلب قوي وعزم جري والتقيا واصطدما

وتقاتلا

وتقاتلا قتالا وتعاركا على خيولهما ولم يزالا في القتال الشديد والضراب العنيد مقدار
ثلاث ساعات حتى تعالى النهار وعلاهما الغبار وحميت عليهم الشمس ولحق شطا العطش
وعلم الله تعالى ذلك منه واراد ان يطيب قلب عبده شطا ويريه ما اعد له من الكرامات
فكشف عن بصره فراى القبة التي راها في النوم والحورية التي انشدته الابيات
وفي كفها كاسا من الجوهر فيه من ماء الكوثر وهو يقول يا شطا هذا شراب
من شربه ما سقي ولا يهرم ولا يسقم ولا يموت ولا يبلى والساعة تصل الينا قال
وان الابيات كانت انشدت وقالت انت ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠
٠٠٠ يا مغرورا ما تبرح في بحر المنام ٠ قم عن السهوة وبادر مثل افعال الكرام ٠٠
٠٠٠ ايها الملام دعني بالهوى ٠ لست اصغي يا حبيبي للملام ٠٠ ٠
٠٠٠ واسكب الدمع على ما اسلفته ٠ وابكي ولا تلوني الى عذل الملام ٠٠ ٠
قال فلما نظر شطا الى ذلك صاح وقال الله اكبر هذا ما وعدني ربي و ا رواني وبكا
واخذه الدموع خوفا من الله تعالى فقال له ابو ثوب فما يبكيك فقال رايت كذا
وكذا فضحك ابو ثوب من كلامه ثم حمل عليه وتقاتلا قتالا شديدا اعظم من الاول
والتقيا بضربتين وكان السابق بالطعنة ابو ثوب فوقعت في صدر شطا طلع السنان
من صدره فوقع ميتا رحمة الله عليه قال فلما نظر الهاموك الى ولده صريعا لم ياخذه
صبر دون ان احمل عليه هو واصحابه والتقى الجمعان وعلا الضجيج وارتفع العجيج حتى
عاد النهار كالظلام من كثرة القتام ووقعت الهزيمة في عسكر الهاموك فالتجا
هو وعسكره الى سور المدينة وطمع فيهم ابو ثوب وظن ان المسلمين في قبضته اذ
جاءهم الفتح واقبلت عليهم رايات المسلمين وتحتها ابطال الموحدين يقدمهم
هلال ابن اوس وصفوان ابن ربيعة رضي الله عنهما ورفعوا اصواتهم بالتهليل
والتكبير والصلاة على البشير النذير السراج المنير صلى الله عليه وسلم قال فلما
نظر الهاموك الى من قدم عليه من المسلمين قوي قلبه وقلب اصحابه وزاد نشاطهم
وحملوا على ابو ثوب وجيشه حملة عظيمة وقالوا يا اعداء الله قد جاءكم اهل الصدق والايمان
وحل بكم الدمار يا عباد الصلبان قال وحمل هلال وصفوان باصحابهما على
الكفار وضربوا فيهم بالصوارم وزعقوا فيهم الزعقات المعروفات قال فلما نظر
ابو ثوب الى ما دهمه من الحرب حار واخذه الانبهار قال فبينما هو في حيرته وخذلانه
اذ حمل عليه يزيد ابن عامر رضي الله عنه وقال له يا عدو الله وعدو نفسه اما انفطت
يا بات الله اما انفطت اما ظهر لك الحق من دين الله تعالى ورايت اياته وسمعت ما جاء
به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحق وتلك معجزاته ثم اطبق عليه جواده وقبض
على لحاف درعه وجذبه اليه اقتلعه من سرج جواده واخذه اسيرا وساقه حقيرا ووقع
الصياح ان ابا ثوب قد اسر ووقع فيهم القتل وانهزموا فمنهم من قاتل حتى قتل

ومنهم من اسر ومنهم من ولا منهزم واسر واصاحب ابو ثوب مبيا واسروا صاحب صفا
ونصر الله تعالى المسلمين واذل الكافرين قال واقبلوا المسلمين علي الهاموك وسلموا عليه
وهنوه بالنصر وعزوه في ولده شطا فبكا عنده وقال احتسبه واصبر لقضاء الله تعالى
فقال له يزيد ابن عامر ان في الجنة درجات لا يصل اليها الا الصابرون وذلك لقوله
تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الايه
قال الراوي ثم دفنوا شطا بثيابه مع من استشهد من المسلمين ثم نزلوا المسلمين
في خيامهم باقي نهارهم وباتوا ليلتهم قال فلما اصبح الصباح اقبل الهاموك
الي خيمة يزيد ابن عامر وقال له يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت البارحة
ولدي في النوم وهو في القبة التي راها والحور بين يديه فقلت له ما فعل الله بك يا بني
قال تقبلني بحسن قبول وجاد علي بما يسرني وانزلني في جوار محمد صلى الله عليه وسلم
قال حدثني عامر ابن خويلد ان شطا قتل في ليلة من شعبان فجعل الله تعالى تلك
الليلة موسما فلم يبق احدا من المسلمين في تلك البقعة الارض الا وزار قبره
قال واحضر هلال ابن قيس ابو ثوب الي بين يديه واعرض عليه الاسلام فاسلم
ثم احضر الاساري واعرض عليهم الاسلام فمن اسلم منهم اكرمه ومن ابا الاسلام
اقره على الجزية من عاملهم المقبل قال فلما فرغ هلال من ابو ثوب وقومه
تقدم اليه الهاموك وقال ايها الامير اعلم اننا امنا من جميع الجهات وقد بقي
علينا الخوف من موضع واحد فقال هلال ما اعرف ان بقا لك عدو اتخاف غائلته
فقال بلى وهم اصحاب القلعة المرتفعه قال اصحاب الحديث وكان بقربهم على
مجاز منيس مما يلي شرقها حصن وكان الحاكم عليه الصامت ابن مره من آل
مرحا سن قال فلما سمع هلال ذلك سار اليه بجميع من كان معه من العرب الي
تلك الحصن ونزل عليه وعول على حصار القلعة قال فاشرف عليهم الصامت
ابن مره فراهم قد نزلوا على القلعة وقد عزموا على حصاره فاقبل على قومه وامرهم
ان يرموا على المسلمين سهامهم قال وكان في القلعة الف رامي النبل فرموا عن
قسيهم رمية واحدة الف سهم قال فسمتها العرب الف رما وجلسوا يحا
صرونها عشرين يوما فلم يقدروا عليها قال فكتب هلال كتابا الي عمرو ابن العاص
رضي الله عنه يخبره بذلك وان يبعث لهم نجده من المسلمين قال فلما وصل كتاب
هلال ابن قيس رضي الله عنه الي عمرو ابن العاص رضي الله عنه وقراه نفذ اليه المقداد
ابن الاسود رضي الله عنه وضم اليه خمسمائة فارس من العرب وثلاثة الاف من
القبط ممن احسن اسلامهم وامرهم بالمسير الي هلال ابن قيس قال فلما وصلت
النجده مع المقداد ابن الاسود رضي الله عنه ونزلوا على القلعة وتاهبوا لحصارها
وقتال من فيها قال فنظر الصامت ابن مره الي من نزل عليه من الرجال والعساكر

علم ان ما بقي له ناصر ولا من ينجده قال فعند ذلك نزل من القلعة وصالح المقداد
ابن الاسود علي اربعة الاف دينار واربعمائة ناقة والف راس من الغنم وان يرحل باهله
وماله ويسلمهم القلعة قال فاجابه المقداد الي ذلك وصالحه وقبض منه المال
وبعث به الي عمرو ابن العاص رضي الله عنه ثم ارتحل المقداد بالجيش ونزل علي البقاره
قال وكان عليها رجل من العرب اسمه بافز قال فلما راهم عرف انه لا طاقة له
بهم فاقبل الي المقداد وصالحه ثم اسلم هو ومن كان معه ثم ارتحل المقداد وجيشه
ونزل علي القصر المشيد ففتحه صلحا وصالح اهله وارتحل عنهم وسار الي الوراده
ونزل عليها وصالح اهلها علي ما اتفقوا عليه وارتحل عنهم وسار الي العريش فصالحهم
علي ما اتفقوا عليه قال ورجعوا المسلمين الي عمرو ابن العاص وحمدوا الله وشكروه واثنوا
عليه وارتحل عمرو ابن العاص وخالد بن الوليد ومن معهم من المسلمين وعبد الله يوقنا
وبنو اعمه رضي الله عنهم اجمعين الي مصر ونزلوا بها وقد سرت المسلمين بنصر الله تعالى لهم
علي اعدايهم ثم جمع عمرو بن العاص الغنايم والاموال وما اخذوه من البلاد واخرج
منه الخمس وفرق الباقي علي المسلمين وكتب كتابا الي امير المومنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه بالبشارة والفتوح والنصر وارسله مع الخمس ومن اراد الرواح
معهم تركه وساروا بالمال والغنايم الي يثرب فدخلوا المدينة وسلموا علي قبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوقع لهم ضجة عظيمة في المدينة وسلموا الكتاب الي امير
المومنين والخمس فاخذ الكتاب وقراه علي المسلمين فضجوا بالتهليل والتكبير
والصلاة علي البشير النذير السراج المنير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم بعث
امير المومنين كتابا الي امين الامة ابو عبيدة عامر ابن الجراح رضي الله عنه وارضاه
وامره ان ينفذ الجيوش والعساكر الي ارض ربيعة والفرس والي ارض ديار بكر قال فلما
وصل كتاب عمر بن الخطاب الي الامير ابو عبيدة بن الجراح وقراه علي المسلمين فامتثلوا
...ه واسرعوا الي الطاعة لربهم والطاعة خليفة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم
...امر فخالد والمسلمين وجيش الجيوش والعساكر وامرهم بالمسير
...ربيعه والفرس وكان ذلك في اواخر سنة عشر من الهجرة
...ابن الخطاب رضي الله عنه بالخلافة اربع سنين ونصف فتح الله
...به ويدي الصحابة رضي الله عنهم اجمعين ونفعنا بهم وبركا
...الله ولقد قاتلوا حتي قتلوا في سبيل الله وبذلوا النفوس والجهود
...فتحوا البلاد وصبروا وصابروا وجاهدوا ورابطوا مجدوا فيها
...فضربوا بعزم الله ونصروا دين الله عز وجل واقاموا
...العهد والوفا والذمام والصبر وطلقوا الدنيا و
...غدرها ومكرها واعلموا ان الاخرة خير وابقى

ونالوا الدرجات العلا وحضوا بالحور والقصور والولدان وجنات النعيم
المقيم وذلك كله ببركة نبيهم ونبينا ونبي العرب والعجم واهل المغرب
وافضل من طلعت عليه الشمس محمد صلى الله عليه وسلم الذي لولاه ما كنا
مسلمين ولا كان شمس ولا كان قمر ولا شجر ولا مدر ولا حجر
ولا حبر سيد المرسلين سيد الاولين وسيد الاخرين
وحبيب رب العالمين وصفوته وكليمه وخليله ونجيه
ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم
الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم تم كتاب
فتوح الشام بحمد الله وعونه وحسن
توفيقه وهدايته وقد علقه اضعف
الخلق واحوجهم في عفو الحق
لنفسه جعل الله توجهه خيرا
من امسه الغارق في الذنوب
والعصيان والاثم غنيم الفقاه
ابن الحاج علي الازمنازي
يوم الجمعة قبل الصلاة
في اواخر شهر شوال سنة
الف واحدى عشر سنة
١٠١١

٣٠٣

هذا كتاب فتوحات الشام قد تملكه ملا عبد الحميد افندي بن محمد
بقيمت

٢ نم بكر معاصي

٩٠

no 5

No 5

الحمد لله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم ابو عبد الله

ابو عمرو ...